التنزيل والتأويل
(٣)

القرآن .. وتحريف الغالين

رواية حول الدعوة للتعامل المقاصدي مع القرآن الكريم

أ.د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو الجزء الأول من أجزاء ثلاثة من هذه السلسلة تحاول أن تصحح الأخطاء الكبرى التي وقعت أثناء التعامل مع القرآن الكريم، وهي التي أشار إليها الحديث المعروف المشهور، وهو قول رسول الله ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)

وبناء على هذا؛ فإن هذا الجزء يعالج المبالغات والغلو الذي ارتبط ببعض العلوم القرآنية، أو الفهوم المتعلقة به، والتي صرفت عن التدبر الحقيقي للقرآن الكريم، وجعلت من أولئك الغلاة، مثل الذي يهتم بالقشر أكثر من اللباب، وبالأجزاء أكثر من الكل.

ولذلك؛ فهو لا يدعو لطرح تلك العلوم أو الفهوم طرحا كليا، وإنما يدعو إلى تصحيحها، ونفي الغلو عنها، ووضعها في محالها المناسبة، حتى لا تكون سببا يصرف عن تدبر القرآن الكريم، أو يؤثر في فاعليته في الواقع.

وقد رأينا أنه يمكن انحصار تلك المبالغات في سبعة قضايا وعلوم كبرى، هي: الرسم والإملاء.. والتجويد والقراءات.. وأسباب النزول.. ومحال النزول.. ومصاديق التنزيل، أو ما يطلق عليه [الجري والتطبيق].. والناسخ والمنسوخ.. وعقبات التأويل، وقد تناولنا فيه سبع عقبات كبرى، هي: عقبة الفضول، وعقبة الخرافة، وعقبة الوهم، وعقبة المحدودية، وعقبة الحرفية، وعقبة الأهواء، وعقبة الدجل.

التنزيل والتأويل

(٣)

القرآن.. وتحريف الغالين

رواية حول الدعوة للتعامل المقاصدي مع القرآن الكريم

أ. د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

١٤٤٣ . ٢٠٢١

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة الكتاب

هذا الكتاب هو الجزء الأول من أجزاء ثلاثة من هذه السلسلة تحاول أن تصحح الأخطاء الكبرى التي وقعت أثناء التعامل مع القرآن الكريم، وهي التي أشار إليها الحديث المعروف المشهور، وهو قول رسول الله ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين) (١)

وقد رأينا تقديمها على غيرها من الأجزاء التي تبحث في المواضيع والمقاصد القرآنية، حتى لا نكرر في كل جزء الانحرافات والتأويلات الخاطئة التي ترتبط بالقضايا التي نطرحها.. وحتى نصرف الشبه عن القرآن الكريم، والفهم الخاطئ له، وهو مقدم على غيره؛ لأن التعامل الخاطئ نوع من الجهل المركب، ولا يمكن معالجة الجهل البسيط إلا بعد إصلاح الخلل الناجم عن الجهل المركب.

ومن خلال الحديث الشريف تبين لنا أن للتعامل الخاطئ مع القرآن الكريم ثلاثة ميادين كبرى، لكل ميدان أهله الخاصون به:

أما **الأول**؛ فهو التحريف، وأهله هم الغالون، وقد رأينا أنهم يشملون أولئك المؤمنين الصادقين في إيمانهم، لكنهم نتيجة مبالغاتهم وتشددهم وغلوهم في بعض الأمور، وقعوا في التحريف من غير أن يقصدوه أو يشعروا به.. وقد تناول هذا الجزء هذا النوع من الخلل الذي حصل للتعامل مع القرآن الكريم.

وأما **الثاني**؛ فهو الانتحال والتزوير والتدليس، وأهله هم المبطلون، وهم ـ ليسوا

---

(١) الحديث مروي في المصادر السنية والشيعية، ومنها: البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٩، ومعاني الأخبار ص ٣٣.

كالطرف الأول مؤمنين صادقين ـ وإنما هم منحرفون مغرضون متبعون للباطل، ولا يستبعد أن يكون منهم من يكون صاحب نية سيئة، ولا يبعد أيضا أن يكون منهم الضالون الذين اشتبهت عليهم الأمور؛ فتوهموا الباطل حقا، والضلال هداية.. وقد خصصنا الجزء الرابع من هذه السلسلة للرد والتصحيح المرتبط بهؤلاء.

وأما **الثالث**؛ فهو التأويل الزائغ عن الحق، وأهله هم الجهلة الذين لا يفرقون بين المحكم والمتشابه، ولا يرجعون للراسخين في العلم منهم، ولذلك انحرف فهمهم عن المعاني القرآنية إلى أضدادها.. وقد خصصنا الجزء الخامس من هذه السلسلة للرد والتصحيح المرتبط بهؤلاء.

وبناء على هذا؛ فإن هذا الجزء يعالج المبالغات والغلو الذي ارتبط ببعض العلوم القرآنية، أو الفهوم المتعلقة به، والتي صرفت عن التدبر الحقيقي للقرآن الكريم، وجعلت من أولئك الغلاة، مثل الذي يهتم بالقشر أكثر من اللباب، وبالأجزاء أكثر من الكل.

ولذلك؛ فهو لا يدعو لطرح تلك العلوم أو الفهوم طرحا كليا، وإنما يدعو إلى تصحيحها، ونفي الغلو عنها، ووضعها في محالها المناسبة، حتى لا تكون سببا يصرف عن تدبر القرآن الكريم، أو يؤثر في فاعليته في الواقع.

وقد رأينا أنه يمكن انحصار تلك المبالغات في سبعة قضايا وعلوم كبرى، وضعنا كل قضية أو علم منها في فصل خاص، سنشرحها هنا، ونشرح معها الجانب الروائي من الكتاب، والذي يهدف إلى التبسيط والتيسير والاستيعاب.

الجانب العلمي من الكتاب:

قسمنا الكتاب من خلال القضايا الكبرى المطروحة فيه إلى سبعة فصول، وهي:

أولا ـ القرآن.. ورسم التنزيل: وقد تناولنا فيه الاهتمام المبالغ فيه بما يطلق عليه [الرسم العثماني]، واعتباره موقوفا، لا يجوز الاجتهاد فيه، وبينا أن ذلك الرسم مرتبط فقط بتلك البيئة التي لم تنضج فيه الكتابة العربية بعد، ولذلك لا علاقة له بالقرآن الكريم، ويمكن كتابة المصاحف بالرسم الإملائي العادي الذي ييسر لعامة الناس قراءة القرآن الكريم من دون حاجة لمن يصحح لهم، مع إمكانية الاحتفاظ بمصاحف كتبت بالرسم العثماني لتكون في متناول الخاصة من الناس لا عامتهم.

ثانيا ـ القرآن.. وقراءات التنزيل: وقد تناولنا فيه الاهتمام المبالغ فيه بعلمين أصبحا عند كثير من الناس حجابا دون تدبر القرآن الكريم، وهما [علم التجويد] و[علم القراءات]، وبينا أن أكثر تلك الاهتمامات من التكلف والغلو الذي لا علاقة له بالقرآن الكريم، والذي جعله الله تعالى يسيرا سهلا لكل قارئ، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢]

ثالثا ـ القرآن.. وأسباب النزول: وقد تناولنا فيه الاهتمام المبالغ فيه بأسباب النزول إلى الدرجة التي تحول فيها القرآن الكريم إلى وثيقة تاريخية لا علاقة لها بالحياة، وقد بينا من خلال استعراض أسباب النزول كيفية التعامل الصحيح معها.

رابعا ـ القرآن.. ومحال النزول: وقد تناولنا فيه الاهتمام المبالغ فيه بما يطلق عليه [المكي والمدني]، وبينا كيفية الاستثمار الصحيح لها.

خامسا ـ القرآن.. ومصاديق التنزيل: وقد تناولنا فيه خصوصا ما يطلق عليه [الجري والتطبيق]، وخصوصا في تطبيقاته الخاطئة التي قام بها غلاة الشيعة الذين حملوا كل آيات

القرآن الكريم على أئمة الهدى، من غير مراعاة أي مناسبة تدعو إلى ذلك.. وقد بينا فيه أقوال العلماء العدول من الشيعة في الرد على تلك المبالغات، سواء من خلال نقد أسانيدها، أو من خلال بيان تفسيراتهم لتلك الآيات.

سادسا ـ القرآن.. وتعطيل التنزيل: وقد تناولنا فيه بتفصيل شديد ما يطلق عليه [الناسخ والمنسوخ]، وبينا أنه ـ بأنواعه جميعا ـ معارض لتفعيل القرآن الكريم في الواقع، ثم استعرضنا كل الآيات التي قيل بنسخها، وبينا إمكانية الاستفادة منها، وتفعيلها فيما نزلت من أجله.

سابعا ـ القرآن.. وعقبات التأويل: وقد تناولنا فيه العقبات الكبرى التي وقع فيها المفسرون، وقد رأينا أنها سبعة عقبات، ذكرنا نماذج عن كل واحدة منها، لأننا سنستعرض تفاصيلها في سائر الأجزاء، وهي:

١ ـ عقبة الفضول: ونقصد بها التكلف في البحث عن القضايا والأخبار التي لم يرد في القرآن الكريم تفصيلها، ولم تكن هناك حاجة تدعو إلى ذلك.

٢ ـ عقبة الخرافة: ونقصد بها الخرافات التي ألصقت بالقرآن الكريم، وجعلته يتعارض مع العقل أو العلم.

٣ ـ عقبة الوهم: ونقصد بها تلك الأوهام التي تسربت خصوصا إلى التفاسير الباطنية؛ فجعلت للكشف والإلهام دورا في تفسير القرآن الكريم من غير أي دليل أو حجة.

٤ ـ عقبة المحدودية: ونقصد بها ما تعلق به المتأثرون بالتفسير المأثور من قصر فهم القرآن الكريم على سلف الأمة دون خلفها.

٥ ـ عقبة الحرفية: ونقصد بها ما نشأ عن التعلق بالظواهر القرآنية، من انحرافات

ترتبط بالتجسيم والتشبيه ونحوها.

٦ ـ عقبة الأهواء: ونقصد بها تلك التفاسير التي انطلق فيها أصحابها من تعصبهم لطوائفهم؛ فجعلوه متحكما في القرآن الكريم، وحاكما عليه.

٧ ـ عقبة الدجل: ونقصد بها ربط القرآن الكريم بالشعوذة والدجل، كنوع من الاستغلال الخاطئ لما ورد فيه من البركات وتحقيق الشفاء ونحوهما.

الجانب الروائي من الكتاب:

تبدأ الرواية من زيارة معلم القصد والاعتدل لتلميذ القرآن الكريم، ليدعوه للرحيل إلى بلدة الغالين، للمساهمة معه في الدعوة للاعتدال والوسطية والتعامل المقاصدي مع القرآن الكريم.

وعندما ذهب تلميذ القرآن الكريم للبلدة تفاجأ باهتمامها الكبير بالقرآن الكريم، في نفس الوقت الذي لم تظهر عليهم آثاره العملية، لا في حياتهم، ولا في سلوكهم، ثم يكتشف أن سبب ذلك هو غلوهم في بعض قضاياه أو علومه عن التدبر والتأثر والانفعال.

وأول تلك المحال التي رأى مبالغة أهل تلك المدينة فيها، هي الرسم والإملاء القرآني، وقد سمع منهم وجوه المبالغة فيه، وأسبابها، لكن تدخل المعلم، وطريقته الحكيمة في التعامل مع تلك القضية، جعلتهم يميلون إليه، ويقبلون قوله في كتابة المصاحف وتعليم القرآن الكريم بالإملاء العادي.. وقد كان ذلك أول توجيه وتصحيح لأهل تلك المدينة، جعلهم يثقون في المعلم، والذي استطاع بطريقته الخاصة أن يؤثر فيهم، ويجعلهم يقبلون كل ما يطلبه منهم.

وهكذا، انتقل إلى المهتمين بالقراءات والتجويد، وصحح لهم ما يقعون فيه من

مبالغات، ودعاهم إلى ما ورد في القرآن الكريم من اليسر والسهولة.

ثم انتقل إلى المبالغين في أسباب النزول، وصحح لهم كيفية التعامل معها، وبين لهم من خلال تعليقه على أسباب النزول التي يوردونها كيفية التعامل الصحيح معها ومع الآيات المرتبطة بها.

وهكذا سرت تعاليم المعلم في الذين يبالغون في محال النزول، وعلم المكي والمدني؛ فصاروا يبحثون في أسرارها وكيفية الاستفادة منها.

وهكذا استطاع أن يصل إلى القضاء، ويدعو إلى محاكمة متهمين معطلة أحكامهم، بتهمة التفسير الباطني للقرآن الكريم والقول بتحريفه، وقد كانت المحاكمة فرصة لأولئك الفتية ليدافعوا عن أنفسهم، ويبينوا أن ما نسب لهم غير صحيح، بل هو من فعل الغلاة الذين يتبرؤون منهم، وقد كان ذلك فرصة لتحقيق الوحدة والتآلف بين أهل المدينة.

وبفعل كل تلك التغييرات الطارئة على المدينة بسبب توجيهات المعلم خرج أحفاد قتادة، وهو من ينسب إليه أول كتاب في الناسخ والمنسوخ، ليتبرؤوا من مقولات جدهم، ويجيبوا عن كل الأسئلة التي طرحت عليهم، والتي من خلال أجوبتهم لها، بينوا أن القرآن الكريم كله محكم لا تعطيل في أي كلمة من كلماته، أو آية من آياته.

وبعد أن حصل كل ذلك قرر أهل المدينة، وبإشراف المعلم، القيام بمراجعة شاملة للتفاسير القرآنية، ليميز ما فيها من غلو وتحريف وانحراف.

وفي آخر الرحلة، وببركات ذلك كله تحولت المدينة إلى مدينة قرآنية حقيقية، تحاول أن تتدبر القرآن الكريم، وتعيش معانيه، بعيدا عن الغلو والتحريف.

وقد حاولنا في هذا الجانب أن نطرح كل القضايا بسهولة ويسر واستيعاب، ولذلك

كثر المتحدثون في الرواية، سواء من الغلاة المنحرفين، أو من غيرهم.

وننبه في الأخير إلى أن التوثيقات الواردة قبل ذكر القول، تبين مصدر الكلام المطروح، لكن ليس بالضرورة أن يكون نفس الكلام موجودا في المصدر، لأني أتصرف فيه بحسب المقام، وأحيانا يكون لصاحب الكتاب غرض مختلف تماما، لكني أصححه في النص، بخلاف النصوص التي تكون في ثنايا الكلام، أو بين قوسين، فهي منقولة بدقة وأمانة.

وذلك لأن هذه السلسلة وغيرها من السلاسل تهدف إلى التقريب والوحدة بين المسلمين، ولذلك أحذف كل ما يسيء إلى تلك الوحدة، ومثلها ما قد يصرف القارئ عن المقصد من الكتاب.

البداية

بعد أن طلب مني معلمي معلم القرآن الاستعداد للسفر للرحلة الخاصة بتعلم ما يتعلق بـ [القرآن.. وتحريف الغالين] رحت أبحث في كل الكتب التي تتحدث عن الغلو، وأسبابه، وكيف واجه القرآن الكريم هذه الظاهرة الخطيرة التي تنتشر في كل المجتمعات، وبين أهل كل الأديان.

وحين قرأت كل ذلك، عرفت سر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وكيف اعتبر الغلو سببا لاتباع الأهواء.. ثم سببا لكل أنواع الضلالة.

ما إن عرفت ذلك، حتى رأيت رجلا لا يختلف عن كل المعلمين الذين رأيتهم؛ ففرحت كثيرا، وقلت مخاطبا له: من أنت من المعلمين؟

قال: أنا معلم القصد والاعتدال.

قلت: إذن أنت الذي سأرحل معه إلى [القرآن.. وتحريف الغالين]

قال: أجل.. فقد كلفني معلمي معلم القرآن بذلك.. وأنا طوع أمره.. فعليك أن تكون طوع أمري، حتى لا يحصل لك ما حصل لموسى عليه السلام مع الخضر.

قلت: لا تخف.. ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]

قال: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]

قلت: لك ذلك.. فقد علمني معلمي معلم السلام أن أكون لينا سهلا متسامحا.

قال: وشديدا في ذات الله.. فنحن سنقوم برحلة تقتضي منا بعض الشدة، أو الكثير

منها.

قلت: أنحن ذاهبون إلى بلاد الكفار.. فقد وصف الله المؤمنين بالشدة على الكفار، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِّ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]

قال: لا .. نحن ذاهبون إلى بلاد المؤمنين.. ولكنهم خلطوا إيمانهم بما يشوهه، حتى صاروا وسيلة يتذرع بها الكفار لكفرهم.

قلت: فما تريد أن نفعل لهم؟

قال: ننصحهم بكل لين ورأفة.. وبكل قوة وشدة حتى يرتدعوا.

قلت: وعيت اللين والرأفة لكني لم أع القوة والشدة.

قال: القوة في الحق.. والشدة في تبليغه، حتى لا تأخذنا في الحق لومة لائم.

قلت: فهمت.. كنت أتوهم أن الشدة عنف وبطش.

قال: معاذ الله.. فنحن ليس لدينا سوى سلاح الكلمة وأنوارها.. الكلمة القوية الشديدة التي لا تداري ولا تماري.

قلت: فلأي بلاد المؤمنين تريد أن نسير لنؤدي واجبنا في الأمر والنهي والنصح والإرشاد.

قال: إلى مدينة أساءت فهم القرآن الكريم، فزاحمته بعلوم كثيرة، فيها ما يجدي، وفيها ما لا يجدي، وفيها النافع، وفيها الضار.. ونحن سنسير إليها لنؤدي واجبنا في نصحها.. لعلهم يعقلون ويهتدون.

قلت: فهل تريد مني أن أشاركك في التوجيه والنصح؟

قال: أجل.. لقد طلب مني معلمنا معلم القرآن ذلك.. فلك أن تشارك لكن بعد أن

ترى مني ما يدل على إذني لك.. حتى لا نخرب ما نريد بناءه.

قلت: لقد تعودت من كل المعلمين أن أعرف مسار رحلتي قبل البدء بها.

قال: سنسير إلى سبعة محال كبرى.

قلت: فما أولها؟

قال: أولها المحل الذي نوجه فيه أولئك الذين غالوا في كتابة القرآن الكريم ورسمه حتى توهموا أنه لابد أن يكتب بما كتبه به الأولون، حتى لو خالف كل أعراف الكتابة وقوانينها، وحتى لو أدى لأن يقرأه عامة الناس على خلاف ما أنزل.

قلت: أعرف هؤلاء جيدا، وأعرف غلوهم ومبالغاتهم، والتي جعلتهم يتوهمون أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الكريم بنفس تلك الكتابة التي يكتبونه بها.. فما المحل الثاني؟

قال: أولئك الذين غالوا وبالغوا فيما يطلقون عليه [علم التجويد] و[علم القراءات]، فجعلوه عسير المنال، صعب النطق، خلافا لما أنزل الله تعالى به كتابه، فقد قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢]

قلت: أعرف هؤلاء كذلك، ومبالغاتهم وغلوهم.. فما الثالث؟

قال: أولئك الذين بالغوا في أسباب النزول إلى الدرجة التي تحول فيها القرآن الكريم عندهم إلى وثيقة تاريخية ترتبط كل آية منها بشخص أو حدث.

قلت: فما الرابع؟

قال: أولئك الذين بالغوا في محال النزول إلى الدرجة التي توهموا فيها أن القرآن

الكريم لا يمكن تدبره من دون معرفتها.

قلت: فما الخامس؟

قال: أولئك الذين بالغوا في مصاديق التنزيل، وغالوا فيها إلى أن ألغوا كل المعاني القرآنية من أجلها.

قلت: فما السادس؟

قال: أولئك الذين توهموا أن بعض القرآن الكريم معطل، وأن الغرض منه ليس سوى تلاوته والتبرك به دون الاستفادة منه أو تفعيله في الحياة.

قلت: فما السابع؟

قال: أولئك الذين انحرفوا بالتأويل عن مساره الذي رسمه الله تعالى؛ فخلطوا المدنس بالمقدس، وحولوا من تفاسير القرآن الكريم إلى كتب خرافة ودجل وفضول وتكلف.

قلت: فهل سنسير الآن إلى تلك البلاد؟

قال: ستسير أنت.. أما أنا فلا أحتاج إلى السير.

قلت: ولكني قد أضيع عنك.. أو تضيع عني.. فكيف نلتقي؟

قال: سر فقط.. وستراني في كل محل تحتاج أن تراني فيه.. وإياك أن تتصرف من غير استئذان حتى لا يساء إليك.

قلت: أهناك عنف في تلك المحال؟

قال: وشديد.. أنسيت أنك سترحل إلى بلاد الغلاة؟

قلت: أفيهم إرهابيون؟

قال: هم ليسوا إرهـابيين.. ولكن أكثر الإرهـابيين أو جلهم أو كلهم تخرجوا من مدارسهم.

أولا ـ القرآن.. ورسم التنزيل

فجأة لاحت لي مدينة جميلة، يبدو عليها النظافة والنظام والهدوء التام، لكني ما إن اقتربت منها حتى بدأت أغير نظري إلى الصورة التي كنت أحملها عنها.. وأول ذلك تلك الحفر الكثيرة التي كانت تملأ الطرقات، والتي جعلتني أقع كل حين على وجهي، مع أنه كان في الإمكان لمن بنى تلك المدينة الجميلة أن يسدها، ومن غير تكلفة، لكنه لم يفعل، وربما عمدا، ولست أدري السبب.

لا تظنوا أني قلت ذلك حدسا، أو شقا على القلوب، فمعاذ الله أن أفعل ذلك.. ولكني رأيت أن تلك الحفر، وكأنهم قصدوها، بل إنه صرفوا عليها ـ على ما يبدو ـ أموالا أكثر من الأموال التي صرفوها على الطريق المعبد، ذلك أنها كانت حفرا معبدة، وبأشكال مختلفة، ولم تكن مجرد حفر عادية.

وهكذا في كل المحال التي دخلت إليها؛ فعندما دخلت بعض المطاعم قدم لي طعاما لذيذا.. لكني ما إن قربته من فمي حتى شممت رائحة كريهة، جعلتني أنفر منه، ولم أستطع أن أسأل صاحب المطعم عن تلك الرائحة الكريهة، خشية أن أؤذيه، لكني تعجبت عندما رأيت الداخلين، يستلذون تلك الرائحة، بل يطلبون من صاحب المطعم أن يضيف لطعامهم بعض ما يجعلهم يشمونها.

اتهمت نفسي وأنفي وذوقي، ورحت آكل الطعام، فإذا باللذة والغصة تكتنف كل لقمة؛ فلم أجد إلا أن أطرحه، وأخرج من المطعم، وأدفع ثمنا غاليا من غير أن أستلذ لقمة واحدة.

وهكذا عندما شربت من العين التي كتب عليها قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، فاستبشرت، لكن ما إن شربت منها حتى وجدت ماءها مكدرا، لا يختلف عن كدورة الطعام الذي طعمته في شيء.

وهكذا في كل المحال التي سرت إليها، وهو ما جعلني أتعجب منها، وخاصة عندما رأيت كل لافتاتها مزينة بالآيات القرآنية المرسومة بالرسم القرآني لا الإملائي.. وكل أهلها يتكلمون بالقرآن وعن القرآن.. وهذا ما سرب إلي الريب والشك الذي كنت أسمعه من العلمانيين والحداثيين والملاحدة وغيرهم، وقلت في نفسي: كيف يمكن أن تكون هناك مدينة لا تتغنى إلا بالقرآن، ثم يكون حالها هذا الحال، ألم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]؟

ما قلت هذا في نفسي من غير أن أتفوه بحرف واحد، حتى قال لي بعضهم، وهو يربت على كتفي: أتقن قراءة الآية أولا، ثم استدل بها.. أين الغنات والمدود.. فكيف بلعتها جميعا في نفسك؟.. هل ترى من حرمة القرآن الكريم أن يُقرأ كما يقرأ سائر الكلام؟

قلت: من أنت؟.. وكيف عرفت ما جال بخاطري؟

قال: نحن أهل هذه المدينة القرآنية وهبنا الله ـ لصدقنا وصفائنا وإخلاصنا للقرآن الكريم ـ قراءة الخواطر، والتفرس في الوجوه.. فلذلك احذر أن يخطر على بالك في هذه المدينة ما قد تعاقب عليه.

قلت: إن مدينتكم غريبة.. ما اسمها.. فأنا لم أقرأ في التاريخ والجغرافية عن مدينة تشبهها؟

قال: هذه مدينة الغالين..

قلت: أهي تلك التي قال عنها رسول الله ﷺ : (يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين) (٢)

قال: لا.. ومعاذ الله أن تكون مدينة كذلك.. بل هي مدينة الغالين.. من الغلاء، وليس من الغلو.. فانتبه لما تقول، واحذر أن تخلط بين عقلك والدين.. فالدين مصدره الوحي، والعقل مصدره الهوى.

قلت: أجل.. صحيح.. وشكرا جزيلا.. بالفعل مدينتكم كذلك، وكيف لا تكون كذلك، وهي مملوءة باللافتات القرآنية.. لكن تمنيت لو أنكم كتبتموها بالرسم الإملائي العادي ليفهمها سائر الناس.. فقل من يتقن الرسم القرآني.

أشرت إلى لافتة كتب عليها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقلت: انظر إلى تلك اللافتة التي كتبت هكذا ﴿إنّه لا يايئس﴾، فالكثير قد يخطئ في قراءتها.

قال: هل تريد منا أن نبدلها إذن بالرسم الإملائي العادي؟

قلت: أجل.. إن لم يكن هناك مانع.. فالرسم مجرد اصطلاح، والعبرة بالقراءة الصحيحة.

ما إن قلت هذا حتى أخذ بتلابيبي، ثم صار يبطش بي بشدة، فقلت: ما الذي حصل؟.. ما الذي فعلته لك حتى تؤذيني هكذا؟.. هذا مجرد رأي.. وليس عليكم أن تعملوا به.

---

(٢) معاني الأخبار/ ٣٣.

قال: أنا لم أبطش بك، وإنما بطشت بالشيطان الذي تكلم على لسانك.. اذهب، ولا تعد إلى هنا، فلو رأيتك مرة أخرى، سيكون لي معك شأن آخر.

ما إن أطلقني حتى أسرعت مهرولا مبتعدا عنه، خشية أن يدور بخاطري ما يجعله يستبيح دمي..

وفي أثناء فراري أمسك بي أحدهم، وهو يقول: أرجو ألا تكون لصا.. وإلا فسأحملك إلى قاض يقطع يدك من غير حاجة لبينة؛ فيكفي أن أشهد له بذلك.

امتلأ قلبي خوفا، وخشيت على يدي التي لا أملك غيرها.. فقلت مترجيا: لا.. لا.. معاذ الله أن أكون كذلك.. أنا كاتب فقط.. دوري في الحياة هو الكتابة.. فلذلك لا أهتم لا بمال ولا بجاه.. والكاتب لا يحتاج سوى للأقلام والقراطيس، وهو في غنى عن كل أموال الدنيا.. ولذلك لا حاجة له للسرقة وغيرها.

قال بكل شدة وقوة: كاتب.. ما أكثر كتاب السوء.. بل إن بعضهم أو أكثرهم أحوج إلى حد الردة منه إلى حد السرقة.

ازداد خوفي، وقلت: مهلا سيدي.. فأنا كاتب عند معلم القرآن.. وإن شئت فتشني، فإن وجدت في كتابتي أي هرطقة أو زندقة أو ضلالة؛ فلك أن تأخذني للقاضي الذي تشاء.

١ ـ التحريف والغلو:

عندما قلت له هذا، انقلب رأسا على عقب؛ حيث أخذ يدي، وراح يقبلها، ويعتذر بشدة.. وهو يقول: أعتذر لك.. ما كنت أظن أنك من المهتمين بالرسم والإملاء القرآني.. هلم معي؛ فأنا أيضا أعمل في تلك المدرسة التي لا هم لها سوى الدعوة للرسم القرآني، بل بيان إعجازه وعظمته، وهي تقف بشدة في وجه أولئك المحرفين الذين يهونون من شأنه.

لم أدر، إلا وأنا أدخل تلك المدرسة التي وصفها.. ولست أدري هل كان ذلك بسبب اعتذاره وأدبه.. أم خوفا من أن يعود من جديد لشدته وقسوته.

عندما دخلت وجدت حلقة مجتمعة.. وكانوا يتحدثون بأدب وهدوء ولطف.. مما أغراني بالجلوس إليهم.. لكني كنت أمسك بلساني أن يزل بأي كلمة قد تودي بي إلى ما لا تحمد عقباه.. بل إني لورعي وحيطتي كنت أصرف كل خواطر السوء عن ذهني، حتى لا يقرأ فيه ما قد يؤذيني.

قال أحد الجالسين في الحلقة[3]: اسمعوني أيها الكتبة الكرام البررة.. إن القرآن الكريم ليس أمرا ونهيا فقط.. أو كلمات ومعاني فقط.. بل هو رسم أيضاً.. والمقصود بالرسم القرآني هو رسم الكلمات القرآنية من حيث نوعية حروف كل كلمة وردت في القرآن الكريم، وعدد حروفها.. وليس المقصود منه ـ كما يفهم المغفلون ـ نوعية خط الكتابة من نسخ أوكوفي أوغيرها.

قال آخر[4]: ولهذا أجمع علماء الأمة على أن رسم المصحف توقيفي، لا يجوز مخالفته؛ واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ١-٥]

أردت أن أتكلم، وأذكر خطأ هذا، وأنه لم ينعقد في يوم من الأيام الإجماع على هذا، لكني خشيت على نفسي؛ فآثرت الصمت على الكلام.. لكن الجميع التفتوا لي، وكأنهم أحسوا بما قلت؛ فلذلك رحت أرفع صوتي بالاستغفار حتى صرفوا أبصارهم عني.

---

(٣) تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان، محمد شملول، ص١٥.

(٤) تأملات في إعجاز الرسم القرآني، ص١٧.

قال آخر: فقد سُئل مالك: أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يُكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم، قال: (لا أرى ذلك ولكن يُكتب على الكِتْبة الأولى)، قال أبوعمروالدَّاني: (ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة)(٥).. وقال في موضع آخر: سُئل الإمام مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواووالألف: أترى أن تُغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ فقال: لا. قال الدَّاني: (يعني الواووالألف المزيدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ)(٦).. وعقّب السَّخاوي على قول مالك فقال: (والذي ذهب إليه مالك هوالحق، إذ فيه بقاء الحال الأولى إلى أن يعلمها الآخر، وفي خلاف ذلك تجهيل الناس بأوليتهم)(٧)

قال آخر: وهومذهب الأئمة الأربعة، فقد قال الجَعْبَري معقباً على قول الإمام مالك: (وهذا مذهب الأئمة الأربعة، وخص مالكاً؛ لأنه حكى فتياه، ومستندهم مستند الخلفاء الأربع)(٨).. وقال مُلاَّ علي بن سلطان القاري: والمعنى أن الإمام مالكاً قال: (إن المصحف ينبغي أن يُكتب على منهاج رسم الكتاب الأول الذي كتبه الصحابة، لا حال كون مستحدثاً على مسطور اليوم عند العامة)(٩)

قال آخر: وهذا ما نص عليه كل المتقدمين، فقد قال الفرَّاء: (اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب، وقراءة القراء، أحب إليَّ من خلافه)(١٠).. وقال البيهقي: (من كتب مصحفاً فينبغي له أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف

---

(٥) المقنع/ ٩.

(٦) المقنع/ ٢٨.

(٧) الوسيلة/ ٨٠.

(٨) جميلة أرباب المراصد ١/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٩) الهبات السنية العلية على أبيات الشاطبية الرائية ١/ ٢٩٤.

(١٠) انظر البرهان ٢/ ١٢.

ولا يخالفهم فيها، ولا يُغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي لنا أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم، ولا سقطاً لهم)[١١]..

قال آخر: وقال النسائي في السنن الكبرى بعد أن نقل قول زيد بن ثابت: (القراءة سنة): (وإنما أراد والله أعلم أن اتباع من قبلنا في الحروف وفي القراءات سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة أوأظهر منها)[١٢].

قال آخر: وقال الإمام أحمد: (تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أوواوأوألف أوغير ذلك)[١٣].. ونُقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام قوله: (وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذاهب العربية في القراءة إذا خالف ذلك خط المصحف، ورأوا تتبع حروف المصاحف عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها)[١٤].

قال آخر: وقال المَهْدوي: (ولا يسع أحداً اكتتاب مصحف على خلاف خط المصحف الإمام ورتبته)[١٥].. وقال البَغَوي: (ثم إن الناس كما أنهم متعبّدون باتباع أحكام القرآن، وحفظ حدوده، فهم متعبدون بتلاوته، وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت عليه الصحابة)[١٦].

قال آخر: وعلى هذا اتفق المتأخرون، فقد قال الزمخشري: (خط المصحف سنة لا

---

(١١) شعب الإيمان ٢/ ٥٤٨.

(١٢) السنن الكبرى، ٢/ ٥٣٩، ولمزيد من الأقوال انظر إيقاظ الأعلام/ ١٩، وسمير الطالبين/ ٢٠، ومناهل العرفان ١/ ٢٩٨.

(١٣) البرهان ١/ ٣٧٩، والإتقان ٢/ ٤٤٣، وشرح منتهى الإرادات: للبهوتي ١/ ٧٤، وكشاف القناع: له ١/ ١٣٦.

(١٤) انظر شعب الإيمان ٢/ ٥٤٨، والبرهان ٢/ ١٥.

(١٥) هجاء مصاحف الأمصار/ ١٣٥.

(١٦) معالم التنزيل ١/ ٣٧.

تغير)[17].. وقال اللبيب في شرح العقيلة: (وقد اجتمع على كتب المصاحف حين كتبت اثناعشر ألفاً من الصحابة ونحن مأجورون على اتباعهم ومأثمون على مخالفتهم)، ثم نص بعد ذلك على وجوب التزام الرسم العثماني[18].

قال آخر: وقال ابن الحاج في المدخل: (ويتعين عليه ـ أي ناسخ المصحف ـ أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان وهوأن ينسخ الختمة على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة على ما وجد به بخط عثمان بن عفان.. ولا يجوز غير ذلك)[19].

قال آخر: وقال السَّمرْقَندي: (وعلمتُ أن الكتابة منقولة كما أن القراءة منقولة، فكما لا يجوز لأحد أن يُغير ما نُقل عن الأئمة السبعة في قراءةٍ كذلك لا ينبغي أن يتجاوز عن الرسم في كتابة المصحف؛ لأنها سنة متبعة ومخالفتها بدعة، وإنما جُعل الإمام إماماً ليؤتم به)[20]

قال آخر: وقال نظام الدين النيسابوري: (وقال جماعة من الأئمة: إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف)[21].

قال آخر: ونقل الوَنْشَريسي المالكي في المعيار المعرَّب أنه: (لا يجوز لهم أن يقرؤوا قراءة تخالف صور الخط، ولا أن يكتبوا كتابة مخالفة للرسوم التي وضعها الصحابة في المصاحف المجمع عليها، فالمكتوب متواتر بتواتر نقل دليله المتحد، والمقرُوء هوالمكتوب بعينه)[22]

قال آخر: وقال الخوارزمي: (اعلم أن اتباع مصحف عثمان في هجائه واجب ومن

---

(17) الكشاف ٣/ ٢٧٠.

(18) الدرة الصقيلة، ١٧.

(19) المدخل ٤/ ٨٦.

(20) انظر مجلة المورد. مج ١٥. ع٤ (١٩٨٦م)/ ٤١٩.

(21) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٤٣.

(22) المعيار المعرب ١٢/ ١٥٠.

طعن في شيء من إيجابه؛ فهوكالطاعن في تلاوته)، ثم قال مستدلاً على ذلك: (أما خطه ورسمه فالدليل عليه قول الصحابي وهو حجة فكيف إجماع الصحابة زمن عثمان، وإجماع التابعين من بعدهم، وإجماع القراء والفقهاء، وجملة المفسرين)[٢٣].

قال آخر: وقال عبد الرحمن بن القاضي: (اعلم ـ رحمنا الله وإياك ـ أن متابعة مرسوم الإمام أمر واجب محتم على الأنام كما نص عليه الأئمة الأعلام، فمن حاد عنه فقد خالف الإجماع ومن خالفه فحكمه معلوم في الشرع الشريف بلا نزاع)[٢٤]

قال آخر: وعلى هذا اتفق المتأخرون.. فقد بحث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في المؤتمر السادس المنعقد في الفترة من (٣٠ محرم ١٣٩١هـ إلى ٥ صفر ١٣٩١هـ) موضوع رسم المصاحف العثمانية، وأوصى بأن يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف؛ حفظاً له من التحريف[٢٥].

قال آخر: ومثل ذلك أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية القرار رقم (٧١) بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٣٩٩هـ، وجاء فيه: (يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني، ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة؛ محافظة على كتاب الله من التحريف، واتباعاً لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف).. وفيه: (فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين، اقتداءً بعثمان وعلي وسائر الصحابة وعملاً بإجماعهم)[٢٦].

قال آخر: ومثل ذلك أصدر المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي

---

(٢٣) موجز كتاب التقريب في رسم المصحف العثماني/ ١٧ـ١٨.

(٢٤) انظر إيقاظ الأعلام/ ١٦، نقلاً عن (بيان الخلاف والتشهير والاستحسان): لعبد الرحمن القاضي ق (٢٤)

(٢٥) انظر مجمع البحوث الإسلامية تاريخه وتطوره ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣/ ٤٢٥ـ٤٢٦.

(٢٦) مجلة البحوث الإسلامية. الرياض. ع ٣٣ (١٤١٢هـ) / ٣٢٧.

بمكة المكرمة في دورته السابعة المنعقدة عام ١٤٠٤هـ تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بالإجماع على عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني ووجوب بقاء رسم المصحف على ما هوعليه؛ لنفس الأسباب(٢٧).

قال آخر(٢٨): لهذا اهتم العلماء بالكلام على رسم القرآن، وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظها.. بل أفرده بعضهم بالتآليف النافعة من أمثال الإمام العلامة أبي عمروالداني في كتابه [المقنع].. ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي في كتابه [عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل]، ومنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولي، إذ نظم أرجوزة سماها [اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم]، ثم جاء العلامة الشيخ محمد خلف الحسيني ـ شيخ المقارىء بالديار المصرية ـ فشرح تلك المنظومة، وذيل الشرح بكتاب سماه [مرشد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن]

قال أحدهم(٢٩): وليس الأمر قاصرا على ذلك فقط، بل إن كل الأدلة تشير إلى أن الكتابة توقيفية لا اصطلاحية؛ فقد كان لرسول الله ﷺ كُتّاب يكتبون الوحي كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقييده، وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ، ويعاضد النقش اللفظ.. وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم وأقرهم رسول الله ﷺ على كتابتهم، وكان هؤلاء الكُتَّاب من خيرة الصحابة، ثم جاء من بعده؛ فكتبوا القرآن بهذا الرسم في صُحُف، ثم جاء من بعدهم من استنسخ تلك الصحف في مصاحف، وأقرَّ أصحاب النبي ﷺ ذلك كله، وانتهى الأمر إلى

---

(٢٧) انظر مجلة المجمع الفقهي الإسلامي. ع٤ (١٤١٠هـ) / ٤٨٦.

(٢٨) مناهل العرفان (١/ ٣٦٨)

(٢٩) تأملات في إعجاز الرسم القرآني، ص٢٣.

التابعين وتابعي التابعين، فلم يُخالف أحد منهم في هذا الرسم.. ثم يأتي بعض الأغبياء من قومنا؛ فيريدون أن يردوا ذلك كله.. أهم أعلم من رسول الله ﷺ أم من الصحابة أم من التابعين الذين أقروا ذلك؟

قال آخر: بل إن ذلك من الأسرار التي خصّ الله بها كتابه العزيز، ولا ينتبه لها إلا العارفون المحققون من أمثال العارف بالله عبد العزيز الدباغ؛ الذي نقل عنه تلميذه العلاَّمة أحمد بن المبارك السجلماسي في كتابه (الذهب الإبريز) قوله: (رسم القرآن سرٌّ من أسرار الله المشاهدة، وكمال الرفعة، وهوصادرٌ من النبي ﷺ، وهوالذي أمر الكُتّاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة، فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي ﷺ، وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هوتوقيف من النبي ﷺ، وهوالذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها؛ لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهوسر من الأسرار خصَّ الله تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نَظْم القرآن مُعجز، فرسمه مُعجز، وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس؛ لأنها أسرار باطنية لا تُدرك إلا بالفتح الربّاني؛ فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور؛ فإن لها أسراراً عظيمة، ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يُدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أُشيرَ إليها، فكذلك أمرُ الرسم الذي في القُرآن حرفاً بحرف)(٣٠)

قال آخر(٣١): صدقت.. فكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في مائة دون فئة، وإلى سر زيادة الياء في ﴿ بِأَيْيدٍ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ ﴾.. أم كيف تتوصل

---

(٣٠) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٥)

(٣١) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٥)

إلى سر زيادة الألف في ﴿سعوا﴾ من قوله تعالى في الحج: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾، وعدم زيادتها في سبأ من قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ ﴾.. وإلى سر زيادتها في قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾، وحذفها من قوله تعالى: ﴿ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾.. وإلى سر زيادتها في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾، وإسقاطها من قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾

قال آخر[٣٢]: وكيف تهتدي إلى سر زيادتها في ﴿آمنوا وكفروا وخرجوا﴾، وإسقاطها من ﴿باؤ وجاؤ وتبوؤ وإن فاؤ﴾؟

قال آخر[٣٣]: أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف الألف في بعض الكلمات المتشابهة دون بعض، فحذفت ﴿قرآنا﴾ في يوسف والزخرف، وأثبتت في سائر المواضع؟

قال آخر: ومثله إثبات الألف بعد الواو في ﴿سموات﴾ فصلت وحذفها في غيرها، وإثبات ﴿الميعاد﴾ مطلقا وحذفه في الأنفال، وإثبات ﴿سراجا﴾ حيثما كان وحذفه في الفرقان، وكذا في إطلاق بعض التاءات وربطها نحو: ﴿رحمة، ونعمة، وقرة، وشجرة﴾، فإنها في بعض المواضع كتبت بالتاء، وفي مواضع أخر كتبت بالهاء.

قال آخر: ومثله ﴿الصلاة والحياة﴾ في بعض المواضع، حيث كتبت بالواو فيهما نحو: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَوة﴾ و﴿الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ و﴿عَلَى حَيَوةٍ﴾.. وفي بعضها بالألف نحو: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، و﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، و﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، و﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾، إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر.

---

(٣٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٦)

(٣٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٦)

قال آخر[٣٤]: وكل ذلك ـ كما يذكر العارفون بالله ـ لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس لأنها من الأسرار الباطنية التي لا تدرك إلا بالفتح الرباني؛ فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة في أوائل السور؛ فلها أسرار عظيمة ومعان كثيرة، حتى إن جميع ما في السورة التي في أولها تلك الحروف من المعاني والأسرار كلها مندرج تحت تلك الحروف، فجميع ما في سورة (ص) مندرج تحت حرف (ص)، وجميع ما في (ق) و(ن) و(يس) و (طه) وغير ذلك مندرج في هذه الرموز، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيئا من المعاني الإلهية التي أشير إليها، حتى ظن جماعة من الناس أنها أسماء للسور، وظنت جماعة أخرى أنها أشير بها إلى أعداد معلومة، وظنت جماعة أخرى أنها من الحروف المهملة التي ليس وراءها معان، وكلهم حجبوا الإطلاع على المعاني الباهرة العجيبة التي فيها، فكذا أمر الرسم الذي في القرآن حرفا بحرف.

قال آخر[٣٥]: عجبا للمغفلين الذين يتوهمون أن الصحابة هم الذين اصطلحوا على الرسم المذكور.. أفلا يعلمون أن القرآن العزيز كُتب في زمانه ﷺ وبين يديه على هيئة من الهيئات، وحينئذ فلا يخلو ما اصطلح عليه الصحابة من أن يكون هو عين الهيئة أو غيرها؛ فإن كان عينها بطل الإصطلاح لأنه اختراع وابتداع، وسبقية التوقيت تنافي ذلك وتوجب الإتباع، فإن نسب اتباعهم حينئذ للإصطلاح كان بمنزلة من قال إن الصحابة اصطلحوا على أن الصلوات خمس وعلى أن عدد الركعات مثلا أربع.

قال آخر[٣٦]: وإن كان غير ذلك، فكيف يكون النبي ﷺ كتب على هيئة كهيئة الرسم

(٣٤) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٦)

(٣٥) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٧)

(٣٦) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٧)

القياسي مثلا، والصحابة خالفوا، وكتبوا على هيئة أخرى؟

قال آخر(٣٧): وفي ذلك ما فيه من نسبة الصحابة وأعلام الهدى إلى المخالفة وذلك محال.. فكيف وسائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز أن يزاد في القرآن حرف، ولا أن ينقص منه حرف.

قال آخر(٣٨): وفوق ذلك كله؛ فإن الكتابة أحد الوجودات الأربع، وما بين الدفتين كلام الله، فإذا كان النبي ﷺ أثبت ﴿الرحمن﴾ و﴿العالمين﴾ ولم يزد الألف في ﴿مائة﴾ ولا في ﴿كفروا وأخرجوا﴾، ولا الياء في ﴿بأييد﴾ ولا في ﴿أفإن مت﴾ ونحو ذلك، والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه لزم أنهم ـ وحاشاهم من ذلك ـ تصرفوا في القرآن الكريم بالزيادة والنقصان، ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على أنه لا يحل لأحد فعله.

قال آخر(٣٩): بل يلزم عنه تطرق الشك إلى جميع ما بين الدفتين، لأنا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف زائدة على ما في علم النبي ﷺ وعلى ما عنده، وأنها ليست بوحي، ولا من عند الله، ولم نعلمها بعينها شككنا في الجميع.

قال آخر(٤٠): ولو جوّزنا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفا ليس بوحي لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصان حرف من الوحي إذ لا فرق بينهما، وحينئذ تنحل عروة الإسلام بالكلية.

قال آخر(٤١): إنما يصح أن يدعى الإصطلاح من الصحابة لو كانت كتابة القرآن العزيز إنما حدثت في عصرهم بعد وفاة النبي ﷺ، فثبت أن الرسم توقيفي لا اصطلاحي،

---

(٣٧) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٧)

(٣٨) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٧)

(٣٩) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٨)

(٤٠) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٨)

(٤١) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٨)

وأن النبي ﷺ هو الآمر بكتابته على الهيئة المعروفة.

قال آخر[42]: أما دعواهم أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف الكتابة، وأن الله تعالى قال في وصفه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، فغير صحيح.. فقد كان رسول الله ﷺ لا يعرفها بالإصطلاح والتعلم من الناس، وأما من جهة الفتح الرباني فيعلمها ويعلم أكثر منها، وكيف لا والأولياء الأميون من أمته الشريفة المفتوح عليهم يعرفون خطوط الأمم والأجيال من لدن آدم عليه السلام وأقلام سائر الألسن وذلك ببركة نوره ﷺ، فكيف به ﷺ؟

قال آخر[43]: وقد ذكر الأولياء العارفون بالله أن من فتح الله عليه ونظر في أشكال الرسم التي في ألواح القرآن، ثم نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ، وجد حينئذ تشابها كثيرا وعاين زيادة الألف في اللوح المحفوظ في ﴿كفروا﴾ أو ﴿آمنوا﴾ وغير ذلك، وعلم أسرارا في ذلك كله، وعلم أن تلك الأسرار من وراء العقول.

قال آخر[44]: وقد سمعت من بعض شيوخنا ـ وهو من الأميين ـ أسرار جميع ما ذكرتم، وقابلته مع ما ذكره أئمة الرسم وفحوله فوجدت كل ما ذكرته صحيحا.. بل إني سألته على سبيل الإمتحان، وأنا أعلم أنه لا يعجز عن الجواب مع كونه لا يحفظ حزب (سبح) عن الزائد في ﴿بأييد﴾، هل الياء الأولى أو الياء الثانية؟ فقال: الياء الثانية؛ فشككته، فجزم بأنها الثانية.. وهذا ما قاله فحول العلماء المختصين بالرسم القرآني.

قال آخر[45]: ولهذا فإن التأمل في قواعد الرسم القرآني التي ذكرها العلماء يفيد فوائد

---

(٤٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٨)

(٤٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٩)

(٤٤) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ١٣٩)

(٤٥) مناهل العرفان (١/ ٣٧٢)

كثيرة جدا، وفي كل الجوانب.. ولعل أقلها شأنا الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان، وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر كتبت بصورة تحتملها جميعا.. فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به، وبالحرف الذي هوالأصل.. وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به.

قال آخر[٤٦]: ومن الأمثلة على ذلك أن الكلمة تُكتب بصورة واحدة، وتقرأ بوجوه متعددة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ رسمت في المصحف العثماني هكذا: (إن هدان لساحران) من غير نقط ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني إن وهذان ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من هذان.. ومجيء الرسم هكذا كان صالحا عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة التي وردت كلها بأسانيد صحيحة.. أولها: قراءة نافع ومن معه إذ يشددون نون إن ويخففون هذان بالألف.. وثانيها: قراءة ابن كثير وحده إذ يخفف النون في إن ويشدد النون في هذان.. وثالثها: قراءة حفص إذ يخفف النون في إن وهذان بالألف.. ورابعها: قراءة أبي عمرو بتشديد إن وبالياء وتخفيف النون في هذين.

قال آخر[٤٧]: ومن الفوائد التي يفيدها الرسم القرآني إفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة، وذلك نحوقطع كلمة [أم] في قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ ووصلها في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إذ كتبت هكذا [أمن] بإدغام الميم الأولى في الثانية وكتابتها ميما واحدة مشددة فقط [أم] الأولى في الكتابة للدلالة

---

(٤٦) مناهل العرفان (١/ ٣٧٢)

(٤٧) مناهل العرفان (١/ ٣٧٣)

على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل، ووصل أم الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك.

قال آخر(٤٨): ومن الفوائد التي يفيدها الرسم القرآني الدلالة على معنى خفي دقيق، كزيادة الياء في كتابة كلمة ﴿أيد﴾ من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ إذ كتبت هكذا ﴿بِأَييْدٍ﴾ وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

قال آخر(٤٩): ومن هذا القبيل كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو، وهي: ﴿ويدعو الإنسان، ويمحوالله الباطل، يوم يدعو الداع، سندعوا الزبانية﴾، فإنها كتبت في المصحف العثماني هكذا: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ، وَيَمْحُ اللهُّ الْبَاطِلَ، يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع.

قال آخر(٥٠): والسر في حذفها من ﴿وَيَدْعُ الْأِنْسَانُ﴾ هوالدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير، بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

قال آخر(٥١): والسر في حذفها من ﴿وَيَمْحُ اللهُّ الْبَاطِلَ﴾ الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله.

قال آخر(٥٢): والسر في حذفها من ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ الإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين.

قال آخر(٥٣): والسر في حذفها من ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ الإشارة إلى سرعة الفعل

---

(٤٨) مناهل العرفان (١/ ٣٧٣)

(٤٩) مناهل العرفان (١/ ٣٧٣)

(٥٠) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

(٥١) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

(٥٢) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

(٥٣) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

وإجابة الزبانية وقوة البطش.

قال آخر(٥٤): وقد جمع هذه الأسرار المراكشي في قوله: (والسر في حذفها من هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود)

قال آخر(٥٥): وزيادة على هذا؛ فإن من الفوائد التي يفيدها الرسم القرآني الدلالة على أصل الحركة، مثل كتابة الكسرة ياء في قوله تعالى: ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾، إذ تكتب هكذا ﴿وإيتاءى ذي القربى﴾، ومثل كتابة الضمة واوا في قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ إذ كتبت هكذا سأوريكم ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحوالصلاة والزكاة إذ كتبا هكذا: الصلوة الزكوة ليفهم أن الألف فيهما منقلبة عن واو. من غير نقط ولا شكل كما سبق.

قال آخر(٥٦): ومن الفوائد التي يفيدها الرسم القرآني إفادة بعض اللغات الفصيحة مثل كتابة [هاء التأنيث] تاء مفتوحة دلالة على لغات العرب.. مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، فقد كتبت بحذف الياء للدلالة على لغة هذيل.

قال آخر(٥٧): ومن الفوائد التي يفيدها الرسم القرآني حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال ولا يتكلوا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة.

قال آخر(٥٨): ويضاف إلى هذا التوثق من ألفاظ القرآن وطريقة أدائه وحسن ترتيله وتجويده؛ فإن ذلك لا يمكن أن يعرف على وجه اليقين من المصحف مهما تكن قاعدة رسمه

---

(٥٤) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

(٥٥) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

(٥٦) مناهل العرفان (١/ ٣٧٤)

(٥٧) مناهل العرفان (١/ ٣٧٥)

(٥٨) مناهل العرفان (١/ ٣٧٥)

واصطلاح كتابته، فقد تخطئ المطبعة في الطبع وقد يخفى على القارئ بعض أحكام تجويده كالقلقلة والإظهار والإخفاء والإدغام والروم والإشمام ونحوها فضلا عن خفاء تطبيقها.

قال آخر[٥٩]: ولهذا قرر العلماء أنه لا يجوز التعويل على المصاحف وحدها، بل لا بد من التثبت في الأداء والقراءة بالأخذ عن حافظ ثقة.

قال آخر[٦٠]: لقد رحت أتأمل في هذه القواعد التي ذكرها علماء الرسم؛ فوجدتها مملوءة بالأسرار العجيبة.. ففي قاعدة الأولى من قواعد الرسم القرآني، وهي قاعدة الحذف، وجدت الكثير من الفوائد والأسرار العجيبة التي لا يمكن التعبير عنها.. ولكم أن تتأملوا فيها لتكتشفوا أسرارها العجيبة المملوءة بالإعجاز.. فالألف تحذف من ياء النداء نحو ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.. ومن ها التنبيه نحو﴿هَا أَنْتُمْ﴾.. ومن كلمة نا إذا وليها ضمير نحو﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾.. ومن لفظ الجلالة ﴿اللهِّ﴾.. ومن كلمة ﴿إِلَهَ﴾.. ومن لفظي ﴿الرَّحْمَنِ وَسُبْحَانَ﴾ وبعد لام نحوكلمة ﴿خَلائِفَ﴾ وبين اللامين في نحو﴿الْكَلالَةِ﴾.. ومن كل مثنى نحو﴿رَجُلانِ﴾.. ومن كل جمع تصحيح لمذكر أولمؤنت نحو﴿سَمَّاعُونَ﴾ ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾.. ومن كل جمع على وزن مفاعل وشبهه نحو﴿الْمَسَاجِدِ﴾ ﴿وَالنَّصَارَى﴾.. ومن كل عدد نحو﴿ثَلاثَ﴾

قال آخر[٦١]: وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ﴾.. ومن هذه الكلمات ﴿وَأَطِيعُونِ، وَاتَّقُونِ، وَخَافُونِ، فَارْهَبُونِ، فَأَرْسِلُونِ، فَاعْبُدُونِ﴾ إلا ما استثني.. وتحذف الواو: إذا وقعت مع واوأخرى في نحو: ﴿لا يَسْتَوُونَ،

(٥٩) مناهل العرفان (١/ ٣٧٥)

(٦٠) مناهل العرفان (١/ ٣٦٩)

(٦١) مناهل العرفان (١/ ٣٦٩)

فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾.. وتحذف اللام: إذا كانت مدغمة في مثلها نحو: الليل والذي إلا ما استثني.

قال آخر[62]: وهناك حذف لا يدخل تحت قاعدة كحذف الألف من كلمة مالك، وكحذف الياء من إبراهيم، وكحذف الواو من هذه الأفعال الأربعة: ﴿ويدعو الإنسان، ويمحو الله الباطل، يوم يدعو الداع، سندعوالزبانية﴾

قال آخر[63]: وهكذا أنا.. فقد وجدت في القاعدة الثانية، وهي قاعدة الزيادة، الكثير من المعاني والأسرار.. فأنتم تعلمون أن الألف تزاد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع، أوفي حكم المجموع مثل: ﴿ملاقوا ربهم، بنوا إسرائيل، أولوا الألباب﴾، وبعد الهمزة المرسومة واوا نحو﴿تَاللهِ تَفْتَأُ﴾، فإنها ترسم هكذا: ﴿تالله تفتؤا﴾، وفي كلمات ﴿مائة ومائتين والظنون والرسول والسبيل﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾، وقوله: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾، وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾؛ فكل هذه الأمثلة ترسم بدون ألف هكذا: ﴿أنجينكم.. الله.. إله.. الرحمن﴾، وغيرها.

قال آخر[64]: وهكذا تزاد الياء في هذه الكلمات: ﴿نَبَأَ، آنَاءَ، مِنْ تِلْقَاءِ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ، بِأَيْدٍ﴾، وتزاد الواو في نحو﴿أُولُو، أُولَئِكَ، أُولاءِ، أُولاتِ﴾

قال آخر[65]: وهكذا أنا.. فقد وجدت في القاعدة الثالثة، وهي قاعدة الهمز ، الكثير من المعاني والأسرار.. فأنتم تعلمون أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها نحو﴿ائْذَنْ، اؤْتُمِنَ، الْبَأْسَاءِ﴾ إلا ما استثني.. أما الهمزة المتحركة فإن كانت أول الكلمة

---

(٦٢) مناهل العرفان (١/ ٣٦٩)

(٦٣) مناهل العرفان (١/ ٣٧٠)

(٦٤) مناهل العرفان (١/ ٣٧٠)

(٦٥) مناهل العرفان (١/ ٣٧٠)

واتصل بها حرف زائد كتبت بالألف مطلقا سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة نحو ﴿أَيُّوبَ، أُولُو، إِذًا، سَأَصْرِفُ، سَأُنْزِلُ، فَبِأَيِّ﴾ إلا ما استثني.

قال آخر(٦٦): وإن كانت الهمزة وسطا فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها نحو ﴿سَأَلَ، سُئِلَ، تَقْرَأُهُ﴾ إلا ما استثني.. وإن كانت متطرفة كتبت بحرف من جنس حركة ما قبلها نحو ﴿سَبَأٍ، شَاطِئِ، لُؤْلُؤٌ﴾ إلا ما استثني.. وإن سكن ما قبلها حذفت نحو ﴿مِلءُ الْأَرْضِ، يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ إلا ما استثني.. والمستثنيات كثيرة في الكل.

قال آخر(٦٧): وهكذا أنا.. فقد وجدت في القاعدة الرابعة، وهي قاعدة البدل، الكثير من المعاني والأسرار.. فأنتم تعلمون أن الألف تكتب واوا للتفخيم في مثل الصلاة والزكاة والحياة إلا ما استثني، وترسم ياء إذا كانت منقلبة عن ياء نحو ﴿يَتَوَفَّاكُمْ يَا حَسْرَتَى يَا أَسَفَىْ﴾.. وكذلك ترسم الألف ياء في هذه الكلمات: ﴿إِلَى، عَلَى، أَنَّى - بمعنى كيف - مَتَى، بَلَى، حَتَّى، لَدَى﴾ ما عدا ﴿لَدَى الْبَابِ﴾ في سورة يوسف فإنها ترسم ألفا.

قال آخر(٦٨): وهكذا ترسم النون ألفا في نون التوكيد الخفيفة وفي كلمة إذن.. وتُرسم هاء التأنيث تاء مفتوحة في كلمة ﴿رَحْمَتَ﴾ بالبقرة والأعراف وهود ومريم والروم والزخرف، وفي كلمة ﴿نِعْمَةَ﴾ بالبقرة وآل عمران والمائدة وإبراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور، وفي كلمة ﴿لَعْنَتُ اللَّهِ﴾، وفي كلمة معصية بسورة قد سمع.. وفي هذه الكلمات: إن شجرة الزقوم قرة عين جنة نعيم بقية الله وفي كلمة امرأة أضيفت إلى زوجها نحوامرأة عمران امرأة نوح وفي غير ذلك.

---

(٦٦) مناهل العرفان (١/ ٣٧٠)

(٦٧) مناهل العرفان (١/ ٣٧٠)

(٦٨) مناهل العرفان (١/ ٣٧١)

قال آخر[69]: وهكذا أنا.. فقد وجدت في القاعدة الخامسة، وهي قاعدة الوصل والفصل، الكثير من المعاني والأسرار.. فأنتم تعلمون أن كلمة [أن] بفتح الهمزة توصل بكلمة لا إذا وقعت بعدها، ويستثنى من ذلك عشرة مواضع. منها: ﴿أن لا تقولوا، أن لا تعبدوا إلا الله﴾.. وكلمة [من] توصل بكلمة ما إذا وقعت بعدها، ويستثنى ﴿مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في النساء والروم و﴿مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في سورة المنافقين.. وكلمة [من] توصل بكلمة من مطلقا.. وكلمة [عن] توصل بكلمة [ما] إلا قوله تعالى ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾.. وكلمة [إن] بالكسر توصل بكلمة [ما] التي بعدها إلا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ﴾، وكلمة [أن] بالفتح توصل بكلمة [ما] مطلقا من غير استثناء.. وكلمة [كل] توصل بكلمة [ما] التي بعدها إلا قوله تعالى ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ ، و﴿مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.. وتوصل كلمات ﴿نِعِمَّا، ورُبَمَا، وكَأَنَّمَا، وَيْكَأَنَّهُ﴾ ونحوها.

قال آخر[70]: وهكذا أنا.. فقد وجدت في القاعدة السادسة، وهي قاعدة ما فيه قراءتان، الكثير من المعاني والأسرار.. فأنتم تعلمون أن الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف وهي: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، يُخَادِعُونَ اللهَّ، وَوَاعَدْنَا مُوسَى، تُفَادُوهُمْ﴾ ونحوها وكلها مقروءة بإثبات الألف وحذفها.. وكذلك رسمت الكلمات الآتية بالتاء المفتوحة وهي ﴿غيابة الجب، أنزل عليه ـ في العنكبوت ـ ثمرة من أكمامها ـ في فصلت ـ وهم في الغرفة آمنون ـ في سبأ ـ﴾، وذلك لأنها جمعاء مقروءة بالجمع والإفراد.. وغير هذا كثير.

قال آخر: اسمحوا لي أن أذكر لكم بعض ما أداني إليه التدبر والتأمل في هذا الجانب

---

(69) مناهل العرفان (1/ 370)

(70) مناهل العرفان (1/ 370)

الإعجازي العظيم.. لقد رأيت أن وجود كلمة قُرآنية برسم مختلف في آية يلفت النظر إلى أن هناك أمراً عظيماً يجب تدبره.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك أني وجدت أنه في حالة زيادة أحرف الكلمة عن الكلمة المعتادة؛ فإنّ هذا يعني زيادة في المبْنى، يتبعه زيادة في المعْنى.

قال آخر: ووجدت أن زيادة المبنى يُمكن أن يؤدي إلى معنى التراخي، أوالتمهل، أوالتأمل والتفكر، أوانفصال أجزاءه.

قال آخر: ووجدت أنه في حالة نقص حروف الكلمة؛ فإنّ هذا يعني إما سُرعة الحدث، أوانكماش المعنى وضغطه، أوتلاحم أجزائه.

قال آخر(٧١): ومن الأمثلة على ذلك، أني وجدت الإعجاز قائما في حذف بعض الأحرف من بعض الكلمات.. فمثلا إن حذف الألف من كلمة (بسم)، والتي جاء بعدها لفظ الجلالة (الله)، يدل ويُوحي بأنه يجب علينا الوصول إلى الله تعالى، والمبادرة إلى الصلة معه تعالى بأقصر الطرق، وأسرع الوسائل؛ وهوما يدل عليه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وهوالذي يُوصل بأسرع وأقصر الطرق.. والحرف الوحيد الذي يمكن حذفه من كلمة (باسم) دون تغيير نُطق الكلمة هو(حرف الألف).. لذا فقد تم حذفه للتوجه إلى الله وأخذ البركة منه في أي عمل نعمله بأسرع ما يمكن وبأقصر طريق.

قال آخر: أما في الحالات الأخرى والتي ورد فيها (باسم)، بإثبات الألف، كقوله تعالى: قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، وقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

---

(٧١) انظر في هذه الأمثلة وغيرها: كتاب تأملات في إعجاز الرسم القرآني وإعجاز التلاوة والبيان، محمد شملول، وهو من أشهر الكتب المعاصرة التي كتبت في الدفاع عن الرسم العثماني، بل بيان إعجازه.

الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فإن ذلك بسبب أن كلمة ﴿ رَبِّكَ﴾ تأتي مُشتركة بين الله تعالى وخلقه، كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام، قوله لزميله في السّجن: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك، فإن حذف حرف من الكلمة يضغط مبناها، ويُسرع من وَقْعِهَا؛ فَتُؤدي المعنى المطلوب، وهوالسرعة على خير وجه، وهذا إعجاز القرآن الكريم والرسم القرآني..

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿سموات﴾ وردت هكذا، بهذا الرسم بدون ألف صريحة (١٨٩ مرة) في القرآن الكريم كله.. ووردت (مرة واحدة) فقط بألف صريحة بعد حرف (و) بالرسم القرآني (سموات)، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].. وحين نتدبر هذه الآية الكريمة وما قبلها من آيات، نجد أن القرآن الكريم يتعرض لقضية كُبرى هي قضية خلق السماوات والأرض، وترتيب هذا الخلق ومدته، وتقدير الأقوات في الأرض؛ لذا فإن القضية مُهمة جداً، وتحتاج إلى تدبُّر وتفكر؛ ولهذا، فقد جاءت كلمة (سموات) بالرسم غير العادي هذه المرة لتلفت النّظر إلى ضرورة الوقوف، وتدبر المعاني الجليلة لهذه الآيات، والتي صعب فهمها على بعض الناس، خاصة في حساب أيام الخلق الستة.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿الميعاد﴾ وردت بألف صريحة في وسط الكلمة (٥ مرات) في القرآن الكريم كله، وكلها تتكلم عن الميعاد الذي وَعَده الله؛ لذلك جاء هذا (الميعاد) واضحاً وصريحاً ولا ريب فيه.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا

إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]، وقوله: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ﴾ [سبأ: ٣٠]، وقوله: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]، غير أن هذه الكلمة وردت مرة واحدة فقط، وذلك برسم يختلف بدون ألف صريحة على شكل ﴿الميعد﴾؛ وذلك حين نُسب هذا الميعاد إلى (البشر) حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ﴾ [الأنفال: ٤٢]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿سعوا﴾ وردت بشكلها العادي مرة واحدة، ووردت ﴿سعو﴾ بشكلها غير العادي بدون ألف في آخرها مرة واحدة أيضاً في القرآن الكريم كله، وتُوحي كلمة ﴿سعو﴾ بنقص الألف في آخرها؛ أن هذا السعي سريع جداً، وكله نشاط، وهوحسب الآية الكريمة سعي في إنكار آيات الله، وهوما جلب على الكافرين عذابا من رجز أليم في الدنيا، بالإضافة إلى عذاب جهنم، وبئس المصير في الآخرة.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٥]، أي في الدنيا بالإضافة إلى عذاب الآخرة.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿نعمة﴾ وردت بالتاء المربوطة ٢٥ مرة في القرآن الكريم.. ووردت ﴿نعمت﴾ بالتاء المفتوحة ١١ مرة في القرآن الكريم.. ونلاحظ حين نتدبر الآيات الكريمة التي وردت فيها نعمت بالتاء المربوطة أنها تتحدث إما عن نعم الله الظاهرة للعيان، وهي النعم العامة للبشر جميعاً، أو عن أقل شيء يطلق عليه ﴿نعمة﴾ مثل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، أي أن ما بكم من أقل شيء يطلق عليه

﴿نعمة﴾ فهومن الله وليس أي مخلوق بقادر على أن ينعم عليكم بأقل نعمة.. وطبيعي أن تأتي كلمة ﴿نعمة﴾ في هذا المجال بالتاء المربوطة لأنها محدودة ومربوطة.. أما حين تأتي ﴿نعمت﴾ بالتاء المفتوحة فإنها تدل على النعمة الخاصة التي وهبها الله تعالى للمؤمنين من عباده، كما أنها تدل على النعم المفتوحة التي لا يمكن إحصاء عددها.. ولأجل ذلك؛ فإنه حينما تذكر ﴿نعمت﴾ في أي آية من القرآن الكريم، يكون ذلك من أجل لفت انتباه قارئ القرآن لتدبر هذه الآية وما حولها من آيات واستخلاص الحكمة والعبرة.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿الربوا﴾ وردت على هذا الشكل في القرآن الكريم ٧ مرات.. ووردت كلمة ﴿ربا﴾ مرة واحدة فقط في القرآن الكريم كله.. وقد جاءت كلمة ﴿الربوا﴾ بهذا الشكل لتلفت النظر إلى خطورة استخدام الربا في معاملات الناس، وأن الله قد حرم الربا، وأن الله يمحق الربا ويربي الصدقات.. أما كلمة ﴿ربا﴾ فقد جاءت مرة واحدة، وهي خاصة بأقل شيء يطلق عليه ربا، فهو لا يربو عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، ونلاحظ أن كلمة ﴿يربوا﴾ تزيد حرف (الألف) في آخرها لتوحي بمعنى الربا وهي الزيادة.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿العلمؤ﴾ وردت مرتين في القرآن الكريم كله.. ولم ترد إلا بهذه الصورة الخاصة لتدل على المكانة العظيمة والمنزلة الكبيرة للعلماء، وأنهم ليسوا سواء مثل باقي الناس، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، وهي في محل رفع، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَـؤُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَـؤُا ﴾ [فاطر: ٢٨]،

وفي هذا الآية يتبين لنا من هذه الصورة الخاصة ﴿العلمؤا﴾، وهي التي لا تأتي إلا في محل رفع دقة وعظمة القرآن للرد على هؤلاء الذين يقولون إن العلماء مفعول به أي في محل نصب.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿فإن﴾ التي وردت بشكلها العادي مرات عديدة موزعة على آيات القرآن الكريم، غير أنه حينما تعرض القرآن الكريم لذكر موت الرسول ﷺ فقد خصه بكلمة ﴿أفإين﴾ بشكلها غير العادي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، حيث أنها زادت حرف (الياء)، وذلك ليلفت النظر إلى أن رسول الله ﷺ سيموت مثل البشر جميعاً، وعلى المسلمين ألا ينقلبوا على أعقابهم بعد موته، وألا يصيبهم ذلك الحدث بالذهول وعدم الاتزان.. وإنما يتماسكوا ويعلموا أن الله تعالى لم يجعل لأحد من قبله الخلد.

قال آخر: علماً بأنها وردت في سائر المواضع بدون (الياء)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوقُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهَّ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، وقوله: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وقوله: ﴿ فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٣٧]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك، أن كلمة ﴿أيها﴾ وردت بشكلها المعتاد في القرآن الكريم ١٥٠ مرة غير أنها وردت بشكل مختلف ﴿أيه﴾ بنقص الألف التي في آخرها في ثلاث مواضع فقط وهي قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهَّ جَمِيعًا أَيُّه الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، لتوحي بالإسراع في التوبة، وأنه يجب على أي مؤمن أن يتوب عن أي خطأ يرتكبه بأقصى سرعة وألا يتوانى في ذلك.. ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يـأَيُّه السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ

﴾ [الزخرف: ٤٩] لتوحي بالعجلة التي تطلبها فرعون وملئه من موسى عليه السلام لرفع العذاب عنهم، كما أنه من الممكن بأن توحي بأن فرعون وملئه يحاولون التقليل من شأن موسى عليه السلام ومثلها قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١] لتوحي بالتهوين من أمر (الثقلين) وهما الإنس والجن لدى الله تعالى.

٢ ـ القصد والاعتدال:

ما إن وصل الحديث بهم إلى هذا الموضع، حتى بدا لي معلمي الجديد [معلم القصد والاعتدال] بطلعته البهية وأنواره الساطعة؛ فانصرفت أنظار القوم كلهم إليه، وبانبهار شديد، وكأنهم يقولون بلسان حالهم: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]

وبمجرد ظهوره، قال: بورك فيكم أيها الحريصون على القرآن الكريم.. لكن أرجو أن يتسع صدركم لبعض الإشكالات التي أريد طرحها عليكم، وأريد أن تجيبوني بكل صدق وأمانة، كما هو المعهود من كل تلاميذ القرآن الكريم.

قال أحدهم، وكان كبيرهم، وبانبهار: نعم.. لك ذلك.. فسل ما بدا لك، وسنجيبك إن شاء الله بما يمليه علينا الصدق والإخلاص والتجرد.

قال آخر: وجهك يبدو متنورا بنور القرآن، ونحن لا نستطيع أن نقابله إلا بما يُقابل به القرآن من التعظيم والإجلال.

قال المعلم: أنا أشيد أولا باهتمامكم بالرسم الذي كُتبت به المصاحف.. أو اعتبار البحث في ذلك علما.. أو وجود متخصصين في ذلك.. حتى يُحفظ للقرآن رسمه، كما حُفظ له نطقه.. لكن الإشكال الذي أريد أن أطرحه عليكم هو جدوى نشر القرآن الكريم بهذا الرسم الذي لا يعرفه عامة الناس، بل يتناقض مع القواعد التي يدرسون بها دراستهم

العادية؛ فأنا لا أقصد من حواري معكم دعوتكم إلى استئصال وإلغاء كل ما تعلمتموه وبحثتم فيه، وإنما إلى حصره في دائرة المختصين المحدودة، لا لسائر الناس.

قال أحد الحضور: وما تقول في كل الأدلة التي طرحناها.. والتي تبدأ بإجماع الأمة.. فهل ترى من الجائز أن يُخرق الإجماع؟

قال المعلم: لكل إجماع مؤسسون؛ فمن أسس لهذا الإجماع الذي يحرم مخالفته؟

قال أحدهم: الصحابة الذين كتبوا المصاحف، فقد أجمعوا على كتابتها بذلك الشكل.

قال المعلم: إن كان قد وقع الإجماع من الصحابة على كتابتها بذلك الشكل؛ فلم تخالفونهم.. بل لم خالفهم سلفكم الأول؟

قال أحدهم: ما تقول يا هذا.. نحن أحرص الناس على اتباع الصحابة؟

قال المعلم: فهل المصاحف التي تنشرونها الآن بين العامة والخاصة، وتعلمون بها الصبية الصغار هي نفسها التي كتبها الصحابة، أم أن أشياء جديدة أُدخلت فيها.

سكتوا؛ فأشار لي المعلم، فقلت[72]: بل هناك الكثير من الأشياء الجديدة التي أُدخلت فيها، ومنها ما نراه في المصاحف من تجزئة إلى أرباع وأحزاب وغيرها.. فقد كانت المصاحف الأولى مجردة من التجزئة.. ولما امتد الزمان بالناس جعلوا يفتنون في المصاحف وتجزئتها عدة تجزئات مختلفة الاعتبارات، فمنهم من قسم القرآن ثلاثين قسما وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، وجرى على ذلك أصحاب الربعات إذ طبعوا كل جزء نسخة مستقلة ومجموع النسخ الجامعة للقرآن كله

---

(٧٢) مناهل العرفان (١/ ٤٠٩)

يسمونه ربعة.. ومنهم من قسموا الجزء إلى حزبين، ومن قسموا الحزب إلى أربعة أجزاء سموا كل واحد منها ربعا.. ومنهم من وضعوا كلمة خمس عند نهاية كل خمس آيات من السورة، وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات منها؛ فإذا انقضت خمس أخرى بعد العشر أعادوا كلمة خمس؛ فإذا صارت هذه الخمس عشرا أعادوا كلمة عشر، وهكذا دواليك إلى آخر السورة.. وبعضهم كان يكتب في موضع الأخماس رأس الخاء بدلا من كلمة خمس، ويكتب في موضع الأعشار رأس العين بدلا من كلمة عشر.. وبعضهم كان يرمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السورة أومن غير رقم.. وبعضهم كان يكتب فواتح للسور كعنوان ينوه فيه باسم السورة وما فيها من الآيات المكية والمدنية إلى غير ذلك.

قال المعلم: فهل اكتفوا بهذه الإضافات؟

قلت[٧٣]: لا.. فكلما امتد الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بتيسير الرسم القرآني، وقد اتخذ هذا التيسير أشكالا مختلفة، حيث كان الخليل بن أحمد أول من صنف النقط، ورسمه في كتاب، وذكر علله، وأول من وضع الهمزة والتشديد والروم والإشمام.. ولم يكد أبو حاتم السجستاني يؤلف كتابه عن نقط القرآن وشكله حتى يكون رسم المصاحف قد قارب الكمال، حتى إذا كان نهاية القرن الهجري الثالث بلغ الرسم ذروته من الجودة والحسن، وأصبح الناس يتنافسون في اختيار الخطوط الجميلة، وابتكار العلامات المميزة حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها، على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة.

قال المعلم: فهل اتفق الجميع على هذه الإضافات، أم أن هناك من وقف منها موقفا

---

(٧٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص ٩٤)

سلبيا؟

قلت[٧٤]: بل هناك من وقف منها موقفا سلبيا، وكرهها، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أبو عبيد، عن النخعي أنه كره نقط المصاحف.. وأخرج ابن أبي داود عنه أنه كان يكره العواشر، والفواتح، وتصغير المصحف، وأن يُكتب فيه سورة كذا وكذا، ولما أتي بمصحف مكتوب فيه سورة كذا، كذا آية قال: امح هذه؛ فإن ابن مسعود كان يكرهه.. وعن الإمام مالك أنه كره العشور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها، وعنه أنه قال: لا بأس بالنقط في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان، أما الأمهات فلا.

قال المعلم: فقد احتاجوا إلى إضافة النقاط وعلامات التشكيل وغيرها مخالفين بذلك شكل المصاحف التي تدافعون عنها الآن؟

قال أحدهم: يمكنك أن تقول ذلك.. لكن الإجماع أيضا وقع على ذلك؛ فنحن نتبع الإجماع الجديد.

قال المعلم: فما سبب الإجماع الجديد؟

قال أحدهم[٧٥]: لأن الحال قد تغيرت عما كان في العهد الأول، ولذا اضطر المسلمون إلى نقطه وشكله للمحافظة على القرآن من اللحن والتغيير والتصحيف، وللتيسير على الحفاظ والقارئين.

قال آخر: ولهذا؛ فإن المسلمين بعد أن كانوا يكرهون ذلك صار واجبا أو مستحبا، لما هو مقرر في علم الأصول من أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، وقد قال الإمام النووي في التبيان: (قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن

---

(٧٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٣٨٣)

(٧٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٣٨٤)

فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرها ذلك في ذلك الزمان خوفا من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم، فلا منع، ولا يمنع من ذلك لكونه محدثا، فإنه من المحدثات الحسنة فلا يمنع منه كنظائره، مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات، وغير ذلك والله أعلم والخطب في هذا ونحوه مثل التنبيه على الوقوف والسكتات سهل ما دام الغرض هو التيسير والتسهيل على القارئ، وما دام الأمر بعيدا عن اللبس والتزيد والاختلاق وما دام الأمن متوفرا) (٧٦)

قال المعلم: فلم فعلوا ذلك، وخرقوا الإجماع القديم؟

قال أحدهم: الخوف على أن يُقرأ القرآن الكريم بطريقة خاطئة، فالحفظ على سلامة القراءة أهم وأوجب.

قال المعلم: فهل ترون عامة الناس الآن يقرؤون القرآن قراءة صحيحة؟

قال أحدهم: إن شئت الصدق، هم لا يفعلون ذلك.. . ولذلك يحتاجون إلى معلم ليصحح لهم.

قال المعلم: فهل يُتاح المعلم الذي تذكرون لعامة الناس، وفي جميع أقطار الأرض، أم أن ذلك غير ممكن.

سكتوا، فقال المعلم: أنتم تعلمون أن ذلك غير ممكن.. بل مستحيل.. وحتى لو كان هناك معلمون في جميع أقطار الأرض؛ فليس هناك من يستعد للجلوس إليهم، ليتعلم أمثال هذه العلوم التي لا يرى لها أي ضرورة.

قال أحدهم: لكن ما تقول في الإجماع الذي انعقد بعد ذلك؟

---

(٧٦) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٨٩)

أشار لي المعلم، فقلت: لم ينعقد الإجماع أبدا على ذلك.. ومن الأمثلة على المخالفين لذلك القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار، حيث يقول: (وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا، إذ لم يأخذ على كتّاب القرآن، وخطاط المصاحف رسما بعينه دون غيره أوجبه عليهم، وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف.. وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحدّ محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السنّة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه، ولم يبين لهم وجها معينا، ولا نهى أحدا عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية، والخط الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوّج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك.. وإذا كانت خطوط المصاحف، وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا ذلك، وأجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى، من غير تأثيم ولا تناكر، علم أنه لم يؤخذ على الناس في ذلك حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والأذان .. وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنّى له ذلك) (٧٧)

---

(٧٧) الانتصار للقرآن ١/ ٣٧٥-٣٧٦.

قال المعلم: فهل هناك غيره؟

قلت: منهم ابن خلدون الذي انتقد بشدة فكرة الإصرار على الرسم القديم في سياق حديثه عن الخط العربي، حيث قال: (كان خط العرب لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط، لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير محكمة الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها.. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها، تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ، وخير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه، كما يقتفى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركا، ويتبع رسمه خطأ أوصوابا.. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتبع ذلك وأثبت رسما، ونبه علماء الرسم على مواضعه) [(٧٨)]

ثم عقب على ذلك ببيان السبب في ذلك، فقال: (ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكلها وجه.. وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال، فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وليس ذلك بصحيح) [(٧٩)]

ثم بين أن عدم العلم بالإملاء، أو تطبيقها، بسبب عدم وضع قوانينها في ذلك الحين لا يقدح فيهم، فقال: (واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع

---

(٧٨) مقدمة ابن خلدون/ ٣٥٠.

(٧٩) مقدمة ابن خلدون/ ٣٥٠.

المدنية المعاشية، والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين، ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه، لأجل دلالته على ما في النفوس، وقد كان ﷺ أميا، وكان ذلك كمالا في حقه، وبالنسبة إلى مقامه، لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها.. وليست الأمية كمالا في حقنا نحن، إذ هومنقطع إلى ربه، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا)[٨٠]

قال المعلم: فهل هناك غيره؟

قلت: منهم الشوكاني، فقد نقل قول بعضهم في كتابة ﴿الربا﴾ في المصحف بالواو، ثم عقب عليه بقوله: (وهذا مجرد اصطلاح لا يلزم المشي عليه، فإن هذه النقوش الكتابية أمور اصطلاحية لا يُشاحح في مثلها إلا فيما كان يدل به منها على الحرف الذي كان في أصل الكلمة ونحوه كما هو مقرر في مباحث الخط من علم الصرف، وعلى كل حال فرسم الكلمة وجعل نقشها الكتابي على ما يقتضيه اللفظ بها هوالأولى، فما كان في النطق ألفاً كالصلاة، والزكاة ونحوهما كان الأولى في رسمه أن يكون كذلك، وكون أصل هذه الألف واواً أوياءً لا يخفى على من يعرف علم الصرف، وهذه النقوش ليست إلا لفهم اللفظ الذي يدل بها عليه كيف هو في نطق من ينطق به لا لتفهيم أن أصل الكلمة كذا مما لا يجري به النطق، فاعرف هذا ولا تشتغل بما يعتبره كثير من أهل العلم في هذه النقوش ويلزمون به أنفسهم ويعيبون من خالفه، فإن ذلك من المشاحة في الأمور الاصطلاحية التي لا تلزم أحداً أن يتقيد بها، فعليك بأن ترسم هذه النقوش على ما يلفظ به اللافظ عند قراءتها، فإنه الأمر

---

(٨٠) مقدمة ابن خلدون ١/ ٤١٩، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

المطلوب من وضعها والتواضع عليها، وليس الأمر المطلوب منها أن تكون دالة على ما هو أصل الكملة التي يتلفظ بها المتلفظ مما لا يجري في لفظه الآن، فلا تغتر بما يروى عن سيبويه ونحاة البصرة أن يكتب الربا بالواو؛ لأنه يقول في تثنيته ربوان، وقال الكوفيون: يكتب بالياء وتثنيته رِبَيَان، قال الزجاج: ما رأيت خطأً أقبح من هذا ولا أشنع، لا يكفيهم الخطأ في الخط حتى يخطئوا في التثنية)[81]

قال المعلم: فهل هناك غيره؟

قلت: منهم ابن قتيبة، وقد كان من العلماء المتقدمين، فقد قال توجيهه لما يروى من وجود لحن أوخطأ في رسم بضعة كلمات في المصحف إلى أن خطأ الكاتب أحد احتمالين في توجيه ذلك، حيث قال: (وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكاتب كما ذكرت عائشة؛ فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحن ـ بحمد الله ـ وإن كانت خطأ في الكتاب فليس على الله ولا على رسوله ﷺ جناية الكاتب في الخط، ولوكان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي)[82]

قلت: أجل.. فمنهم بعض المتأخرين[83] الذي رد على قول الجعبري عن رسم المصحف: (وأعظم فوائده أنّه حجاب يمنع أهل الكتاب أن يقرؤوه على وجهه) [84]: (وبمثل هذا الهراء ينطق أحد أئمّة القرّاء، وبمثل هذا الكلام يحتجّ القائلون بوجوب الهجاء القديم مع أنّ هذا القول واضح البطلان بادي الخسران.. وفي القرآن آيات كثيرة تخاطب

(81) فتح القدير ١/ ٢٤١.

(82) تأويل مشكل القرآن/ ٥٧.

(83) هو محمد محمد عبداللطيف أفندي، المعروف بابن الخطيب، وهو من الدعاة إلى ضرورة كتابة القرآن بالرسم الإملائي، وذلك في كتابه [الفرقان]، والذي وقف منه الأزهر موقفا سلبيا للأسف.

(84) مناهل العرفان: ١/ ٣٦٦.

أهل الكتاب وتدعوهم إلى الإيمان فكيف عن تلاوته يحجبون؟!)[٨٥]

ثم قال: (ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل، صحيح العرفان ما ذكره الصباغ: (إنّ فوائد هذا الرسم كثيرة وأسراره شتّى، منها عدم الاهتداء الى تلاوته على حقّه إلّا بموقف، شأن كلّ علم نفيس يتحفّظ عليه).. فيا للداهية الدهياء، لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات واللوغارتمات والطلسمات والاصطرلابات وضرب الرمل والتنجيم وما شاكل ذلك من العلوم.. يزعمون نفاستها لما تحتويه من أسرار لا تنال إلّا بجهد جهيد وتلقّ طويل الأمد.. هذا.. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وأنتم تقولون إنّه أبعدهم منه وأضلّهم عنه!.. فما أكبر هذا الزعم!.. وما أعظم هذه الفرية!.. ولوتساءلنا: هل وضع رسم المصحف ليقرأ، أوليكون رمزا ويظلّ طلسما، يتناقله القرّاء وحدهم، ويلقّنونه لمن يريدون تلقينه، ممّن يتزلّف إليهم بماله ونفسه ويمنعونه عمّن يرون منعه ممّن لم يرزق جاها ولا مالا!)[٨٦]

ثم قال يتحدث عن نفسه: (ولقد رأيت بعيني وسمعت بأذنيّ، كثيرا من ذوي الثقافات والأدب يلحنون في قراءة القرآن، لعدم أنسهم بهذا الرسم الغريب، وعدم معرفتهم بأساليب القراءة على وجهها المأثور)[٨٧]

قال المعلم: فهل هناك غيره؟

قلت: أجل.. فمنهم بعض المعاصرين[٨٨] الذي وقف موقفا متشددا من المغالين في الرسم القرآني، فقال: (هذا رأي جمهور المحقّقين، الذين ذهبوا الى جواز تبديل الرسم

---

(٨٥) الفرقان (لابن الخطيب)، ص٦٣ ـ ٨٦.

(٨٦) الفرقان (لابن الخطيب)، ص٦٣ ـ ٨٦.

(٨٧) الفرقان (لابن الخطيب)، ص٦٣ ـ ٨٦.

(٨٨) أقصد العلامة محمد مهدي المعرفة، العلامة القرآني الكبير.

القديم الى الرسم الحاضر بعد أن لم يكن رسم السلف عن توقيف، وإنّما هو اصطلاح منهم، أو كانت الكتابة في بداءة أمرها غير متقنة، أمّا مع تقدّم أساليب الكتابة، وفيها من التوضيح ما يجعل أمر القراءة سهلا على الجميع، فلا بدّ من تغيير ذاك الرسم الى المصطلح الحاضر الذي يعرفه كافة الأوساط، وليكون القرآن في متناول عامّة الناس، وفي ذلك تحقيق للغرض الذي نزل لأجله هذا الكتاب الخالد ليكون هدى للناس جميعا مع الأبد) [٨٩]

قال المعلم: فهل هناك غيره؟

قلت: أجل.. فمنهم العز بن عبد السلام الذي نقل قوله الزركشي بعد نقله قول الإمام مالك وأحمد في التزام رسم المصحف، فقال: (وكان هذا في الصدر الأول والعلم حي غض، وأما الآن فقد يُخشى الإلباس، ولهذا قال عز الدين بن عبد السلام: لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لئلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين ولن تخلوالأرض من قائم لله بالحجة)[٩٠].. أي أنه ذهب إلى جواز كتابة المصحف لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم؛ ليكون أبعد عن اللبس والخلط في القرآن، ولكن يجب في الوقت ذاته المحافظة على الرسم العثماني في مصاحف الخاصة الذين لا يخشى عليهم الالتباس.

قال المعلم: فهل هناك من يقف معه في هذا القول؟

قلت: أجل كثيرون هم[٩١].. ومنهم بعض العلماء المحدثين الذي قال: (لقيت

---

(٨٩) التمهيد: ١/ ٣٨٤.

(٩٠) البرهان ١/ ٣٧٩.

(٩١) وقد مال إلى هذا الرأي: ا.د.محمد أبو شـهبة في المدخل/ ٣٢٢، والزرقاني في مناهل العرفان ١/ ٣٠٢، وأحمد مصطفى المراغي في تفسيره ١/ ١٩، ود.صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن/ ٢٨٠، ود.عبد الفتاح شلبي في كتابه رسم المصحف العثماني

مشكلة طباعة المصحف وفق قواعد الهجاء الحديث عناية من بعض علماء العصر، ومنهم من رفض ذلك رفضا باتا، مستندا إلى ما نقل عن السلف من تقديس لرسم المصحف، كما ورثناه عن عصر عثمان، ومنهم من نادى بأن من الواجب أن ييسر كتاب الله، وألا نتمسك برسم لم تقم على ضرورة التمسك به نصوص من كتاب ولا سنة) (٩٢)

ثم علق على هذا بقوله: (إن عصرنا هذا قد أصبح عصرا قارئا، والقرآن الكريم يقع في أيدي كثير من الناس قد لا يكونون على صلة بالحفاظ، وهم يقرؤونه على قدر اجتهادهم، والسبيل الوحيد لضبط القراءة هو الطباعة وفق الإملاء الحديث، وكثير من الأبحاث تتضمن نقولا من القرآن الكريم، ويكاد يجمع الباحثون الذين يقتبسون آيات الكتاب الكريم ليستشهدوا بها على نقل هذه الآيات إلى الهجاء الحديث، ولا أحسب أن هذا الأمر قد لقي معارضة تذكر، لكن طباعة المصحف بالهجاء الحديث لا تزال موضع خلاف، يقف بها حتى الآن عند الرسم القديم) (٢)

قال المعلم: فهل هناك غيره؟

قلت: أجل.. منهم ذلك الذي قدم لقوله ببيان تغيير السلف من مواقفهم مراعاة لتيسير قراءة القرآن لعامة الناس، فقد قال في ذلك: (اتبعت اللجنة الرباعية في استنساخ مصاحف الأمصار على عهد عثمان طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة في كتابة كلمات القرآن وحروفه، وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة برسم المصحف، وكثيرا ما ينسبون هذا الرسم إلى الخليفة الذي ارتضاه فيقولون: رسم عثمان أو الرسم العثماني.. ولقد

وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها/ ١٣٤، ود.محمد لطفي الصباغ في كتابه لمحات في علوم القرآن/ ١٣٥.

(٩٢) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف/ ٩٨.

(٢) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات،ص ٩٨.

بلغ الغلو ببعضهم أشده حين زعموا أن هذا الرسم القرآني، توقيفي وضع منهاجه النبي الكريم نفسه، ﷺ، فقد نسبوا إليه ـ وهو الأمي الذي لا يكتب ـ أنه قال لأحد كتبة الوحي: (ألق الدواة وحرف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى، فإنه أذكر لك)[1]

وبعد أن نقل تلك المواقف المتشددة، قال: (ولا ريب أن هذا غلو في تقديس الرسم العثماني، وتكلف في الفهم ما بعده تكلف، فليس من المنطق في شيء أن يكون أمر الرسم توقيفيا، ولا أن يكون له من الأسرار ما لفواتح السور، فما صح في هذا التوقيف حديث عن رسول الله ﷺ، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة التي تواترت قرآنيتها في أوائل السور، وإنما اصطلح الكتبة على هذا اصطلاحا في زمن عثمان، ووافقهم الخليفة على هذا الاصطلاح، بل وضع لهم دستورا يرجعون إليه في الرسم عند الاختلاف في قوله للثلاثة القرشيين: (وإذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم).. وروي أنه لما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان اختلفوا في كتابة ﴿التابوت﴾ فقال زيد: [التابوه] وقال النفر القرشيون [التابوت]، وترافعوا إلى عثمان فقال: اكتبوا [التابوت] فإنما أنزل القرآن على لسان قريش)[2]

ثم عقب على هذا بقوله: (واحترام الرسم العثماني واستحسان التزامه أمر يختلف اختلافا جوهريا عن القول بالتوقيف فيه، فقد تضافرت آراء العلماء على ضرورة التزام هذا الرسم.. ولكن أحدا من هؤلاء الأئمة لم يقل: إن هذا الرسم توقيفي، ولا سر أزلي)[3]

---

(١) مناهل العرفان١، ص٣٧٠.

(٢) البرهان ١/ ٣٧٦.

(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص ٢٧٨)

بعد أن انتهيت من حديثي، قال المعلم: ها أنتم ترون أنه لم ينعقد في يوم من الأيام الإجماع على هذا.. وإنما كان مجرد اصطلاح اصطلحوا عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح، أو في تبديله إذا اقتضت المصلحة ذلك.. وأنتم تعلمون أن مصلحة القراءة الصحيحة أهم من مصلحة الحفاظ على الرسم.

٣ ـ الموقف المعتدل:

قال أحدهم: وما نفعل برسم القرآن الموجود.. هل تريد من الأمة هجره إلى أن يُنسى؛ فيتهم المتأخرون حينها بأنهم خالفوا القرآن، ويستدلون على ذلك باختلاف النسخ القديمة عن الجديدة.

قال المعلم: معاذ الله أن أقول ذلك، أو أدع الفرصة لذلك.. بل إني أقول ما قال بعض المتأخرين من الجمع بين الحسنين.. فيوضع لعامة الناس مصاحف بالإملاء العادي الذي يعرفونه، ويوضع لخاصتهم، أو لمن شاء منهم مصاحف بالإملاء القديم.. أو يجمع بينهما.

سكتوا، فقال: هذا ليس رأيي، بل هو ما ذكره كبار العلماء الذين رأوا المصلحة في ذلك..

أشار إلي، فقلت: أجل.. وقد قال بعضهم في ذلك: (بما أن العامة لا يستطيعون أن يقرؤوا القرآن في رسمه القديم، فيحسن بل يجب أن يكتب لهم بالاصطلاحات الشائعة في عصرهم، ولكن هذا لا يعني إلغاء الرسم العثماني القديم لأن في إلغائه تشويها لرمز ديني عظيم اجتمعت عليه الكلمة، واعتصمت به الأمة من الشقاق، ففي الأمة دائما علماء يلاحظون هذه الفروق الضئيلة في طريقة الرسم العثماني، ومن الممكن ـ مع ذلك ـ كما اقترحت مجلة الأزهر أن ينبه في ذيل كل صفحة من صفحات المصحف على ما عسى أن

يكون فيها من الألفاظ المخالفة للاصطلاح الحديث في الخط والإملاء)[1]

قال أحدهم للمعلم: لست أدري ما أقول لك.. ولكن ما تطرحه جميل جدا.. وهو حل يدل على الاعتدال والتوسط..

ثم التفت لزملائه، وقال: ألا ترون أن في هذا حلا مناسبا يحل كل الإشكالات التي نقع فيها.. ألم تروا أولياء التلاميذ الذين يدرسون في مدارسنا القرآنية كيف يشكون لنا عن تخلف أولادهم في الإملاء بسبب عدم قدرتهم الجمع بين إملائين: إملاء خاص بالقرآن، وإملاء خاص بغيره.

قال آخر: أجل.. وبهذا الحل لن نحتاج إلى تخصيص دروس لعامة الناس حول الرسم القرآني، والتي تكلفنا وقتا كثيرا نحن في غنى عنه.

قال آخر: أجل.. وبدل ذلك، نعلم الناس معاني القرآن؛ فهي أولى من رسمه.

قال آخر: ولن يضر ذلك ما اخترناه لأنفسنا من الاهتمام بالرسم أو مراعاته أو التدبر فيه.. فقناعاتنا الشخصية لا يصح تعميمها على غيرنا.

قال آخر: إن أجمع رأيكم على هذا، فسنقوم بطباعة مصحف بالإملاء العادي، ولا بأس أن نشير في الهوامش إلى الاختلافات الموجودة في الرسم القديم، مثلما يفعل المحققون في تحقيقاتهم، عندما يشيرون في الهوامش إلى ذلك.

قال آخر: وإن اتفقتم على هذا أيضا سنصدر بيانا لكل معلمي القرآن الكريم، وخصوصا أولئك الذين يشكون من صعوبة تعليم الرسم للتلاميذ والطلبة.. أو يشكوا أولياؤهم من ذلك.

---

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص ٢٨٠)

قال آخر: أرى أن أحسن حل لمعرفة آراء الجميع هو التصويت.. فمن منكم يوافق على هذه الطروحات؟

رفعوا جميعا أيديهم.. فقال المعلم: بورك فيكم.. وفي تجاوبكم مع ما تقتضيه المصلحة الشرعية، وأنتم بهذا يمكنكم أن تلتحقوا بتلاميذ القرآن الكريم الذين يهتمون بمقاصده وحقائقه ومعانيه أكثر من اهتمامهم بحروفه ورسمه وشكله.

قال أحدهم: لسنا ندري ما الذي حل بنا.. لقد كنا نسمع مثل هذا الكلام، لكنا كنا نرفضه بشدة.. بل إنا كنا نضع أصابعنا في آذاننا حتى لا نسمعه.. بل إننا قد نبطش بمن يقوله.. فما سرك أنت؟

ما قال ذلك حتى أذن المؤذن، فقال المعلم: هلم إلى الصلاة.. وبعدها سنجلس ونتحدث، وسأجيبكم إن شاء الله.

قلت للمعلم: إلى أين سنذهب بعد هذا؟

قال: أنت ستبقى في المسجد.. أما أنا فسأذهب مع هؤلاء لأكمل حديثي معهم؛ فمهمتي معهم أعظم من أن تنحصر في هذه الجزئية.. ومن هدم شيئا عليه أن يبني ما يعوضه، وإلا كان مفسدا لا مصلحا.

قلت: ما تعني؟

قال: هم يحتاجون الآن إلى من يعلمهم كيفية التعامل مع القرآن الكريم، وكيفية الاستفادة من معانيه لتحقيقها في عالم الأنفس والآفاق.. وهم يحتاجون إلى من يدربهم على ذلك.. أنا وفريق ممن من كُلفنا بذلك.

قلت: وهل ستدعني وحدي؟.. هم لا يسمعون لي، ولا طاقة لي بإقناعهم.

قال: أنت لست مكلفا بذلك.. سأحضر أنا في الوقت المناسب.

ثانيا ـ القرآن.. وقراءات التنزيل

بعد ذهابنا إلى المسجد، وصلاتنا خلف الإمام صلاة المغرب، والتي قرأ فيها بصوته الجميل ما أثر في تأثيرا كبيرا.. لكني بعد الصلاة، سمعت نفرا كثيرين من الناس يجتمعون في حلقة، ويرفعون أصواتهم منددين، قال أحدهم: ألم تسمعوا إلى هذه القراءة التي لم يراع فيها أحكام التجويد.. هل سمعتم كيف لم يطبق أحكام الهمزة، لا في كونها مفردة، ولا في كونها مقترنة مع همزات أخرى، ولا في كلمة واحدة، ولا في أكثر من كلمة؟

قال آخر[1]: أجل.. فهو لم يطبق ذلك الحكم الأساسي المعروف من إبدال كل همزة ساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها.. ألم يعلم[2] أنه إذا كانت الهمزة فاء الكلمة، فإنه يبدل الهمزة المفتوح ما قبلها ألفاً مثل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾[الأعراف:١٤٣] فتُقرأ ﴿وَامُرْ قومك يَاخُذُوا﴾ ، ويبدل المضموم ما قبلها واواً، مثل: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[المائدة:٥] فتقرأ ﴿وَيُوتُونَ الزَكَاةَ﴾، ويبدل المكسور ما قبلها ياءً، مثل ﴿وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا﴾، فتقرأ ﴿وللاَرْضِيتِيَا﴾، إلا ما استثناه في كلمة واحدة خروجاً عن قاعدته، وهي كلمة (الإيواء) وما تصرف من لفظها، فإنه ينبغي أن تُحقق الهمزة فيها، مع أنها فاء الكلمة[3].. وقد جاءت في القرآن الكريم في سبعة مواضع منها ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].. ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٦٢].. ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦].. ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥].. ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء﴾ [الأحزاب:٥١].. ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم:١٥].. ﴿وَفَصِيلَتِهِ

---

(١) الأحكام التي نوردها هنا هي الأحكام التي تبناها ورش عن نافع، وستتبين سبب ذلك فيما يلي من الأحداث.

(٢) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ١٢٨.

(٣) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ١٢٩.

﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [المعارج:١٣]

قال آخر[1]: وهو ـ أيضا ـ لم يطبق أحكام ترقيق الراء إذا جاء قبلها كسرة أصلية أوياء ساكنة من الكلمة نفسها، أوجاء قبلها ساكن قبله كسر، إذا أتت بعد كسرة لازمة سواء كانت الراء مفتوحة أم مضمومة منونة أم غير منونة.

قال آخر[2]: بورك فيك.. لقد ذكرتني بالجهود التي بذلناها في تعلم ترقيق الراء من كلمات ﴿ناضرة﴾، و﴿ناظرة﴾، و﴿باسرة﴾، و﴿فاقرة﴾، و﴿ساحران﴾، و﴿ذِرَاعَيْهِ﴾، و﴿الْمَقَابِرَ﴾، و﴿قَاصِرَاتُ﴾، و﴿شَاكِراً﴾، و﴿مِرَاء﴾ و﴿ظَاهِراً﴾.. وكم كان يصعب علينا ترقيق الراءات المضمومة بعد كسر مباشر، من أمثال ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، و﴿مُنذِرٌ﴾، و﴿الْكَافِرُونَ﴾ ﴿سَاحِرٌ﴾، و﴿الْخَاسِرُونَ﴾

قال آخر[3]: وكان أصعب شيء علينا ترقيقها عندما يفصل بين الكسر والراء ساكن في مثل كلمات: ﴿ذِكْرَكَ﴾ و﴿وِزْرَكَ﴾، و﴿إِكْرَاهَ﴾، و﴿إِخْرَاجِ﴾، ﴿وإِجْرَامِي﴾.. وكان يختلط علينا ذلك في حال كون الحرف الفاصل متحركاً، لأنه حينئذ لا ترقق الراء، كما كلمة ﴿الْكِبَرُ﴾ في قوله عز وجل: ﴿عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ [الحجر:٥٤]، وكلمة ﴿الْخِيَرَةُ﴾

قال آخر: ومثلها إذا أتت الراء بعد ياء ساكنة؛ فإن ورشاً يرققها سواء كانت مفتوحةً أومضمومةً، أوكانت الراء منونة أم غير منونة في مثل هذه الكلمات وصلاً ووقفاً ﴿كَبِيرُهُمْ﴾، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ [العاديات: ٣]، و﴿بَشِيراً﴾، و﴿وَنَذِيراً﴾، ﴿خَبِيرَاً﴾، و﴿بَصِيراً﴾، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء:٥٠]

---

(١) ركزنا هنا على المحال التي انفرد بها ورش في ترقيق الراء، وهو ما يصعب على الكثير من القراء، وخصوصا المبتدئين، أنظر: الداني، التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة. ص٤١.

(٢) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ١٥٢.

(٣) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ١٥٢.

قال آخر[1]: وكان أصعب شيء بالنسبة لي، وربما لكم مستثنيات ورش من الراء المرققة؛ فمنها وجود فاصل بين الكسرة والراء وأحد أحرف الاستعلاء التالية: الصاد والقاف والطاء.. ومن الأمثلة مع الصاد كلمة ﴿إِصْراً﴾، و﴿إِصْرَهُمْ﴾، و﴿مِصْراً﴾ و﴿بِمِصْرَ﴾، و﴿مِّصْرَ﴾.. ومع الطاء في موضعين: ﴿قِطْراً﴾ و﴿فِطْرَةَ﴾.. ومع القاف في موضع واحد: ﴿وِقْراً﴾ [الذاريات:٢]

قال آخر: وأصعب تلك المستثنيات التي تعسر علي حفظها وإتقانها وجود فاصل بين الكسرة والراء وحرف الاستعلاء (الخاء)، لأنها لا تمنع ترقيق الراء وإن كانت هي من حروف الاستعلاء وذلك في نحو﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة:٨٥]، و﴿إِخْرَاجاً﴾ [نوح:١٨]، ﴿إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الممتحنة:٩]، حيث يقرؤها ورش بترقيق الراء.

قال آخر: ومثل ذلك إذا تكررت الراء في آخر كلمة واحدة في مثل كلمات: ﴿ضِرَاراً﴾ [البقرة٢٣١]، ﴿فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ [الكهف:١٨]، ﴿إِسْرَاراً﴾ [نوح:٩]، ﴿مِّدْرَاراً﴾ [الأنعام:٦]، حيث فخم ورش الرائين تبعاً للراء الثانية ما عدا كلمة ﴿بِشَرَرٍ﴾ [المرسلات:٣٢] فقد اتفق الرواة عن ورش بترقيق الراء الأولى وصلاً ووقفاً لأجل كسر الراء الثانية بعدها فهو ترقيق لترقيق.

قال آخر: بورك فيكم.. لقد ذكرتموني ببعضهم جاء يعظني، فقرأ علي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧-٢٢] من غير أن يراعي

---

(١) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ١٥٢.

الأحكام الواردة في كلمة ﴿وَنُذُرِ﴾، فقلت له: اذهب، وتعلم الأحكام أولا.. ثم اذهب بعدها لتعظ الناس.. إن المغفل لم يعلم أن لتلك الكلمة وجهين عند الوقف عليها، من حيث الترقيق والتفخيم، لكن أهل الأداء رجحوا الترقيق.

قال آخر: ومثلك أنا فقد رأيت بعضهم ينطق الهمزة المفتوحة في فاء الكلمة بعد ضم محققة مع أنها تنطق واواً، سواء وقعت في الأسماء أوالأفعال.. هو لم يعلم أن ﴿مُؤَجلا﴾ تقرأ ﴿مُوَجَّلًا﴾، و﴿مؤذِّن﴾ تُقرأ ﴿مُوَذِّنٌ﴾، و﴿المؤلّفة﴾ تقرأ ﴿المُوَلّفة﴾.. وهكذا في الأفعال فـ ﴿تُؤَاخذنا﴾ تقرأ ﴿تُواخذنا﴾، و﴿يُؤَيد﴾ تقرأ ﴿يُوَيِّد﴾

قال آخر: دعونا من أولئك الذين لم يتصدروا للإمامة؛ فإثمهم قاصر عليهم، وهيا نبحث كيف نتصرف مع هذا الإمام.. لابد أن نشكوه للمسؤولين عن المساجد حتى يطردوه من وظيفته.

قال آخر: لكن.. ألا ترون أننا بالغنا كثيرا في الذهاب لتلك المؤسسة، فهذا الإمام العاشر الذي تريدون الشكوى به، وفي ظرف لا يتجاوز ستة أشهر؟.. هل تريدون أن يعينوا لنا في كل شهر إماما.

قال آخر: المشكلة ليست في الإمام، ولكن في الجهة التي قامت بامتحانه في حفظه وتجويده وإتقانه.. لقد ذكروا لنا أنه يحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا، ويتقن تجويده وترتيله.

قال آخر: أنسيتم أن أولئك الذين امتحنوه كانوا ممن يقرؤون بقراءة حفص عن عاصم.. فهل يحق لهم وحدهم أن يمتحنوا الإمام، هل نسوا أن هناك من يقرأ بغير قراءتهم، أم أنهم يريدون أن يفرضوا سيطرتهم على المسجد؟

قال آخر: ألم يكفهم أن يجعلوا أكثر المصاحف في المسجد برواية حفص عن عاصم..

فأين باقي القراء.. ألم يعلموا أن في بلدتنا من يقرأ برواية قالون عن نافع.. ومنهم من يقرأ برواية ورش عن نافع.. ومنهم من يقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو.. فما بال أصحاب حفص عن عاصم يهيمنون علينا، وفي كل المحال.

قال آخر: لقد علمت أن الأعيان المسؤولين عن المساجد مجتمعون الآن في مجمع القراءات والتجويد، والإمام معهم؛ فهي فرصة لنا لأن نقدم شكوانا.. فهلم بنا إليها.

سرت معهم إلى المحل الذي ذكروا؛ وهناك وجدت نفرا كثيرين مجتمعين في حلقة كبيرة، وهناك رأيت معلمي الجديد معلم القصد والاعتدال جالسا بينهم، وفي صدر المجلس، والكل ينظر إليه باحترام شديد.

قال المعلم: لقد سمعت جميع أقوالكم.. وأرى أن ننظر إلى المسألة بعيدا عن كل الحساسيات والعصبيات، فقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بكونه كتابا يسر للذكر، فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢].. ولذلك؛ فإن الضابط الأكبر للقراءة التي عليكم أن تعتمدوها، وخاصة لعامة الناس، القراءة التي تتوفر على هذا القيد القرآني؛ فهو يجعل القارئ منصرفا إلى القراءة لا إلى تحقيق الحروف، وتطبيق الأحكام الصعبة.. وأخذكم بهذا سيوفر الوحدة لمجتمعكم ومدينتكم؛ فالقرآن الكريم يوحد قلوب المؤمنين، ولا يفرقها.

قال أحدهم: ولكن ماذا نفعل بالقراءت التي وجدنا عليها آباءنا؟

قال المعلم: يمكنكم أن تحتفظوا بها لدى متخصصين في القراءات، لا أن تنشروا مصاحفها بين الناس، أو تعلموها للصبية الصغار؛ فذلك مما يبعدهم عن مقصد القرآن الكريم الأكبر الذي هو التدبر والتأمل في معانيه، لا في إقامة حروفه.

١ ـ القراءات واليسر:

قام رجل، وقال: بورك فيك أيها المعلم المنور بنور الإيمان.. وهذا ما قلته لهم كثيرا.. فأنا إمام بمسجد من مساجد هذه المدينة، وقد رأيت بعد بحث طويل في القراءات أن أيسرها وأسهلها وأوفقها مع اللغة العربية الفصيحة التي نستعملها هي القراءة التي تنسب إلى عاصم برواية حفص .. ذلك أني ـ بعد تجربة طويلة في تعليم القرآن الكريم ـ وجدت أنها الأيسر على العامة والخاصة على حد سواء.. ولهذا تركت القراءة التي وجدت عليها آبائي، وهي رواية ورش عن نافع، لكونها صعبة جدا، بل قل من يتقنها حتى من القراء المشهورين أنفسهم، وهم يقرون بذلك، ويفتخرون به.

قال آخر: صدقت يا إمامنا.. وأنا مثلك.. وقد اقتنعت بنصيحتك.. وعندما بحثت في تاريخ القراءات وانتشارها وجدت أنها أكثر القراءات انتشارا بين عامة المسلمين، وكلهم متفقون على يسرها وسهولتها وكونها الأكثر اتفاقا مع اللغة التي كتبت بها الكتب، ودونت بها العلوم.

قال آخر: وكمثال على ذلك؛ فإن رواية حفص عن عاصم ليس فيها عمل كثير إضافي، كالإمالة الكثيرة في قراءة حمزة والكسائي وخلف، وهم قراء الكوفة.

قال آخر: وليس فيها المد المشبع في المنفصل والمتصل، والسكت المتكرر على الهمز الذي قبله ساكن موصولاً كان أم مفصولاً، والوقف على الهمز كما في قراءة حمزة وهشام.. وليس فيها إمالة هاء التأنيث حال الوقف عند الكسائي.. وكلها صعبة الأداء.

قال آخر: وليس فيها المدود الكثيرة كما في قراءة ورش عن نافع، أوصلة ميم الجمع وسكونها واختلاف المد المنفصل في قراءة قالون عن نافع أيضًا، والصلة المتكررة أيضًا في

قراءة ابن كثير المكي وأبي جعفر المدني.. وكل ذلك يحتاج نفسا طويلا، وهو صعب على عامة الناس.

قال آخر: وليس فيها الإدغام الكثير للمثلين الكبير والمتقاربين، كما في رواية السوسي عن أبي عمرو، أوالعمل في الهمز المتتالي سواء كان في كلمة أوكلمتين، عند نافع وابن كثير وأبي عمرووابن عامر.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإننا نلاحظ جميعا أن رواية حفص متناسبة مع اللغة العربية الفصحى التي يتحدث بها أكثر العرب والمسلمين.. ومن الأمثلة على ذلك عند المقارنة بين ورش وحفص في نطق الهمزة، حيث نجد ورش يميل إلى تسهيلها في بعض الآيات ، وحذفها في آيات أخرى، وأحيانا يقلب الياء همزة.. بالإضافة إلى تفرده بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، حتى أن ذلك أثر في القراء الذين يقرؤون بتلك القراءة، وميز لغتهم عن الفصحى التي يعتمدها سائر العرب والمسلمين.

قال آخر: ومثل ذلك في الياء التي تأتي بعدها همزة مفتوحة؛ حيث يقرؤها ورش بالفتح، أما حفص فيقرؤها بالسكون، كما ننطق بها في كلامنا العادي.. فقوله تعالى ـ مثلا ـ: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ [النمل: ١٩] يقرؤها ورش ﴿ربِّ أوزعنيَ﴾ بفتح الياء.. وهكذا الياء التي تأتى بعدها همزة مكسورة، حيث يقرؤها ورش بالفتح، فيقرأ قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، حيث يقرؤها ورش بفتح ياء ﴿ إِخْوَتِيَ ﴾

قال آخر[١]: ومثل ذلك عند المقارنة بين تفخيم الراء وترقيقها بين ورش وحفص،

---

(١) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ٢١٣.

حيث نجدا حفصا يميل إلى الأصل الذي يميل إليه اللسان، وهو أن الأصل في الراء التفخيم، وأنه لا يجوز الترقيق إلا لعلة أوجبت ذلك، لكن ورشا اعتمد منهجا صعبا جدا، قل من يتقنه.. فهو قد انفرد بترقيق الراء إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، وكان قبلها ياء ساكنة أو كسرة متصلة بها، وعلته في ترقيق الراء المضمومة إذا أتت بعد كسر نحو ﴿الخاسرون﴾ أوبعد ياء ساكنة نحو: ﴿بشير﴾ أوقبله ساكن وقبل الساكن كسرة نحو: ﴿لذكرُ﴾ عدم الاعتداد بحركة الراء لأجل قرب الكسرة منها أوالياء.. ولم يعتد كذلك بالساكن لضعفه بالسكون، وكأن الراء قبلها كسرة مباشرة.

قال آخر[1]: وأما علته في تفخيم كلمة ﴿كِبْرٌ﴾ [غافر:٥٦]، و﴿عشرون﴾ [الأنفال:٦٥] ولم يرققها في ﴿ذكرُ﴾ [الأعراف:٦٣] لأن الكاف أقرب مخرجا إلى الذال منها إلى الراء ولذلك فخمت الراء في ﴿كِبْرٌ﴾ لبعد المخرجين ورققت في ﴿الذكرُ﴾ لقرب المخرجين، وأما ﴿عشرون﴾ ففخمت لصفة التفشي التي فيها.

قال آخر[2]: وعلته في تفخيم الراء بعد حروف الاستعلاء لقوتها، واستثنى حرف الخاء وذلك لضعفه بصفة الهمس.. وعلته في ترقيق الراء إذا تكرر نحو﴿بشرر﴾ من أجل قوة الكسرة في الراء الثانية، ولم يرقق الراء في ﴿الضرر﴾ وذلك لوجود حرف الاستعلاء الذي قبل الراء وهوالضاد.. وروي عنه وجهان في ﴿حيران﴾ فرققها بعض أهل الأداء على حسب قاعدته، وفخمها الآخرون وذلك لأجل الجمع بين اللغتين.

قال آخر[3]: وغيرها من الأحكام العسيرة الصعبة.. ولهذا قل من يتقنها، وحتى

---

(١) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ٢١٤.

(٢) القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة/ ٢١٤.

(٣) التمهيد: ٢/ ٢٤٥.

الذي يتقنها يشعر بالفرق الكبير بينها وبين قراءته برواية حفص عن عاصم.

قال أحد المخالفين: لكن ما تقولون بتواتر أداء القراءات.. وكونها جميعا مما قرأ بها رسول الله ﷺ .. ألسنا عندما نترك ما روي عن ورش من ترقيق الراءات، ومد المدود وغيرها، نكون قد ضيعنا أو أمتنا سنة من سنن رسول الله ﷺ في القراءة؟

قال آخر[1]: أليس النبي ﷺ هو الذي اقرأ أصحابه بتحقيق الهمزات وبتسهيلها، وكذلك بالفتح والإمالة، وبالإدغام وبالإظهار، وبتطويل زمن الغنة في محلها، وبتطويل الصوت بحروف المد، وبقلقلة حروف (قطب جد)، وهوالذي أذن بقراءة هذه بوجه وهذه بوجهين وهذه بثلاث وهذه بأربع.. وجرى كل وجه جاء به النبي ﷺ في القراءة والأداء على أنه وحي معصوم، والأئمة رووه عنه بالتوقيف؟

قال المعلم[2]: ليس كل ما ينتشر أو يشاع علما.. فهل حققتم في حقيقة هذا؛ أم أنكم تلقيتموه تقليدا؟

قال الإمام: ما دمنا جلسنا في مجلسنا هذا، ومع شخصكم الموقر؛ فإن الحق أحق أن يتبع ويقال، مهما كانت نتائجه.. وقد بحثت في هذا كثيرا، لكنني لم أستطع التصريح بما وصلت إليه من نتائج خشية من قومي.. فإن أذنتم لي ذكرت لكم ما وصلت إليه، وأدلتها، وإلا ألتزم ما أنتم عليه إلى أن يحكم الله بيني وبينكم.

قال المعلم: تحدث ما بدا لك.. فهذه الوجوه الكريمة لا يمكنها أن تصم آذانها على أي قول ما دام يستند للبراهين والحجج.. فاعرض ما عندك، ولهم أن يناقشوك بما تهديهم إليه الحقائق لا النفوس.

---

(١) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٤.

(٢) تواتر القراءات بين الظن والتوهم والواقع اليقين، ص٧.

قال الإمام[1]: ما دمت قد ذكرت ذلك.. وسكت الجميع مؤيدين لك.. فالنتيجة التي وصلت إليها بعد بحوث طويلة هي أن الأدلة كلها تدل على أن الاختلاف في صفات أداء التلاوة إنما هوناشئ عن اختلاف القراء في اختيارهم، واختلاف لهجاتهم وأدائهم للحروف، وتأثرهم بطبيعة لهجات القبائل العربية المتناثرة في كل قطر، وليس أصله التلقي عن النبي ﷺ، ولهذا، فقد حصل لبس وخلط عظيم عند طائفة من السابقين وكثير من اللاحقين بين الاختلاف في القراءة الذي منشؤه الكلام نفسه من زيادة أونقص في حروفه أوتغيير في إعرابه وبين الاختلاف الذي منشؤه الاختلاف الطبيعي عند قبائل العرب في الأصوات والنطق والكلام، بسبب تنوع لهجاتهم وتنائي محلاتهم، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، فقد ذكر الله تعالى أنه بقدرته الباهرة جعل اختلاف البشر في الألسنة وفي كيفية النطق؛ فظن أولئك أن كل ذلك الاختلاف بجميع تفاصيله من أنواع المدود والغنن والإمالات والإدغامات والترقيقات والتفخيمات والتغليظات والروم والإشمام والهمز والتسهيل والبدل وغير ذلك من الأنواع أنه متلقى بالإسناد عن النبي ﷺ، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك؛ فإن القراء يتصرفون في أدائهم للقراءة باعتبار أن ذلك من التغني والترتيل المأمور به ليس على وجه واحد أووتيرة واحدة، وهم بهذا التصرف والتنوع لا يخرجون عن اللسان العربي، والقرآن أنزل باللسان العربي المبين.

قام أحد كبار القوم من المخالفين، وقال: إن ما تذكره خطير جدا، ولو أنك قلته في غير حضور المعلم، لكان لنا معك شأن آخر.. لكن بما أنه هو الذي أذن لك في الكلام؛ فإنا

---

(١) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٥.

سنرفع عليك دعوى عند القاضي إن لم تذكر البينة على ما تقول.

قال الإمام: أجل.. سأذكر لكم سبعة أدلة، ولكم أن تناقشوني فيها كما تشاءون، وأنا مستعد بعدها لما تقضون به علي، لا في مجلس القاضي، بل في هذا المجلس.

الدليل الأول:

قالوا: لك ذلك.. فما الدليل الأول؟

قال الإمام[1]: عدم الدليل على أن صفة الأداء قد تُلقيت بالإسناد إلى النبي ﷺ، فلا يوجد أي دليل على ذلك سوى الدعوى، ذلك أنه لم يذكر أي من القراء السبعة أو رواتهم أوغيرهم من القراء والأئمة المتقدمين أنهم تلقوا أداءهم عن رسول الله ﷺ .

قال أحدهم: فما تقول فيما اشتهر عنهم من أن (القراءة سنة متبعة)؟

قال الإمام[2]: ذلك حق لا مراء فيه؛ فالقراءة سنة متبعة؛ فلا يُقرأ القرآن حسب الرسم كيفما اتفق، لا سيما والقرآن ـ حين قيل هذا القول ـ لم يكن منقوطاً ولا مشكولاً، فلم يُنقط إلا في القرن الثاني الهجري، ولذلك كان من الممكن أن تُقرأ الآية الواحدة على أكثر من وجه.. ولذلك فإن مراد السلف بقولهم: (القراءة سنة متبعة)، النطق الصحيح من غير لحن أوتبديل للكلمات أوالحروف أوالإعراب، وما يتغير به المعنى.. ولذلك كان اهتمام القراء والمتلقين عنهم في عصر السلف الأول منصباً على عدم اللحن والخطأ في الحروف، والكيفية الصحيحة لنطق الكلمة من غير تحريف في حروفها أوحركاتها، ولم يكن من اهتمامهم معرفة تفاصيل طريقة أداء الألفاظ وضبطها.

---

(١) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٩.

(٢) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٩.

قال أحدهم[1]: صدقت.. ولهذا نراهم يذكرون دائماً أن القراءة لا يُتجاوز بها طريقة الماضين، وذلك في ما يتعلق بالحروف والإعراب واللغة.. وهكذا نرى اختلاف الصحابة إنما كان يدور دائماً حول ما يتغير به اللفظ، وليس ما له علاقة بطريقة الأداء.. وهكذا نرى أن السلف ما كانوا يحذرون إلا من اللحن في القراءة، وكانوا ينكرون القراءة بغير إعراب ويمنعون منها، إلى غير ذلك، أما صفات الأداء واختلافها وتنوعها من إمالة وإدغام وروم والمدود ومقاديرها والغنن والتفخيم والترقيق وغير ذلك فلا يتأثر باختلافها المعنى.

قال الإمام[2]: ويدل لهذا أنه لم يؤثر عن النبي ﷺ أو أحد من أصحابه حرف واحد فيه ذكر الإدغام أوالإمالة أوالروم أوالإشمام أوالترقيق أوالتفخيم أوالتغليظ، أوالوقف على الساكن قبل الهمز، أوتحديد المد بحد أوبقيد، أوغيرها من تلك القوانين الكثيرة التي تمتلئ بها كتب القراءات والتجويد، وقد اختلف الصحابة في أشياء كثيرة من أمر القراءة، بخلاف ما يتعلق بصفات الأداء كهذه التي ذكرتها أوغيرها.. ألا يدل ذلك بوضوح على أن هذا كله من اجتهاد القراء بما يتماشى مع الإذن العام الصادر من النبي ﷺ أن تكون القراءة سهلة بابها واسع، فقد أخبرهم النبي ﷺ أن القرآن يقرأ على (سبعة أحرف) شريطة أن لا يتنافر مع اللسان العربي الذي أنزل به القرآن.

قلت: لقد ذكرني قولك هذا بقول العلامة مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) في كتابه [الإبانة]، حيث قال: (وأما ما اختلفت فيه القراءة من الإدغام والإظهار والمد والقصر وتشديد وتخفيف وشبه ذلك فهومن القسم الأول، لأن القراءة بما يجوز منه في العربية

---

(١) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص١٠.

(٢) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص١١.

وروى عن أئمة وثقات جائزة في القرآن، لأنه كله موافق للخط) [1].. وكان قد ذكر أن القراءات ترجع إلى سبعة أوجه، ثم ذكرها وذكر الأول منها: أن يختلف في إعراب الكلمة، أوفي حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو: البُخْل والبَخَلَ، وميسَرة وميسُرة.

قال آخر: ومثله قال عبد الهادي حميتوفي كتابه [قراءة الإمام نافع عند المغاربة] بعد أن ذكر طريقة نافع في تعليمه للقرآن، وأنه كان يسهل القرآن لمن قرأ عليه، ويتقبل لهجة الراوي أياً كانت وهكذا بقية القراء: (بمثل هذه المرونة كان يتعامل نافع مع العارضين عليه، ولاسيما فيما يرجع إلى طرق الأداء التي تخضع كثيراً لعادة القارئ في النطق بالكلمات في لهجته، فيما يتعلق بالهمز، والتخفيف، والفتح، والإمالة، والإظهار، والإدغام ونحو ذلك، إذ كان أئمة القراء لا يأخذون القارئ بما قد لا يقوى عليه ولا يطوع به لسانه في الأداء، سيراً مع ما كان يسلكه أهل الفصاحة من التوسع في اللغة ووجوهها، والإبقاء على قدر من المرونة فيها، بشرط الابتعاد عن مظاهر التقعر والتكلف البعيد)

ثم ذكر أن هذا هو فعل سائر أئمة القراءة، فقال: (وعلى مثل هذا الصنيع درج أئمة القراء، فكانوا يفعلونه مع العارضين عليهم، فلا يلزمون القارئ في أصول الأداء بما يرونه الوجه المختار لقوته في اللغة والقياس، أولشيوع استعماله في القراءة والأداء، ولهذا نجد الخلاف يتسع أحياناً في بعض حروف القرآن اتساعاً كبيراً، بسبب قبول اللغة فيها للوجوه المتعددة، كالوجوه في ﴿أف﴾ و﴿هيت لك﴾ و﴿عبد الطاغوت﴾ونحوها.. ويدخل في هذا المنحى من التيسير على العارضين ما جاء عن نافع من قوله بالوجهين أوأكثر في أداء

---

(١) الإبانة (١/ ٧٨)

الحرف الواحد، وتخييره القارئ أحياناً في القراءة بأيها شاء، فقد روى عنه قالون مثلاً قوله: لا تبال كيف قرأت ﴿بسطة﴾ و﴿يبسط﴾ بالصاد أو بالسين.. وإنما يرجع ذلك بعد الرواية والنقل إلى اختلاف الأصوات وتعدد اللغات، فلذلك رسم الصحابة بعضه بالصاد وباقيه بالسين، وذلك مألوف في اللغة والاستعمال مما يسميه علماء اللسان بتداخل اللغات.. وهذا تفسير كثير من الاختلاف في حروف القراءة وأصول الأداء، مثل الاختلاف في ﴿الصراط﴾ و﴿صراط﴾ و﴿المصيطرون﴾ و﴿يصدر الرعاء﴾ ونحوها، ومثل الاختلاف في أحوال الهمز وتخفيفه بالإبدال أوالتسهيل أوالنقل أوالحذف، ومثل الفتح والتقليل والإمالة، تبعاً لما اعتاده لسان القارئ ودرج عليه في قراءته، وفي القراء يومئذ من لا يستقيم لسانه البتة بالنطق بغير ما درب على استعماله في لسانه من الحروف واللغات) [1]

قال أحد المخالفين: فما تقول فيما يروى عن حمزة أنه قال: (ما قرأت حرفاً إلا بأثر)، وقوله: (ما منها حرف قرأته إلا ولوشئت رويت فيه حديثاً)، ومثله قال الأعمش والثوري: (ما قرأ حمزة حرفاً إلا بأثر)، وقال شعيب بن حرب: (لوأردت أن أسند قراءة حمزة حرفاً حرفاً لفعلت) [2]

قال الإمام[3]: فأين هذه الأحاديث والآثار التي تدل على تفاصيل الأداء.. لا يمكن أن يأتي آت بأثر أوحديث واحد فيه ذكر لشيء من طريقة الأداء، وفي هذا أعظم الدلالة على أن مرادهم بأقوالهم تلك إنما هوما يتعلق بالإعراب والحروف، وليس ما يتعلق بطريقة الأداء من مد أوإدغام أوإمالة أوغيرها.

---

(١) قراءة الإمام نافع عند المغاربة (ص ٤٠٠)

(٢) جمال القراء للسخاوي (ص ٤٥٩)

(٣) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص١٤.

الدليل الثاني:

قال المعلم: ما رأيكم أيها الجمع المبارك في هذا الدليل؟

سكتوا، فقال المعلم: هلم.. اذكر لنا الدليل الثاني.. وأرجو من الحضور الاستماع جيدا؛ فإن كان في قوله ما ترون صوابه؛ فأيدوه، وإن رأيتم فيه ما ترون خطأه؛ فنبهوه، وإن رأيتم إشكالا؛ فسلوه.

قال الإمام: الدليل الثاني هو ما ورد من الأقول الكثيرة عن أئمة القراء، والتي تدل بوضوح على أن الاختلاف بينهم في طريقة الأداء صادر عن الاجتهاد والاختيار من لغات العرب، والتأثر بطبيعة الأداء بحروف القبائل العربية ونحو ذلك.. ومن تلك الأقوال قول ابن مجاهد بعد ذكره للذين رووا القراءة عن حمزة: (وكل هؤلاء متقاربون لا يكادون يختلفون في أصل من أصول قراءة حمزة، غير أنهم كانوا يتفاضلون في الألفاظ ورقة الألسن، ويختلفون في الإفراط في المد والتوسط فيه، وفي شيء من الإدغام أيضاً اختلفوا وقد بينت ذلك في كتابي هذا)[1]

قال آخر: ومثله قال أحمد بن نصر أبوبكر الشذائي (ت ٣٧٣ هـ): (فأما صفة قراءة من انتحل ابن كثير فحسنة، مجهورة بتمكين بين.. وأما وصف قراءة من ينتحل نافعاً فسلسلة لها أدنى تمديد.. وأما صفة قراءة من ينتحل عاصماً فمترسلة جريشة، ذات ترتيل وكان عاصم نفسه موصوفاً بحسن الصوت وتجويد القراءة.. وأما صفة من ينتحل قراءة حمزة فأكثر من رأينا منهم ما ينبغي أن تحكى قراءته لفسادها، ولأنها مصنوعة من تلقاء أنفسهم، وأما من كان منهم يعدل في قراءته حدراً أوتحقيقاً فصفتها المد العدل والقصر

---

(١) السبعة في القراءات، (ص ٧٧)

والهمز المقوم والتشديد المجود، بلا تمطيط ولا تشديق ولا تعلية صوت ولا ترعيد، فهذه صفة التحقيق.. وأما الحدر فسهل التكلف في أدنى ترتيل وأيسر تقطيع.. وأما وصف قراءة من ينتحل قراءة الكسائي فبين الوصفين في اعتدال.. وأما أصحاب قراءة ابن عامر فيضطربون في التقويم، ويخرجون عن الاعتدال.. وأما صفة من ينتحل قراءة أبي عمروفالتوسط والتدوير وهمزها سليم من اللكز، وتشديدها خارج عن التمضيغ، بترسل جزل وحدر بين سهل يتلوبعضها بعضاً) [1].. ثم عقب على هذا بقوله: (وإلى هذا كان يذهب ابن مجاهد في هذه القراءة وغيرها، وبه قرأنا عليه، وبه كان يختار، وبمثله كان يأخذ ابن المنادي رحمة الله عليهما، والله الهادي)

قال آخر: ومثله روي عن أبي عمر قال: سمعت سليماً يقول: وقف الثوري على حمزة فقال: يا أبا عمارة ما هذا الهمز والمد والقطع الشديد؟ فقال: يا أبا عبد الله هذه رياضة للمتعلم، قال: صدقت.. ثم عقب أبوعمروالداني على هذا بقوله: (ولهذا المعنى الذي ذكره حمزة يرخص في المبالغة في التحقيق من يرخص من الشيوخ المتقدمين والقراء السالفين لترتاض به ألسنة المبتدئين وتتحكم فيه طباع المتعلمين، ثم يعرفون بعد حقيقته ويوقفون على المراد من كيفيته، فأما استعماله على غير ذلك فلا سبيل إليه البتة، للمتقدم من الأخبار عن الأئمة بكراهته والعدول عنه.. وقد حدثني الحسين بن علي بن شاكر البصري، حدثنا أحمد بن نصر المقرئ قال: فأما الإسراف في التحقيق الخارج عن التجويد فمعيب مذموم.. وسمعت ابن مجاهد وقد سئل عن وقف حمزة على الساكن قبل الهمزة، وإفراطه في المد إلى غير ذلك، قال: كان حمزة يأخذ بذلك على المتعلم، ومراده أن يصل إلى ما نحن عليه من

---

(١) الداني في التحديد (ص ٩٢)

إعطاء الحروف حقوقها) [1]

قال آخر: بل قد روي هذا عن حمزة منصوصاً، فقد حدث خلف بن هشام قال: سألت سليم بن عيسى عن التحقيق، فقال: سمعت حمزة يقول: إنا جعلنا هذا التحقيق ليستمر عليه المتعلم.. وعن سليم قال: سمعت حمزة يقول: إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى.. ويروى عن حمزة أنه قال: إنما الهمز رياضة، فإذا أحسنها الرجل سهلها[2].

قال آخر: ومثلهم قال أبوعمروالداني: (وقرأت على أبي الحسن بن غلبون بغير زيادة تمكين لحرف المد فيما تقدم، وسألته عن زيادة التمكين وإشباع المد فأنكره وبعَّد جوازه، وإلى ذلك كان يذهب شيخنا علي بن محمد بن بشر، وسائر أهل الأداء من البغداديين والشاميين، وقال بعض شيوخنا: هواختيار من ورش خالف فيه نافعاً، يعني الزيادة في المد، قال: وأهل العراق ينكرون ذلك ولا يأخذون به، وأهل مصر يروونه ويتركونه، وحكى لي الخاقاني أن أصحابه المصريين الذين قرأ عليهم اختلفوا في ذلك، فمن قائل منهم به، ومن منكر له.. وقال آخرون: إنما كان المشيخة من المصريين يأخذون بالتحقيق والإفراط في المد على المبتدئين على وجه الرياضة لهم، وهذا يدل على أن البالغ الإشباع الزائد في هذا الفصل ليس من مذهب نافع ولا اختياره، ولا من رواية ورش ولا أدائه، وأنه استحسان واختيار من أهل الأداء عن أصحابه.. فينبغي أن لا يفرط فيه في مذهب ورش، وكذلك قرأت على الخاقاني وأبي الفتح عن قراءتهما، وهوالذي يوجبه القياس ويحققه النظر وتدل عليه الآثار وتشهد بصحته النصوص، وهوالذي أتولاه وآخذ به) [3]

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد (ص ٨٨)

(٢) السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص ٧٦)

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٥٥)

ثم عقب على هذا بقوله: (وقد وقعت في هذه الرواية التي قرأنا بها على ابن خاقان وفارس بن أحمد إلى جماعة لم تتحقق معرفتهم ولا استكملت درايتهم، فأفرطوا في إشباع التمكين إفراطاً أخرجوه بذلك عن حده ووزنه، قال لإبعاد جوازه وتخطئة ناقله وتجهيل منتحله والآخذ به))[1]

قال آخر: ومثلهم قال أبو الخير بن الجزري: (وذهب إلى القصر فيه أبو الحسن طاهر بن غلبون، ورد في تذكرته على من روى المد وأخذ به وغلط أصحابه، وبذلك قرأ الداني عليه، وذكره أيضاً ابن بليمة في تلخيصه، وهواختيار الشاطبي حسب ما نقله أبوشامة عن أبي الحسن السخاوي عنه.. قال أبوشامة: وما قال به ابن غلبون هوالحق)[2]

قال آخر: ومثلهم قال ابن مجاهد: (كان أبو عمروحسن الاختيار سهل القراءة، غير متكلف، يؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل)[3].

قال آخر: ومثلهم قال أبوعمرو الداني بعد أن ذكر مراتب القراء في طول المد: (وهذا كله جار على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف وتخليص السواكن، وتحقيق القراءة وحدرها، وليس لواحد منهم مذهب يسرف فيه على غيره إسرافاً يخرج عن المتعارف في اللغة والمتعالم في القراءة)[4]

قال آخر: ومثلهم قال ابن الجزري بعد أن ذكر مراتب القراء في المد: (ولا يخفى ما فيها من الاختلاف الشديد في تفاوت المراتب، وأنه ما من مرتبة ذكرت لشخص من القراء إلا وذكر له ما يليها، وكل ذلك يدل على شدة قرب كل مرتبة مما يليها، وإن مثل هذا

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٥٥)

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٣٩)

(٣) السبعة في القراءات (ص ٨٤)

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٤٢)

التفاوت لا يكاد ينضبط)[1]

قال آخر: ومثلهم روي إسحاق بن أحمد الخزاعي (ت ٣٠٨ هـ) عن أصحابه أن المد كله مد يسير وسطاً مبيناً.. وقال: وكذلك كل ممدود في القرآن لا يسرفون في مده، ولكن يمده مداً حسناً[2].

قال آخر: ومثلهم روي عن أبي عمرو أنه قال: (الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها لا يحسنون غيره.. وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿هل من مدكر﴾، و﴿اطيرنا بك﴾، و﴿اثاقلتم﴾، و﴿اضطر﴾، وكل شيء نحو ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ما أذهب اللام؟ أليس لإدغامها في الراء.. والإدغام لا ينقص من الكلام شيئاً، إلا أنك إذا أدغمت شددت الحرف فلم تنقص شيئاً)[3] .. وقال: (والعرب إنما تدغم ليكون أخف، إذا كان الإدغام أثقل من التمام أتموا)[4]، وهذا يدل على أن الإدغام من أبي عمرواجتهاد واختيار، وليس بالإسناد إلى النبي ﷺ، ولوكان أبوعمرو يقرأ بالإدغام نقلاً عن النبي ﷺ لذكره، ورد به على من ينتقدونه.. ثم لماذا ينفرد به أبوعمرو من بين سائر القراء إذا كان الإدغام منقولاً بالسند إلى النبي ﷺ[5].

قال الإمام[6]: وما ذكروه في الإدغام الكبير قالوه في الإمالة، فالأدلة الكثيرة تدل على أنها اختيار من بعض القراء باعتبار أنها من لهجات العرب المعروفة، وبعضها من عادة بعض الكوفيين في كلامهم وألفاظهم، وقد روي عن ابن أبي حاتم أنه قال: (احتج الكوفيون في الإمالة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات، فاتبعوا الخط

---

(١) النشر (١/ ٣٣٣)

(٢) ذكره الداني في تفسير الطبري (١/ ٣٤٤)

(٣) الداني في الإدغام الكبير (ص ٣٩)

(٤) جمال القراء (ص ٤٨١)

(٥) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٢٣.

(٦) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٢٣.

وأمالوا ليقربوا من الياءات)[١]

قال آخر: ومثله ما روي أنه قيل للكسائي: إنك تُميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: (هذا طباع العربية)، وقد علق عليه أبوعمرو الداني بقوله:(يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن)[٢]

قال آخر[٣]: ومثله ابن الجزري؛ فقد قال يذكر لهجات أهل زمانه: (والإمالة في هاء التأنيث وما شابهها من نحو(همزة، ولمزة، وخليفة، وبصيرة) هي لغة الناس اليوم والجارية على ألسنتهم في أكثر البلاد شرقاً وغرباً وشاماً ومصراً، لا يحسنون غيرها ولا ينطقون بسواها، يرون ذلك أخف على لسانهم وأسهل في طباعهم، وقد حكاها سيبويه عن العرب)

قال الإمام: وهكذا نجد الروايات الكثيرة عنهم، تدل على أن أداءهم استحسان استحسنوه، لا رواية عن رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الأزرق ـ صاحب ورش ـ عن أستاذه، فقد قال: (لما جئت لأقرأ عليه قلت له: يا أبا سعيد، إني أحب أن تقرئني مقرأ نافع خالصاً، وتدعني مما استحسنت لنفسك، قال: فقلدته مقرأ نافع)[٤].. وقال ابن مجاهد عند ذكر الإدغام: (كان نافع لا يكاد يدغم إلا ما كان إظهاره خروجاً من كلام العرب، إلا حروفاً يسيرة)[٥].. وقال اليزيدي: (كان أبوعمرو قد عرف القراءات فقرأ من كل قراءة بأحسنها وبما يختار العرب، وبما بلغه من لغة النبي ﷺ)[٦]

قال آخر: ومثله ذكر بعض المتأخرين طريقة نافع في تعليمه للقرآن، فقال: (بمثل هذه المرونة كان يتعامل نافع مع العارضين عليه، ولاسيما فيما يرجع إلى طرق الأداء التي

---

(١) الإتقان (١/ ٣١٤)

(٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٨٢)

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٨٢)

(٤) معرفة القراء للذهبي (١/ ٣٧٣)

(٥) السبعة في القراءات (ص ١١٣)

(٦) معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٢٢٩)

تخضع كثيراً لعادة القارئ في النطق بالكلمات في لهجته، فيما يتعلق بالهمز والتخفيف والفتح والإمالة والإظهار والإدغام ونحوذلك، إذ كان أئمة القراء لا يأخذون القارئ بما قد لا يقوى عليه ولا يطوع به لسانه في الأداء، سيراً مع ما كان يسلكه أهل الفصاحة من التوسع في اللغة ووجوهها، والإبقاء على قدر من المرونة فيها.. وعلى مثل هذا الصنيع درج أئمة القراء، فكانوا يفعلونه مع العارضين عليهم، فلا يلزمون القارئ في أصول الأداء بما يرونه الوجه المختار لقوته في اللغة والقياس، أولشيوع استعماله في القراءة والأداء، ولهذا نجد الخلاف يتسع أحياناً في بعض حروف القرآن اتساعاً كبيراً، بسبب قبول اللغة فيها للوجوه المتعددة) [1]

قال آخر: ومثلهما ذكر بعض المتأخرين ذلك عن سائر القراء، فقال: (لكل مدرسة خصائص معينة نتيجة لاختلاف الروايات المقروءة في الرسم العثماني، أوبسبب التأثر بطبيعة الأداء بحروف القبائل العربية القاطنة في كل قطر) [2]

قال آخر: ومثلهم قال عاصم: قرأت يوماً على أبي عبد الرحمن السلمي حتى تحول من مجلس القرآن إلى حلقة فيها نفر من الصحابة، وكان إذا فرغ من مجلس الإقراء يجلس إليهم، وفيهم: زر بن حبيش، وشقيق بن سلمة، والمسيب، وكان يجالسهم يزيد بن الحكم الثقفي، فقلت: إن أهل المجلس يدغمون حروفاً كثيرة، ويقولون: ذلك جائز في الكلام.. فذكرت: ﴿هل ترى﴾، وقلت: يقولون: (هترى)، و﴿لبثت﴾، فقلت: يقولون: (لبت)، وأشباه ذلك، فأعظموا ذلك جميعاً، ثم قال أبوعبد الرحمن السلمي: قاتلهم الله أخذوا هذا

(١) قراءة الإمام نافع عند المغاربة (١/ ٤٠٠)

(٢) تاريخ القراءات (ص ١٢)

من قول الشعر، فإن الشاعر يدغم وينقص من الحروف لئلا ينكسر عليه البيت[١].

قال آخر: ومثلهم قال أبو شامة: (لا يكلف أحد إلا قدر استطاعته، فمن كانت لغته الإمالة، أوتخفيف الهمز، أوالإدغام، أوضم ميم الجمع، أوصلة هاء الكناية، أونحوذلك فكيف يكلف غيره؟ وكذا كل من كان من لغته أن ينطق بالشين التي كالجيم في نحو (أشدق) والصاد التي كالزاي في نحو (مصدر)، والكاف التي كالجيم والجيم التي كالكاف ونحوذلك، فهم في ذلك بمنزلة الألثغ والأرت، لا يكلف ما ليس في وسعه)[٢]

قال آخر: ومثلهم قال ابن تيمية: (وأما كيفيات الأداء مثل تليين الهمزة، ومثل الإمالة والإدغام، فهذه مما يسوغ للصحابة أن يقرؤوا فيها بلغاتهم، لا يجب أن يكون النبي ﷺ تلفظ بهذه الوجوه المتنوعة كلها، بل القطع بانتفاء هذا أولى من القطع بثبوته)[٣]

قال آخر: ومثلهم قال بعض المتأخرين، وهو محمد حسن حسن: (القرآن نزل على النبي ﷺ عربياً بلغة قريش، وقرأه الصحابة بلهجاتهم، فأدوا الألفاظ بأعيانها، والعبارات والجمل والآيات بأعيانها، لكن نطقهم للألفاظ والعبارات والجمل والآيات كان بحسب نطق قبائلهم، أي: بهيئة النطق التي اعتادوها منذ ولدوا في قبائلهم.. وتلقى أئمة القراءات السبعة والعشرة عن التابعين أوأتباع التابعين القرآن الكريم بأعيان ألفاظه وعباراته وآياته وسوره التي تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ، لكن بهيئات النطق التي اعتادها التابعون وأتباع التابعين، فاختار كل من الأئمة العشرة من هيئات نطق القرآن ما يسره الله له)[٤]، وعلل ذلك بقوله: (القراءات داخلة تحت الإذن العام من المولى لرسوله ﷺ أن يقرأ كل قوم

---

(١) جمال القراء للسخاوي (ص ٤٧٦)

(٢) المرشد الوجيز (ص ٩٧)

(٣) جامع المسائل (١/ ١١٣)

(٤) القضايا الكبرى في القراءات القرآنية (ص ٧٥)

بلغتهم، أما الإدعاء بأن كل جزئية من تلك القراءات هي متلقاة بعينها من رسول الله ﷺ فهوكلام سنده الحماس، لأن العربي يدغم أويفك ويميل أوينصب الخ حسب لهجته دون احتياج إلى توقيف) [1]

قال الإمام[2]: ويضاف إلى هذا الدليل، أو هو قريب منه أن القراء وعلماء القراءات والمؤلفين في القراءات يستعملون القواعد والتعليلات والقياس كثيراً في أنواع كثيرة من الأداء.. ولهذا نرى أداء الرواة في أحيان كثيرة مبنى على قواعد لغوية وتعليلات، وهذا أمر مشهور معمول به عند القراء وعند العلماء.

قال آخر: صدقت.. وقد ذكر ابن الجزري ذلك، فقال: (أما إذا كان القياس على إجماع انعقد أوعن أصل يعتمد فيصير إليه عند عدم النص وغموض وجه الأداء فإنه مما يسوغ قبوله ولا ينبغي رده.. كمثل ما اختير في تخفيف بعض الهمزات لأهل الأداء، وفي إثبات البسملة وعدمها لبعض القراء، ونقل ﴿كتابيه إني﴾، وإدغام ﴿ماليه هلك﴾ قياساً عليه، وكذلك قياس (قال رجلان. وقال رجل) على (قال رب) في الإدغام) [3]

قال آخر: ومثله أشار مكي بن أبي طالب، حيث قال: (فجميع ما ذكرناه في هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام: قسم قرأت به ونقلته وهومنصوص في الكتب موجود.. وقسم قرأت به وأخذته لفظاً أوسماعاً وهوغير موجود في الكتب.. وقسم لم أقرأ به ولا وجدته في الكتب ولكن قسته على ما قرأت به، إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم الرواية في النقل والنص)) [4]

---

(١) القضايا الكبرى في القراءات القرآنية (ص ٦٨)

(٢) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٤٩.

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ١٧)

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ١٧)

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الجزري من أن أبا عمروقال في ﴿آل لوط﴾: لا أدغمها لقلة حروفها).. وقال: ورد الداني هذا المانع بإدغام (لك كيداً) إجماعاً إذ هوأقل حروفاً من آل، فإن هذه الكلمة على وزن قال لفظاً، وإن كان رسمها بحرفين اختصاراً[1].

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن مجاهد في مسألة الهمزتين المتلاصقتين في كلمتين، حيث قال: (ورأيت بعضهم يلينها فيلفظ بها كالمختلسة من غير ضمة تتبين على الواوولا كسرة على الياء، وهذا أجود الوجهين، لأن الهمزتين إنما يكتفي بإحداهما عن الأخرى طلباً للتخفيف، فإذا خلفت المكسورة بياء مكسورة كانت أثقل من الهمزة، ولم يكونوا ليفروا من ثقيل إلى ما هوأثقل منه.. وكذلك الضمة على الواوأثقل من اجتماع همزتين، وإن امتحنت ذلك وجدته كذلك)[2]

الدليل الثالث:

قال المعلم: ما رأيكم أيها الجمع المبارك في هذا الدليل؟

سكتوا، فقال المعلم: هلم.. اذكر لنا الدليل الثالث.

قال الإمام[3]: الدليل الثالث هو ما ورد في انفراد بعض القراء أوبعض رواتهم بأنواع من الأداء لا يشاركهم أحد.. ولو أن هذا كان مرويا عن النبي ﷺ، لما زهد جميع القراء بهذا الأداء إلا فرداً واحداً من القراء.. ومن الأمثلة على ذلك انفراد أبي عمروالبصري بالإدغام الكبير. . ومنهم من خص به السوسي وحده[4].

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٨٢)

(٢) السبعة في القراءات (ص ١٣٨)

(٣) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٣١.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٦)

قال آخر: ومثله انفراد خلف عن حمزة بإشمام الصاد الزاي في ﴿الصراط﴾ في جميع القرآن[1].. ومنها انفراد ابن كثير بوصل هاء الكناية بالياء أوبالواو[2].. وانفراد ابن كثير وأبي جعفر بوصل ميم الجمع بواو، كمثل قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].. وانفراد ورش بمد حرف المد بعد الهمز نحو ﴿آمنوا﴾ و﴿الآخرة﴾

قال آخر: ومثلهم انفراد ورش بتغليظ اللامات، وقد قال ابن الجزري في ذلك: (وقد اختص المصريون بمذهب عن ورش في اللام، ولم يشاركهم فيها سواهم، ورووا من طريق الأزرق وغيره عن ورش تغليظ اللام) [3]

قال آخر: ومثلهم انفراد الأزرق عن ورش بترقيق الراءات، وقد قال ابن الجزري في ذلك: (فإن الأزرق له فيها مذهب خالف سائر القراء، وهوالترقيق) [4].. كما انفرد عن ورش بمد حرف المد بعد الهمز مثل ﴿آمنوا﴾ و﴿جاء آل فرعون﴾ [5]

قال آخر: ومثل ذلك ما روي عن ابن الجزري، فقد قال: (وقد انفرد أبو عبد الله بن شريح في الكافي بمد ما كان على حرفين في فواتح السور، فحكى عن رواية أهل المغرب عن ورش أنه كان يمد ذلك كله، واستثنى الراء من (الر، والمر) والطاء والهاء من (طه) قلت: وكأنهم نظروا إلى وجود الهمز مقدراً بحسب الأصل) [6]

قال آخر[7]: ومثل ذلك انفراد يعقوب بضم الهاء من ضمير التثنية والجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو: عليهم وإليهم ولديهم، وعليهما وإليهما وفيهما، وعليهن وإليهن وفيهن،

---

(١) النشر (١/ ٢٧٢)

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٠٥)

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ١١١)

(٤) النشر في القراءات العشر (٢/ ٩٣)

(٥) النشر في القراءات العشر (٢/ ٩٣)

(٦) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٤٥)

(٧) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٢)

وأبيهم وصياصيهم وبجنتيهم وترميهم وما نريهم وبين أيديهن وشبه ذلك. قرأ يعقوب جميع ذلك بضم الهاء.

قال آخر[1]: ومثل ذلك انفراد أبي عمروبكسر الميم والهاء في نحو﴿قلوبهم العجل، وبهم الأسباب، ويغنيهم الله، ويريهم الله، وعليهم القتال، ومن يومهم الذي﴾

انفراد أبي عمروبإسقاط الهمزة الأولى من كل همزتين في كلمتين. النشر في القراءات العشر (١/ ٣٨٢)

قال آخر: ومثل ذلك انفراد ورش بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها[2].. وانفراد حمزة بالسكت على الساكن قبل الهمز[3].. وانفراد أبي جعفر بالسكت على حروف الهجاء الواردة في فواتح السور[4].

قال آخر: ومثل ذلك انفراد حمزة بتسهيل الهمز في الوقف، وقد قال ابن الجزري في ذلك: (وقد اختص حمزة بذلك من حيث إن قراءته اشتملت على شدة التحقيق والترتيل والمد والسكت فناسب التسهيل في الوقف)[5]

الدليل الرابع:

قال المعلم: ما رأيكم أيها الجمع المبارك في هذا الدليل؟

سكتوا، فقال المعلم: هلم.. اذكر لنا الدليل الرابع.

قال الإمام[6]: الدليل الرابع هو كثرة الاختلاف والروايات والطرق والأوجه بلا حد ولا عد.. ذلك أنه من المعلوم أن القراء المشهورين عشرة، ولكل قارئ راويان، ولكل

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧٤)

(٢) النشر في القراءات العشر (١/٤٠٨)

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٠)

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٤)

(٥) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٣٠)

(٦) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٣٥.

راو طريقان، ولكل طريق طريقان أيضاً، فالمجموع ثمانون طريقاً.. ويستحيل أن يكون كل ذلك مرويا عن رسول الله ﷺ.

قال آخر: صدقت.. فعاصم بن أبي النجود ـ مثلا ـ راوياه حفص وشعبة.. وحفص راوياه عبيد بن الصباح وعمروبن الصباح.. وعبيد بن الصباح راوياه أبوالحسن الهاشمي وأبوطاهر.. والطرق المتشعبة عنها بالمئات، فقد جاء من طريق أبي الحسن الهاشمي من عشرة طرق، ومن طريق أبي طاهر من أربعة عشر طريقاً، وهكذا.

قال آخر: لقد ذكر ابن الجزري ذلك عندما فرغ من ذكر أسانيده التي تلقى بها القراءات في كتابه، فقال: (فهذا ما تيسر من أسانيدنا للقراءات العشر من الطرق المذكورة التي أشرنا إليها، وجملة ما تحرر عنهم من الطرق بالتقريب نحوألف طريق)[1].. مع العلم أنه لم يضمن النشر وطيبته كل القراءات والروايات والطرق الصحيحة، بل قد يكون ما ترك من بعض الطرق أمثل مما ذكر.

قال آخر: وقال في موضع آخر: (من نظر أسانيد كتب القراءات وأحاط بتراجم الرواة عرف قدر ما سبرنا ونقحنا واعتبرنا وصححنا، وهذا علم أهمل وباب أغلق، وهو السبب الأعظم في ترك كثير من القراءات والله تعالى يحفظ ما بقي)[2]

قال آخر: ومثله قال أبوحيان: (التيسير لأبي عمروالداني، والشاطبية لابن فيره لم يحويا جميع القراءات السبع، وإنما هي نزر يسير من القراءات السبع)[3].. وقال: (وتلخص من هذا كله اتساع روايات غير أهل بلادنا، وأن الذي تضمنه التيسير والتبصرة والكافي

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ١٩٢)

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ١٩٣)

(٣) منجد المقرئين (ص ١٠٣)

وغيرها من تأليف أهل بلادنا إنما هو قل من كثر ونزر من بحر، وبيان ذلك أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية ورش وقالون، وقد روى الناس عن نافع غير ورش وقالون، منهم إسماعيل بن جعفر المدني، وأبوخليد، وابن جماز، والأصمعي، والمسيبي، وغيرهم وفي هؤلاء من هوأعلم وأوثق من ورش وقالون، ثم روى أصحابنا رواية ورش عن أبي يعقوب، عن الأزرق، ولم يتسع لهم أن يضمنوا كتبهم رواية يونس بن عبد الأعلى، وداود بن أبي طيبة، وأبي الأزهر، قرؤوا على ورش، وفيهم من هوأعلى وأوثق من ورش، وهذا أنموذج مما روى أصحابنا في كتبهم، وكذا العمل في كل قارئ قرأ وكل راو روى من الأربعة عشر راوياً الذين ضمنهم أصحابنا كتبهم) [1]

قال آخر: ومثله قال الزركشي: (كان بمصر أبوعلي المالكي مؤلف الروضة، وكان قد قرأ بالعراق وأقرأ بمصر، وبعدهم التاج الكندي فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا، وكان أيضاً ابن ماموية بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر، وبمصر النظام الكوفي يقرئ بالعشر وبغيرها، كقراءة ابن محيصن والحسن، وكان بمكة أيضاً زاهر بن رستم وأبوبكر الزنجاني، وكانا قد أخذا عن أبي الكرم الشهرزوري كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، وأقرأه الزنجاني لبعض شيوخنا.. وكان عز الدين الفاروثي بدمشق يقرئ القرآن بروايات كثيرة، حتى قيل إنه أقرأ بقراءة أبي حنيفة.. والحاصل اتساع روايات غير بلادنا، وأن الذي تضمنه التيسير والتبصرة والكافي وغيرها من تآليفهم إنما هو قل من كثر ونزر من بحر.. وبيانه أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية ورش وقالون، وقد روى الناس عن نافع غيرهما، منهم إسماعيل بن أبي جعفر المدني وأبوخلف وابن حبان

---

(١) منجد المقرئين (ص ١٠٦)

والأصمعي والسبتي وغيرهم، ومن هؤلاء من هوأعلم وأوثق من ورش وقالون، وكذا العمل في كل راووقارئ)[1]

قال آخر: ومثله قال بعض المتأخرين: (تضخمت أوجه الأداء حسب قواعد الرواة وأصولهم إلى أعداد يصعب التأكد أنها رويت كلها مشافهة عن الأئمة، وأمثلتها كثيرة، إذ يكفي أن نطالع كتاب [غيث النفع] للشيخ النوري السفاقسي لنراه يسرد لنا مثلاً أن أوجه الأمداد والروم والإشمام في قوله تعالى: (فانصرنا على القوم الكافرين) يبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وتسعين وجهاً، وذكر أن لورش وحده خمسمائة وستين وجهاً) [2]

قال الإمام[3]: وكل ذلك يعود لكثرة الاختلاف عن القراء أو عن رواتهم؛ فلا يكاد يوجد نوع أداء عن قارئ أوراو إلا ويختلف عنه الآخذون عنه.. ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن الجزري في كتاب النشر في القراءات العشر، من كثرة هذا الاختلاف، وهو يدل على أن جميع صفات الأداء ليست منقولة عن النبي ﷺ، وإنما هي من اختلاف القراء أنفسهم ومن رووا عنهم.

قال آخر: صدقت.. ومن الأمثلة على ذلك قول ابن الجزري: (سكت حمزة على الساكن قبل الهمز وقال: واختلفت الطرق فيه عنه وعن أصحابه اختلافاً كثيراً) [4]

قال آخر: ومثله قال وقال ابن الجزري في قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ [الإسراء: ٢٦]: (كان ابن مجاهد وأصحابه وابن المنادي وكثير من البغداديين يأخذونه بالإظهار من أجل النقص وقلة الحروف.. وكان ابن شنبوذ وأصحابه وأبوبكر الداجوني ومن تبعهم

(١) البرهان (١/ ٣٢٥)

(٢) هو محمد المختار في تاريخ القراءات (ص ٢٤)

(٣) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٨١.

(٤) النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٠)

يأخذونه بالإدغام للتقارب وقوة الكسر)[1]

قال الإمام[2]: ويدل لهذا، ويؤكده ظهور ما يسمى بعلم التحريرات، وهوالذي فتح أنواعاً لا تنتهي من الاختلافات بين القراء وأتباعهم في الأداء، واعتراض بعض القراء على ذلك، مما يدل على أن الاختلاف بين القراء في الأداء مصدره الاجتهاد والاختيار، وليس الإسناد.

قال آخر[3]: صدقت.. فهذا العلم لم يظهر إلا في أواخر القرن الحادي عشر الهجري.. وهو حادث متأخر، حيث ظهر ما نعرفه اليوم [التحريرات] على طيبة النشر، والتي صنفت فيها التصانيف الكثيرة، مما أدى إلى عزوف الكثير من طلبة العلم عن القراءة من طريق طيبة النشر على الشيوخ، لكثرة مسائل التحريرات، وتباينها من شيخ إلى آخر، ومن كتاب إلى آخر.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم، وهو الشيخ الأزميري فيما لاحظه من كتاب النشر لابن الجزري: (هذا بيان ما طغى به القلم وما أهمله في كتابه المسمى بالنشر وما أجمله.. فإن الإمام ابن الجزري ذكر في نشره عدة من كتب القراءات، ثم عزا في بعض المواضع منه بعض الأوجه إلى بعض تلك الكتب، وأمسك عن ذكر بعضها، فلبس بإبهامه على الناظر فيه، فلم يدر ما الذي من ذلك في المسكوت عنه منها.. وذكر أيضاً في النشر أشياء ونسبها إلى بعض تلك الكتب بخلاف ما فيه.. فتجشمت تحرير ذلك)[4]

قال آخر[5]: لقد تتبعت تلك التحريرات، فوجدتها على قسمين: أولها متعلق

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٨٨)

(٢) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٨٨.

(٣) التحريرات على طيبة النشر بين الرواية والاجتهاد (ص ١٣)

(٤) التحريرات على طيبة النشر بين الرواية والاجتهاد (ص ٨٩)

(٥) التحريرات على طيبة النشر بين الرواية والاجتهاد (ص ٨٩)

بالرواية وتنقيح الروايات في كتب ابن الجزري من أي تركيب أو تداخل في الطرق.. والثاني، يمثل الجانب الذي خرجت فيه التحريرات عن مسارها السابق، وخضعت فيه مرويات ابن الجزري، ونصوصه وأحكامه على الروايات للاجتهاد وأفهام عقول المحررين، في خطوة جريئة ونقلة نوعية قامت عليها التحريرات، وفتحت باباً عظيماً لن يوصد، ماجت فيه الآراء واضطربت فيه الأقوال، وكثرت فيه التساؤلات حتى يومنا هذا)

الدليل الخامس:

قال المعلم: ما رأيكم أيها الجمع المبارك في هذا الدليل؟

سكتوا، فقال المعلم: هلم.. اذكر لنا الدليل الخامس.

قال الإمام[1]: الدليل الخامس أن منشأ الاختلاف في القراءات القرآنية الإذن العام بأن يقرأ كل إنسان بلهجته، والاختلاف في الأداء كذلك.. ذلك أنه من المعلوم أن في القراءات القرآنية كلمات كثيرة مخالفة للهجة قريش التي نزل بها القرآن، ومنشأ هذه الكلمات المختلفة هوالإذن العام بأن يقرأ كل إنسان بلهجته وما اعتاد عليه، فهي رخصة من الله لهم تسهيلاً وتهويناً، وذلك أن النبي ﷺ طلب من ربه أن يأذن أن يقرأ الناس بلهجاتهم ولغاتهم، فكان يقول: (اللهم هون على أمتي)، ويقول: (إن أمتي لا تطيق ذلك) أي: القراءة على حرف واحد وطريقة واحدة مع اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم، فاستجاب الله لنبيه ﷺ، فحكم وأراد أن اللفظ الذي ينزل على محمد لا يقرأ بطريقة واحدة، بل يقرؤه الناس كل حسب لهجته وقدرته، لا يكلف الناس أن يقرؤوا كلهم بلفظ واحد، بل لا يمكنهم ذلك، وهذا يدل على أن الاختلاف في الأداء بين القراء إنما هوناشئ أيضاً عن

---

(١) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٤٥.

اختلاف أولئك الذين أذن لهم أن يقرأ كل منهم حسب طريقته ولهجته.

قال آخر: أجل.. وقد قرأت في ذلك كلاما لابن قتيبة يقول فيه: (إن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرؤوا بلغاتهم، وجروا على عادتهم، وخلوا أنفسهم وسوم طبائعهم، فكان ذلك جائزاً لهم)(١)

قال آخر: ومثله قال الطحاوي: (السبعة الأحرف هي مما لا يختلف معانيه وإن اختلفت الألفاظ التي يتلفظ بها، وأن ذلك كان توسعة من الله عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه، وإن كان الذي نزل على النبي إنما نزل بألفاظ واحدة)(٢)

قال آخر: ومثلهما قال أبو شامة: (قال بعض الشيوخ: الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم)(٣)

قال آخر: ومثلهم قال ابن تيمية: (السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف مرجعه إلى النقل واللغة العربية، لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله)(٤)

الدليل السادس:

قال المعلم: ما رأيكم أيها الجمع المبارك في هذا الدليل؟

سكتوا، فقال المعلم: هلم.. اذكر لنا الدليل السادس.

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٩٧)

(٢) شرح مشكل الآثار (٨/ ١٢٤)

(٣) المرشد الوجيز (ص ٩٥)

(٤) الفتاوى (١٣/ ٣٩٩)

قال الإمام[1]: الدليل السادس كراهية بعض الأئمة والعلماء لأنواع من الأداء عند بعض القراء، ولو كان ذلك مرويا عن رسول الله ﷺ ما جاز لهم ذلك.

قال آخر: صدقت.. ومن الأمثلة على ذلك إنكار بعض العلماء والأئمة على حمزة طريقته في الأداء، وكذلك الكسائي.. وقد قال بعضهم في ذلك: (ولقد عومل حمزة مع جلالته بالإنكار عليه في قراءته من جماعة من الكبار) [2]

قال آخر: ومثله قال الشيخ أبومحمد عبد الله بن أحمد الخشاب: (وقد كره بعض الأئمة ممن لا يختلف في ورعه وعلمه قراءة حمزة بن حبيب لإفراط مده، وكأنه رأى أن تكلف ذلك شاق بعض المشقة، والقرآن قد يسره منزله سبحانه) [3]

قال آخر: ومثله قال ابن النجار: (ولهذا كره الإمام أحمد وجماعة من السلف قراءة حمزة لما فيها من طول المد والكسر والإدغام ونحو ذلك، لأن الأمة إذا أجمعت على فعل شيء لم يكره فعله، وهل يظن عاقل أن الصفة التي فعلها النبي ﷺ وتواترت إلينا يكرهها أحد من المسلمين)[4]

قال الإمام: ومثل ذلك كره الإمام أحمد الإدغام الكبير لأبي عمرو[5].. وهكذا وقف نفس الموقف قوم من العلماء، كما عبر عن ذلك السخاوي بقوله: (وقد كره إدغام أبي عمروقوم وعابوه، وقالوا: إن ذلك تغيير لحروف القرآن، ويؤدي إلى زوال معاني كلماته، وأنه لا أصل له ولا أثر يؤيده، إنما هوشيء تفرد به أبوعمرو) [6]

قال آخر: ومثل ذلك قال ابن العربي: (ما كنت لأمد مد حمزة، ولا أقف على الساكن

---

(1) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص71.

(2) السير (10/ 170)

(3) جمال القراء (ص 514)

(4) شرح الكوكب المنير (2/ 131)

(5) الفروع (1/ 422)

(6) جمال القراء (ص 476)

وقفته، ولا أقرأ بالإدغام الكبير لأبي عمروولوروواه في تسعين ألف قراءة، فكيف في رواية بحرف من سبعة أحرف؟ ولا أمد ميم ابن كثير، ولا أضم هاء ﴿عليهم﴾ و﴿إليهم﴾ وذلك أخف، وهذه كلها أوأكثرها عندي لغات لا قراءات، لأنها لم يثبت منها عن النبي ﷺ شيء، وإذا تأملتها رأيتها اختيارات مبنية على معان ولغات) (١)

قال الإمام(٢): ومما يؤكد هذا ما ورد من النصوص والروايات من كلام القراء وغيرهم، والتي تدل دلالة واضحة على عدم وجود قواعد محددة للمدود أو غيرها من أنواع الأداء، لأنه لا تتوفر الدواعي إلى نقل جميع صفات الحروف ومخارجها في الكلام، ولا يمكن ذلك، إذ هي صفات للفظ لا يضبطها السماع عادة، وتقبل الزيادة والنقصان، وتختلف اللهجات في النطق بها، بخلاف نقل جوهر الحرف وأصله، ومما يؤكد ذلك أن أهل التجويد قد اختلفوا في صفات الحروف ومخارجها اختلافاً ظاهراً.

قال آخر: صدقت.. ومن الأمثلة على ذلك قول مكي بن أبي طالب: (فصل في أن المد لا يحصر وأن تقديره بالألفات للتقريب على المبتدئين.. والتقدير عندنا للمد بالألفات إنما هوتقريب على المبتدئين وليس على الحقيقة لأن المد إنما هوفتح الفم بخروج النفس مع امتداد الصوت، وذلك قدر لا يعلمه إلا الله، ولا يدري قدر الزمان الذي كان فيه المد للحرف ولا قدر النفس الذي يخرج مع امتداد الصوت في حيز المد إلا الله تعالى، فمن ادعى قدراً للمد حقيقة فهو مدعي علم الغيب، وقد وقع في كتب القراء التقدير بالألف والألفين والثلاثة على التقريب للمتعلمين.. ولم يقل أحد من القراء والنحويين: إن المد يحصر في قدر ألف وقدر ألفين وأنه لا يكون أكثر ولا أقل هذا لم يقله أحد.. ألا ترى أن أبا إسحاق

---

(١) العواصم (ص ٦٠٢)

(٢) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص٩٨.

الزجاج قال: لومددت صوتك يوماً وليلة لم يكن إلا ألفاً واحدة) [1]

قال آخر: ومما يدل على كون مقادير المدود اجتهاد من الأئمة القراء ومشايخهم، وأما السابقون فلم يرد عنهم شيء من ذلك قول ابن الجزري بعد أن ذكر مراتب المد عند القراء: (فهذا ما حضرني من نصوصهم، ولا يخفى ما فيها من الاختلاف الشديد في تفاوت المراتب، وأنه ما من مرتبة ذكرت لشخص من القراء إلا وذكر له ما يليها، وكل ذلك يدل على شدة قرب كل مرتبة مما يليها، وإن مثل هذا التفاوت لا يكاد ينضبط، والمنضبط من ذلك غالباً هوالقصر المحض، والمد المشبع من غير إفراط عرفاً، والتوسط بين ذلك)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قوله عندما ذكر اختلافهم في مراتب المد، حيث نقل عن أبي عمروالداني قوله: (وهذا كله جار على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف وتخليص السواكن وتحقيق القراءة وحدرها، وليس لواحد منهم مذهب يسرف فيه على غيره إسرافاً يخرج عن المتعارف في اللغة والمتعالم في القراءة)[3]

قال آخر: ومثل ذلك قول أبي عمروالداني: (وأطولهم مداً ورش وحمزة، ودونهما عاصم، ودونه ابن عامر والكسائي، ودونهما أبوعمرومن طريق أهل العراق، وقالون من طريق أبي نشيط بخلاف عنه، وهذا كله على التقريب من غير إفراط، وإنما هوعلى مقدار مذاهبهم في التحقيق والحدر، وبالله التوفيق) [4]

قال آخر: ومثل ذلك أن ابن مجاهد سئل عن وقف حمزة على الساكن قبل الهمزة، والإفراط في المد فقال: (كان يأخذ بذلك المتعلم، ومراده أن يصل المتعلم إلى ما نحن عليه

---

(١) تمكين المد (ص ٣٦)

(٢) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٣٣)

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٢٧)

(٤) التيسير (ص ٣٠)

من إعطاء الحروف حقها)[1]

قال آخر[2]: ومثله قال الداني: (وعلماؤنا مختلفون في أي هذه الأوجه أوجه وأولى، وأختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين، لأن الغرض من الإمالة حاصل بها، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء، أوالتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أومشاكلتها للكسر المجاور لها أوالياء)[3].. وهذا يدل على أن الإمالة اختيار لغرض معين، وأن الغرض منها الإعلام بأن أصل الألف الياء أوالتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أومشاكلتها للكسر المجاور لها أوالياء.

قال آخر: ومثله قال ابن الجزري: (لم يتواتر عن النبي ﷺ أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً، ولا بعشرين، ولا بنحوذلك، وإنما إن صح شيء منها فوجه، والباقي لاشك أنه من قبيل الأداء)[4]

قال آخر: ومثله قال الزركشي: (والحق: أن المد والإمالة لا شك في تواتر المشترك منها وهوالمد من حيث هومد، والإمالة من حيث هي إمالة، ولكن اختلفت القراء في تقدير المد في اختياراتهم، فمنهم من رآه طويلا، ومنهم من رآه قصيرا، ومنهم من بالغ في القصر، ومنهم من تزايد كحمزة وورش بمقدار ست ألفات، وقيل خمس، وقيل: أربع، وعن عاصم: ثلاث، وعن الكسائي: ألفين ونصف، وقالون: ألفين، والسوسي: ألف ونصف.. فعلم بهذا أن أصل المد متواتر، والاختلاف والطرق إنما هوفي كيفية التلفظ)[5].. وقال: (وأما الألفاظ المختلفة فيها بين القراء فهي ألفاظ قراءة واحدة، والمراد تنوع القراء في أدائها،

---

(١) جمال القراء للسخاوي (ص ٥١٦)

(٢) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص١٠١.

(٣) النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠)

(٤) منجد المقرئين (ص ١٩٦)

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٢١٣)

فإن منهم من يرى المبالغة في تشديد الحرف المشدد، فكأنه زاد حرفاً، ومنهم من لا يرى ذلك، ومنهم من يرى الحالة الوسطى) [(١)]

قال آخر: ومثله قال ابن خلدون: (وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها، وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لأنها عندهم كيفيات للأداء، وهوغير منضبط، وليس كذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن، وأباه الأكثر وقالوا بتواترها، وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها كالمد والتسهيل، لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع وهوالصحيح) [(٢)]

قال آخر: ومثله قال ابن قتيبة: (فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم: فالهذلي يقرأ ﴿عتى حين﴾ يريد حتى حين، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها.. والأسدي يقرأ ﴿تعلمون﴾ و﴿تعلم﴾ و﴿تسود وجوه﴾ و﴿ألم أعهد إليكم﴾.. والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز.. والآخر يقرأ ﴿وإذا قيل لهم﴾ و﴿غيض الماء﴾ بإشمام الضم مع الكسر، و﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ بإشمام الكسر مع الضم و﴿ما لك لا تأمنا﴾ بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يطوع به كل لسان.. ولوأن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات) [(٣)]

الدليل السابع:

قال المعلم: ما رأيكم أيها الجمع المبارك في هذا الدليل؟

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٢١٤)

(٢) المقدمة (ص ٥٥٢)

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص ٩٤)

سكتوا، فقال المعلم: هلم.. اذكر لنا الدليل السابع.

قال الإمام[1]: الدليل السابع هو ما ورد عن بعض السلف من السرعة في قراءة القرآن الكريم، فمع أن ذلك ليس ديدنهم وعادتهم، لكنه يدل على أن أداء التلاوة اجتهاد مبني على السعة والتسهيل.. لأنه لا يمكن تطبيق ما ورد من أحكام الأداء بحسب ما روي عنهم من السرعة.

قال آخر: صدقت.. فقد قال طلحة بن مصرف: (سألت إبراهيم عن سرعة القرآن فقال: إن عامة قراءتنا السرعة) [2].. وقال الوليد بن جميع: (صليت خلف إبراهيم فكان يقرأ في الصبح يس وأشباهها، وكان سريع القراءة) [3]

قال آخر: ومثله قال السخاوي: (واعلم بأن القرآن العزيز يُقرأ للتعلم فالواجب التقليل والتكرير، ويقرأ للتدبر فالواجب الترتيل والتوقف، ويقرأ لتحصيل الأجر بكثرة القراءة فله أن يقرأ ما استطاع ولا يؤنب إذا أراد الإسراع.. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خفف الله على داود القراءة، فكان يأمر بدابته تسرج فيقرأ كتابه من قبل أن تسرج دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه) [4]

قال آخر: ومثله ما ورد في الأخبار عن الذين ختموا القرآن الكريم في ركعة، قال النووي: (وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم) [5].. وذكر أن كثيرين من السلف كانوا يختمون في كل ثلاث، وعن بعضهم في كل ليلتين، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين، ومنهم من كان يختم

---

(١) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص١٠٢.

(٢) المصنف (٧/١٨٦)

(٣) ابن الضريس في فضائل القرآن (ص ٤٠)

(٤) جمال القراء (ص ٥٣١)، والحديث رواه البخاري (٣٢٣٥)

(٥) الأذكار (ص ١٨٢)

ثلاثاً[1].

قال آخر: ومنهم من حدث عنه الربيع بن سليمان بقوله: (كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة، فإذا كان شهر رمضان ختم في كل ليلة منه ختمة وفي كل يوم ختمة، فكان يختم في شهر رمضان ستين ختمة) [2]

قال آخر: بورك فيكم.. إن هذا الذي ذكرتموه هو الذي يشجع حفظة القرآن الكريم على حفظه ومراجعته والصلاة به بكل سهولة ويسر بعيدا عن تلك المدود الطويلة والغنات الكثيرة التي تجعل من الصعب عليهم أن يحققوا ذلك.

قال آخر[3]: أجل.. فمن بركات ذلك أن المصلي قد يستثقل أن يصلي ركعتين ببضع آيات، فإذا جرب أن يقتدي بأولئك خف عليه ما كان يستثقله، فقد يصلي ركعتين بسورة طه أو الأنبياء أوالنور أوالحج أوغيرها دون استثقال ومن غير ملل مع حضور القلب والتدبر، وهذا يدل على أن تقييد القراءة بالقوانين الدقيقة في النطق والأداء من أعظم ما يعوق المسلم عن هذا الأمر العظيم، وهوالتدبر الذي ما أنزل القرآن إلا لأجله ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

قال آخر: أجل.. فالتدبر ليس مرتبطا بتلك الأحكام، ولا بسرعة القراءة.. بل قد يحجب المتدبر عن تدبر إن صارت له وسوسة بمراعاة الأحكام، كما نراه في واقعنا للأسف.

نتيجة الأدلة:

قال المعلم: بناء على ما ذكرتم أريد من الذين يقرؤون برواية ورش أو غيره أن

(١) التبيان (ص ٧٠)

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٦٣)

(٣) اختلاف القراء في صفات أداء التلاوة، ص١٠٩.

يخبروني عن الفضل الخاص بها.. وهل ورد في الأحاديث ما يدل على فضلها.

قال أحدهم: كل ما ورد في فضل قراءة القرآن الكريم ينطبق عليها.. ذلك أنها من قراءاته.

قال المعلم: فلماذا تجنحون إلى الأصعب، وقد وجد الأيسر، ألم تسمعوا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]

قال أحدهم: هي قراءة وجدنا عليها آباءنا وأجدادنا.. فلذلك نلتزمها.

قال المعلم: أخبرني أيهما أكثر جهدا في تعليم أبنائه القرآن الكريم ذاك الذي يعلمهم وفق رواية حفص، أم ذاك الذي يعلمهم وفق رواية ورش؟

قال أحدهم: لاشك أن الذي يعلمهم برواية حفص أسهل.. وبكثير.. ذلك أن أحكامها قليلة، وأداءها يسير.

قال المعلم: فلم العدول عنها إذن؟.. أليس العاقل هو الذي يبحث عن الأسهل والأيسر، ما دام لا يوجد أجر إضافي خاص بالأصعب والأعسر؟

قال أحدهم: ولكنا وجدنا آباءنا على ذلك.

قال المعلم: فهل من الحكمة أن تنقلوا العنت الذي أصابكم جراء ما تعلتموه من آبائكم إلى أبنائكم، أم أنها تقتضي أن تجنبوهم ما أصابكم؟

سكتوا، فقال المعلم: أخبروني.. هل يصعب من تعلم برواية ورش أن ينتقل إلى رواية حفص؟

قال أحدهم: لا.. بالعكس.. هو يسير جدا.. فيكفي أن يتخلص القارئ من العسر الموجود في رواية ورش ليجد نفسه في رواية حفص.. مع إتقان كلمات محدودة وقع الخلاف

فيها بين الروايتين.

٢ ـ القراءات والوحدة:

قال المعلم: لا بأس.. ليس عليكم الآن أن تجيبوني؛ فالأدلة لم تكتمل بعد، ونحن بحاجة بعد أن اكتشفنا جميعا أيسر القراءات وأسهلها أن نبحث في أكثرها انتشارا حتى ينتقل الأقل إلى الأكثر.. تحقيقا لوحدة المسلمين، وجمعا لشملهم.

قال أحدهم: وهذا الشرط أيضا ينطبق على رواية حفص؛ فقد كانت ولا تزال القراءة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الاول حتى عصرنا الحاضر، وذلك لكونها قراءة عامة المسلمين، حيث كان حفص وشيخه عاصم حريصين على الالتزام بما وافق قراءة العامة والرواية الصحيحة المتواترة بين المسلمين.

قال آخر: وفي عصر المتأخرين زاد انتشار قراءة حفص واشتهارها؛ بسبب طباعة المصاحف برسم قراءته؛ فلا تكاد تجد أرضًا إلا وغالب المصاحف المطبوعة فيها برواية حفص عن عاصم، اللهم إلا النزر اليسير من بلاد المغرب وإفريقيا؛ ومع هذا فقد بدأ الانتشار الواسع لمطبوعات المصاحف الجديدة يدبُّ إليها.

قال آخر: بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام التي يستعملها المتأخرون، تبث القرآن الكريم في معظمها برواية حفص، وقد كان أول تسجيل صوتي للقرآن الكريم في العالم الإسلامي بصوت الشيخ محمود خليل الحصري برواية حفص.

قال آخر: بالإضافة إلى أن تدريس القرآن الكريم في معظم المدارس والمعاهد والجامعات والكتاتيب في أغلب الأقطار الإسلامية؛ حتى في معاهد القراءات برواية حفص؛ تلاوة وحفظًا وتجويدًا، ثم يُبنى عليها بقية القراءات لمن رغب في ذلك.

قال آخر[1]: وليس ذلك فقط في عصور المتأخرين.. فقد اعتمدها المسلمون فى عامة أدوارهم، نظرا الى هذا التوافق والوئام، وكانت نسبتها الى حفص نسبة رمزية، تعيينا لهذه القراءة، فمعنى اختيار قراءة حفص: اختيار قراءة اختارها حفص، لأنها قراءة متواترة بين المسلمين منذ الاول.

قال آخر: وهكذا فى جميع أدوار التاريخ كانت قراءة عاصم هى القراءة المفضلة التى راجت بين عامة المسلمين وخاصتهم،.. فهذا القاسم بن أحمد الخياط الحاذق الثقة كان إماما فى قراءة عاصم، ومن ثم كان اجماع الناس على تفضيله فى قراءته[2].. وكان فى حلقة ابن مجاهد ـ مقرئ بغداد على رأس المائة الرابعة ـ خمسة عشر رجلا متخصصا بقراءة عاصم، فكان الشيخ يقرئهم بهذه القراءة فقط، دون غيرها من قراءات[3].. وكان نفطويه إبراهيم بن محمد إذا جلس للإقراء ـ وكان قد جلس أكثر من خمسين عاما ـ يبتدئ بشي ء من القرآن المجيد على قراءة عاصم فحسب، ثم يقرئ بغيرها[4].

قال آخر: وهكذا اختار الإمام أحمد بن حنبل قراءة عاصم على قراءة غيره، لأن أهل الكوفة ـ وهم أهل علم وفضيلة ـ اختاروا قراءته[5].. وقد قال احمد بن حنبل في ذلك: كان عاصم ثقة، وأنا اختار قراءته[6].

قال آخر: ومثله قال شمس الدين الذهبى: وأعلى ما يقع لنا القرآن العظيم، فهو من جهة عاصم[7].. ثم ذكر اسناده متصلا الى حفص عن عاصم عن أبى عبد الرحمن السلمى

---

(١) التمهيد: ٢/ ٢٤٥.

(٢) الطبقات لابن الجزرى: ٢/ ١٧.

(٣) معرفة القراء الكبار للذهبى: ١/ ٢١٧.

(٤) لسان الميزان لابن حجر: ١/ ١٠٩.

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٥/ ٣٩.

(٦) ميزان الاعتدال للذهبى: ٢/ ٣٥٨.

(٧) معرفة القراء الكبار: ١/ ٧٧.

عن على وعن زر عن عبد اللهّ، كلاهما عن النبى ﷺ.

قال آخر: ومثله قال ابوعمروالدانى: حفص هوالذى أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فاقرأ بها[١].. وقال ابن المنادى: كان الأولون يعدون حفصا فى الحفظ فوق ابن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التى قرأها على عاصم[٢].. وقال الشاطبى: وحفص وبالاتقان كان مفضلا[٣].

قال آخر: وهكذا اتفق أهل النقد والتمحيص على أن رواية حفص عن عاصم هى الرواية الصحيحة الثابتة، وقد قال ابن معين: الرواية الصحيحة التى رويت من قراءة عاصم هى رواية حفص بن سليمان[٤].

قال آخر: والأجمل من ذلك كله هو كونها القراءة التي تتوافق مع المتفق عليه لدى عامة المسلمين، لأنه كان في قراءته يختار ما اتفق عليه المسلمون، ويبتعد عن كل ما شذ عنها، بناء على ما ورد في ذلك من الروايات.. وقد حدث محمد بن سيرين (ت ١١٠) عن عبيدة السلماني (ت ٧٣) قال: (القراءة التى عرضت على النبى ﷺ فى العام الذى قبض فيه، هى القراءة التى يقرؤها الناس اليوم)[٥].. روي عن الامام الصادق أنه قال: (القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة)[٦]

قال آخر: ولهذا كان القراء الكبار المشهورين يجعلون المقياس في صحة القراءة ما قرأ به العامة، وقد قال خلاد بن يزيد الباهلي (ت ٢٢٠): قلت ليحيى بن عبد اللهّ بن أبي مليكة (ت ١٧٣): إن نافعا حدثنى عن أبيك عن عائشة، أنها كانت تقرأ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ [النور: ١٥]﴾

---

(١) الطبقات لابن الجزرى: ١/ ٢٥٤.

(٢) النشر فى القراءات العشر: ١/١٥٦.

(٣) شرح الشاطبية (سراج القارى)، ١٤.

(٤) النشر فى القراءات العشر: ١/ ١٥٦.

(٥) الاتقان: ١/ ٥٠.

(٦) الكافي: ٢/ ٦٣١.

بكسر اللام وضم القاف، لا بفتح اللام و القاف المشددة، وتقول: إنها من (ولق الكذب)، فقال يحي: ما يضرك أن لا تكون سمعته عن عائشة، وما يسرنى أنى قرأتها هكذا، ولي كذا وكذا.. قلت: ولم؟ وأنت تزعم أنها قد قرأت، قال: لأنه غير قراءة الناس.. ونحن لووجدنا رجلا يقرأ بها ليس بين اللوحين ما كان بيننا وبينه إلا التوبة.. نجيء به نحن عن الأمة عن النبى ﷺ عن جبرئيل عن اللهّ عز وجل، وتقولون أنتم: حدثنا فلان الأعرج عن فلان الأعمى أن ابن مسعود يقرأ ما بين اللوحين، ما أدرى ماذا؟)[1].. انظروا إلى هذا الوصف الجميل عن تواتر النص وأصالته: يرويه أمة عن أمة عن رسول اللهّ ﷺ لا فلان عن فلان.. وانظروا إليه كيف يجعل المعيار لمعرفة القراءة الصحيحة هى (قراءة الناس)، ويجعل غيرها شاذة لا تجوز قراءتها.

قال آخر: ومثل ذلك قال هارون بن موسى الأزدى صاحب القراءات (ت ٢٠٠): (ذكرت ذلك لأبي عمروبن العلاء (ت ١٥٤) القراءة المعزوة إلى عائشة، فقال: قد سمعت هذا قبل أن تولد ـ خطابا إلى هارون ـ ولكنا لا نأخذ به).. وفى رواية أخرى قال أبو عمرو: (إنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة)[2].. انظروا كيف جعل من (رواية العامة) مقياسا لمعرفة القراءة الصحيحة الجائزة، وأما غيرها فمردود وغير جائز الاخذ اطلاقا.

قال آخر: ومثلهم قال محمد بن صالح (ت ١٦٨): سمعت رجلا يقول لأبي عمرو بن العلاء: كيف تقرأ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦]؟ فقال: ﴿ لَا يُعَذِّبُ ﴾ بالكسر، فقال له الرجل: كيف؟ وقد جاء عن النبى ﷺ ﴿لَا يُعَذَّبُ﴾

(١) المرشد الوجيز/ ١٨٠.

(٢) المرشد الوجيز/ ١٨١.

بالفتح، فقال له أبوعمرو: (لوسمعت الرجل الذى قال: سمعت النبى ﷺ ما أخذت عنه، أو تدرى ما ذاك؟.. لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة) [١].. انظروا كيف جعل (ما جاءت به العامة) معيارا لمعرفة القراءة الصحيحة عن الشاذة.

قال آخر: ومثلهم قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦): (كل ما كان من القراءات موافقا لمصحفنا، غير خارج من رسم كتابه، جاز لنا ان نقرأ به، وليس لنا ذلك فيما خالفه، لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرؤوا بلغاتهم، وجروا على عادتهم، وخلوا أنفسهم وسوم طبائعهم، فكان ذلك جائزا لهم، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل، فأما نحن ـ معشر المتكلفين ـ فقد جمعنا اللهّ بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض، وليس لنا أن نعدوه.. ولوجاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت فى مصحفنا، لجاز لنا أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وهناك يقع ما كرهه لنا الائمة الموفقون) [٢].. انظروا إلى هذا العالم المحقق، كيف يجعل من (مصحفنا معشر المسلمين) مقياسا لمعرفة القراءة الصحيحة، وينبه على أن اختيار السلف (هوآخر العرض) الذى لا يمكن تغييره بتاتا: (وليس لنا أن نعدوه)

قال آخر: ولهذا قال الحجة البلاغى: (ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامة المسلمين جيلا بعد جيل، استمرت مادته وصورته وقراءته المتداولة، على نحوواحد، فلم يؤثر شيئا على مادته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف فى قراءته من القراء السبعة المعروفين وغيرهم؛ فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعا له ولوفى بعض النسخ، ولم يسيطر عليه أيضا ما روى من كثرة القراءات المخالفة له مما انتشرت روايته فى

---

(١) مناهل العرفان: ١/ ٤٥٢ نقلا عن منجد المقرئين لابن الجزرى.

(٢) تأويل مشكل القرآن/ ٤٢.

الكتب كجامع البخارى ومستدرك الحاكم.. وإن القراءات السبع فضلا عن العشر إنما هى فى صورة بعض الكلمات، لا بزيادة كلمة أونقصها، ومع ذلك ما هى إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئنانا ولا وثوقا، فضلا عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين فى السنين المتطاولة.. إذن فلا يحسن أن يعدل فى القراءة عما هوالمتداول فى الرسم، والمعمول عليه بين عامة المسلمين فى أجيالهم، إلى خصوصيات هذه القراءات، مضافا إلى أنا قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس، أى نوع المسلمين وعامتهم) [1]

٣ ـ القراءات والتواتر:

قال المعلم: بورك فيكم.. والآن ننتقل إلى شرط التواتر.. فهل رواية حفص عن عاصم رواية شاذة، أم أنها متواترة؟

قال أحدهم: لقد قمت ببحث مفصل في هذا؛ فوجدت صدق ما ذكره بعض العلماء المتخصصين حين قال: (عرفت أنّ العقيدة الصحيحة الثابتة من محققي علمي الأصول والقراءات، سواء من أهل السنة أوالإمامية، أن القراءات غير متواترة لا عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة الأولين، سوى قراءة واحدة، وهي قراءة حفص المتوافقة مع قراءة جمهور المسلمين التي توارثوها يدًا عن يد، وكابرًا عن كابر) [2]

قام أحد المخالفين، وقال: ويلك.. كيف تزعم هذا، ألا تعرف أن القول بعدم تواتر القراءت الأخرى يعني عدم تواتر القرآن نفسه.. وهو الكفر بعينه؟

قال آخر: ألم تسمع ما قاله تاج الدين عبد الوهاب السبكي في فتاواه: (القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاثة التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة

---

(١) آلاء الرحمن: ١/ ٣٠.

(٢) التمهيد في علوم القرآن،ج٢ ص٥١.

خلف، متواترة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل، وليس تواتر شيء منها مقصورا على من قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ولوكان مع ذلك عاميا جلفا لا يحفظ من القرآن حرفا)، ثم قال: (ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا تسعه هذه الورقة، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين لله تعالى وتجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين، لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه).. ثم ختم مقاله عن هذا بقوله: (والحاصل: أن السبع متواترة اتفاقا، وكذا الثلاثة: أبوجعفر ويعقوب وخلف، على الأصح، بل الصحيح المختار وهوالذي تلقيناه عن عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم، وبه نأخذ: أن الأربعة بعدها: ابن محيصن واليزيدي والحسن والأعمش، شاذة اتفاقا) (١)

قال آخر: ومثله قال النووي: (قال أصحابنا وغيرهم: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بكل واحدة من القراءات السبع، ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة، لأنها ليست قرآنا ؛ فإن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وكل واحدة من السبع متواترة، وهذا هوالصواب الذي لا يعدل عنه، ومن قال غيره فغالط أوجاهل) (٢)

قال آخر: ومثله قال ابن النجار الفتوحي: (والقراءات السبع متواترةٌ عند الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة من علماء السنة) (٣)

قال آخر: ومثله قال الزرقاني: (والتحقيق الذي يؤيده الدليل هوأن القراءات العشر كلها متواترة، وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراء كابن السبكي وابن الجزري

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص ٩)

(٢) المجموع (٣/ ٣٩٢)

(٣) شرح الكوكب المنير (٢/ ١٢٧)

والنويري)[1]

قال آخر: أما كون أسانيد أئمة القراءات المذكورة في كتبهم معروفة محصورة، وهي أسانيد آحاد ؛ فقد أجاب عن هذا شرف الدين الدمياطي بقوله: (إن انحصار الأسانيد المذكورة في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، وإنما نسبت القراءات إليهم لتصديهم لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها، ومع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها عدد التواتر)[2]

قال آخر: ومثله قال ابن النجار الفتوحي: (انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم؛ فقد كان يتلقى القراءة من كل بلد بقراءة إمامهم الذي من الصحابة أومن غيرهم: الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائما، فالتواتر حاصلٌ لهم، ولكن الأئمة الذين قصدوا ضبط الحروف وحفظوا شيوخهم فيها جاء السند من قبلهم، وهذا كالأخبار الواردة في حجة الوداع هي آحادٌ، ولم تزل حجة الوداع منقولة عمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر، فينبغي أن يتفطن لذلك، ولا يغتر بقول من قال: إن أسانيد القراء تشهد بأنها آحادٌ)[3]

قال آخر: أما الشبهة التي يثيرها بعضهم من أن تواتر القراءات لم يظهر قبل ابن مجاهد الذي سبع السبعة؛ فالجواب عنه: أن التواتر معناه إفادة العلم اليقيني المقطوع به دون الظني، وقد حصل العلم اليقيني بصحة القراءات السبع، ونقلها على صفة التواتر الذي يفيد العلم اليقيني بمضمونها ؛ وهذا هوالمطلوب، بغض النظر عما إذا كان الاسم معروفا

---

(1) مناهل العرفان (١ / ٤٤١)

(2) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص ٩)

(3) شرح الكوكب المنير (٢ / ١٢٧ ـ ١٢٨)

في هذا الزمان، أولم يكن معروفا ؛ فهذه مسألة فنية اصطلاحية، تتعلق بالتصنيف في العلوم ومدارستها، فما زالت العرب تنطق المبتدأ مرفوعا، والمفعول به منصوبا، والمضاف إليه مجرورا، وهكذا ؛ ولوبعث أهل الجاهلية الآن ما عرف واحد منهم: ما المبتدأ، وما الخبر، بل ما عرف منهم أحد ما علم النحوالذي يتحدث عنه، وبه، الناس.. وهكذا في علم الحديث، وعلم أصول الفقه، وغيرها من العلوم ؛ فتأخر ظهور المصطلح الخاص بعلم معين، لا يعني أن مضمونه لم يكن معروفا من قبل عند أهل هذا الشأن، وأما أن مضمونه لم يكن معروفا عند غير أهل الفن، أولم يكن شائعا بصورة عامة ؛ فهذا لا يقدح في وجود المضمون، ولا ثبوت المسألة العلمية.

قال آخر: لقد عبر شمس الدين الذهبي عن هذا بقوله: (ليس من شرط التواتر أن يصل إلى كل الأمة، فعند القراء أشياء متواترة دون غيرهم، وعند الفقهاء مسائل متواترة عن أئمتهم لا يدريها القراء، وعند المحدثين أحاديث متواترة قد لا يكون سمعها الفقهاء، أوأفادتهم ظنا فقط، وعند النحاة مسائل قطعية، وكذلك اللغويون) (١)

قال المعلم: بورك فيكم.. والآن أجيبوني هل يمكن أن يكون النبي ﷺ قد قرأ بجميع تلك القراءات، وكيف يتحقق ذلك مع التعارض بينها.. أم أنه كان يجمع بين الجميع.. وكيف كان يقرأ الكلمات المختلف فيها؟

قلت: أجل.. فما تقولون فيما ينفرد به كل قارئ عن سائر القراء؟.. فكيف يقال بأن هذا متواتر؟.. كيف يقال عما انفرد به رويس مثلاً من قراءة ﴿نورث﴾ بفتح الواووتشديد الراء.. أو انفرد به ابن كثير بقراءة ﴿خير مقاماً﴾ بضم الميم.. أو انفرد به أبوعمرو بقراءة

(١) سير أعلام النبلاء (١٠ / ١٧١)

﴿قالوا إن هذين﴾ بالياء.. أو انفرد به حمزة بقراءة ﴿لا تخف دركاً﴾ بالجزم.. أو انفرد به أبوجعفر بقراءة ﴿لنحرقنه﴾ بإسكان الحاء وتخفيف الراء.. أو انفرد به يعقوب بقراءة ﴿زهرة الحياة﴾ بفتح الهاء.. أو انفرد به الكسائي بقراءة ﴿جذاذاً﴾ بالكسر.. وغير ذلك كثير.

قال آخر: ولكن كيف تجيب على ما استدل به ابن الحاجب ـ فى مختصر أصوله ـ لإثبات تواتر القراءات السبع، حيث قال: (.. وإلا فيلزم أن يكون بعض القرآن غير متواتر، إذ لواختلف القراء فى كلمة، كما فى مثل (غيابة) أو (غيابات)، ومثل (آية) أو (آيات)، و(ملك) أو (مالك) ونحو ذلك مما قرئ بوجهين أو باكثر، فإن التزمنا بتواتر القراءات جميعا فهو، وإلا فأي القراءتين تكون قرآنا لتكون الأخرى غير قرآن، وإذا ترددنا فى ذلك فإن معناه الترديد فى النص الأصلى، وهذا لا يلتئم والقول بتواتر القرآن) [١]

أشار إلي المعلم، فقلت[٢]: الجواب على ذلك سهل جدا؛ فالنص الأصلى للقرآن الكريم هو ما ثبت فى المصحف الكريم، والذى أجمعت الأمة عليه، وإنما جاء الاختلاف فى كيفية قراءته، وفى أسلوب تعبيره، الأمر الذى لا يتنافى وثبوت تواتر الأصل، كما فى كثير من أشعار الشعراء القدامى، حيث أصل البيت أوالقصيدة ثابتة له بالتواتر وإن كان الرواة مختلفين فى بعض الكلمات أو الحركات.

قال آخر: وقد عبر عن هذا الزركشي بقوله: (اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هوالوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي

(١) الكشف فى القراءات السبع: ١/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) التمهيد: ٢/ ٨٣.

اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أوكيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما)[1]..
أي: أن القرآن هوالوحي المنزل، والقراءات اختلاف ألفاظ هذا الوحي، فطريقة اللفظ بهذا الوحي مختلفة لكن حقيقته قرآن ووحي واحد منزل على محمد ﷺ.

قال آخر: وعبر عنه أحمد البنا بقوله: (القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هوالوحي المنزل للإعجاز والبيان، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، أوكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما)[2]

قال آخر: وعبر عنه أحد المتأخرين وهو عبد الصبور شاهين بقوله: (وليس صحيحاً أن القراءات تعتبر من النص القرآني، فهناك فرق بين القرآن والقراءات، وهما في الواقع يمثلان حقيقتين متغايرتين، فالقرآن هوذلك النص المنزل بوساطة الوحي على قلب الرسول ﷺ، والثابت بالتواتر ثبوتاً قطعياً لا ريب فيه، وأما القراءات فهي روايات ووجوه أدائية، منها المتواتر، ومنها الصحيح، ومنها الضعيف، ومنها الموضوع، وهي بذلك تغاير القرآن تغايراً كبيراً، لأنها تتعلق باللفظ لا بالتركيب)[3]

قال آخر: ومثله قال صبري الأشوح، وهو أحد المتأخرين: (أُرَجِّح القول بأن القرآن والقراءات العشر المشهورة حقيقتان متغايرتان)[4]

قال آخر: ومثله ذكر شعبان إسماعيل في كتابه القراءات وأحكامها ومصدرها أن القول بأن القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان (قول مردود غير مقبول، لم يقل به أحد من العلماء السابقين)[5]

---

(١) البرهان (١/ ٣١٨)

(٢) الإتحاف (١/ ٦٩)

(٣) تاريخ القرآن (ص ٤٠)

(٤) إعجاز القراءات (ص ١٠٥)

(٥) إعجاز القراءات (ص ١٤)

قال آخر: ومما يوضح أن القول بعدم تواتر القراءات لا يتعارض مع القول بتواتر القرآن نفسه وأنهما حقيقتان متغايرتان أن الاختلاف في طريقة أداء اللفظ لا يعنى الاختلاف في اللفظ نفسه، فلو أخبر جماعة أن فلاناً قال: الله أكبر، فقال بعضهم: إنه قالها متصلة، وقال بعضهم: بل فصل بين الكلمتين، وقال بعضهم: قالها ومد لفظ الجلالة، وقال بعضهم: لم يمدها، وقال بعضهم: قالها متغنياً بها، وقال بعضهم: قالها من دون تغني.. فالمتواتر أنه قال: الله أكبر، وأما صفة قولها وأدائها فليس بمتواتر.

قال أحد المخالفين: ولكن المحققين من العلماء يذكرون غير هذا.

أشار إلي المعلم، فقلت: لا.. الكثير من العلماء يقولون بذلك.. ولا يرون تناقضا بين كون القرآن الكريم متواترا، وبين عدم تواتر القراءات القرآنية.. ومن الأمثلة على ذلك العلامة سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري، (ت ٧١٦هـ) ، فقد قال: (والتحقيق أن القراءات متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ﷺ إلى الأئمة السبعة، فهو محل نظر، فإن أسانيد الأئمة السبعة، بهذه القراءات السبعة، إلى النبي ﷺ موجودة في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تستكمل شروط التواتر، ولولا الإطالة والخروج عما نحن فيه، لذكرت طرفا من طرقهم ولكن هي موجودة في كتب العراقيين، والحجازيين، والشاميين، وغيرهم، فإن عاودتها من مظانها وجدتها كما وصف لك.. وأبلغ من هذا أنها في زمن النبي ﷺ لم تتواتر بين الصحابة، بدليل حديث عمر لما خاصم هشام بن حكيم بن حزام، حيث خالفه في قراءة سورة الفرقان إلى رسول الله ﷺ ولو كانت متواترة بينهم لحصل العلم لكل منهم بها عن النبي ﷺ ثم لم يكن عمر ليخاصم فيما تواتر عنده)[1]

---

(١) شرح مختصر الروضة (٢/ ٢٣)

ثم أشار إلى النفور النفسي الذي يجده غير المحققين، فقال: (اعلم أن بعض من لا تحقيق عنده ينفر من القول بعدم تواتر القراءات، ظنا منه أن ذلك يستلزم عدم تواتر القرآن، وليس ذلك بلازم، لما ذكرناه أول المسألة، من الفرق بين ماهية القرآن والقراءات، والإجماع على تواتر القرآن)[1]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. ومنهم العلامة أبو عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤ هـ)، فقد قال: (التحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ففيه نظر، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد)[2]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم العلامة أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني (المتوفى: ٤٣٧ هـ)، فقد قال: (جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال، وهي: أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً، ويكون موافقاً لخط المصحف؛ فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده.. والقسم الثاني: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف.. والقسم الثالث: ما نقله غير ثقة، أونقله ثقة ولا

---

(١) شرح مختصر الروضة (٢/ ٢٤)

(٢) البرهان (١/ ٣١٨)

وجه له في العربية) [1]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم العلامة أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ)، فقد نقل قول البغوي: (فأما القراءة باللغات المختلفة مما يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيه باقية، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها، بنقل العدول عن رسول الله ﷺ)[2]، وعقب عليه بقوله: (ولا يلزم في ذلك تواتر، بل تكفي الآحاد الصحيحة من الاستفاضة وموافقة خط المصحف وعدم المنكرين لها نقلا وتوجيها من حيث اللغة) [3]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فقد قال: (وقد ادعي تواتر كل واحدة من القراءات السبع، وادعي أيضاً تواتر القراءات العشر، وليس على ذلك أثارة من علم، فإن هذه القراءات كل وحدة منها منقولة نقلا أحادياً، كما يعرف ذلك من يعرف أسانيد هؤلاء القراء لقراءاتهم، وقد نقل جماعة من القراء الإجماع على أن في هذه القراءات ما هومتواتر، وفيها ما هوآحاد، ولم يقل أحد منهم بتواتر كل واحدة من السبع فضلاً عن العشر، وإنما هوقول قاله بعض أهل الأصول، وأهل الفن أخبر بفنهم.. والحاصل أن ما اشتمل عليه المصحف الشريف واتفق عليه القراء المشهورون فهوقرآن، وما اختلفوا فيه فإن احتمل رسم المصحف قراءة كل واحد من المختلفين مع

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات (ص ٥١)

(٢) شرح السنة ص١٤١.

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ١٤٥)

مطابقتها للوجه الإعرابي والمعنى العربي فهي قرآن كلها، وإن احتمل بعضها دون بعض فإن صح إسناد ما لم يحتمله وكانت موافقة للوجه الإعرابي والمعنى العربي فهي الشاذة، ولها حكم أخبار الآحاد في الدلالة على مدلولها، وسواء كانت من القراءات السبع أو من غيرها)[1]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم العلامة أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري (المتوفى: ٩٢٣هـ)، فقد قال: (التواتر بالنظر لمجموع القرآن، وإلا فلواشترطنا التواتر في كل فرد فرد من أحرف الخلاف انتفى كثير من القراءات الثابتة عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم)[2]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم شمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، فقد قال: (فكثير من القراءات تدعون تواترها، وبالجهد أن تقدروا على غير الآحاد فيها، ونحن نقول: نتلو بها وإن كانت لا تعرف إلا عن واحد لكونها تلقيت بالقبول فأفادت العلم، وهذا واقع في حروف كثيرة وقراءات عديدة، ومن ادعى تواترها فقد كابر الحس، أما القرآن العظيم سوره وآياته فمتواتر ولله الحمد، محفوظ من الله تعالى لا يستطيع أحد أن يبدله ولا يزيد فيه آية ولا جملة مستقلة)[3]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم أبو عبد الله القيجاطي، فقد قال: (والقرآن المتواتر عند علماء

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٨٧)

(٢) لطائف الإشارات (١/ ١٢٨)

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧١)

الإسلام غير القراءات، ومن وقف تواتر القرآن على تواتر القراءات فهو جاهل بالقرآن وبالقراءات، وبما أجمع عليه العلماء، ويلزمه عدم تواتر القرآن لزوماً لا انفكاك له عنه، لإجماع أئمة المسلمين على أن طرق نقل القراءات إنما هي الأسانيد الصحيحة من طرق الآحاد الثقات العلماء المتصلة أسانيدهم بالرسول ﷺ، مع موافقة مصحف من المصاحف التي وجهها عثمان إلى البلدان، ومن ادعى زيادة على هذا وزعم أن القراءات لا تقبل إلا إذا تواتر نقلها فقد افترى على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى أئمة المسلمين وخالف إجماعهم)[1]

ثم نقل عن ابن العربي قوله في كتابه المسمى بالرحلة الصغرى: (وقد نقل القرآن نقل تواتر يوجب العلم ويقطع العذر، وقراءاته نقلت نقل آحاد، وقد بينا ذلك في تفسير قوله ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف).. ونقل عن أبي علي الزبيدي قوله: (وقد ثبت أن القرآن منقول تواتراً، وأن القراءات منقولة آحاداً، ولا ارتباط بينهما في حكم النقل، والقراءات فروع تتعلق بالقرآن، فلم يلزم في القرآن أن يكون منقولاً نقل آحاد، وإن كانت القراءات المتعلقة منقولة نقل آحادا)[2]

قال المعلم: فهل هناك غيره ممن شهد بهذا؟

قلت: أجل.. فمنهم شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (المتوفى: ٨٣٣هـ)، فقد قال: (المقروء به عن القراء العشرة على قسمين: متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول والقطع حاصل بهما)[3]

قال آخر: أجل.. وقد قرأت له كلاما يبين فيه تراجعه عما كان يعتقده من تواتر

---

(١) المعيار المعرب (١٢/١٤٨)

(٢) المعيار المعرب (١٢/١٤٨)

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص ٢١)

القراءات، فقد قال: (وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف فيه بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم خالفه، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف) (1).. ثم ذكر كلام أبي شامة منتصراً له محتجاً به، وقد وصفه بالإمام الكبير، ثم ذكر كلام الجعبري، ومكي بن أبي طالب تأييداً لهذا القول..

التفت إلى أصحابه، وقال: انظروا إلى إنصاف العلماء، ورجوعهم إلى الحق.. فابن الجزري ـ مع علمه بالقراءات وتخصصه فيها ـ صرح بتراجعه عن القول الذي ظهر له عدم صحته، وعدم الدليل عليه، حيث عدل عن القول بتواتر القراءات، واكتفى بالقول بصحة السند مع شهرة القراءة عند أئمة القراءات.

قال آخر: صدقت.. وابن الجزري أعلم من غيره في هذه المسألة، فهوالإمام المقَلَّد المعتَمَد عليه في هذا الشأن لكل من جاء بعده إلى اليوم، وإلى الأبد.

قال آخر: ومثله بعض المتأخرين.. وهو عبد الهادي حميتو، فقد ذكر تراجعه عن القول بتواتر القراءات، فقد نقل قول ابن الجزري الذي ذكر فيه تراجعه، ثم عقب عليه بقوله: (وفي نظري أن الصواب فيما قاله، إذ لوكانت كل حروف القراءات محتاجة إلى التواتر

---

(1) النشر (1/ 13)

ما قبلت من أحد من رواتها إلا إذا كان معه عدد التواتر، وهذا لم يقل به أحد، بل اشترطوا فقط عدالة الراوي وصحة السند بما يروي، ولم يلزموه أن يكون ما رواه من حروف القراءة متواتراً، وهذا كما لا يخفى لا دخل له في تواتر النص المقروء، إذ الاختلاف في بعض جزئياته وكيفية أدائه لا ينافي تواتر أصله)

ثم استدل على ذلك بقوله: (ومما يدل ويؤكد على أن القراءات غير متواترة أن كثيراً من العلماء والقراء والمفسرين والنحويين وغيرهم قد خطأوا قراءات كثيرة قد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنها متواترة، وهذا يدل بكل وضوح على أن أولئك العلماء كلهم كانوا لا يرون أنها متواترة، إذ لوكانوا يرونها كذلك لما فكر واحد منهم أن يخطئها أويضعفها) [1]

قال آخر: بل إننا إذا رجعنا إلى المتقدمين، وفي عصر القراء نجد هذا واضحا جليا.. فقد روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: (كنا نقرأ على أبي جعفر القارئ، وكان نافع يأتيه فيقول: يا أبا جعفر ممن أخذت حرف كذا وكذا؟ فيقول: من رجل قارئ من مروان بن الحكم، ثم يقول له: ممن أخذت حرف كذا وكذا؟ فيقول: من رجل قارئ من الحجاج، فلما رأى ذلك نافع تتبع القراءة يطلبها.. وقال إسحاق المسيبي: قال نافع: قرأت على هؤلاء فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته) [2]

قال آخر[3]: أجل.. ويدل لذلك أن ورشا قرأ على نافع ونقل قراءته إلى مصر، ومن ثم انتقلت غرباً، مع أن ورشاً لم يوافقه أحد من الرواة عن نافع في قراءته، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش.. وهذا ابن كثير قرأ على عبد الله بن السائب ومجاهد، وقرأ عليه البزي

---

(١) اختلاف القراءات (ص ٣٣٦)

(٢) معرفة القراء (١/ ٢٤٤)

(٣) انظر مقالا بعنوان: تواتر القراءات بين الظن والتوهم والواقع اليقين، صالح بن سليمان الراجحي.

وقنبل بواسطة، فقد أخذ البزي عن عكرمة بن سليمان، عن شبل بن عباد وإسماعيل بن عبد الله القسط، عن ابن كثير.. وأخذ قنبل عن أبي الحسن القواس، عن وهب بن واضح، عن إسماعيل بن عبد الله بن القسط، عن شبل بن عباد ومعروف بن مشكان، عن ابن كثير.. فأين التواتر؟!

قال آخر: ومثله ابن عامر إنما أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب، والمغيرة قرأ على عثمان كما قيل.. فأين التواتر؟!

قال آخر: وقد قال ابن الجزري: وقد ورد في إسناده تسعة أقوال، أصحها أنه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب.. وقيل: قرأ على أبي الدرداء، وقيل غير ذلك.. وقد قرأ عليه هشام وابن ذكوان بواسطة، فقد أخذ ابن ذكوان عن أيوب بن تميم، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن ابن عامر.. وأخذ هشام عن عراك بن خالد، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن ابن عامر[1].. فأين التواتر؟!

قال آخر: ومثله أبوعمرو البصري، أخذ عنه الدوري والسوسي بواسطة، فقد أخذا عن يحيى اليزيدي، عن أبي عمر البصري.. فأين التواتر؟!

قال آخر: ومثله حمزة أخذ عنه خلف وخلاد بواسطة، فقد أخذا عن سليم بن عيسى الكوفي، عن حمزة.. فأين التواتر؟!

٤ ـ الموقف المعتدل:

ما إن وصل الحديث بالجمع إلى هذا المحل، حتى أذن المؤذن لصلاة العشاء؛ وبعدها قام كبير القوم، وقال: بورك فيكم.. وفي المعلم الذي أتاح لنا الاستماع إليكم.. وقد قررت

---

(١) غاية النهاية (١/ ٥٩١)

بناء على ما ذكرتموه أن أتراجع عن كل مواقفي المتشددة السابقة، وأنا الآن سأرجع إلى القراءة التي يتوفر فيها اليسر والوحدة.. وسأكلف معلمي مدرستي القرآنية بذلك.. مع العلم أنهم قد طلبوا مني ذلك سابقا، لكونهم رأوا صعوبة تعليم التلاميذ مقارنة بزملائهم من المعلمين الذين يدرسون بحسب رواية حفص عن عاصم.

قال آخر: وأنا مثلك في ذلك.. فسأكلف الأئمة بالقراءة بتلك القراءة اليسيرة السهلة المتفق عليها بين أكثر المسلمين.. حتى نتجنب الفتن التي تحصل في المساجد بسبب تلك الخلافات.

وهكذا قال آخرون ذلك.. وكان من بينهم أولئك النفر الذين اجتمعت بهم بعد الصلاة؛ فقد رأيتهم يذهبون إلى الإمام يقبلون يده، ويعتذرون له بشدة.

أما معلمي معلم القصد والاعتدال؛ فقد رأيته يتحدث مع أعيان القوم.. وهم يستمعون له بكل حرص ومودة.

ثالثا ـ القرآن.. وأسباب النزول

في صباح اليوم التالي، وجدت نفسي في شارع آخر، كان أعجب وأغرب من الشارع الذي كنت فيه، ذلك أن الآيات الكريمة التي عُلقت فيه، وفي المحال المختلفة، كانت مصحوبة بعناوين وتفاسير، لا لتزيد في توضيحها، وإنما في إبعادها عن أغراضها ومحتواها.

ومن الأمثلة على ذلك، أني وجدت صورة كبيرة لقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، والآيات التالية لها، وبجنبها كتب بخط كبير: هذه الآية نزلت في الوليد بن مغيرة.. وأمامها ترجمة مفصلة عنه وعن نسبه، وكل ما يرتبط به، حتى يخيل للقارئ أن هذه الآية لا يمكن أبدا أن تنطبق على غيره.

وهكذا فعلوا في لافتة خاصة بسورة الفاتحة، فقد كتبوا تحت قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون: النصارى.. وكأن الله تعالى لم يغضب إلا على اليهود والنصارى.

والأخطر من ذلك أني وجدت لافتة كتب عليها قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم: ٥٩-٦٢]، ووجدت بجنبها: روي أنه لما نزلت سجد النبي ﷺ، وسجد معه جميع من حضر من المسلمين والمشركين، إلا رجلين اثنين: أمية بن خلف، والمطلب بن وداعة.. وعن ابن عباس: (أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس)[1] .. وعن ابن مسعود قال: (أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) قال: فسجد رسول الله ﷺ، وسجد

---

(١) رواه البخاري (١٠٧١)

من خلفه، إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا، وهو أمية بن خلف) [1]

وتحت هذه الروايات كتبت هذه العبارة الخطيرة: وقد ورد في بعض الروايات تفسير سبب سجود المشركين مع النبي ﷺ وحاصلها أن الشيطان ألقى في أثناء قراءته كلمات على لسان النبي ﷺ فيها الثناء على آلهتهم، وإثبات الشفاعة لها عند الله، وهذه الكلمات هي: (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى)، ولما سمع المشركون ذلك فرحوا واطمأنوا وسجدوا مع النبي ﷺ.

ولم يقتصر الأمر على اللافتات، بل تعداه إلى جمهور ذلك الشارع الغريب، ذلك أني عندما قرأت لبعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] لأصحح له مفهومه لدور القرآن الكريم في الحياة، قال لي ببرودة مختلطة بعصبية: الآية الكريمة خاصة بأهل الكتاب.. ألم تقرأ فيها التوراة والإنجيل.. فكيف تريد أن تطبقها على أهل القرآن؟

قلت: ولكن الله أمر بالتعقل والعقل.. ألم تسمع ذم الله تعالى للذين لا يستعملون عقولهم.. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]؟

قال: ويلك ولتحريفك للقرآن الكريم.. ألم تقرأ أول الآية ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فهي تتحدث عن الذين كفروا.. لا عن المؤمنين.

قلت: فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾

---

(١) البخاري (٣٩٧٢) مسلم (٥٧٦)

[الأنفال: ٢٢]

قال: ويلك ولتحريفك للقرآن الكريم.. ألم تقرأ الآية التي قبلها والتي بعدها.. لقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢١-٢٣] .. فهي تتحدث عن الكفار.. لا عن المؤمنين.. فكيف تجيز لنفسك تعميم ما خصه القرآن، أو إطلاق ما قيده؟

قلت: لا بأس.. لكن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] ليس خاصا بالكفار.

قال: ويلك ولتحريفك للقرآن الكريم.. ألم تقرأ علم [مبهم القرآن] و[علم أسباب النزول] لتعلم أن هذه الآية الكريمة نزلت في ذلك الرجل الذي قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن حمدي، زين وإن ذمي شين، فقال له رسول الله ﷺ: (ذاك الله عَزَّ وَجَلَّ)[1]

قاله له صاحبه، يؤيده: وذكر المفسرون أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعراب جاؤوا ينادون رسول الله ﷺ من وراء حجراته: يا محمد اخرج إلينا.

قال آخر: وروي أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي فيما أورده غير واحد.

قال آخر: وروي أنها نزلت في وفد بني تميم حيث كان الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وغيرهم، وذلك أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فدخلوا المسجد ودنوا من حجر أزواج النبي ﷺ وهي تسعة فنادوا بجملتهم ولم ينتظروا: يا محمد اخرج إلينا

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/٩١٥)

فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير[1].

قلت: بورك فيكم وفي حفظكم لأسباب النزول.. ولكن خصوص السبب لا يلغي عموم التوجيه.. فالله تعالى يوجه خلقه جميعا من خلال تلك النماذج التي ذكرتها.

قالوا جميعا: ويلك ولتحريفك للقرآن الكريم.. ألم تسمع ما ورد في الأحاديث الكثيرة من النهي عن تفسير القرآن بالرأي؟

لم أدر ما أقول، ولا كيف أخاطبهم، ذلك أني كلما استدللت بآية من الآيات راحوا يضربونها بأسباب نزولها.. فقلت لهم: إنكم بهذا تعطلون القرآن الكريم؛ فالله أنزل كتابه لكل البشر، لا لجيل منهم.. وأنتم تختصرونه في الجيل الذي نزل فيه.

غضب أحدهم، وهم بضربي، لكن معلمي فجأة، حضر، وراح يخاطب الذي يريد أن يضربني بقوله: اعذره؛ واعتبره من أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

قال أحدهم: لكن المفسرين ذكروا في تفسيرهم للآية، أن رسول الله ﷺ كان يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدا أو في رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم: عروة بن مسعود، ومكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو، وغيرهم واحدا بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم[2].

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/٩١٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١١٣)

قال المعلم: صدقت.. ونحن نتأسى برسول الله ﷺ في ذلك في معاملة هذا الجاهل، فإن تعلم وصلح حاله، قبلناه، وإلا نال منا ما يستحق.

قال أحدهم: فأين تريد أن تذهب به لتعلمه؟

قوله تعالى: بل سنسير جميعا فهناك مسابقة في ساحة الحي حول أسباب نزول القرآن الكريم، ولعلكم تكونون من الفائزين فيها.

كان للمعلم هيبة خاصة؛ فلذلك بمجرد أن نطق بهذا، صاحوا جميعا: بوركت.. فهيا سر بنا حيث شئت.

بعد أن سرنا مع المعلم مسافة قصيرة إلى ساحة قد اجتمع فيها الكثير من الناس، بمن فيهم أولئك الذين يلبسون لباس العلماء، وكان من المتصدرين في تلك الساحة بعض أولئك الذين اختلى بهم معلم القصد والاعتدال، واستطاع أن يجعلهم من جنده وأعوانه.

عند وصولنا إليها، ارتقى أحدهم ـ وكان من الأعيان الذي انفرد المعلم بالجلوس إليهم، وظهر تأثيره فيهم ـ المنصة، وقال: مرحبا بكل الذين استجابوا لدعوتنا إلى هذه المسابقة الخاصة بالتعرف على أسباب نزول القرآن الكريم، من خلال الروايات والأحاديث الواردة، وقد دعانا إليها ما رأيناه من اهتمام أهل حيكم بها، ويبدو أنكم ورثتم ذلك كابرا عن كابر.

قام أحدهم، وقال: أجل.. فأنا من أحفاد علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المتوفى في ٤٦٨ هـ.. ذاك الذي ألف أشهر كتاب في أسباب نزول القرآن.

قال آخر: وأنا من أحفاد عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري

السيوطي، الملقب بجلال الدين الجَلَال السُّيُوطي المتوفى في ٩١١ هـ .. وصاحب كتاب: لباب النقول في أسباب النزول.

قال آخر: وأنا من أحفاد صاحب كتاب [العجاب في بيان الأسباب]، أقصد: أبا الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢ هـ

وبعد أن تكلم هؤلاء وغيرهم معرفين بأنفسهم، قال المعلم: بناء على أن القرآن الكريم ـ كما تعرفون جميعا ـ كتاب هداية وتربية وإصلاح شامل؛ فقد توجه خطابه للجميع، ليشملهم بتوجيهاته وتزكيته وإصلاحه.. سواء أولئك الذين جحدوه، أو أولئك الذين آمنوا به.

قال أحدهم: صدقت.. ولهذا عند التأمل في أسباب النزول، نجد أن كل سبب منها مرتبط بشخص أو جماعة من الذين آمنوا بالقرآن أو من الذين جحدوه.

قال الإمام: لقد رأيت من خلال حصري للأشخاص أو الجهات التي تنزل القرآن الكريم لتربيتها وهدايتها ودعوتها أو لتوبيخها وتأنيبها أو الإجابة عن إشكالاتها وشبهاتها جهتين.. أولهما المؤمنون الذين يحتاجون إلى التأديب والتربية وبيان أحكام الدين.. وثانيهما الجاحدون الذين يوردون الشبهات والإشكالات؛ فيجيب القرآن الكريم عنها، أو يبين أسبابها الداعية لها.

قال المعلم: ما دمت قد ذكرت هذا؛ فستكون الأسئلة عن هذين الصنفين.. وإن قبل الجمع الكريم؛ فستكون أنت من يذكر الأسئلة.

قالوا: نعم.. ونحن مستعدون للإجابة.

١ . أسباب النزول والمؤمنون:

قال الإمام: فلنبدأ بالصنف الأول.. وهم المؤمنون.. فمن يذكر لي منكم سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١-٥]؟

قال أحدهم: روي أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبوبكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبوبكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت الآيات في ذلك[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا: أبوبكر وعمر رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك وارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وهي شاملة لكل من تجرأ؛ فقدم رأيه أو نفسه أو هواه على رسول الله ﷺ أو على ربه.. أو أساء الأدب معهما كائنا من كان؛ فقيمة كل امرئ باتباعه وأدبه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٥.

قال أحدهم: روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] تآلى أبوبكر أن لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال المعلم: وهي شاملة للآداب مع رسول الله ﷺ في كل الأزمنة، ومثلها الأدب مع من أمرنا بالأدب معهم من الصالحين والعلماء وغيرهم.

قلت: لقد ذكرتني بما روي عن مالك أنه أنكر على أبي جعفر رفعه صوته عند قبر رسول الله ﷺ قائلا: (لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]، وذم قوما فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا)(٢)

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤-٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ناس أتوا النبي ﷺ وسلموا فجعلوا ينادونه وهو في

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٥.

(٢) شفاء السقام،السبكي: ٦٩.

الحجرة: يا محمد، يا محمد.. فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في جفاة بني تميم، قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد، فنادوا النبي ﷺ من وراء حجرته: أن اخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين، فآذى ذلك من صياحهم النبي ﷺ فخرج إليهم، فقالوا: إنا جئناك يا محمد نفاخرك، ونزل فيهم[2].

قال المعلم: وهي تدل على أن من علامات العقل حسن الأدب، وحسن الخلق، فالعقل هو الذي يعقل صاحبه عن الدنايا والسفاسفه، ويوجهه إلى المعالي والمكارم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع القوم به تلقوه تعظيما لله تعالى ولرسوله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له في الرجوع، فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى الآية[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٦.

قال آخر: ومثله ما روي عن الحارث بن ضرار قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت في الإسلام وأقررت فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فترسل لإبان كذا وكذا لآتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث بن ضرار ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله ﷺ احتبس عليه الرسول، فلم يأته، فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا سروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد كان وقت لي وقتا ليرسل إلي ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق فرجع فقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة، فلقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم إلى: من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فرجع إليه، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما أن دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟) قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيت رسولك، ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس علي رسولك خشية أن تكون سخطة من الله ورسوله! قال: فنزلت في الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ

حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٦-٨][1]

قال المعلم: وفيها إرشاد للمؤمنين في كل الأزمنة بالتحري والاحتياط حتى لا يقعوا ضحايا للمخادعين والماكرين؛ فليس كل من أظهر إسلامه متحققا بمعانيه وقيمه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]؟

قال أحدهم: روي عن أنس قال: قلت: يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي ﷺ فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، وكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للمؤمنين في جميع العصور بأن يقفوا مع الطائفة العادلة الصالحة في وجه كل البغاة الظلمة المحرفين وإلا كانوا شركاء لهم في بغيهم.. وأن يستعملوا كل الوسائل لذلك سلمية كانت أو حربية إن اضطروا إليها؛ فالفتنة أشد من القتل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩١.

الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنه كان في أذنيه وقر فكان إذا أتى رسول الله ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فجاء يوما وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا، تفسحوا فقال له رجل: قد أصبت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت مغضبا، فغمز الرجل فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان؟ فقال ثابت: ابن فلانة؟ وذكر أما كانت له يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه استحياء، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال المعلم: وهي شاملة لكل أصناف الإساءات، ولكل شخص حتى لو كان غير مسلم؛ فالأخلاق والآداب لا ترتبط بالجهة التي نتعامل معها.. والدين حسن الخلق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١]

قال أحدهم: روي أنها نزلت في امرأتين من أزواج النبي ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية ـ وهي ثوب أبيض ـ وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة انظري إلى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذا كان سخريتها، وقال أنس: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر(٢).

قال آخر: ومثله ما روي أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: (هلا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٢.

قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وهي دالة على أن السخرية لا تتناسب مع المؤمن العارف بربه، والذي لا يعرف محله من كرامته؛ فلعل الذي يسخر منه أفضل منه عند الله.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]؟

قال أحدهم: روي عن بعضهم قال: قدم علينا النبي ﷺ، فجعل الرجل يدعو الرجل ينبزه، فيقال: يا رسول الله، إنه يكرهه، فنزلت[2].

قال المعلم: وهي تحض المؤمنين على مراعاة الأدب في استعمال الكلمات المناسبة مع كل أصناف الناس سواء تعلقت بأسمائهم أو ألقابهم أو غيرها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؟

قال أحدهم: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة؟ فقال رسول الله ﷺ: (من الذاكر فلانة؟) فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله. فقال: (انظر في وجوه القوم)، فنظر فقال: (ما رأيت يا ثابت؟) فقال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: (فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قال آخر: ومثله ما روي أنه لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى أذن

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٣.

على ظهر الكعبة، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟! وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئا يغيره، وقال أبوسفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقروا، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ مر ذات يوم ببعض الأسواق بالمدينة وإذا غلام أسود قائم ينادي عليه يباع فيمن يزيد، وكان الغلام يقول: من اشتراني فعلى شرط، قيل: ما هو؟ قال: لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ. فاشتراه رجل على هذا الشرط، وكان يراه رسول الله ﷺ عند كل صلاة مكتوبة ففقده ذات يوم، فقال لصاحبه: (أين الغلام؟) فقال: محموم يا رسول الله، فقال لأصحابه: (قوموا بنا نعوده)، فقاموا معه فعادوه، فلما كان بعد أيام قال لصاحبه: (ما حال الغلام؟) فقال: يا رسول الله إن الغلام لما به، فقام ودخل عليه وهو في برحائه، فقبض على تلك الحال، فتولى رسول الله ﷺ غسله وتكفينه ودفنه، فدخل على أصحابه من ذلك أمر عظيم، فقال المهاجرون: هجرنا ديارنا وأموالنا وأهلينا فلم ير أحد منا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام، وقالت الأنصار: آويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا فآثر علينا عبدا حبشيا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ يعني أنكم بنوأب واحد وامرأة واحدة، وأراهم فضل التقوى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2]

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٣.

قال المعلم: وهي تحض المؤمنين في كل العصور على الابتعاد عن كل أشكال التكبر والعنصرية التي لا تتناسب مع العبودية؛ فعبد الله هو الذي لا يتجاوز قدره.. وعبد الله هو الذي يسعى ليتحقق بالتقوى التي تجعله كريما عند ربه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[1].

قال المعلم: وهي تنبه كل مؤمن إلى الابتعاد عن الدعاوى؛ فالله تعالى هو الذي يصنف عباده، ولذلك نهينا عن التزكية، وأخطرها ادعاء التحقق بالإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]؟

قال أحدهم: روي عن جابر بن عبد الله قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٥.

فأصابتنا ظلمةٌ فلم نعرف القبلة، فقالت طائفةٌ منا: قد عرفنا القبلة هي هاهنا قبل الشمال، فصلوا وخطوا خطوطا وقال بعضنا: القبلة هاهنا قبل الجنوب فصلوا وخطوا خطوطا فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ عن ذلك، فسكت فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن عامر بن ربيعة، قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ في السفر في ليلة مظلمة، فلم ندر كيف القبلة، فصلى كل رجل منا على حاله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: إن النجاشي لما توفي قال جبريل للنبي ﷺ إن النجاشي توفي، فصل عليه، فأمر رسول الله ﷺ أن يحضروا وصفهم ثم تقدم رسول الله ﷺ وقال لهم: (إن الله أمرني أن أصلي على النجاشي وقد توفي فصلوا عليه) فصلى رسول الله ﷺ وهم عليه، فقال أصحاب رسول الله ﷺ في أنفسهم: كيف نصلي على رجل مات، وهو يصلي على غير قبلتنا؟ وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات وقد صرفت القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى الآية[3].

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود؛ فاستقبلها بضعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم، فلما صرفه الله تعالى إليها ارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله تعالى الآية[4].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧.

قال المعلم: وفيها تعريف بالله وأنه غني عن الجهات والحدود.. وفيها تعريف بالحكم الشرعي المتعلق بالقبلة، وهو غير محصور في زمان دون زمان.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

قال أحدهم: روي عن ابن عباس قال: كان رجالٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد ماتوا على القبلة الأولى، منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة أحد بني النجار، والبراء بن معرور أحد بني سلمة، وأناسٌ آخرون، جاءت عشائرهم فقالوا: يا رسول الله توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله الآية[1].

قال المعلم: وهي تدل على رحمة الله الواسعة بعباده، وأنه لا يعاملهم بما لا طاقة لهم به، وأن الشريعة مبنية على السعة لا على الضيق، وعلى المقاصد لا على الحرفية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

قال أحدهم: روي عن البراء قال: صلينا مع رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم علم الله عز وجل هوى نبيه ﷺ فنزلت[2].

قال المعلم: وهي تدل على كرامة رسول الله ﷺ عند ربه، وتدل على حكمته وعلمه

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣.

وعصمته واختياره الموفق؛ فما كان الله ليقره على ما خلا منها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا بضعة عشر رجلا، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلانٌ وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأنزل الله هذه الآية[1].

قال المعلم: وهي تشمل الشهداء في كل الأزمنة والأمكنة؛ فالله أكرم وأعدل من أن يفرق بين عباده.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى الآية[2].. وقال أنس بن مالك: كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية فتركناه في الإسلام فأنزل الله تعالى الآية[3].

قال آخر: ومثله ما روي عن عمرو بن حبشي، قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية فقال: انطلق إلى ابن عباس فسله فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد ﷺ فأتيته فسألته،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤.

فقال: كان على الصفا صنمٌ على صورة رجل يقال له: إسافٌ، وعلى المروة صنمٌ على صورة امرأة تدعى نائلة، زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين، ووضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا على الوثنين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف لأجل الصنمين، فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال آخر: ومثله ما روي عن السدي قال: كان في الجاهلية تعزف الشياطين بالليل بين الصفا والمروة وكانت بينهما آلهةٌ، فلما ظهر الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله لا نطوف بين الصفا والمروة فإنه شركٌ كنا نصنعه في الجاهلية؛ فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال المعلم: وهي تشريع شامل لكل الأزمنة؛ فالسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله التي ينبغي تعظيمها، ولا تصح المناسك من دونها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]؟

قال أحدهم: روي عن قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلا سأل نبي الله ﷺ عن البر، فأنزل الله تعالى الآية.. وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦.

ورسوله، ثم مات على ذلك، وجبت له الجنة، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها دلالة على أن البر والخير وكل المعاني النبيلة لا تقتصر على الشرائع والرسوم والطقوس فقط، بل تشمل جميع مناحي الحياة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]؟

قال أحدهم: روي أنه كان بين حيين من أحياء العرب قتالٌ، وكان لأحد الحيين طولٌ على الآخر، فقالوا: نقتل بالعبد منا الحر منكم، وبالمرأة الرجل، فنزلت هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دلالة على وجوب المساواة والعدالة.. لا في القصاص فقط، بل في كل الشؤون.. ولا فيما ذُكر فقط، بل فيما ذكر وما لم يذكر.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]؟

قال أحدهم: روي أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٩.

النساء والطعام إلى مثلها من القابلة، ثم إن ناسا من المسلمين أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية[1].

قال المعلم: فيها بيان تفصيلي لأحكام الصوم، وهو عام شامل لا يقتصر على زمان دون زمان.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي، وفي عبدان بن أشوع الحضرمي، وذلك أنهما اختصما إلى النبي ﷺ في أرض وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فحكم عبدان في أرضه، ولم يخاصمه[2].

قال المعلم: وفيها تحريم لكل أسباب الرزق المحرمة، وخاصة الرشوة منها، وفي كل الأزمنة والأمكنة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]؟

قال أحدهم: روي عن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فأنزل الله تعالى الآية[3]. . وقال قتادة: ذكر لنا أنهم

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٥٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٥٣.

سألوا نبي الله ﷺ لم خلقت هذه الأهلة؟ فأنزل الله تعالى الآية.. وقال الكلبي: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة وهما رجلان من الأنصار قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يكون كما كان، لا يكون على حال واحدة؟! فنزلت هذه الآية[1].

قال المعلم: فيها بيان لحكمة من حكمة الأهلة، وبيان لأدب الجواب مع من لا يطيق التفاصيل التي لا يقدر عقله على فهمها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]؟

قال أحدهم: روي عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجلٌ فدخل من قبل باب، فكأنه عير بذلك، فنزلت هذه الآية[2].

قال المعلم: فيها دلالة على فضل التقوى، وأنها المعيار الذي يُعرف به البر، لا الظواهر والرسوم، وخاصة تلك التي تعارف عليها الناس، ولم يرد عن الله تعالى تشريعها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما صد عن البيت هو وأصحابه، نحر الهدي بالحديبية، ثم صالحه المشركون على أن يرجع

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٥٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٥٣.

عامه، ثم يأتي القابل على أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء، وصالحهم رسول الله ﷺ؛ فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي لهم قريشٌ بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، في الحرام فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: فيها دليل على أن شريعة الله شريعة سلام ورحمة، ولذلك لا تبيح العنف إلا في محاله التي لا يجدي معها غيره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]؟

قال أحدهم: روي عن كعب بن عجرة قال: في نزلت هذه الآية.. وقع القمل في رأسي فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: (احلق وافده صيام ثلاثة أيام، أوالنسك، أوأطعم ستة مساكين لكل مسكين صاعٌ)[2]

قال آخر: ومثله ما روي عن كعب بن عجرة، قال: مر به رسول الله ﷺ وهو يوقد تحت قدر له بالحديبية، فقال: (أيؤذيك هوام رأسك؟) قال: نعم، قال: (احلق) فأنزلت هذه الآية، قال: (فالصيام ثلاثة أيام، والصدقة فرقٌ بين ستة مساكين، والنسك شاةٌ)[3]

قال المعلم: وفيها بيان لرحمة الله بعباده، وأنه لا يكلفهم ما لا يطيقون، وأن الشريعة مبنية على اليسر لا على العسر، وعلى المقاصدية لا الحرفية.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٥٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٥٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٠.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون يقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله عز وجل الآية(١).

قال المعلم: وفيها بيان لأدب التعامل مع سنن الله وحكمته، وأن التوكل لا ينافي استعمال الأسباب، وأن أفضل الأسباب للتقرب إلى الله التقوى.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]؟

قال أحدهم: روي عن أبي أمامة التيمي قال: سألت ابن عمر فقلت: إنا قومٌ نكرى في هذا الوجه، وإن قوما يزعمون أنه لا حج لنا قال: ألستم تلبون؟ ألستم تطوفون؟ ألستم تسعون بين الصفا والمروة؟ ألستم ألستم؟ قال: قلت: بلى قال: إن رجلا سأل النبي ﷺ عما سألت عنه فلم يدر ما يرد عليه حتى نزلت الآية.. فدعاه فتلا عليه حين نزلت، فقال: (أنتم الحجاج)(٢)

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: كان ذوالمجاز وعكاظ متجرا للناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت في مواسم الحج.. وروي أنه قال: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الحج يقولون أيام ذكر الله فأنزل الله تعالى الآية، فاتجروا(٣).

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٢.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٢.

قال المعلم: وفيها بيان لعدم التعارض بين ممارسة العبادة، والاهتمام بشؤون الحياة، وفي كل المجالات.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]؟

قال أحدهم: روي أن العرب كانت تفيض من عرفات، وقريشٌ ومن دان بدينها تفيض من جمع من المشعر الحرام، فأنزل الله تعالى الآية[١].

قال المعلم: وفيها بيان ودعوة للمساواة، وفي كل شؤون الحياة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَّ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]؟

قال أحدهم: روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم ذكروا فعل آبائهم في الجاهلية وأيامهم وأنسابهم فتفاخروا فأنزل الله تعالى الآية.. وقال الحسن: كانت الأعراب إذا حدثوا وتكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا، فأنزل الله تعالى الآية[٢].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الاهتمام بالمقصد الأكبر للحج وكل عبادة، وهو ذكر الله.. وفيها دعوة إلى رفع الهمة حتى لا تكون مطالب الإنسان محصورة في الدنيا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَّ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٤.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عمروبن الجموح الأنصاري وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ فنزلت الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عنه قال: نزلت الآية في رجل أتى النبي ﷺ فقال: إن لي دينارا فقال: (أنفقه على نفسك) فقال: إن لي دينارين، فقال: (أنفقهما على أهلك) فقال: إن لي ثلاثة فقال: (أنفقها على خادمك) فقال: إن لي أربعة، فقال: (أنفقها على والديك) فقال: إن لي خمسة، فقال: (أنفقها على قرابتك) فقال: إن لي ستة فقال: (أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها)[2]

قال المعلم: هذا السؤال أعظم من أن ينحصر في الذين سألوه، والإجابة عليه، سواء تلك التي وردت في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف إجابة للبشر جميعا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ بعث سرية من المسلمين لمواجهة المعتدين على المسلمين، وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة، ووجدوا بها عمروبن الحضرمي في عير تجارة لقريش في يوم بقي في الشهر الحرام، فاختصم المسلمون فقال قائلٌ منهم: لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلوا لطمع

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٧.

أشفيتم عليه، فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا، فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين وبين المشركين، فركب وفدٌ من كفار قريش حتى قدموا على النبي ﷺ فقالوا: أتحل القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش، ومعه نفر من المهاجرين، فقتل عبد الله بن واقد الليثي عمروبن الحضرمي في آخر يوم من رجب، وأسروا رجلين واستاقوا العير، فوقف على ذلك النبي ﷺ وقال: (لم آمركم بالقتال في الشهر الحرام)، فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]؟، أي قد كانوا يفتنونكم وأنتم في حرم الله بعد إيمانكم، وهذا أكبر عند الله من أن تقتلوهم في الشهر الحرام مع كفرهم بالله.. ولما نزل هذا قبض رسول الله ﷺ العير، ونادى الأسيرين ولما فرج الله تعالى عن أهل تلك السرية ما كانوا فيه من غم طمعوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبي الله أنطمع أن تكون غزوة ولا نعطى فيها أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]؟ [2]

قال المعلم: هي بيان للمعايير الخاطئة التي تمارسها العقول الجاهلية، حيث تقوم بكل الجرائم ثم تدعي بعدها الورع عن بعض الحرمات، مع أن الجرائم التي ترتكبها أكبر بكثير.. وبذلك فهي تدعو الجميع إلى ضبط كل المعايير لتستقيم مع العدالة والقيم.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٨.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]؟

قال أحدهم: روي أنها لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] عزلوا أموالهم عن أموالهم، فنزلت الآية، فخلطوا أموالهم بأموالهم(١).

قال آخر: ومثله ما روي أنه لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده مال يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، وجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أويفسد، واشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] فتخلطوا طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم(٢).

قال المعلم: وفيها إشارة إلى مراعاة المقاصد والإصلاح في تطبيق أحكام الشريعة؛ فالذي يعزل طعامه عن طعام اليتيم قد يكون ورعا في الظاهر عن ماله، لكنه في الحقيقة أساء معاملته النفسية، والعمل الصالح هو الذي لا ترتبط به أي إساءة، ومن أي جهة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧١.

مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي مرثد الغنوي، حيث استأذن النبي ﷺ في أن يتزوج امرأة من قريش، كانت ذات حظ من جمال وهي مشركة وأبومرثد مسلم، فقال: يا نبي الله إنها لتعجبني، فأنزل الله عز وجل الآية(١).

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، وكانت له أمة سوداء وإنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع، فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها، فقال له النبي ﷺ: (ما هي يا عبد الله؟) فقال: يا رسول الله هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله، فقال: (يا عبد الله هذه مؤمنة) قال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق نبيا لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا: نكح أمة، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ بعث رجلا يقال له مرثد بن أبي مرثد ليخرج ناسا من المسلمين بها أسراء؛ فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خليلة له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأتته فقالت: ويحك يا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها: إن الإسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله ﷺ استأذنته في ذلك ثم تزوجتك، فقالت له: أبي تتبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة انصرف إلى رسول الله ﷺ راجعا وأعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي في سببها، فقال: يا رسول الله، أتحل

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧١.

أن أتزوجها؟ فأنزل الله ينهاه عن ذلك[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى التعالي عن التحاكم إلى المعايير الجاهلية التي تنظر إلى البشر بحسب أموالهم وأشكالهم، لا إلى إيمانهم وأخلاقهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؟

قال أحدهم: روي أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأةٌ أخرجوها من البيت، فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله عز وجل الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى مراعاة المقاصد في الأحكام الشرعية، وأن الهدف منها الرحمة المجردة، وبجميع الأطراف، والزيادة عليها تكلف ممقوت، بل قد يجر إلى الحرام والجريمة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عبد الله بن رواحة تنهاه عن قطيعة ختنه بشير بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبدا، ولا يكلمه، ولا يصلح بينه وبين امرأته ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني، فأنزل الله تعالى

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٣.

هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى مراعاة مراتب الأعمال، وعدم الاحتجاج بتطبيق الشعائر والشرائع على ترك البر والصلح والإصلاح، لأنها أفضل وأجل وأكمل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦]؟

قال أحدهم: روي أن إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، فوقت الله أربعة أشهر، فمن كان إيلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بإيلاء[2].

قال آخر: لقد كان الإيلاء من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا، وكان يتركها كذلك لا أيما ولا ذات بعل، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل الآية[3].

قال المعلم: وفيها تحريم للإضرار مطلقا، والإضرار بالمرأة خصوصا.. وفيها نهي عن التعسف في استعمال الحق.. وفيها إعطاء فرصة للمخطئ حتى يصحح خطأه، وإلا عوقب بما يستحق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]؟

قال أحدهم: روي أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها، كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة، فعمد رجل إلى امرأة له فطلقها، ثم أمهلها حتى إذا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٨.

شارفت انقضاء عدتها ارتجعها، ثم طلقها وقال: والله لا آويك إلي ولا تحلين أبدا، فأنزل الله عز وجل الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن عائشة أنها أتتها امرأة فسألتها عن شيء من الطلاق، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت[2].

قال المعلم: وفيها بيان لما في حد الحدود ووضع الضوابط والتوقيتات من الرحمة والعدالة، حتى لا يستغل الجاهلون المعتدون الأحكام المطلقة، ليضربوا بها المقاصد التي شرعت من أجلها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]؟

قال أحدهم: روي عن معقل بن يسار أنها نزلت فيه، وقد قال يذكر ذلك: كنت زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأكرمتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليها أبدا قال: وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، فزوجتها إياه[3].

قال المعلم: وفيها بيان لأصل الزواج وكونه مبنيا على تراضي الطرفين؛ فإذا تحقق لا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٧٩.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٠.

يحق لأي جهة أخرى التدخل.. وهو شامل لكل أنواع العقود التي تراعي القيم المرتبطة بها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]؟

قال أحدهم: روي أن المرأة من الأنصار إذا كانت لا يعيش لها ولد فتحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من أبناء الأنصار فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا فأنزل الله تعالى الآية[١].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له: صبيح وكان يكرهه على الإسلام[٢].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في رجل من الأنصار يكنى أبا الحصين، وكان له ابنان، فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا وخرجا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ فقال: (اطلبهما) فأنزل الله عز وجل الآية[٣].

قال آخر: ومثله ما روي أنه كان لرجل من الأنصار ابنان فتنصرا قبل أن يبعث النبي ﷺ ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فأتاهما أبوهما فلزمهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا أن يسلما فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعض

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٣.

النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله عز وجل الآية، فخلى سبيلهما[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن ناسا مسترضعين في اليهود: قريظة والنضير، فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير قال أبناؤهم من الأوس الذين كانوا مسترضعين فيهم، لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلهم وأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت الآية[2].

قال المعلم: وفيها تصحيح للمفاهيم الخاطئة حول الدين، فهو يحتاج إلى القناعة، ولا يصح مع الإكراه أبدا؛ فالمكرَه قد يصبح منافقا، لا متدينا.. وفيها دعوة إلى البحث عن كل ما يقنع الآخرين برشد الدين، وبغيهم، حتى يتبينوا ويقتنعوا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]؟

قال أحدهم: روي أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزلت[3].

قال آخر: ومثله ما روي عن البراء قال: نزلت هذه الآية في الأنصار، كانت تخرج إذا كان جذاذ النخل من حيطانها أقناء من التمر والبسر، فيعلقونها على حبل بين أسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان الرجل يعمد فيخرج قنو الحشف وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء فنزلت[4].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى مراعاة المقاصد الشرعية في الإنفاق الواجب أو التطوعي،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٤.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٧.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٨.

وأن لا يحتال عليها بإعطاء الخبيث الذي تنفر منه النفوس.. وفيها دعوة إلى استفتاء القلب في كل عمل، فما لا يرضاه الإنسان لنفسه، لا يصح أن يعطيه لغيره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]؟

قال أحدهم: روي أنها لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، قالوا: يا رسول الله صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى مراعاة المقاصد في الإعلان بالصدقة، أو إخفائها؛ فحيثما تحققت المصلحة الشرعية كانت الأفضلية.. وفيها إشارة إلى مراعاة عدم إحراج المتصدّق عليهم حتى لا يصبح الإعلان بالصدقة وسيلة لإيذائهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ قال: (لا تصدقوا إلا على أهل دينكم)، فأنزل الله تعالى الآية، فقال رسول الله ﷺ: (تصدقوا على أهل الأديان)[٢]

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن الحنفية قال: كان المسلمون يكرهون أن يتصدقوا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٨.

على الفقراء المشركين حتى نزلت هذه الآية، فأمروا أن يتصدقوا عليهم[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ اعتمر عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمها قتيلة وجدتها يسألانها، وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكم شيئا حتى أستأمر رسول الله ﷺ فإنكما لستما على ديني؛ فاستأمرته في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية، أن تصدق عليهما، فأعطتهما ووصلتهما[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع في اليهود، وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوهم على أن يسلموا فاستأمروا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فأعطوهم بعد نزولها[3].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى التعامل بالرحمة مع جميع البشر بغض النظر عن أديانهم؛ فالله تعالى هو الهادي والديان.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الإمام علي لم يكن يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فقال رسول الله ﷺ: (ما حملك على هذا؟) قال: حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني، فقال له رسول الله ﷺ: (ألا إن

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٩.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٨٩.

ذلك لك) فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها ذكر للصالحين وإنفاقهم الكثير، وفي كل الأوقات، وفي كل الأحوال، وبكل ما يطيقون.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما أظهر الله تعالى رسوله على مكة، وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا، فقال بنوعمرو بن عمير: صولحنا على أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، فعرف بنو عمرو أن لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ فتأخذون أكثر ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ فتبخسون منه[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن بني عمروبن عمير قالوا لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا ولكن الربا ندعه لكم، فقالت بنوالمغيرة: نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا إلى أن تدرك الثمرة، فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٠.

تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]؟[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى المسارعة في تطبيق أحكام الشريعة وحدودها كاملة، لأن ذلك هو علامة الإيمان واليقين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]؟

قال أحدهم: روي أنها عندما نزل بالمدينة قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قالت كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إلهٌ واحدٌ؟ فأنزل الله تعالى الآية.. وروي أن المشركين قالوا: إلهٌ واحدٌ؟ إن كان صادقا فليأتنا بآية، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للنظر في بدائع صنع الله تعالى، وإعمال العقول فيها؛ فهي تختزن كل الدلائل على وحدانية الله وأسمائه الحسنى.. ففي كل شيء آية تدل على الله.. وفيها بيان بأن العقل الحقيقي هو الذي يعبر من الكون إلى المكون، لا الذي يبقى مسجونا في سجون المظاهر من غير أن يعبر إلى الذي أظهرها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُومُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة حرموا على

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٧.

أنفسهم من الحرث والأنعام وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي[1].

قال المعلم: وفيها إخبار بأن الإعراض عن الحلال الطيب إعراض عن الضيافة الإلهية، واتباع للشيطان الذي يحرم ما أحل الله، ويحل ما حرم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]؟

قال أحدهم: روي أن اليهود قالوا: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى تعظيم الكعبة المشرفة، لما فيها من البركة والهدى، وهو لا يعني احتقار غيرها من المحال التي يعبد فيها الله أو استنقاصها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]؟

قال أحدهم: روي أنه كان بين الحيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية، فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فأنشد شعرا قاله أحد الحيين في حربهم، فكأنهم دخلهم من ذلك، فقال الحي الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، فقال الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، قال: فقالوا: تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت، فنادى هؤلاء: يا آل أوس، ونادى هؤلاء يا آل خزرج؛ فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٤.

فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون إليه، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون(١).

قال آخر: ومثله ما روي أن شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شابا من اليهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم بيوم بعاث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظافر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا وقال أحدهما لصاحبه: إن شئت والله رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعا وقالا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة وهي حرة، فخرجوا إليها فانضمت الأوس والخزرخ بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: (يا معشر المسلمين، بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله الله) فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٥.

من أيديهم وكبوا، وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله عز وجل الآية، قال جابر بن عبد الله: ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله ﷺ فأومأ إلينا بيده، فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا، فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ فما رأيت قط يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من الإعراض عن النبوة والقيم التي دعت إليها، والسماع للمنحرفين عنها، سواء كانوا من المسلمين وغيرهم.. وفيها تنبيه إلى خطر الشقاق وكل من يدعو إلى تصديع وحدة المسلمين.

قلت: وفيها دعوة إلى الوعي حتى لا يقع المسلمون ضحية للحرب الناعمة التي تستغل الفوارق العرقية وغيرها لبث الصراع بينها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]؟

قال أحدهم: روي أنه كان بين الأوس والخزرج شر في الجاهلية، فذكروا ما بينهم، فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف فأتي النبي ﷺ فذكر ذلك له، فذهب إليهم، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]؟ (٢).

قال آخر: ومثله ما روي أن الأوس والخزرج كانوا يتحدثون، فغضبوا، حتى كاد

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٧.

يكون بينهم حرب، فأخذوا السلاح ومشى بعضهم إلى بعض، فنزلت: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠١ ـ ١٠٣]؟ (١)

قال المعلم: وفيها دعوة للوحدة بين المسلمين، وأنها لا تتم إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتحكيمهما والاعتصام بهما في كل الشؤون.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالك بن الضيف، ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لشروط خيرية الأمة التي لا تتم إلا بها.. فمن توفرت فيه تلك الشروط كان انتماؤه للأمة حقيقيا، ومن لم تتوفر فيه كان مشوها لها، وعبئا عليها.. وقد تمثلت تلك الشروط في رسول الله ﷺ وورثته الهادين؛ فهم خير من ينطبق عليهم هذا الوصف.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٧.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رؤوس اليهود عمدوا إلى مؤمنيهم فآذوهم لإسلامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال المعلم: وهي دعوة للمؤمنين في كل العصور إلى الصبر والتحمل وعدم الانجرار وراء أي فتنة قد تشوه الدين الذي يحملونه، والقيم التي يدعون إليها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]؟

قال أحدهم: روي أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من اليهود، قالت أحبار اليهود: ما آمن لمحمد إلا شرارنا، ولو كانوا من أخيارنا لما تركوا دين آبائهم، وقالوا لهم: لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره، فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: (إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم)، فأنزلت هذه الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٧.

قال المعلم: وفيها دعوة للعدل، ومع كل أهل الأديان والمذاهب، وعدم التعميم في الأحكام؛ وترك الأحكام لله تعالى؛ فهو الذي يقضي بين عباده.. وفيها دعوة للبحث عن صالحي الأمم ومعتدليها والاستفادة منهم والتعامل معهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع، فأنزل الله تعالى الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم[١].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى اعتبار الولاء لله تعالى أصلا تقام عليه سائر الولاءات؛ فكل ما عدا الدين زائل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١] وما بعدها؟

قال أحدهم: روي أنه قيل لعبد الرحمن بن عوف: أخبرنا عن قصتكم يوم أحد، فقال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجد ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]؟ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٩.

يَقُولُونَ لَوكَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوكُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؟ (١)

قال المعلم: وفيها دعوة لتدبر ما حصل من أحداث في عهد رسول الله ﷺ من خلال القرآن الكريم، لأنه يمثل الحقيقة والعبرة.

قلت: وفي الآية الكريمة بيان لوظيفة من وظائف رسول الله ﷺ وهي مواجهة الظلمة المعتدين من خلال توفير الإعداد العسكري المناسب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَويَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَويُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت بعدما كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أحد ودمي وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه ويقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهويدعوهم إلى ربهم؟)، فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال آخر: ومثله ما روي عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه وجعل يسيل الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى ربهم)، فأنزل الله عز وجل الآية(٣).

قال المعلم: وفيها دعوة لإحالة كل ما يرتبط بالجزاء والعقاب لله تعالى، وفي حديث رسول الله ﷺ بيان للعقاب العظيم الذي سيناله من حارب رسول الله ﷺ.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢١.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَّ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُّ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؟

قال أحدهم: روي أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ أبنوا إسرائيل أكرم على الله منا؟ كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه: اجدع أذنك، اجدع أنفك، افعل كذا، فسكت النبي ﷺ فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: (ألا أخبركم بخير من ذلك؟) فقرأ هذه الآيات.

قال المعلم: هذا الحديث يخالف ما ورد في القرآن الكريم من كون الله تعالى غفارا لكل من استغفر، ومن جميع الأمم.. لكن للمغفرة شروط لا تتحقق من دونها، وقد نصت الآية الكريمة على أعظمها، وهو عدم العودة والإصرار.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت بعدما انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد، فبينما هم كذلك إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلوعليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: (اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك، اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر)، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، وثاب نفر من المسلمين رماة، فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم(١).

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الاستعلاء الإيماني، والذي يعني الثبات والعزة، ولا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢١.

التجبر والتكبر.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؟

قال أحدهم: روي أنه لما انصرف رسول الله كئيبا حزينا يوم أحد، جعلت المرأة تجيء بزوجها وابنها مقتولين وهي تلتدم، فقال رسول الله ﷺ: (أهكذا يفعل برسولك؟) فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال المعلم: وفيها تسلية للمؤمنين في كل الأزمنة والأمكنة بأن صبرهم على البلاء الذي يصيبهم جراء نصرة الحق لن يضيع.. بل سينالون منه أعظم أنواع الثواب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؟

قال أحدهم: روي أنه لما كان يوم أحد انهزم الناس، فقال بعض الناس: قد أصيب محمد فأعطوهم بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، وقال بعضهم: إن كان محمد أصيب ألا ما تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فأنزل الله تعالى الآية في ذلك: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٤.

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤ ـ ١٤٨]؟ (١)

قال المعلم: وفيها بيان لأصناف أتباع رسول الله ﷺ وأتباع الرسل جميعا، وأن منهم الأقوياء الثابتون الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، وفيهم الضعفاء الذين قد يغيروا ويبدلوا لأوهى سبب، وقد حصل ما ورد في الآية الكريمة من النبوءة، كما حذر رسول الله ﷺ وأخبر.

قلت: وفيها إشارة إلى أن الابتلاء الحقيقي للأمة سيبدأ بعد وفاة نبيها ﷺ.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١]؟

قال أحدهم: روي أنه لما ارتحل أبوسفيان والمشركين يوم أحد متوجهين إلى مكة، انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما عزموا، وأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لعناية الله تعالى بعباده الصالحين وحمايته لهم.. وأن الرعب جند من جنود الله يحمي به الصادقين من عباده، ليردع به المعتدين عليهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٤.

تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]؟

قال أحدهم: روي أنه لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أحد، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى الآية[١].

قال المعلم: وفيها دعوة للبحث عن أسباب الهزائم والانتكاسات؛ فالله أكرم من أن يتخلى عن عباده إلا إذا تخلوا هم عنه أو عما أمرهم به.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]؟

قال أحدهم: روي أنه فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين، فقال أناس: لعل النبي ﷺ أخذها، فأنزل الله تعالى الآية[٢].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ بعث طلائع، فغنم النبي ﷺ غنيمة وقسمها بين الناس ولم يقسم للطلائع شيئا، فلما قدمت الطلائع قالوا: قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت[٣].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت حين ترك الرماة المركز يوم أحد طلبا للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: (من أخذ شيئا فهوله)، وأن لا يقسم الغنائم كما لم

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٥.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٦.

يقسم يوم بدر، فقال النبي ﷺ: (ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن أشراف الناس استدعوا رسول الله ﷺ أن يخصصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الثقة المطلقة برسول الله ﷺ وعصمته وأنه لا يقول ولا يفعل إلا ما أمر به.. وفيها بيان لعظم عناء رسول الله ﷺ من كل أصناف الناس حتى من أتباعه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت فيما أخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: (لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب)، فقال الله عز وجل: (أنا أبلغهم عنكم)، فأنزل الله تعالى الآية[3].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أوسرور تحسروا وقالوا: نحن في نعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله تعالى الآية تنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم[4].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٨.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٢٩.

قال المعلم: وفيها ترغيب في الشهادة في سبيل الله لنصرة الحق والدفاع عنه، وإخبار بأن من انتصر للحق أعظم من أن يستطيع الأعداء قتله أو قتل الحق الذي حماه ودافع عنه ودعا إليه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ استنفر الناس بعد أحد حين انصرف المشركون، فاستجاب له سبعون رجلا، فطلبهم فلقي أبوسفيان عيرا من خزاعة، فقال لهم: إن لقيتم محمدا يطلبني فأخبروه أني في جمع كثير، فلقيهم النبي ﷺ فسألهم عن أبي سفيان فقالوا: لقيناه في جمع كثير ونراك في قلة ولا نأمنه عليك، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يطلبه، فسبقه أبوسفيان، فدخل مكة، فأنزل الله تعالى الآية فيهم حتى بلغ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؟[1].

قال المعلم: وفيها وصف للصادقين من المؤمنين، وأن علامتهم الكبرى الثبات في وقت الشدائد، لأنه علامة اليقين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت يوم أحد بعد القتل والجراحة، فبعدما انصرف المشركون أبوسفيان وأصحابه قال نبي الله ﷺ لأصحابه: (ألا عصابة تشدد لأمر الله فتطلب عدوها فإنه أنكى للعدووأبعد للسمع)، فانطلق عصابة على ما يعلم الله من الجهد حتى إذا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٠.

كانوا بذي الحليفة جعل الأعراب والناس يأتون عليهم، يقولون هذا أبوسفيان مائل بالناس، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُوفَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤]؟ (١)

قال المعلم: وفيها وصف للصادقين الموقنين بنصر الله، والذين لا يتزعزعون مهما كانت قوة عدوهم، لأن أملهم في الله لا في قوتهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قالت قريش: تزعم يا محمد أن من خالفك فهوفي النار والله عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهومن أهل الجنة والله عنه راض، فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لسنة الله في اختبار من يزعمون لأنفسهم الإيمان، ليميز الصادقين منهم عن غيرهم، وأن ذلك سار في كل الأجيال وجميع الأمم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]

قال أحدهم: نزلت في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣١.

الأشرف[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ والاستشفاع به إلى الله، وبيان لدور التواصل معه في غفران الله تعالى للعبد، وهو ليس مرتبطا بزمن دون زمن.

قلت: أجل .. والروايات الكثيرة حول الاستدلال بالآية من لدن السلف الأول، تدل على ذلك، واعتباره؛ فقد روى العتبي (توفي ٢٢٨ هـ) - وهومن مشايخ الشافعي، وحدّث عن سفيان بن عيينة وغيره - عن محمد بن حرب الهلالي، قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثمَّ قال: (يا خير الرسل، إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وإنّي جئتك مستغفراً ربّك من ذنوبي مستشفعاً فيها بك. ثمَّ بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهنّ القاع والأكمُ

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

ثمَّ استغفر وانصرف[2].

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]؟

قال أحدهم: روي أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرا، وكان يهجوالنبي ﷺ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٥٢٠)

(٢) أخرج هذه الرواية ابن الجوزي في (مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) والقسطلاني بأسانيدهم، انظر: شفاء السقام: ٦٢ - ٦٣، مختصر تاريخ دمشق ٢: ٤٠٨، والمواهب اللدنية ٤: ٥٨٣.

ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون ومنهم المشركون ومنهم اليهود، فأراد النبي ﷺ أن يستصلحهم كلهم، فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر على ذلك(١).

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، وأردف أسامة بن زيد وراءه وسار يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف، فنزل ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا؟ ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجلسنا فإنا نحب ذلك، واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتساورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته وسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له: (يا سعد ألم تسمع ما قال أبوحباب؟) ـ يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا ـ فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك، وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٤.

ﷺ فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للمؤمنين، وخاصة الدعاة منهم، إلى الصبر والتحمل وعدم معاملة المخالفين بما يتناسب مع سلوكهم، حتى لا يكون ذلك سببا في نفورهم من الحق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؟

قال أحدهم: روي أن قريشا أتت اليهود فقالوا: ما جاءكم به موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟ فقالوا: يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى؛ فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فأنزل الله الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للنظر في الكون للعبور منه إلى الله، ثم بعده إلى رسله وشرائعه، وفيها بيان أن ذلك لا يكون إلا لأصحاب العقول الراجحة التي تهتم باللباب، لا بالقشور.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]؟

قال أحدهم: روي أن أم سلمة قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٨.

بشيء، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان بأن كل ما في القرآن الكريم خطاب للرجال والنساء، وأن عدل الله ورحمته تأبيان التفريق بينهما، وأن ورود الخطاب بصيغة المذكر مراعاة للأساليب اللغوية، والتي تجعل المذكر شاملا للذكور والإناث، وتخص الإناث بضمائر خاصة بهن.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهَّ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَّ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في النجاشي، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم)، فقالوا: ومن هو؟ فقال: (النجاشي)، فخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لأصحابه: (استغفروا له)، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للتعامل برفق مع أهل الأديان المختلفة، ليكون ذلك سببا في تأليف قلوبهم للحق، وخضوعهم واتباعهم له.. وفيها دعوة لعدم الحكم على مصير المخالفين، فالله أعلم بعباده، وهو الديان الذي يحكم بينهم فيما يختلفون فيه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٩.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله، فقال النبي ﷺ: (من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره)، يعني جنته، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله تعالى، فقال النبي ﷺ: (ثبت الأجر وبقي الوزر) فقالوا: يا رسول الله، قد عرفنا أنه ثبت الأجر، فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله؟ فقال: (ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده)[1]

قال المعلم: وفيها دعوة للورع، وخاصة عن أموال المستضعفين الذين لا يطيقون الدفاع عن أنفسهم، وشموله لكل النواحي، سواء الكمية منها أو النوعية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الرجل يكون له اليتيمة وهووليها ولها مال وليس لها أحد يخاصم دونها، فلا ينكحها حبا لمالها، ويضربها ويسيء صحبتها، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]؟ يقول: ما أحللت لكم ودع هذه[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنهم كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، ويتزوجون ما شاءوا، فربما عدلوا وربما لم يعدلوا، فلما سألوا عن اليتامى، فنزلت

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٢.

آية اليتامى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، وأنزل الله تعالى أيضا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، يقول: كما خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن، فلا تزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن، لأن النساء كاليتامى في الضعف والعجز[١].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى مراعاة الرحمة والعدل في كل الشؤون، وخاصة فيما يتعلق بحقوق المستضعفين الذين لا يطيقون صد من يظلمهم، لأن الله تعالى سيكون معهم وينصرهم على من ظلمهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتا وهو صغير، فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى عدم إعطاء الأموال لمستحقيها ممن للمرء حق كفالتهم إلا بعد الاطمئنان على قدرتهم على إدارتها.. فالمال حق الأمة قبل أن يكون حقا لأفرادها.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٢.

قلت: وفيها ترخيص لتناول ما يضطر إليه المؤمن من تلك الأموال، وبحسب الضرورة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْكَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان: هما ابنا عم الميت ووصياه، يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته شيئا ولا بناته، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرا، إنما يورثون الرجال الكبار، وكانوا يقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة، فجاءت المرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أوس بن ثابت مات وترك علي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهوعند سويد وعرفجة لم يعطياني ولا بناته من المال شيئا وهن في حجري، ولا يطعماني ولا يسقياني ولا يرفعان لهن رأسا، فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا، فقال رسول الله ﷺ: (انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن)، فانصرفوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لعدالة الله ورحمته بعباده، وأنها لا تفرق بين الرجال والنساء في كل الشؤون، بما فيها الشؤون المالية من الوصية والإرث وغيرها.. وفي سبب النزول إشارة إلى أن من يخالف ذلك يكون حاله كحال أهل الجاهلية.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٣.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رجل ولي مال ابن أخيه وهويتيم صغير، فأكله، فأنزل الله فيه هذه الآية(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من أكل أموال المستضعفين، وبيان لما تتحول إليه يوم القيامة عندما تتجسد كل الأعمال الصالحة والسيئة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]؟

قال أحدهم: روي عن جابر قال: عادني رسول الله ﷺ وأبوبكر في بني سلمة يمشيان، فوجدني لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي منه فأفقت فقلت: كيف أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت الآية(٢).

قال آخر: ومثله ما روي عن جابر قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس، أوقالت سعد بن الربيع، قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما، فلم يدع لهما مالا إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٤.

ما ينكحان أبدا إلا ولهما مال، فقال: (يقضي الله في ذلك)، فنزلت الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لأحكام الله المتعلقة بأموال الموتى، وقسمتها بالعدل بين الورثة، ودعوة لتنفيذ الوصايا، ورد الحقوق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]؟

قال أحدهم: روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى مراعاة حقوق النساء، وعدم ظلمهن، ووجوب عشرتهن بالمعروف، وفي حال وقوعهن في أي تجاوزات يعاقبن مثلما يعاقب الرجال بحسب ما تقتضيه العدالة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما توفي أبوقيس وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه، فقالت: إني أعدك ولدا، ولكني آتي رسول الله ﷺ أستأمره،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٦.

فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان للمحرمات من النساء، وتعظيم لخطر تجاوزها، لأن تعديها من الجاهلية التي لم تكن تراعي العلاقات الاجتماعية وما يرتبط بها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي بردة الأسلمي كان كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس من أسلم فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في رجل من الأنصار يقال له: قيس، وفي رجل من اليهود في مدارأة كانت بينهما في حق تدارءا فيه، فتنافرا إلى كاهن بالمدينة ليحكم بينهما، وتركا نبي الله ﷺ فعاب الله تعالى ذلك عليهما، وكان اليهودي يدعوه إلى نبي الله، وقد علم أنه لن يجور عليه، وجعل الأنصاري يأبى عليه وهويزعم أنه مسلم ويدعوه إلى الكاهن، فأنزل الله تعالى الآية، وعاب على الذي يزعم أنه مسلم، وعلى اليهودي الذي هومن أهل الكتاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦١]؟[3]

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٤٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٠.

قال المعلم: وفيها تحذير من التحاكم إلى الأهواء والطواغيت، وترك الاحتكام لله ورسوله.. وفيها إشارة إلى العدالة الإلهية التي جعلت اليهود يقبلون بها في نفس الوقت الذي ينفر منها المنحرفون من المسلمين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؟

قال أحدهم: روي عن الزبير بن العوام، أنه كان يحدث أنه خاصم رجلا من الأنصار قد شهد بدرا إلى النبي ﷺ في شراج الحرة كانا يسقيان بها كلاهما، فقال النبي ﷺ للزبير: (اسق ثم أرسل إلى جارك)، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: (اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر)، فاستوفى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة للأنصاري وله، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله استوفى للزبير حقه في صريح الحكم[(١)].

قال المعلم: وفيها دعوة للتسليم التام لله ورسوله ﷺ والرضى التام بما تقضي به الشريعة، وعدم الحرج منها، لأنها تمثل العدالة المطلقة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب له قليل

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٣.

الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن، فقال له رسول الله: (يا ثوبان ما غير لونك؟) فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أرك أبدا، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال آخر: ومثله ما روي أن أصحاب رسول الله ﷺ المجتبين قالوا: ما ينبغي لنا أن نفارقك في الدنيا فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا، فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد رسول الله ﷺ شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية(٣).

قال المعلم: وفيها تبشير للمؤمنين الصادقين بأن محبتهم للصالحين ستلحقهم بهم؛ فالعبرة في الآخرة بالولاء والمحبة، لا بالمعاصرة والمشاهدة؛ ولذلك فإن الآية الكريم تدعو الأمة جميعا إلى صحبة رسول الله ﷺ مهما تباعدت الأزمنة والأمكنة.. فمعية رسول الله ﷺ أكبر من أن يحجبها شيء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٤.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٥.

أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء، فيقول لهم: (كفوا أيديكم عنهم فإني لم أؤمر بقتالهم)، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابه أتوا إلى النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! فقال: (إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا والقوم)، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الصدق التام مع الله، والوفاء بكل العهود.. وفيها نهي شديد عن الاعتراض على أحكام الله الكونية والتشريعية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت لما استشهد من المسلمين من استشهد يوم أحد، حيث قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد: لوكان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٦.

فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة لتفعيل الإيمان في الحياة؛ فلا خير في إيمان يظل محبوسا في الذهن؛ وأول آثار الإيمان بالأجل المحتم بذل النفس في سبيل الله، وعدم الخوف من الموت عند ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]؟

قال أحدهم: روي أن الحارث بن يزيد كان شديدا على النبي ﷺ فجاء وهويريد الإسلام، فلقيه عياش بن أبي ربيعة والحارث يريد الإسلام وعياش لا يشعر فقتله، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها تحذير من سفك الدماء مطلقا، وخاصة دماء المؤمنين المسالمين، وبيان للأحكام المرتبطة بحال وقوع خطأ في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]؟

قال أحدهم: روي أن مقيس بن صبابة وجد أخاه هشام بن صبابة قتيلا في بني النجار وكان مسلما، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ معه رسولا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٧.

من بني فهر؛ فقال: (ائت بني النجار فأقرئهم السلام وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن ضبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قاتلا أن تدفعوا إليه ديته)، فأبلغهم الفهري ذلك عن النبي ﷺ فقالوا: سمعا وطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلا، ولكن نؤدي إليه ديته، فأعطوه مائة من الإبل ثم انصرفا راجعين نحوالمدينة، وبينهما وبين المدينة قريب، فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال: أي شيء صنعت؟ تقبل دية، فيكون عليك سبة؟ اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية، ففعل مقيس ذلك، فرمى الفهري بصخرة فشدخ رأسه، ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا، فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فأدركه الناس بالسوق فقتلوه[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من القتل، ووعيد شديد عليه بالخلود في جهنم، وهو شامل لكل نفس، وفي أي زمن.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت حين لحق المسلمون رجلا في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت هذه الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن أصحاب النبي ﷺ خرجوا يطوفون، فلقوا المشركين

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٠.

فهزموهم، فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه، فلما غشيه بالسنان قال: إني مسلم، إني مسلم، فكذبه ثم أوجره السنان فقتله، وأخذ متاعه وكان قليلا، فرفع ذلك إلى رسول الله فقال: (قتلته بعدما زعم أنه مسلم؟) فقال: يا رسول الله إنما قالها متعوذا، قال: (فهلا شققت عن قلبه)، قال: لم يا رسول الله؟ قال: (لتنظر أصادق هوأم كاذب؟) قال: وكنت أعلم ذلك يا رسول الله؟ قال: (ويلك إنك إن لم تكن تعلم ذلك، إنما كان يبين عنه لسانه) (١)

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ بعث أسامة بن زيد على سرية، فلقي مرداس بن نهيك الضمري فقتله، وكان من أهل فدك ولم يسلم من قومه غيره، وكان يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويسلم عليهم، قال أسامة: فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فقال: (قتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله؟) فقلت: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل، فقال: (كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟) قال: فما زال يرددها علي: (أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟) حتى تمنيت لوأن إسلامي كان يومئذ، فنزلت الآية(٢).

قال المعلم: وفيها تحذير شديد للمؤمنين من التكفير وإهدار دم المخالفين، وبيان أسباب ذلك، وهو الركون للحياة الدنيا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٢.

وأظهروا الإيمان وأسروا النفاق، فلما كان يوم بدر خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين فقتلوا، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم ما ذكر الله سبحانه(١).

قال المعلم: وفيها أمر باتخاذ أسباب القوة، وعدم الركون لأسباب الضعف؛ فالله يؤيد من استعان به، ويخذل من قعد عن بذل الجهد والعمل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠]؟

قال أحدهم: روي أنه لما سمع مسلمو مكة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، قال حبيب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا: احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لا أهتدي إلى الطريق، فحمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة، فلما وصل التنعيم أشرف على الموت، فصفق يمينه على شماله وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعتك يد رسول الله ﷺ ومات حميدا، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم أجرا، فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لشرف النية التي تستحث العزيمة، وأن الله يجازي عباده بحسبها، في أي شأن من الشؤون، أو زمن من الأزمنة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٦.

الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢]؟

قال أحدهم: روي عن أبي عياش الزرقي قال: صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو كنا أصبنا منهم غرة، قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم، وهي العصر، فنزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين الأولى والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهم بعسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، وذكر صلاة الخوف [(١)].

قال المعلم: وفيها حث على الاهتمام بالصلاة، وخاصة صلاة الجماعة، وفي كل الأوقات، وفي أحلك الظروف.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٩.

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوإِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَومَعْرُوفٍ أَوإِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٠٥ـ ١١٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت كلها في قصة واحدة، وذلك أن رجلا من الأنصار يقال له: طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له: قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق، فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل،

وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي، حتى أنزل الله تعالى الآيات كلها[1].

قال المعلم: وفيها دعوة لتحكيم شريعة الله تعالى وقيم العدالة التي شرعها، ومع جميع الخلق، وفي جميع الأوقات؛ فالعدالة لا تنقسم ولا تتجزأ ولا تتوقت.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أهل الكتاب ـ أهل التوارة وأهل الإنجيل ـ وأهل الأديان جلس كل صنف يقول لصاحبه: نحن خير منكم، فنزلت[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن أهل الكتاب قالوا للمسلمين: نحن أهدى منكم، نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم؛ وقال المسلمون: نحن أهدى منكم وأولى بالله، نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]؟ وبقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]؟ [3].

قال المعلم: وفيها بيان لسنن الله في الجزاء، وأنها لا تحابي أمة من الأمم؛ فكل مجزي بما عمل، لا بما يرغب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٧٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨١.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨١.

يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]؟

قال أحدهم: روي أن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والذي يتلى عليهم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، وقال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للرحمة والقسط مع الجميع، وخصوصا المستضعفين الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، لأن الله تعالى يتولى ذلك عنهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في المرأة تكون عند الرجل فلا يستكثر منها ويريد فراقها، ولعلها أن تكون لها صحبة ويكون لها ولد فيكره فراقها، وتقول له: لا تطلقني وأمسكني وأنت في حل من شأني، فأنزلت هذه الآية[2].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٤.

قال آخر: ومثله ما روي أن بنت محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرا، إما كبرا وإما غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني وأمسكني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للبحث عن الحلول التي تتناسب مع الرحمة والعدالة، وعدم المسارعة إلى المباحات؛ فهي قد تتنافى مع ما تقتضيه المروءة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في النبي ﷺ حين اختصم إليه غني وفقير، وكان ضلعه مع الفقير، ورأى أن الفقير لا يظلم الغني فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للعدالة الشاملة، وكل ما تقتضيه من التحقيق والتحري.. وأن تمارس مع الجميع، وفي جميع الظروف، بعيدا عن العواطف والأهواء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

بن قيس وجماعة من مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للإيمان بجميع الأنبياء والرسل والكتب والهداة ما علمنا منهم وما لم نعلم.. لأن ذلك من مقتضيات الإيمان بهداية الله الشاملة؛ فالله أعظم وأكرم من أن يحصر هدايته في قوم دون قوم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُّ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُّ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ضيف تضيف قوما فأساءوا قراه فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكوا[2].

قال المعلم: وفيها رفع للحرج عن المظلوم الذي قد يضطر لبث شكواه، وفيها نهي عن إلجائه إلى ذلك الاضطرار.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللهُّ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهَّ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]؟

قال أحدهم: روي أن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: سألنا عنك اليهود فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولا، فنزلت هذه الآية[3].

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

قال المعلم: وفيها دعوة للبحث في القرآن الكريم للبحث عن دلائل علم الله الذي يتيقن به الشاكون في صدق الشهادة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]؟

قال أحدهم: روي عن جابر قال: اشتكيت فدخل علي رسول الله ﷺ وعندي سبع أخوات، فنفخ في وجهي فأفقت، فقلت: يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلثين، قال: (احبس)، فقلت الشطر، قال: (احبس)، ثم خرج فتركني. قال: ثم دخل علي وقال: (يا جابر إني لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبين الذي لأخواتك، جعل لأخواتك الثلثين) [١]

قال المعلم: وفيها بيان لأحكام الإرث ودعوة للالتزام بها وتحذير من مخالفتها أو إعمال الأهواء فيها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٧.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الحطم ـ اسمه شريح بن ضبيعة الكندي ـ أتى النبي ﷺ من اليمامة إلى المدينة، فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ، فقال: إلام تدعوالناس؟ قال: (إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)، فقال: حسن، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمرا دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: (يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان)، ثم خرج من عنده، فلما خرج قال رسول الله ﷺ: (لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر، وما الرجل بمسلم)، فمر بسرح المدينه فاستاقه، فطلبوه فعجزوا عنه، فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجاج اليمامة، فقال لأصحابه: (هذا الحطم وأصحابه)، وكان قد قلد هديا من سرح المدينة وأهداه إلى الكعبة، فلما توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ يريد: ما أشعر الله، وإن كان على غير دين الإسلام[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للسماحة ولو مع المخالفين المعتدين، ونهي عن الاعتداء مطلقا مهما كانت الظروف.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]؟

قال أحدهم: روي عن أبي رافع قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي عن سعيد بن جبير قال: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٧.

وزيد بن المهلهل الطائيين وهوزيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ: (زيد الخير)، وذلك أنهما جاءا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح وآل أبي جويرية تأخذ البقر والحمر والظباء والضب، فمنه ما يدرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا يدرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ يعني الذبائح ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ يعني: وصيد ما علمتم من الجوارح، وهي الكواسب من الكلاب وسباع الطير[1].

قال المعلم: وفيها بيان لفضل الله تعالى على عباده بإباحة الطيبات، وأنه لم يحرم عليهم إلا ما يضرهم سواء علموه، أو لم يعلموه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١]؟

قال أحدهم: روي أن رجلا من محارب يقال له غورث بن الحارث قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمدا؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به.. فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: (نعم)، فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه ويهم به، فكبته الله عز وجل ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: (لا)، قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: (يمنعني الله منك)، ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى الآية.: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾[2]

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٢.

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها، فعلق النبي ﷺ سلاحه على شجرة، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني؟ قال: (الله)، قال ذلك الأعرابي مرتين أوثلاثا والنبي ﷺ يقول: الله، فشام الأعرابي السيف، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه(١).

قال المعلم: وفيها تذكير للمؤمنين بفضل الله تعالى عليهم، وحفظه لهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْيُصَلَّبُوا أَوتُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْيُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]؟

قال أحدهم: روي أن رهطا من عكل وعرينة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود راع وأمرهم أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها، فلما صحوا وكانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم فتركوا في الحرة التي ماتوا على حالهم(٢).

قال المعلم: وفيها دعوة لوجوب التشدد مع المجرمين الذين يروعون حياة المؤمنين؛ فالرحمة بهم قسوة على المستضعفين المسالمين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٤.

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]؟

قال أحدهم: روي أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه)، فقال: قد قبلت، فأنزل الله تعالى الآية فيهما[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من موالاة أعداء الإسلام والمسلمين، وأن من تولى قوما أصبح معهم ومنهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]؟

قال أحدهم: روي أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن قوما من قريظة والنضير قد هاجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل، وشكى ما يلقى من اليهود، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء.. وإن آخر الآية نزل في علي بن أبي طالب، لأنه أعطى خاتمه سائلا وهوراكع في الصلاة[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن النبي ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فنظر سائلا فقال: (هل أعطاك أحد شيئا؟) قال: نعم خاتم من ذهب، قال: (من أعطاكه؟)

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٨.

قال: ذلك القائم، وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب فقال: (على أي حال أعطاك؟) قال: أعطاني وهوراكع، فكبر النبي ﷺ ثم قرأ الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للبحث عن الصالحين الصادقين وولايتهم، فالولاية لا تكون إلا للبررة دون الفجرة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وهي تشمل كل الذين اتخذوا دين الله هزوا ولعبا وفي كل الأمكنة والعصور، فليس ذلك خاصا بأشخاص أو بأزمنة بعينها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُّ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت يوم غدير خم، في علي بن أبي طالب[3].

قال آخر: وروي عن عائشة قالت: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلت: يا رسول الله ما شأنك؟ قال: (ألا رجل صالح يحرسنا الليلة)؟ فقالت: بينما نحن في ذلك سمعت

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٩.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠١.

صوت السلاح، فقال: (من هذا؟) قال: سعد وحذيفة، جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية، فأنزل رسول الله ﷺ رأسه من قبة أدم وقال: (انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله) (١)

قال المعلم: وفيها دعوة لتبليغ الدين وبكل جرأة، والله تعالى يتولى حفظ من يفعل ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ جلس يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف؛ فرق الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي.. واتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب، ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض ويترهبوا؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال: (ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟) فقالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال لهم: (إني لم أومر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقا، فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم، ومن رغب عن سنتي فليس مني)، ثم خرج إلى الناس وخطبهم فقال: (ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا، أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهبانا، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتها الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠١.

شيئا، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع)، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها، وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا، فأنزل الله تعالى الآية.: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوكِسْوَتُهُمْ أَوتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩]؟[١].

قال المعلم: وفيها بيان لحقيقة العبودية والعبادة وأنها لا تتنافى مع تناول الطيبات التي أباحها الله، وفي حدود الاعتدال، وعدم الاعتداء، وأن ما حصل من ذلك في الأديان السابقة تحريف وانحراف واعتداء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]؟

قال أحدهم: روي عن أنس قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ والبسر والتمر، وإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فحرت في سكك المدينة، فقال أبوطلحة: اخرج فأرقها، قال: فأرقتها، فقال بعضهم: قتل فلان وقتل فلان وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله تعالى الآية[٢].

قال المعلم: وفيها بيان بأن أحكام الشريعة مرتبطة بتوفر العلم بها والقدرة على ذلك؛

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٩.

فمن حُجب عن العلم من غير تقصير منه ارتفع عنه التكليف.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَّ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]؟

قال أحدهم: روي أنه عندما قال النبي ﷺ: (إن الله عز وجل حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب، ألا إن الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها)، قام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله إن كنت رجلا كانت هذه تجارتي، فاعتقبت من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: (إن أنفقته في حج أوجهاد أوصدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب)، فأنزل الله تعالى الآية تصديقا لقوله ﷺ، فالخبيث: الحرام[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من الخبيث، وأنه يبقى خبيثا أبدا، وأن الله لا يقبل إلا الطيب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُّ عَنْهَا وَاللهُّ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]؟

قال أحدهم: روي أن قوما كانوا يسألون النبي ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي عن الإمام علي قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَللهِّ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، قالوا:

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٩.

يا رسول الله، أفي كل عام؟ فسكت، ثم قالوا: أفي كل عام؟ فسكت، ثم قال في الرابعة: (لا، ولو قلت: نعم لوجبت)، فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من التكلف، والبحث عما لم نؤمر بالبحث عنه وفيه، ولو أن المسلمين التزموا هذه الآية الكريمة لتعلموا العلوم الحقيقية، وابتعدوا عن الكثير من التكلف الذي اختلط بالدين وشوهه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوآخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوكَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦]؟

قال أحدهم: روي أن تميم الداري وعدي بن بداء كانا يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجل من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس بها أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما دفعاها إلى أهله وكتما جاما كان معه من فضة كان مخوصا بالذهب فقالا: لم نره فأتي بهما إلى النبي ﷺ فاستحلفهما بالله ما كتما ولا اطلعا وخلى سبيلهما؛ ثم إن الجام وجد عند قوم من أهل مكة، فقالوا: ابتعناه من تميم الداري وعدي بن بداء، فقام أولياء السهمي فأخذوا الجام وحلف رجلان منهم بالله إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا، فنزلت هاتان الآيتان(٢).

قال المعلم: وفيها دعوة لاحترام الوصايا وتنفيذها بدقة وفي كل الأحوال، وفيها تحذير من كتمانها أو التلاعب بها.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٢.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]؟

قال أحدهم: روي أن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعوإليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية(١).

قال المعلم: وفيها بيان لقدرة الله تعالى وغناه المطلق، وفيها دعوة للمؤمنين للاعتزاز بذلك والاستغناء به.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]؟

قال أحدهم: روي أن الملأ من قريش مروا على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار، قالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء؟ أتريد أن نكون تبعا لهؤلاء؟ فأنزل الله تعالى الآية(٢).

قال المعلم: وفيها دعوة للأمة للاهتمام بالمستضعفين، وخاصة الصالحين منهم، والتحذير من التفريط فيهم أو التعالي عليهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٧.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام)[1]

قال المعلم: وفيها دعوة لاحترام الصادقين من المؤمنين وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها، ومغفرة ما قد يصدر منهم من أخطاء قد لا يقصدونها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت حين قال المشركون: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها، قال: (الله قتلها)، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلاب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش، وكانوا أولياءهم في الجاهلية، وكانت بينهم مكاتبة: إن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهوحلال، وما ذبح الله فهوحرام، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى تسمية الله تعالى في كل شيء، لأن منه كل شيء.. وفيها نهي عن طاعة أصحاب الأهواء أو الاستماع لهم.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٢.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٣.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبوجهل وهوراجع من قنصه وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهويتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى، أما ترى ما جاء به؟! سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف آباءنا؟ قال حمزة: ومن أسفه منكم؟! تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها إشارة إلى أن الحياة الحقيقية لا تتحقق إلا بروح الإيمان ونوره، وأن من فقدها سيعيش في ظلمات الموت والجهالة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ناس من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأنزل الله تعالى الآية، فأمروا بلبس الثياب[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٤.

أحق بذلك، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها إباحة للطيبات، وأمر بالتزين وخاصة عند ممارسة الشعائر، وفيها نهي عن الإسراف والمبالغة في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت فيمن كانوا يتكلمون في صلاتهم في أول ما فرضت، حيث كان الرجل يجيء فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئا قرأ هو[3].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فخلطوا عليه، فنزلت[4].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى تعظيم القرآن الكريم والأدب معه، وفي كل الأحوال، ومنها الاستماع إليه إذا قرئ.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]؟

قال أحدهم: روي عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٧.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٧.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٩.

وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكيفة، فأتيت به النبي ﷺ قال: (اذهب فاطرحه في القبض)، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله ﷺ: (فخذ سيفك)[1]

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر، وقال رسول الله ﷺ: (من فعل كذا وكذا فعله كذا وكذا)، فذهب شباب الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات، فلما كانت الغنيمة جاء الشباب يطلبون نفلهم، فقال الشيوخ: لا تستأثروا علينا فإنا كنا تحت الرايات ولوانهزمتم لكنا لكم ردءا، فأنزل الله تعالى الآية، فقسمها بينهما بالسوية[2].

قال آخر: ومثله ما روي عن عبادة بن الصامت قال: لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ، واستولت طائفة على العسكر والنهب، فلما نفى الله العدو، ورجع الذين طلبوهم، قالوا: لنا النفل؛ نحن طلبنا العدووبنا نفاهم الله وهزمهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ والله ما أنتم بأحق به منا؛ نحن أحدقنا برسول الله ﷺ لا ينال العدومنه غرة فهولنا، وقال الذين استولوا على العسكر والنهب: والله ما أنتم بأحق منا؛ نحن أخذناه واستولينا عليه فهولنا، فأنزل الله تعالى الآية[3].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الرضى بأحكام الله ورسوله في كل شيء، بما فيها تقسيم الغنائم.. وفيها نهي عن الصراع على الدنيا والمغانم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَّ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣١.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣١.

[الأنفال: ١٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير أحد بني عبد الدار، ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع، فطعنه بحربته فسقط أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، وكسر ضلعا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك؟ إنما هو خدش! فقال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين، فمات أبي إلى النار، فسحقا لأصحاب السعير قبل أن يقدم مكة [١].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس، فأتي بقوس طويلة، فقال: جيئوني بقوس غيرها، فجاءوه بقوس كبداء، فرمى رسول الله ﷺ على الحصن، فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه، فأنزل الله تعالى الآية [٢].

قال آخر: ومثله ما روي أن الآية نزلت في رمي النبي ﷺ القبضة من حصباء الوادي يوم بدر حين قال للمشركين: شاهت الوجوه ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء [٣].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى التوكل على الله والثقة فيه، لأنه الفاعل الحقيقي لكل شيء.. وفيها نهي عن الغرور والعجب، والذي لا يتناسب مع توحيد الله.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٣.

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في قول بعضهم: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل أفضل مما قلتم، فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال المعلم: وفيها بيان لمراتب الأعمال، ودعوة إلى مراعاتها، والاهتمام بأشرفها.. وفيها تحذير من إدخال الأهواء والأعراف في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]؟

قال أحدهم: روي أنه لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده، فيقولون: ناشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزلت الآية، ونزل في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]؟ يعني: القتال وفتح مكة(٢).

قال المعلم: وفيها تحذير من حيلولة العلاقات الاجتماعية بين المؤمن وتأدية واجباته

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٤.

الشرعية؛ فحق الله ودينه أولى من كل شيء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة من الحر، حين أخرفت النخل وطابت الثمار، فعظم على الناس غزوة الروم وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال، وشق عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله تثاقل الناس أنزل هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها أمر بالطاعة المطلقة لله ورسوله، وفي كل الأحوال، وخاصة عند النفير لمواجهة الظالمين والمستبدين والمتسلطين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل وانتشار الأمر، فأبى الله تعالى أن يعذرهم دون أن ينفروا على ما كان منهم[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للاستجابة للنفير وفي كل الأحوال والظروف ما دام المستنفر قادرا على ذلك.. وفيها نهي عن الاعتذار والتبرير الذي يستند للهوى والكسل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٤.

لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في البكائين من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعة، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك، فقال: (لا أجد ما أحملكم عليه)، فتولوا وهم يبكون(١).

قال المعلم: وفيها تصوير لمشاعر المستضعفين الصادقين من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أعظم من أن ينحصروا في زمان، وأول علاماتهم بذل كل ما يملكون في سبيل الله.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون الرسول هو الذي يطلقنا ويعذرنا، وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فرآهم، فقال: (من هؤلاء؟) قالوا: هؤلاء تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم، فقال النبي ﷺ: (وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين)، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت أرسل إليهم النبي ﷺ وأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقهم قالوا: يا رسول

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٥.

الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال: (ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا)، فأنزل الله عز وجل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وكانوا عشرة رهط(١).

قال المعلم: وفيها دعوة للمسارعة للتوبة، وإبدال السيئة بالحسنة، وفيها ذكر لبعض الطرق في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع أحد بني عمروبن عوف وهلال بن أمية من بني واقف تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]؟(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لعظم التوبة وكثرة شروطها، وأنه ليس كل من تاب تيب عليه، بل لله الأمر من قبل ومن بعد.

قلت: وفيها رد قوي صريح على كل الأحاديث التي ينشرها المرجئة، والتي يتوهمون فيها أن بعض الكلمات أو الأفعال البسيطة يمكنها أن تمحو ذنوب العمر كلها، بل تبدلها حسنات.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٥.

أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوالْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]؟

قال أحدهم: روي أنه لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم)، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: (الجنة) قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت هذه الآية[1].

قال المعلم: وهي شاملة لكل المؤمنين الصادقين في كل العصور، والذين يبذلون كل ما يملكون في سبيل الله سواء أموالهم أو أنفسهم.. وهؤلاء وحدهم من يستحقون البشارات والفوز العظيم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]؟

قال أحدهم: روي أنه لما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية أبدا، فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعا وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٩.

قال المعلم: وفيها دعوة لكل من يحتاج المسلمون إلى خدماته في المجالات المختلفة إلى الإبقاء على نفسه، وعدم المشاركة في الجهاد العسكري، والمشاركة في سائر مجالات الجهاد، وأولها الجهاد العلمي.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]؟

قال أحدهم: روي أن الله تعالى أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت، فأنزل الله تعالى الآية.. فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى الآية: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، قال: كل ذلك تؤمرون بالقرآن[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم إنهم قالوا: يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص[2].

قال المعلم: وفيها دعوة لاستعمال كل أساليب ووسائل الهداية، تأسيا بالقرآن

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٦٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٦٨.

الكريم، وإقامة لحجة الله البالغة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ بمكة بلال وصهيب وخباب وعمار وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى بعد ذلك المدينة.

قال المعلم: وفيها بيان لشمول الجزاء الإلهي الدنيا والآخرة، فالله أكرم من أن يؤجل ثواب المؤمنين الصادقين إلى الآخرة، مع أن جزاء الآخرة أعظم وأكبر تفضيلا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئت بحربة، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فأخبر النبي ﷺ بأن عمارا كفر، فقال: (كلا، إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه)، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهويبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه، وقال: (إن عادوا لك فعد لهم بما قلت)[1].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٨١.

قال المعلم: وفيها بيان لمفهوم الكفر، وأنه ذاك الذي يكون عن انشراح صدر، أما ما قد يضطر إليه المؤمن حفظا على نفسه، فليس كفرا، والله أكرم من أن يعاقب عليه.. ومثل ذلك ما عدا الكفر، لأنه أيسر وأولى.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]؟

قال أحدهم: روي أنه لما أنزل الله تعالى قبل هذه الآية أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلامهم حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة، فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم، فنزلت: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] كتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا، فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا ويلحقوا بالله، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠][١].

قال المعلم: وفيها دعوة لاستعمال كل الوسائل لتدارك التقصير؛ وأن الله تعالى يغفر لمن فعل ذلك.. وفيها تصوير لبعض معاناة المؤمنين للثبات على إيمانهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَّ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]؟

قال أحدهم: روي أن مشركي أهل مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومجشوج، وعندما كانوا يشكونهم إلى رسول الله ﷺ كان

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٨١.

يقول لهم: (اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال) حتى هاجر رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: لما أخرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبوبكر: إنا لله وإنا إليه راجعون، لنهلكن، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها إذن للمؤمنين وفي كل العصور باستعمال الوسائل التي تتيح لهم حماية أنفسهم من المعتدين عليهم، حتى لو اضطروا إلى قتالهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِمُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ـ ١١]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ استقبل القبلة ورفع يديه فقال: (اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا)، ثم قال: (لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة) ثم قرأها[3].

قال المعلم: وفيها بيان لشروط الفلاح، وارتباطها بكل القيم الروحية والأخلاقية وليس بما وضعته الطوائف لنفسها من شروط.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٨.

لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦ ـ ٩]؟

قال أحدهم: روي عن ابن عباس قال: لما نزلت قال سعد بن عبادة وهوسيد الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (ألا تسمعون يا معشر الأنصار إلى ما يقول سيدكم؟) قالوا: يا رسول الله إنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا على أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من عند الله، ولكن قد تعجبت.. فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشيا فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهيجه حتى أصبح وغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني جئت أهلي عشيا فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه، فقال سعد بن عبادة: الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في المسلمين، فقال هلال: والله إني لأرجوأن يجعل الله لي منها مخرجا، فقال هلال: يا رسول الله إني قد أرى ما قد اشتد عليك مما جئتك به، والله يعلم إني لصادق، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي، وكان إذا نزل عليه عرفوا ذلك في تربد جلده، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت، فسري عن رسول الله ﷺ فقال: (أبشر يا هلال، فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا)، فقال هلال: قد كنت أرجو ذاك من ربي[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن عبد الله قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ دخل رجل

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣١٦.

من الأنصار فقال: لوأن رجلا وجد مع امرأته رجلا فإن تكلم جلدتموه، وإن قتل قتلتموه وإن سكت سكت على غيظ، والله لأسألن عنه رسول الله ﷺ فلما كان من الغد أتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فتكلم جلدتموه أوقتل قتلتموه، أوسكت سكت على غيظ فقال: (اللهم افتح)، وجعل يدعو، فنزلت آية اللعان، فابتلي به الرجل من بين الناس فجاء هو وامرأته إلى رسول الله ﷺ فتلاعنا، فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فذهبت لتلتعن، فقال رسول الله ﷺ: (مه) فلعنت، فلما أدبرت قال: (لعلها أن تجيء به أسود جعدا)، فجاءت به أسود جعدا[1].

قال المعلم: وفيها ردع من الله تعالى لعباده عن الوقوع في الفواحش حتى لا يتعرضوا للفضيحة والغضب واللعنة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]؟

قال أحدهم: روي أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنها لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣١٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٢٣.

﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٩]؟[١].

قال المعلم: وفيها تعليم للمؤمنين لرعاية خصوصيات الغير، وعدم الاقتحام عليهم من دون استئذان، وهي تشمل كل الجوانب المرتبطة بهذا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]؟

قال أحدهم: روي أنه لما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض لا يستوفي الطعام، فأنزل الله هذه الآية[٢].

قال المعلم: وفيها دعوة للتآلف الاجتماعي مع الجميع، وخصوصا من ذوي العاهات والحاجات، والذين يحتاجون إلى التواصل والتآلف أكثر من غيرهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في حي من كنانة يقال لهم بنو ليث بن عمرو، وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده، فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، والشول حفل والأحوال منتظمة تحرجا من أن يأكل وحده، فإذا أمسى ولم يجد

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٢٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٢٣.

أحدا أكل، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص الله لهم أن يأكلوا كيف شاءوا جميعا متحلقين أوأشتاتا متفرقين[2].

قال المعلم: وفيها بيان لرفع الله تعالى الحرج في الشؤون الشخصية مما لا يتعلق به أي أذى للآخرين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧١]؟

قال أحدهم: روي أن ناسا من أهل الشرك أكثروا من المعاصي، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوإليه لحسن لوتخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت[3].

قال آخر: ومثله ما روي عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندا وهوخلقك)، قلت ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك)، قلت ثم أي قال: (أن تزاني حليلة جارك)، فأنزل الله تعالى الآية[4].

قال المعلم: وفيها تحذير من كل المعاصي المبعدة عن الله.. وفيها تبشير بتوبة الله على

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٢٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٢٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٤.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٤.

من يصدق في التوبة إليه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في علي وحمزة وأبي جهل، وقيل: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة، وقيل: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل.

قال المعلم: وفيها تسلية للمؤمنين وبيان للفرق العظيم بينهم وبين غيرهم من المعاندين الجاحدين الذين يحاربونهم، وفي ذلك دعوة لهم لعدم النزول لمستواهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد ﷺ وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد، فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل حتى غشي عليها، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه، فأنزل الله تعالى الآية والتي في لقمان والأحقاف[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للإحسان للوالدين والبر بهما، ولكن لا على حساب الإيمان ومقتضياته.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٨.

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَالْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥]؟

قال أحدهم: روي أن كسرى بعث جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يسمى شهريراز، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم، فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم، وقد كان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس فالتقى مع شهريراز بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب، فغلب فارس الروم، وبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بمكة، فشق ذلك عليهم، وفرح الكفار وشتموا، فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب المؤمنون بذلك[2].

قال المعلم: وفيها إخبار بسرعة تقلب الأحوال، وأن المنهزم قد يتحول إلى منتصر، وفي فترة قصيرة، وهو ما يدعو إلى العمل والجد، وعدم الخضوع لليأس والإحباط، خاصة مع التأييد الغيبي الذي يحظى به المؤمنون.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في بعض أهل البادية، أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٢.

ووقتها، وقال: إن أرضنا أجدبت، فمتى ينزل الغيث وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا جاء بفرس له يقودها عقوق ومعها مهر لها يتبعها، فقال له: من أنت؟ قال: (أنا نبي الله)، قال: ومن نبي الله؟ قال: (رسول الله)، قال: متى تقوم الساعة، قال رسول الله ﷺ: (غيب ولا يعلم الغيب إلا الله)، قال: متى تمطر السماء؟ قال: (غيب ولا يعلم الغيب إلا الله)، قال: ما في بطن فرسي هذه؟ قال: (غيب ولا يعلم الغيب إلا الله)، قال: أرني سيفك، فأعطاه النبي ﷺ سيفه فهزه الرجل ثم رده إليه فقال النبي ﷺ: (أما إنك لم تكن لتستطيع الذي أردت)، قال: وقد كان الرجل قال: أذهب إليه فأسأله عن هذه الخصال، ثم أضرب عنقه[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للإيمان بعلم الله المطلق بكل شيء، وتحذير من الوقوع في فخاخ أدعياء العلم بالغيب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة، فقد قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب: أنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأملأ للكتيبة منك؛ فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت، يعني بالمؤمن عليا، وبالفاسق الوليد بن عقبة[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٨.

قال المعلم: وفيها بيان للفروق الشاسعة بين المؤمنين الملتزمين بطاعة الله والفاسقين المنحرفين عنها، ويتجلى الفرق عندما يكون المؤمن عليا، والفاسق الوليد.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في زيد بن حارثة كان عبدا لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهوينهى الناس عنها[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى تقديم الشريعة على الأعراف والتقاليد في كل شيء؛ فالحلال ما أحله الله لا ما أحلته الأعراف والتقاليد، والحرام كذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]؟

قال أحدهم: روي عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فشق عليه لما قدم وقال: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالا ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل، قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، وكنا نقول:

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥١.

أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه(1).

قال المعلم: وفيها دعوة للالتحاق بزمر المؤمنين الصادقين الموفين بعهودهم، وأول علاماتهم الثبات وعدم التبديل، وفيها إشارة إلى أن هناك من سيبدل ويغير من أصحاب رسول الله ﷺ، فلذلك يجب الحذر منهم ومن تبديلاتهم وتغييراتهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؟

قال أحدهم: روي عن أبي سعيد قال: نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(2).

قال آخر: ومثله ما روي عن أم سلمة: أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: (ادعي لي زوجك وابنيك)، قالت: فجاء علي وحسن وحسين، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهوعلى منامة له، وكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيت وخاصتي وحاميتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: (إنك إلى خير، إنك إلى خير) (3)

قال المعلم: وفيها بيان لاصطفاء الله تعالى الخاص لأهل بيت النبوة، مثلما اصطفى آل غيره من الأنبياء عليهم السلام.. وفيه إشادة بهم وبطهارتهم ودعوة إلى التمسك بهم

---

(1) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥٢.

(2) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥٣.

(3) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥٤.

لذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَّ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُّ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب، حيث دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: (ومم ذلك؟) قالت: لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان بأن النساء شقائق الرجال، وكل التكاليف التي كلف بها الرجال كلف بها النساء، إلا ما ورد فيه التخصيص.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُّ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُّ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت حين غار بعض نساء النبي ﷺ وآذينه بالغيرة فطلبن زيادة النفقة، فهجرهن رسول الله شهرا حتى نزلت آية التخيير، وأمر الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك منهن من اختارت الله

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥٥.

سبحانه ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدا، وعلى أن يؤوي إليه من يشاء ويرجي منهن إليه من يشاء، فرضين به قسم لهن أولم يقسم، أوفضل بعضهم على بعض بالنفقة والقسمة والعشرة، ويكون الأمر في ذلك إليه يفعل ما يشاء، فرضين بذلك كله، فكان رسول الله ﷺ مع ما جعل الله تعالى له من التوسعة يسوي بينهن في القسمة(١).

قال المعلم: وفيها بيان لفضل الله تعالى على رسوله ﷺ بإباحة ما أبيح له في شأن النساء، ليكون ذلك فتنة للذين يجهلونه، لأن رسول الله ﷺ ظل أكثر شبابه وعمره مع زوجة واحدة، وما أبيح له ذلك في آخر عمره إلا ليتبين المخلص الصادق من الذي تحجبه أمثال هذه الأمور.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]؟

قال أحدهم: روي أنه لما تزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة، قال أنس: وبعثت إليه أمي أم سليم بحيس في تور من حجارة، فأمرني النبي ﷺ أن أدعوأصحابه إلى الطعام فدعوتهم، فجعل القوم يجيئون فيأكلون فيخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥٦.

فقال: (ارفعوا طعامكم) فرفعوا فخرج القوم وبقي ثلاثة أنفار يتحدثون في البيت، فأطالوا المكث، وتأذى منهم رسول الله ﷺ وكان شديد الحياء، فنزلت هذه الآية، وضرب رسول الله ﷺ بيني وبينه سترا[1].

قال المعلم: وفيها دعوة لالتزام آداب الضيافة، وخاصة إن كان الداعي ممن وكلت بهم الوظائف الكبرى التي تحتاج إلى تفرغه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الدنيا والغنى.. وقال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال قريظة والنضير فتمنيناها، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للتأمل في حكمة الله تعالى في توزيع الأرزاق، وفي كل شيء؛ فالله لا يصدر منه إلا العدل والرحمة والحكمة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]؟

قال أحدهم: روي أنه لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى الآية.. يعني لا أدري

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧٤.

أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أولا؟ ثم قال: (إنما هو شيء رأيته في منامي ما أتبع إلا ما يوحى إلي)(١)

قال المعلم: وفيها بيان لعبودية رسول الله ﷺ وأن دعوته مثل دعوة سائر الأنبياء عليهم السلام، وأن وظيفته ترتبط بتبليغ دين الله وهداية عباده، وليس إطلاع الناس بشؤون الغيب التي قد لا تفيدهم في آخرتهم، إلا ما كانت المصلحة في إطلاعهم عليه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ ـ ٣]؟

قال أحدهم: روي عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة، أنزل الله عز وجل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال رسول الله ﷺ: (لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها كلها)(٢)

قال المعلم: وفيها إخبار بأن الله تعالى هو الذي يفتح ما يشاء لمن يشاء.. وفيها دعوة لتوفير القابلية والاستعداد لتحقق الفتح الإلهي الشامل لكل الشؤون.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَهُوالَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]؟

قال أحدهم: روي عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم أسراء فاستحياهم،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٠.

فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن عبد الله بن مغفل المزني قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن، فبينما نحن كذلك، إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله تعالى بأبصارهم وقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (هل جئتم في عهد أحد؟ وهل جعل لكم أحد أمانا؟) فقالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها تذكير بحفظ الله تعالى عباده، وخصوصا لمن ينصر دينه.. وفيها دعوة للإقدام وعدم الخوف، والثقة في فضل الله وحفظه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١ ـ ٤]؟

قال أحدهم: روي عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أبلى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٨٣.

اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات[1].

قال المعلم: وفيها بيان للطف الله تعالى بعباده، وسماعه لشكواهم، ورحمته بهم.. وفيها تحذير من الكذب والتعسف والظلم، وخصوصا المرتبط بالنساء، وبيان لبعض أحكام الكفارات المرتبطة بذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣]؟

قال أحدهم: روي أن أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة، فشكت ذلك إلى النبي ﷺ فقالت: ظاهر مني حين كبر سني ورق عظمي، فأنزل الله تعالى آية الظهار، فقال رسول الله ﷺ لأوس: (أعتق رقبة)، فقال: مالي بذلك يدان، قال: (فصم شهرين متتابعين)، قال: أما إني إذا أخطأني أن لا آكل في اليوم مرتين كل بصري، قال: (فأطعم ستين مسكينا)، قال لا أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة، قال: فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له، والله رحيم، وكانوا يرون أن عنده مثلها؛ وذلك لستين مسكينا[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الاهتمام بتحرير الرقيق، واعتباره من الكفارات عن الخطايا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٠٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٠٨.

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم، وشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لمن حوله من غير أهل بدر: (قم يا فلان وأنت يا فلان)، فأقام من المجلس بقدر النفر الذي قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس؟ فوالله ما عدل بين هؤلاء: قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال المعلم: وفيها دعوة إلى التزام آداب المجالس، واحترام المحال فيها، بإنزال كل شخص منزلته التي أنزله الله فيها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم(٢).

قال المعلم: وفيها دعوة للاهتمام بالصدقات في كل المحال، ومنها زيارة الصالحين

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٢.

والجلوس إليهم، لأنها من أعظم الشعائر.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟

قال أحدهم: روي أن الأنصار قالوا: يا رسول الله، اقسم بيننا وبين إخواننا من المهاجرين الأرض نصفين، قال: (لا، ولكنهم يكفونكم المؤونة وتقاسمونهم الثمرة والأرض أرضكم)، قالوا: رضينا، فأنزل الله تعالى الآية[١].

قال المعلم: وفيها دعوة للتحمل وسعة الصدر والإيثار وكل ما يؤلف بين قلوب المؤمنين، واعتبار كل ذلك من وسائل الفلاح.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ دفع إلى رجل من الأنصار رجلا من أهل الصفة، فذهب به الأنصاري إلى أهله، فقال للمرأة: هل من شيء؟ قالت: لا إلا قوت الصبية، قال: فنوميهم فإذا ناموا فأتيني به، فإذا وضعت فأطفئ السراج، قال: ففعلت وجعل الأنصاري يقدم إلى ضيفه ما بين يديه، ثم غدا به إلى رسول الله ﷺ فقال: (لقد عجب من فعالكما أهل السماء) ونزلت[٢].

قال آخر: ومثله ما روي أنه أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحدا إلى

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٨.

آخر حتى تداوله سبعة أهل أبيات حتى رجعت إلى الأول، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟[١]

قال المعلم: وفيها دعوة للإيثار والتأسي بالمؤمنين الصالحين في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فقال لها: (أمسلمة جئت؟) قالت: لا، قال: (فما جاء بك؟) قالت: أنتم كنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني، قال لها: (فأين أنت من شباب أهل مكة)، وكانت مغنية، قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مكة، إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام، فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٩.

وكانوا كلهم فرسانا، وقال لهم: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن فيها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها)، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتشوا متاعها فلم يجدوا معا كتابا، فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه، وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأته في شعرها، فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه، فقال له: (هل تعرف الكتاب؟) قال: نعم، قال: (فما حملك على ما صنعت؟) فقال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من الخيانة، ومن تولي الأعداء، واعتبار ذلك من الضلال العظيم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٢٠.

مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه، فلما هاجرن النساء أبى الله تعالى أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام برد صدقاتهن إليهم إذا احتبسن عنهم إن هم ردوا على المسلمين صدقة من حبسن من نسائهم، قال: وذلكم حكم الله يحكم بينكم، فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال[(١)].

قال المعلم: وفيها دعوة لمراعاة أحوال النساء وضعفهن، حتى لا يتسلط المستكبرون الظالمون عليهن.. وهو شامل لكل العصور.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ناس من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك[(٢)].

قال المعلم: وفيها تحذير من الخيانة والولاء لأعداء الله.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]؟

قال أحدهم: روي أنه لما كان المسلمون يقولون: لونعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه، فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٢٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٢٤.

مدبرين، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة لالتزام الصدق في كل الأحوال والأقوال والأفعال.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَولَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْووَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قد قدمت من الشام، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للاهتمام بما أعد الله للمؤمنين في الآخرة، وفي كل الشؤون، فما ذكرت الآخرة في كثير إلا قل، ولا في قليل إلا كثر.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]؟

قال أحدهم: روي أن الرجل كان يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده وقالوا: ننشدك الله أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال، فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر، فأنزل الله هذه الآية[3].

قال آخر: ومثله ما روي أن هؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٢٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٢٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣٣.

الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم، فأنزل الله تعالى الآية: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١)

قال المعلم: وفيها دعوة إلى اعتبار الولاء لله، أعظم ولاء، وأنه يجب التبري من كل ما يحول بينه وبينه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضا، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها، فإنها العدة التي أمر الله بها(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لأحكام الطلاق ودعوة لمراعاتها وتحذير من التعدي فيها.. وفيها دعوة لمراعاة حقوق المرأة المطلقة، وعدم إذيتها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أن المشركين أسروا ابنا له، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر بني وجزعت الأم

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣٤.

فما تأمرني؟ فقال النبي ﷺ: (اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله)، فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت: نعم ما أمرنا به، فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية(١).

قال المعلم: وفيها دعوة للثقة في الله والتوكل عليه.. وفيها دعوة للتقوى وأنها حبل نجاة في الدنيا والآخرة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]؟

قال أحدهم: روي أن سودة بنت زمعة كانت لها خؤولة باليمن، وكان يهدى إليها العسل، وكان رسول الله ﷺ يأتيها في غير يومها يصيب من ذلك العسل، وكانت حفصة وعائشة متواخيتين على سائر أزواج النبي ﷺ فقالت إحداهما للأخرى: أما ترين إلى هذا؟ قد اعتاد هذه يأتيها في غير يومها يصيب من ذلك العسل، فإذا دخل عليك فخذي بأنفك، فإذا قال: مالك؟ قولي: أجد منك ريحا لا أدري ما هي، فإنه إذا دخل علي قلت مثل ذلك، فدخل رسول الله ﷺ فأخذت بأنفها فقال: (مالك؟) قالت: ريحا أجد منك وما أراه إلا مغافير، وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يأخذ من الريح الطيبة إذا وجدها، ثم إذ دخل على الأخرى قالت له مثل ذلك، فقال: (لقد قالت لي هذا فلانة، وما هذا إلا من شيء أصبته في بيت سودة، ووالله لا أذوقه أبدا) قال ابن أبي مليكة: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في هذا(٢).

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣٩.

قال المعلم: وفيها وصف للين رسول الله ﷺ ورحمته مع الجميع، ودعوة للتأسي به في ذلك.. وفيها تصوير لبعض معاناته ﷺ التي لا ترتبط بأعدائه الخارجيين فقط.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؟

قال أحدهم: روي أن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: (لبيك) ولذلك أنزل الله عز وجل الآية[١].

قال المعلم: وفيها بيان لأهمية الأخلاق الحسنة في الدين، وأخبار بأن رسول الله ﷺ هو أعظم قدوة فيها، ودعوة للتأسي به في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ قال لعلي: (إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي وحق على الله أن تعي)، فنزلت: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[٢]

قال المعلم: وفيها دعوة للاهتمام بتحصيل الوعي والبصيرة.. وفيها إشادة بالإمام علي، وكونه متحققا بالوعي والبصيرة، وهو ما يقدمه على غيره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٤]؟

قال أحدهم: روي عن جابر قال: حدثنا رسول الله ﷺ فقال: (جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٠.

يميني وعن شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت، فرفعت رأسي فإذا هوعلى العرش في الهواء ـ يعني جبريل عليه السلام ـ فقلت: دثروني دثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل الآيات)[1]

قال المعلم: وفيها دعوة للعبودية وتحقيقها في النفس والمجتمع.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢]؟

قال أحدهم: روي عن ابن عباس قال: ذلك أن علي بن أبي طالب نوبة أجر نفسه يسقي نخلا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح، وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئا ليأكلوه، يقال له: الخزيرة، فلما تم إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها بيان لأهمية الإيثار، وأنه خلق الصالحين من عباد الله، ودعوة للتأسي بهم في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قالت عائشة للنبي ﷺ أنحشر عراة؟ قال:

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(نعم)، قالت: واسوأتاه، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لعظم الأهوال في الآخرة، والتي تجعل الإنسان مشغولا بنفسه عن غيره، وفيها دعوة للاهتمام بذلك في الحياة الدنيا، حتى يتفرغ المؤمن للإعداد للآخرة عن كل شيء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ١ ـ ٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قالت قريش للنبي ﷺ ما أرى شيطانك إلا قد ودعك، فنزلت[2].

قال المعلم: وفيها تبشير بعناية الله تعالى بعباده الصالحين، وتقريبه لهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ ـ ٥]؟

قال أحدهم: روي أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله تعالى الآيات[3].

قال المعلم: وفيها دعوة للبحث عن نفحات الله تعالى في الأزمنة والأمكنة وغيرها والتعرض لها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٥٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٠.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ـ٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه الثمرة والكسرة والجوزة، ويقول: ما هذا بشيء، وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة والغيبة والنظرة ويقول: ليس علي من هذا شيء، إنما أوعد الله بالنار على الكبائر، فأنزل الله عز وجل يرغبهم في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر[١].

قال المعلم: وفيها دعوة للاهتمام بالصغار والكبار من الطاعات والذنوب؛ فالله يحصي كل شيء، والنفس تنصبغ بكل شيء صغيرا كان أو كبيرا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ـ٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في قريش كانوا عندما يذكرون رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هورجل أبتر لا عقب له، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه، فأنزل الله تعالى الآية[٢].

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول: إني لأشنؤك وإنك لأبتر من الرجال، فأنزل الله تعالى الآية[٣].

قال المعلم: وفيها بشارة لرسول الله ﷺ ولكل المؤمنين بأن الله سيعطيهم من فضله أكثر مما يتصورون، وفيها دعوة لشكر ذلك بالأعمال الصالحة.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٣.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ ـ ٣]؟

قال أحدهم: روي أنه لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة حنين وأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ﴾ قال: (يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة قد جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبحان ربي وبحمده وأستغفره إنه كان توابا)[١]

قال المعلم: وفيها تبشير بنصر الله، ودعوة للعبودية عند تحققه.. وهو شامل لكل العصور.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ من ذهب هوأم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة[٢].

قال المعلم: وفيها دعوة لتنزيه الله وتوحيده وتعظيمه.. وأن كل من لا يفعل ذلك جاهل بربه.

٢. أسباب النزول والجاحدون:

قال الإمام: بعد انتهائنا من الصنف الأول.. وهم المؤمنون.. سأسألكم الآن عن الصنف الثاني، وهم الجاحدون، وقد رأيت من خلال البحث عن أصنافهم في القرآن

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٩.

الكريم أنهم يشملون أصنافا مختلفة.. فمنهم المشركون الذين ولد رسول الله ﷺ بينهم، والذين أعرضوا عن النبوة، واستعملوا كل الوسائل لحربها.. ومنهم أهل الكتاب الذين كتموا الحق بعد أن علموه، وراحوا يصطفون مع المشركين في وجه النبي الذي انتظروه طويلا.. ومنهم المنافقون الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، فكانوا وسيلة للمعاندين لضرب الإسلام أو السخرية منه.. ومنهم المنحرفون عن الإيمان، من تلك الأصناف السابقة، من غير تحديد.

قالوا: فهلم اسألنا عما تشاء من هذه الأصناف، وأسباب النزول المرتبطة بهم.

أسباب النزول والمشركون:

قال الإمام: فلنبدأ بالمشركين؛ فقد كانوا أول من عادى رسول الله ﷺ.. فمن يذكر لي منكم سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في مشركي مكة قالوا: يا محمد والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله فنزلت هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لتعنت المشركين وجحودهم على الرغم من كل الآيات والدلائل التي تدل على صدق رسول الله ﷺ.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٢.

آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]؟

قال أحدهم: روي أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال المعلم: وفيها دعوة للتأمل في شهادة الله تعالى الدالة على صدق رسول الله ﷺ والمبثوثة في الكتاب والسنة والسيرة وكل ما يرتبط به ﷺ.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]؟

قال أحدهم: روي أن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيا ابني خلف، استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لسبب الكفر والجحود الأكبر وهو الحقد والأمراض النفسية التي تحول بين القلب والعقل ووعي الحقائق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٣.

يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ويتباعدون بأنفسهم عنه[١].

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

قال أحدهم: روي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبوجهل: والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا: يا محمد إنا والله ما نكذبك، وإنك عندنا لصادق، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت[٣].

قال المعلم: وفيها بيان لسبب جحود الجاحدين وأنه لا يرجع لعدم الاقتناع بالحجج فقط، وإنما للكبر والعناد والحقد والأمراض النفسية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش، كانوا يقولون: يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به. استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية[٤].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٦.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٨.

قال المعلم: وفيها دعوة للتواضع ولزوم العبودية، وأن على المؤمن أن يؤدي دوره في الدعوة والهداية، ثم يدعهم بعد ذلك لربهم ليحكم بينهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت، عندما قال المشركون: يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أولنهجون ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم[١].

قال آخر: ومثله ما روي أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله[٢].

قال المعلم: وفيها نهي عن استعمال السب والفحش في الرد على المخالف، واستعمال الدعوة بأساليبها الحسنة بدلها، وتبيين لمخاطر السب وأنه لا يؤدي إلا إلى المزيد من الصراع.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما كلمت قريش رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى عليه السلام كانت معه عصا ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٠.

عشرة عينا، وأن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: (أي شيء تحبون أن آتيكم به؟) فقالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا، قال: (فإن فعلت تصدقوني)، قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام وقال: إن شئت أصبح الصفا ذهبا، ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: (اتركهم حتى يتوب تائبهم) فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال المعلم: وفيها بيان لتعنت الجاحدين الذي لا يقتنعون بما يروا من الآيات الواضحة، ويطالبون بالآيات الغريبة، والتي تتناسب مع أهوائهم ومصالحهم، وفيها بيان بأن الهداية من الله، وللمتواضعين المؤدبين بآداب العبودية، وأما غيرهم فكبرهم يحول بينهم وبينها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قال أهل مكة: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلوفتشري فتربح؟ وبالأرض التي يريد أن تجدب فترحل عنها إلى ما قد أخصب(٢).

قال المعلم: وفيها إعلام بأن الله وحده من يعلم الغيب، وإنما يطلع عباده على بعض تفاصيله في حال الحاجة إليه.. وفيها تصحيح لمفهوم النبوة ووظائفها.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٧.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]؟

قال أحدهم: روي أن المستفتح كان أبا جهل، وإنه قال حين التقى بالقوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله تعالى الآية[١].

قال آخر: ومثله ما روي أن المشركين حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قال آخر: ومثله ما روي أن المشركين قالوا: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد ﷺ فافتح بيننا وبينه بالحق، فأنزل الله تعالى الآية[٣].

قال المعلم: وفيها إعلام بأن الفتح من الله، وأنه أعلم بعباده الذين يستحقونه، وأن الدعاء بالباطل لا يغير الحق؛ فالله أكرم وأعز من أن يستجيب لأهل الباطل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في المشركين الذين قالوا: إن كان ما يقوله محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء[٤].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٤.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٤.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٤.

قال المعلم: وفيها دليل على مدى حقد الجاحدين المتعنتين.. وفيها تصوير للمعاناة العظيمة التي كان يجدها رسول الله ﷺ في التعامل معهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الذين كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون، ويصفرون، ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية[١].

قال المعلم: وفيها تصوير للطقوس التي يتوهم الوثنيون أنها من دين الله، وفيها تحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في المطعمين يوم بدر، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جرائر[٢].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، حين استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استجاب له من العرب[٣].

قال آخر: ومثله ما أنه لما أصيبت قريش يوم بدر، ورجع أبوسفيان بعيرهم، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٤.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٦.

آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا، ففعلوا، فأنزل الله تعالى الآية. فيهم هذه الآية(1).

قال المعلم: وفيها تحذير من صرف الأموال في الباطل، لأنها ستتحول إلى وبال على أصحابها في الدنيا والآخرة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرووعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول(2).

قال المعلم: وفيها تحذير من الوثوق بأئمة الضلالة والكفر، وبيان بأن الحرب الحقيقية متوجهة لهم، لا لعامة الناس ودهمائهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت لما أنكر الكفار بعثة رسول الله ﷺ، وقالوا: الله أعظم

---

(1) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣٦.

(2) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤١.

من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد[1].

قال المعلم: وفيها بيان لضعف عقول الذين يرون آيات الله المعجزة في كل شيء، ثم يستغربون قدرته على إرسال رسول أو إنزال كتاب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوبَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في مشركي مكة حين قالوا للنبي ﷺ ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى.. ونزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للحفاظ على كل تعاليم القرآن الكريم كما وردت من غير تحريف ولا تبديل، لأنه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلوالكلام حلوالمنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب ويطوي بقبله ما يكره.. وكان يجالس النبي ﷺ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٩.

يظهر له أمرا يسره ويضمر في قلبه خلاف ما يظهر، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها تصوير لنفوس المعاندين الذين وضعوا الحجب بينهم وبين الإيمان، فمنعوا هداية الله أن تتسلل إلى نفوسهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: (اذهب فادعه لي)، فقال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك، قال: (اذهب فادعه لي)، قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله، قال: وما الله أمن ذهب هوأومن فضة أومن نحاس؟ قال فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، وقال: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لي كذا وكذا، فقال: (ارجع إليه الثانية فادعه)، فرجع إليه، فعاد عليه مثل الكلام الأول، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: (ارجع إليه)، فرجع الثالثة فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينا هويكلمني إذ بعثت إليه سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت والتي قبلها في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وذلك أنهما أقبلا يريدان رسول الله ﷺ فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك، فقال: (دعه فإن يرد الله به خيرا يهده)، فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد مالي إن أسلمت؟ قال: (لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم)، قال: تجعل لي الأمر

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٦٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧٠.

من بعدك؟ قال: (لا، ليس ذلك إلي إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء)، قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر، قال: (لا)، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: (أجعل لك أعنة الخيل تغزوعليها)، قال: أوليس ذلك إلي اليوم؟ وكان أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه، فدار أربد خلف النبي ﷺ ليضربه، فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله، وجعل عامر يومئ إليه، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع بسيفه، فقال: (اللهم اكفنيهما بما شئت)، فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته، وولى عامر هاربا وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد، والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا، فقال رسول الله ﷺ: (يمنعك الله تعالى من ذلك وأبناء قيلة) ـ يريد الأوس والخزرج ـ فنزل عامر بيت امرأة سلولية، فلما أصبح ضم عليه سلاحه، فخرج وهويقول: واللات والعزى لئن أصحر محمد إلي وصاحبه ـ يعني ملك الموت ـ لأنفذنهما برمحي، فلما رأى تعالى ذلك منه أرسل ملكا فلطمه بجناحيه فأذراه في التراب، وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة كغدة البعير، فعاد إلى بيت السلولية وهويقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية، ثم مات على ظهر فرسه، وأنزل الله تعالى فيه هذه القصة: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُومُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ هُوالَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوشَدِيدُ الْمِحَالِ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ

لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوبِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٠ ـ ١٤]؟[١].

قال المعلم: وفيها تذكير للمؤمنين بهيمنة الله تعالى على كل شيء، وأن كل شيء جند من جنوده، وفي ذلك تطمين وبشارة وعزة لهم، حتى لا يذلوا أنفسهم أو ينهزموا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوعَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُورَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح، فقال رسول الله ﷺ لعلي: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم)، فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب باسمك اللهم، وهكذا كانت أهل الجاهلية يكتبون فأنزل الله تعالى الآية[٢].

قال المعلم: وفيها وصف لتعنت المشركين وجهلهم وعنادهم.. وفيها تصوير لمدى معاناة رسول الله ﷺ وصبره معهم، ومدى استعماله لكل أساليب هدايتهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوأَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوقُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوكُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ للهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَويَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوتَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قالت قريش للنبي ﷺ : تزعم أنك نبي يوحى

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧٢.

إليك، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى فادع الله تعالى أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله تعالى أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم، فبينا كان كذلك إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: (والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولوشئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا من باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم فاخترت باب الرحمة وأن يؤمن مؤمنكم، وأخبرني إن أعطاكم ذلك، ثم كفرتم أنه معذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين)، فنزلت: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]؟ حتى قرأ ثلاث آيات ونزلت: ﴿وَلَوأَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]؟ الآية[١].

قال المعلم: وفيها بيان لكون القرآن الكريم كتاب هداية وموعظة وإصلاح، وأن وظيفة رسول الله ﷺ ترتبط بذلك، لا بما يتوهمه أو يتصوره الجاحدون الجاهلون عنه..

وفيها دعوة للدعاة إلى الله إلى عدم التنازل عن مبادئهم في سبيل إرضاء خصوم الحق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوخَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت، فقد روي أنها نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧٣.

جاء بعظم رميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم[1]؟

قال المعلم: وفيها دعوة لإعمال العقول في الآيات المبثوثة في الكون، والدالة على قدرة الله المطلقة على كل شيء، ومنها ما يرتبط بدلائل المعاد وكل ما يحصل فيه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]؟

قال أحدهم: روي أنه كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به قوله: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك لتبعث بعد الموت، فأقسم بالله لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها تصوير لتعنت الجاحدين وجهلهم ومسارعتهم إلى الأيمان الكاذبة، وتوهمهم أن أيمانهم يمكن أن تفعل شيئا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]؟

قال أحدهم: روي أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يجعل الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعون، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: (لا، بل أستأني بهم)، فأنزل الله عز وجل الآية[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٨٧.

قال المعلم: وفيها بيان لسر عدم استجابة الله تعالى لاقتراحات الجاحدين، وهو ما يترتب عليها من العقوبة في حال عدم إيمانهم بها.. وهو سار في كل الأزمنة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]

قال أحدهم: روي أنه لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن، وخوف به هذا الحي من قريش، قال أبوجهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منه لنتزقمنه تزقما، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]؟ يقول: المذمومة[1].

قال المعلم: وفيها بيان لقدرة الله تعالى على تضليل عباده الجاحدين جزاء وفاقا لما في نفوسهم من الكبر والبغي، بحيث لا يبصرون الحق مع وضوحه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]؟

قال أحدهم: روي أن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن رسول الله ﷺ وحاله: سلوا محمدا عن الروح، وعن فتية فقدوا في أول الزمان، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها، فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي، وإن لم يجب في ذلك كله فليس بنبي، وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهونبي فسألوه عنها، فأنزل الله تعالى الآية في شأن الفتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٨٨.

[الكهف: ٩] إلى آخر القصة، وأنزل في الرجل الذي بلغ شرق الأرض وغربها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوعَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣] إلى آخر القصة، وأنزل في الروح قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][١].

قال المعلم: وفيها بيان لحقيقة الروح، وأنها من عالم الأمر، وفيها دعوة للتواضع وعدم السؤال عما لا طاقة للعقول بعلمه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]؟

قال أحدهم: روي أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البختري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف ورؤساء قريش قالوا لرسول الله ﷺ: يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا، سل لنا ربك الذي بعثك بها بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وأن يبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول أحق هوأم باطل، فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول، فقال رسول الله ﷺ: (ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله سبحانه، بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوا فهوحظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله)، قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩١.

لنا ملكا يصدقك، وسله فيجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم في الأسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه، فقال رسول الله ﷺ: (ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت بهذا إليكم، ولكن الله تعالى بعثني بشيرا ونذيرا) قالوا: فأسقط علينا كسفا من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فقال رسول الله ﷺ: (ذلك إلى الله إن شاء فعل)، فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا، وقال عبد الله بن أمية المخزومي، وهوابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمة النبي ﷺ لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا بما فاته من متابعة قومه، ولما رأى من مباعدتهم منه؛ فأنزل الله تعالى الآيات[1].

قال المعلم: وفيها بيان لتعنت الجاحدين والجاهلين، وتصوير لمعاناة رسول الله ﷺ معهم.. وفيها أيضا تصوير للنفوس التي لا تريد من الدين إلا مصالحها؛ فإن وافقها قبلته وإلا رفضته.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ تهجد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون: كان محمد يدعوإلها واحدا فهوالآن يدعوإلهين اثنين: الله والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله تعالى هذه

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩١.

الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ كان يكتب في أول ما يوحى إليه: باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى تعظيم أسماء الله الحسنى، والتعرف على الله من خلالها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة وكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتكم فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا يسمعون ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾[3]

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في التشهد، كان الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات والطيبات يرفع بها صوته.. وقال عبد الله بن شداد: كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي ﷺ من صلاته قالوا: اللهم ارزقنا مالا وولدا ويجهرون، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الاعتدال في الشعائر التعبدية، والبعد عن التكلف سواء

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩١.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩١.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩١.

في الجهر والإسرار أو غير ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُولِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في جندب بن زهير العامري، وذلك أنه قال: إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرني، فقال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، ولا يقبل ما شورك فيه)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى فيذكر ذلك مني وأحمد عليه، فيسرني ذلك، وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الإخلاص والتجرد، ونهي عن كل ما يشوبهما مما يحبط الأعمال.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ قال: (يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟) فنزلت الآية كلها، وكان هذا الجواب لمحمد رسول الله ﷺ[3].

قال آخر: ومثله ما روي أن جبريل عليه السلام احتبس عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح فلم يدر ما يجيبهم ورجا أن يأتيه

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٩٩.

جبريل عليه السلام بجواب ما سألوه فأبطأ عليه فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة فلما نزل جبريل عليه السلام، قال له: (أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك، فقال جبريل عليه السلام: (إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست)، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها تصوير لعصمة الملائكة عليهم السلام وأدبهم مع ربهم، وأنهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، ودعوة للتأسي بهم في ذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ١ ـ ٢]؟

قال أحدهم: روي أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: (إنك لشقي بترك ديننا)، وذلك لما رأياه من طول عبادته وشدة اجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها بيان لمقصد القرآن الكريم، وهو الدعوة لسعادة الدارين والتبشير بها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]؟

قال أحدهم: روي عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: نزل ضيف برسول الله ﷺ فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاما، يقول لك محمد رسول الله ﷺ إنه نزل بنا ضيف ولم يلق عندنا بعض الذي نصلحه، فبعني كذا وكذا من الدقيق أوأسلفني إلى هلال رجب، فقال اليهودي: لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن، قال: فرجعت إليه فأخبرته، قال: (والله

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٢.

إني لأمين في السماء أمين في الأض، ولوأسلفني أو باعني لأديت إليه، اذهب بدرعي)، ونزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا[1].

قال المعلم: وفيها تسلية للمؤمنين بأن ما فاتهم من الدنيا سيعوض أضعافا مضاعفة في الآخرة.. وفيها نهي لهم عن التطلع لما عند غيرهم؛ لأن ذلك اختبار وليس نعيما محضا، بخلاف نعيم الآخرة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]؟

قال أحدهم: روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] شق على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبعرى فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي ﷺ قال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أولكل من عبد من دون الله؟ قال: (لا، بل لكل من عبد من دون الله)، فقال ابن الزبعرى: خصمت ورب هذه البنية ـ يعني الكعبة ـ ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيرا عبد صالح، قال: (بلى)، قال: فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام، وهذه اليهود يعبدون عزيرا، فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها بيان لفضل الله على عباده الصالحين، ورد على المتعنتين الجاحدين الذين يتعاملون مع الألفاظ لا مع المعاني الواضحة.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٣.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠]؟

قال أحدهم: روي أنه لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة وقالوا: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] حزن رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه السلام معزيا له، فقال: (السلام عليك يا رسول الله، رب العزة يقرئك السلام ويقول لك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]؟ أي: يبتغون المعاش في الدنيا[١].

قال المعلم: وفيها تسلية للمؤمنين وفي كل العصور بقدرة الله المطلقة، والتي يمكنها أن توفر لهم كل ما يحتاجون في الدنيا والآخرة.. وفيها تنبيه لهم بأن ما فاتهم من الدنيا ليس مهما، لأن العبرة بالآخرة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٦ ـ ٢٩]؟

قال أحدهم: روي أن أبي بن خلف كان يحضر عند النبي ﷺ ويجالسه ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية[٢].

قال المعلم: وفيها تحذير من أصحاب السوء، وبيان لعاقبة صحبتهم، وفيها دعوة لاتخاذ الأصحاب الصالحين الذي يُنتفع بصحبتهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٢.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، لكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من كل الذرائع الصارفة عن الإيمان؛ واعتبارها واهية، ولا قيمة لها؛ فالإيمان أقوى وأهم من كل شيء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت جوابا للوليد بن المغيرة حين قال فيما أخبر الله تعالى عنه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فأخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للعبودية والتواضع والثقة في الله وفي اختياره وعدم الجدل وإدخال الأهواء فيها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٣٨.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا ﷺ يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من كل حديث يصرف عن سبيل الله، أو يحرفه، أو يشوهه، وقد وقع ما حذر منه رسول الله ﷺ حين انصرف الناس عن حقائق القرآن الكريم إلى القصص التي رواها اليهود وتلاميذهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَبِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَالْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي بن خلف، أتى النبي ﷺ بعظم حائل قد بلي، ففته بين يديه، وقال: يا محمد يبعث الله هذا بعدما أرم؟ فقال: (نعم، يبعث الله هذا ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم)، فنزلت هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها بيان لكيفية محاجة المجادلين الجاحدين للبعث، وبيان لضعف عقولهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٦٤.

عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]

قال أحدهم: روي أنه كان رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش، في بيت فقال بعضهم: أترون الله يسمع نجوانا أوحديثنا؟ فقال بعضهم: قد سمع بعضه ولم يسمع بعضه، قالوا: لئن كان يسمع بعضه لقد سمع كله، فنزلت هذه الآية(١).

قال المعلم: وفيها بيان لعظمة الله المطلقة، ووصف لخفة عقول الجاحدين الذي لا يقدرونه حق قدره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال: أيوعدني محمد والله إني لأنا أعز من بين جبليها(٢).

قال آخر: ومثله ما روي عن عكرمة قال: لقي النبي ﷺ أبا جهل فقال أبوجهل: لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، قال: فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته(٣).

قال المعلم: وفيها وصف لبعض العذاب الذي يلقاه المعاندون يوم القيامة، جزاء وفاقا مع أعمالهم، وفيها تحذير شديد من الوقوع في تلك الأعمال، ومن أي محادة لله ورسوله.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧٤.
(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧٤.
(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٧٤.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَيَرَى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٣ ـ ٤١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين، وقال له: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطاه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء، فقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وتعالى علي وأرجو عفوه، فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى الآيات فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله[2].

قال المعلم: وفيها إخبار عن عدالة الله تعالى في الجزاء؛ فهو لا يجازي إلا بما كسبت الأيدي.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٨.

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ١ ـ ٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة سحركم، فاسألوا السفار فسألوهم فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله عز وجل الآيات[1].

قال المعلم: وفيها بيان لتعنت الجاحدين، حتى لو رأوا كل الآيات المعجزات الواضحات، لأنهم لا يستعملون عقولهم، وإنما أهواءهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِاجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى استشعار رقابة الله تعالى في كل الأحوال.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فدعا

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٠.

على نفسه وسأل العذاب، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرا، ونزلت فيه الآية[1].

قال المعلم: وفيها تصوير للانتكاسة التي يقع فيها الجاحدون، والذين قد يصل بهم الجحود والتكبر إلى طلب العذاب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨]؟

قال أحدهم: روي أن المشركين كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبون به ويستهزءون ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها نهي عن الغرور الذي يجعل الإنسان يطمع فيما لا يستحقه.. وفيها إخبار بأن الجنة دار الضيافة الإلهية لا يدخلها إلا من تحلوا بالأهلية لها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١٠-٢٦]؟

قال أحدهم: روي أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن وكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال له: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله، فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٤.

فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلوولا يعلى، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فقال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت الآيات كلها[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن الوليد بن المغيرة كان يغشى النبي ﷺ وأبا بكر حتى حسبت قريش أنه يسلم، فقال له أبوجهل: إن قريشا تزعم أنك إنما تأتي محمدا وابن أبي قحافة تصيب من طعامهما، فقال الوليد لقريش: إنكم ذووأحساب وذووأحلام، وإنكم تزعمون أن محمدا مجنون، وهل رأيتموه يجن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن وهل رأيتموه يتكهن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر هل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: لا قال: فتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟ قالوا: لا، قالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال: ما هوإلا ساحر، وما يقوله سحر[2].

قال المعلم: وفيها تصوير للانتكاسة التي يقع فيها من يخلد إلى الأرض ويتبع هواه، ودعوة للترفع والشهادة بالحق مهما كانت نتائجها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ [القيامة: ٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عدي بن ربيعة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ فقال:

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف يكون أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك، فقال: لوعاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به، أويجمع الله هذه العظام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لتعنت الجاحدين، ومعاناة رسول الله ﷺ معهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧ ـ ١٨]؟

قال أحدهم: روي أن النبي ﷺ كان يصلي، فجاء أبوجهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟! فانصرف إليه النبي ﷺ فزبره، فقال أبوجهل: والله إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها تذكير بالآخرة، ودعوة إلى تذكرها في كل الأحوال، وخاصة عند طغيان النفس.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف وبني سهم كان بينهم لحاء فتعاند السادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا حتى زاروا القبور، فعدوا موتاهم فكثرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٣.

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا[1].

قال المعلم: وفيها نهي عن الحرص الزائد على الدنيا والتكاثر فيها وإهمال الآخرة والحياة الحقيقية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي سفيان كان ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاهم يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى التكافل الاجتماعي، وبيان أنه علامة على التدين الصحيح.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ١ ـ ٥]؟

قال أحدهم: روي أن رسول الله ﷺ صعد ذات يوم الصفا فقال: (يا صباحاه)، فاجتمعت إليه قريش فقالوا له: مالك؟ فقال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟) قالوا: بلى، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا جميعا؟! فأنزل الله عز وجل السورة[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٦.

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ فقال: (يا آل غالب، يا آل لؤي، يا آل مرة، يا آل كلاب، يا آل عبد مناف، يا آل قصي إني لا أملك لكم من الله شيئا ولا من الدنيا نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله)، فقال أبولهب: تبا لك لهذا دعوتنا، فأنزل الله تعالى السورة(١).

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]؟ أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: (يا صباحاه)، فاجتمع إليه الناس من بين رجل يجيء ورجل يبعث رسوله، فقال: (يا بني عبد المطلب، يا بني فهر يا بني لؤي لوأخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟) قالوا: نعم، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبولهب: تبا لك سائر اليوم ما دعوتنا إلا لهذا، فأنزل الله تبارك وتعالى السورة(٢).

قال المعلم: وفيها تحذير من محادة الله، وأن المحاد والمعاند سيحل به الهلاك والخسارة، مهما كان نسبه وحسبه وماله.

أسباب النزول وأهل الكتاب:

قال الإمام: بعد انتهائنا من المشركين.. سأسألكم الآن عن أهل الكتاب.. فمن يذكر لي منكم سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

قال أحدهم: روي أنها نزلت في يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاعٌ من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٩.

وهذا الرجل ـ يعنون محمدا ﷺ ـ فإن أمره حقٌ، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من عدم العمل بالعلم، لا عدم الدعوة إليه؛ فالله تعالى عاتبهم على عدم قيامهم بما يأمرون به من البر، لا بأمرهم به.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الذين غيروا صفة النبي ﷺ وبدلوا نعته؛ فجعلوه آدم سبطا طويلا، وكان ربعة أسمر، وقالوا لأصحابهم وأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي، الذي يبعث في آخر الزمان، ليس يشبه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء مأكلةٌ من سائر اليهود، فخافوا أن يذهبوا مأكلتهم إن بينوا الصفة، فمن ثم غيروا[2].

قال المعلم: وهي تشمل كل من غيروا وبدلوا وحرفوا الدين بإدخال أهوائهم ورغباتهم وما نشأوا عليه.. فدين الله المقدس يقتضي الورع والزهد عن كل الرغبات التي قد تلجئ أصحابها إلى استعمال الدين وسيلة لها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]؟

قال أحدهم: روي أنه نزلت في قول اليهود: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوم واحد في النار من أيام الآخرة، وإنما

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٦.

هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن أهل الكتاب ذكروا أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين عاما فقالوا: لن نعذب في النار إلا ما وجدنا في التوراة، فإذا كان يوم القيامة اقتحموا في النار، فساروا في العذاب حتى انتهوا إلى سقر وفيها شجرة الزقوم، إلى آخر يوم من الأيام المعدودة، فقال لهم خزنة النار: يا أعداء الله زعمتم أنكم لن تعذبوا في النار إلا أياما معدودة، فقد انقضى العدد وبقي الأبد[2].

قال المعلم: وفيها نهي عن الأماني والتفكير الرغبوي، لأن الله تعالى يحاسب عباده ويجازيهم بحسب قوانين العدالة التي وضعها، لا بحسب الأهواء والرغبات.. وهي شاملة لكل الخلق لا بأهل دين بعينه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]؟

قال أحدهم: روي أن يهود خيبر كانت تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي بك يا محمد[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧.

قال آخر: وروي أن العرب كانت تمر بيهود فيلقون منهم أذى، وكانت اليهود تجد نعت محمد ﷺ في التوراة، ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلون معه العرب، فلما جاءهم محمدٌ ﷺ كفروا به حسدا، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل، فما بال هذا من بني إسماعيل(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من كل ما يصرف عن الحق من الانتماءات العرقية والأرضية واللغوية وغيرها.. فالله تعالى يبتلي عباده بمثل ما ابتلى به إبليس من السجود لما كان يحتقره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]؟

قال أحدهم: روي أن اليهود أقبلوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم نسألك عن أشياء فإن أجبتنا فيها اتبعناك، أخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملكٌ من عند ربه ـ عز وجل ـ بالرسالة بالوحي فمن صاحبك؟ قال: (جبريل) قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب وبالقتال، ذاك عدونا لوقلت ميكائيل الذي ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُولِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨]؟)(٢)

قال المعلم: وفيها نهي عن التدخل في الشؤون الإلهية؛ فالعبد يلتزم ما كلف به، ويعظم ربه من أن يتدخل فيما لا يعنيه.. وفيها أمر بالولاء لمن والى الله والعداء لمن عادى.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٨.

قال أحدهم: روي أنها جوابٌ ليهودي يقال له ابن صوريا، حيث قال لرسول الله ﷺ : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، ما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك، بها فأنزل الله هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة لإعمال العقل والبصيرة بعيدا عن الهوى؛ لأن صاحب الهوى محجوب عن رؤية الحق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]؟

قال أحدهم: روي أن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك وكان ﴿ رَاعِنَا ﴾ في كلام اليهود سبا قبيحا فقالوا: إنا كنا نسب محمدا سرا فالآن أعلنوا السب لمحمد لأنه من كلامهم، فكانوا يأتون نبي الله ﷺ فيقولون: يا محمد ﴿ رَاعِنَا ﴾ ويضحكون ففطن بها رجلٌ من الأنصار وكان عارفا بلغة اليهود وقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه فقالوا: ألستم تقولونها له؟ فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة لانتقاء الألفاظ في التعامل، ومراعاة اختلاف الناس في ذلك، حتى لا يستغل المتعارف عليه من الحق في الباطل؛ فيلتبس الحق بالباطل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤.

قال أحدهم: روي أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه ليس بخير مما نحن عليه ولوددنا لوكان خيرا فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للحذر من المعادين والحسدة، وعدم الاستماع لهم خاصة في شؤون الدين.. ولو أن المسلمين طبقوا هذه الآية واكتفوا بما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولم يستمعوا تفسير القرآن الكريم من اليهود وغيرهم، لما وقع التحريف في الدين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْيَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة بدر ألم تروا إلى ما أصابكم ولوكنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خيرٌ لكم[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن كعب بن الأشرف اليهودي، كان شاعرا وكان يهجوالنبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدمها رسول الله ﷺ يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر على ذلك والعفوعنهم[3].

قال المعلم: وفيها نهي عن الاستماع لأي جهة قد تشوش على المؤمن دينه ويقينه في ربه ونصره له.. وفيها دعوة للتسامح مع المخالف ما دام لم يستعمل العنف في مخالفته

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٥.

ومواجهته.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية[(١)].

قال المعلم: وفيها بيان أن دين الأنبياء عليهم السلام جميعا واحد، وهو الإسلام، وأن ما حصل بعدهم من أتباعهم من الطائفية تحريف للدين.. وما يصدق على أهل الكتاب يصدق على الطائفيين من هذه الأمة الذين استغنوا عن اسم الإسلام بغيره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]؟

قال أحدهم: روي أنه لما قدم رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فقال السفهاء من الناس ـ وهم اليهود ـ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟.. فأنزل الله تعالى الآية[(٢)].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١.

قال المعلم: وفيها دعوة للأدب مع الله، وعدم السؤال عن أسرار تشريعاته مما لم يُتح للعقول معرفته، فالله الخالق المبدع أعلم بخلقه، وأعلم بأسرار تشريعه، والمؤمن يكتفي بثقته بربه عن البحث فيما لا يعنيه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته وبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان؛ قال عبد الله بن سلام: لأنا أشد معرفة برسول الله ﷺ مني بابني، قيل له: وكيف ذاك؟ قال: لأني أشهد أن محمدا رسول الله حقا يقينا، وأنا لا أشهد بذلك على ابني، لأني لا أدري ما أحدث النساء[1].

قال المعلم: وفيها بيان لوضوح الحق لمن أعمل عقله، وتخلى عن هواه، وأن الجحود ليس سوى هوى مركب من طباع النفس، لا من حجج العقول.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤.

وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فإذا نظرت السفلة إلى النعت المتغير وجدوه مخالفا لصفة محمد ﷺ فلا يتبعونه[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من كتم الحق مطلقا، أو لغاية من الغايات والأهواء.. وأن من يفعل ذلك، ويكون سببا في تضليل الخلق، سيتحمل أوزارهم جميعا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في يهود المدينة، ذلك أنهم قالوا لما هزم الله المشركين يوم بدر: هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى، ونجده في كتابنا بنعته وصفته، وإنه لا ترد له راية، فأرادوا تصديقه واتباعه، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكوا، وقالوا: لا والله ما هو به، وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم، وقالوا: لتكونن كلمتنا واحدة، ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا ببدر، فقدم المدينة جمع اليهود وقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب، فأصبت فيهم فرصة،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٧.

أما والله لوقاتلناك لعرفت أنا نحن الناس، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها تبشير للمؤمنين بأن النصر حليفهم، لأن الله معهم، حتى لو كان ذلك النصر دخولهم الجنة، وتحذير للجاحدين الذين يهتمون بالمكاسب المحدودة أن مصيرهم الهزيمة والخذلان في النهاية، فجهنم تنتظرهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]؟

قال أحدهم: روي أنه لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد؟ قال: (نعم)، قالا: وأنت أحمد؟ قال: (نعم)، قالا: إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهما رسول الله ﷺ: (سلاني)، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله تعالى الآية، فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله ﷺ[2].

قال المعلم: وفيها بيان بأن البراهين والشواهد كلها تدل على الله، وعلى عدله وجميع أسمائه الحسنى.. ولا عبرة بأدعياء العلم الجاحدين لذلك؛ فالعلم الذي يبعد صاحبه عن الله جهل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]؟

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٨.

قال أحدهم: روي أن النبي ﷺ عندما دعا اليهود إلى الإسلام قال له النعمان بن أوفى: هلم يا محمد نخاصمك إلى الأحبار، فقال رسول الله ﷺ: (بل إلى كتاب الله)، فقال: بل إلى الأحبار، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رسول الله ﷺ دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرووالحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: (على ملة إبراهيم)، قالا: إن إبراهيم كان يهوديا، فقال رسول الله ﷺ: (فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها دليل على أن المرجعية العظمى في كل شيء، ولأي دين، لكتاب الله وكلماته المقدسة، ومن أعرض عنها، وقع في الانحراف والضلالة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]؟

قال أحدهم: روي أن رؤساء اليهود قالوا: والله يا محمد لقد علمت أنا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وأنه كان يهوديا، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قال المعلم: وفيها تحذير من الدعاوى الكاذبة، وتزكية النفس بالباطل؛ فلا يمثل أهل الحق إلا من التزم بالحق.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران:

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٠٥.

[٧٢]؟

قال أحدهم: روي أنه تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر به نبيه محمدا ﷺ والمؤمنين(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من الكيد والمكر والمؤامرات، ودعوة لإعمال العقل والوعي والبصيرة.. وفيها دعوة للاجتهاد في الوصول إلى الحق، لا إلى التقليد فيه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران، ذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، فكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال المعلم: وفيها تحذير من الدعاوى وتزكية النفس وتصنيف الخلق بالباطل؛ فالله هو الذي يصنف عباده، وينزلهم منازلهم، والعاقل هو الذي يشتغل بنفسه، لا بغيره.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٠٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٦.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في شأن القبلة، ذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم، فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من ترك الحق والمهادنة فيه طلبا لكثرة الأتباع؛ فالحق عزيز وكريم، وصاحب الحق لا يهمه كثرة الموالين أو المعادين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رؤوس يهود المدينة، وفي نصارى أهل نجران؛ ذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك ودعوهم إلى دينهم[2].

قال المعلم: وفيها تحذير من الأماني والدعاوى الخالية من الحجج والبراهين.. فالله هو صاحب الجنة والنار، ولا يحق لأحد أن يدعي أنه من أهل أحدهما، بل الله هو الذي

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٠.

يحكم له بذلك.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]؟

قال أحدهم: روي أن بعض أهل الكتاب قالوا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا؟ فقال رسول الله ﷺ: (معاذ بالله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: (لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله)، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها تحذير من الغلو والغلاة الذين يساوون بين الله وعباده، أو يزعمون أن الله أعطى لبعض عباده بعض وظائف الربوبية؛ فتكريم الصالحين لا يتناقض مع توحيد الله.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]؟

قال أحدهم: روي أنه اختصم أهل الكتابين إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه، فقال النبي ﷺ: (كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم) فغضبوا، وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٢.

الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى البحث عن دين الله الخالص الذي لم يتأثر بأهواء البشر، واستعمال كل وسائل التحري في ذلك.. وفيها إخبار بأن هذا الدين هو الإسلام، وأنه دين الكون جميعا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة كانوا أربعين رجلا من الحبشة وأهل الشام[2].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى التلاوة الحقيقية الفاعلة المؤثرة لكتاب الله، فالإيمان الحقيقي مقترن بها، وليس بالتلاوة المجردة عن التحقيق، والتي قد يستوي فيها الجميع.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]؟

قال أحدهم: روي أن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولدٌ فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم يقال له: المعمودي ليظهروه بذلك، ويقولون: هذا طهورٌ مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا، فأنزل الله تعالى الآية[3].

قال المعلم: وفيها دعوة للاندماج التام مع دين الله، بحيث تنصبغ الحياة جميعا بصبغته، وأن ذلك هو العبودية الحقيقية.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ١-٤]

قال أحدهم: روي أنها نزلت في وفد نجران، وكانوا ستين راكبا، وفدوا على رسول الله ﷺ، ودخلوا مسجده حين صلى العصر، وقد حانت صلاتهم، فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (دعوهم) فصلوا إلى المشرق، فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: (أسلما)، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: (كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير)، قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعا في عيسى، فقال لهما النبي ﷺ: (ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهويشبه أباه؟) قالوا: بلى، قال: (ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى أتى عليه الفناء؟) قالوا: بلى، قال: (ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟) قالوا: بلى، قال: (فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟) قالوا: لا، قال: (فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث) قالوا: بلى، قال: (ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟) قالوا: بلى، قال: (فكيف يكون هذا كما زعمتم؟) فسكتوا، فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانية آية منها[١].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٩٧.

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الحوار بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب وغيرهم، لإقامة الحجة عليهم، وأن ذلك لا يكون إلا بالاعتراف والتصديق برسالات الله التي أنزلها على رسله، والاعتراف كذلك بكل حق يصدر منهم، ليكون التزامهم ببعض الحق وسيلة لالتزامهم به جميعا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في وفد نجران، قالوا لرسول الله ﷺ ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: (وما أقول؟) قالوا: تقول: إنه عبد، قال: (أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول)، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب؟ فإن كنت صادقا فأرنا مثله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة للعقول إلى النظر في دلائل قدرة الله المطلقة؛ فالقادر الذي خلق الكون جميعا، لا يعجز عن أمثالها، أو ما يستغربه الخلق منها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]؟

قال أحدهم: روي أن راهبا نجران جاءا إلى النبي ﷺ فقال لهما: (أسلما تسلما)، فقالا: قد أسلمنا قبلك، فقال: (كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث: سجودكما للصليب، وقولكما اتخذ الله ولدا وشربكما الخمر)، فقالا: ما تقول في عيسى؟ فسكت النبي ﷺ ونزل القرآن:

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٠٣.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]؟ إلى قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، فدعاهما رسول الله ﷺ إلى الملاعنة، وجاء بالحسن والحسين وفاطمة وأهله وولده عليهم السلام، فقالا: لا نلاعنك[1].

قال المعلم: وفيها تكريم لآل بيت النبوة وإشادة بهم وتعريف بالدور المستقبلي لهم في الدين، وهو ما دلت عليه كل الدلائل الأخرى.. وليس فيها ما يدل على كون المباهلة أسلوبا من أساليب الدعوة، فالدعوة قاصرة على ما نص عليه قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت حين قال النبي ﷺ إنه على ملة إبراهيم، فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؟ فقال النبي ﷺ: (كان ذلك حلالا لإبراهيم، فنحن نحله)، فقالت اليهود: كل شي، أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا، فأنزل الله عز وجل تكذيبا لهم الآية[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للأدب مع الله وتشريعاته، فهو يحل ما يشاء متى يشاء لمن

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٠٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٤.

شاء، ويحرم ما شاء متى شاء لمن شاء.. وكل ذلك بحكمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، مثلما يفعل الطبيب عندما يطلب من بعضهم أن يأكل طعاما، ويحرم على غيره أكله.

قلت: وفيها دعوة للحوار مع الغير من خلال مصادره التي يعتمدها، لإقامة الحجة البالغة عليه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]؟

قال أحدهم: روي أن أبا بكر دخل ذات يوم بيت مدراس اليهود، فوجد ناسا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص بن عازوراء، وكان من علمائهم، فقال أبوبكر لفنحاص: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة، فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب، فقال فنحاص: يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني فإن كان ما تقول حقا، فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء، ولوكان غنيا ما استقرضنا أموالنا، فغضب أبوبكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدوالله، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر إلى ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: (ما الذي حملك على ما صنعت؟) فقال: يا رسول الله إن عدوالله قال قولا عظيما، زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فغضبت لله وضربت وجهه، فجحد ذلك

فنحاص، فأنزل الله عز وجل ردا على فنحاص الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لبعض مقولات المنحرفين عن دين الله، وأن سبب ذلك سوء فهمهم للبيان الإلهي، واتباع المتشابهات، وعدم التعمق في المعاني، والاقتصار على الحروف، وهو ما حصل في كل الأمم، بما فيها أمة المسلمين.

قلت: وفيها تحذير شديد من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من قتلهم الأنبياء أو تأييدهم لقتلتهم، وعلماء هذه الأمة وصالحيها كأنبياء بني إسرائيل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَّ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوة وفي فنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا، وأنزل عليك كتابا، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها تحذير من إساءة الأدب مع الله، وعدم التسليم له، ووضع شروط لا يدل عليها العقل، ولا الوحي، بل مصدرها الهوى المجرد.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهَّ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٣.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم وقالوا: يا محمد، هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار، فهذا الذين زكوا به أنفسهم(١).

قال المعلم: وفيها نهي عن تزكية النفس، وأنها من فعل الجاهلين، وأن المؤمن الحقيقي هو المتواضع الممتلئ بالعبودية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]؟

قال أحدهم: روي أن كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكبا من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فنزل كعب على أبي سفيان، ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب، ومحمد صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكرا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما فذلك قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ثم قال كعب لأهل مكة: ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد، ففعلوا ذلك، فلما فرغوا، قال أبوسفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقا وأقرب إلى الحق؟ أنحن أم محمد؟ فقال كعب: اعرضوا علي دينكم، فقال أبوسفيان: نحن ننحر للحجيج

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٥٤.

الكوماء، ونسقيهم الماء، ونقري الضيف، ونفك العاني، ونصل الرحم، ونعمر بيت ربنا، ونطوف به، ونحن أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم، وديننا القديم ودين محمد الحديث؛ فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من الوقوع فيما وقع فيه المنحرفون عن الأديان من عبادة الجبت والطاغوت، والتي لا تقتصر على الأصنام المعروفة؛ فالأصنام البشرية أخطر من أصنام الحجارة.. وفيها نهي عن الشهادة الكاذبة وبيان لسببها، وهو عدم التسليم الكلي للكتاب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَّ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ إن كنت نبيا فأتنا بالكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها تحذير من مشابهة الذين لم يلتزموا حدود عبوديتهم لله؛ فراحوا يقترحون على الله ما يفعل.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا للهَّ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٥٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

[النساء: ١٧٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في وفد نجران حين قالوا: يا محمد تعيب صاحبنا؟ قال: (ومن صاحبكم؟) قالوا: عيسى، قال: (وأي شيء أقول فيه؟) قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله، فقال لهم: (إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبد الله)، قالوا: بلى، فنزلت[1].

قال المعلم: وفيها بيان لشرف العبودية لله، وأنه لا يتحقق بها إلا الصادقون المخلصون المقربون.. وأما المستكبرون المنحرفون عنها، فلن يجدوا في الآخرة إلا ما أفرزته نفوسهم من كبر وانحراف.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]؟

قال أحدهم: روي أن نفرا من اليهود أتوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: أؤمن ﴿ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم، فأنزل الله تعالى الآية[2].

قال المعلم: وفيها بيان لسبب الحقد على الإسلام وهو اشتماله على كل حسنات الأديان، ودعوته إلى الإيمان بها وبأنبيائها جميعا، وأنه المهيمن عليها المصحح لها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٨٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٠.

آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهَّ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللهُّ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه إلى النجاشي وقال: إنه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده أحد، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا، فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم: تعرفون شيئا مما أنزل عليكم؟ قالوا: نعم، قال: اقرؤوا؛ فقرؤوا وحوله القسيسون والرهبان، فكلما قرؤوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق(١).

قال المعلم: وفيها دعوة للمسلمين إلى الحذر من أعدائهم، وفي نفس الوقت دعوتهم إلى التحري عن رؤوسهم، وعدم تعميم أحكامهم على الجميع.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُّ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُّ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠١.

قال أحدهم: روي أنها نزلت في اليهود حين قالوا لرسول الله ﷺ: يا محمد، أنزل الله عليك كتابا؟ قال: (نعم) قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي عن محمد بن كعب القرظي قال: أمر الله محمدا ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسد محمد أن كفروا بكتاب الله ورسوله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا من اليهود يقال له مالك بن الصيف، خاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: (أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟)، وكان حبرا سمينا، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك، ولا على موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قال المعلم: وهي تشير إلى أن منكر النبوات، والآيات المرتبطة بها، منكر لقدرة الله المطلقة التي لا يعجزها شيء، وعنايته التي شملت كل شيء، وأنه بذلك لم يقدر الله حق قدره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]؟

قال أحدهم: روي عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر فقلت له:

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢١٩.

ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]؟ فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، وكان بيني وبينه كلام في ذلك، وكتب إلى عثمان يشكوني، وكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها، وكثر الناس علي حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت وكنت قريبا، فذلك الذي أنزلني هذا المنزل ولوأمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب من تحول العلماء إلى تجار بالدين، وفيها تحذير من كنز الأموال، وعدم إنفاقها فيما تقتضيه المصالح؛ فالمؤمن يجوز له أن يملك المال، لكن لا يجوز له كنزه أو حبسه أو احتكاره.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿هُوالَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، وقبل رسول الله ﷺ وذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوارة لا ترد له راية، فلما غزا أحدا وهزم المسلمون نقضوا العهد وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، فحاصرهم رسول الله ﷺ ثم صالحهم عن الجلاء من المدينة.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٤.

قال آخر: ومثله ما روي أن كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أولنفعلن كذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم - وهي الخلاخل - شيء، فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، وأرسلوا إلى النبي ﷺ أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك ليسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين رجلا من أصحابه، وخرح إليه ثلاثون حبرا من اليهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك ثلاثة من علمائنا إن آمنوا بك آمنا بك كلنا وصدقناك، فخرح النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهورجل مسلم من الأنصار فأخبرته خبر ما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم، فرجع النبي ﷺ؛ فلما كان من الغد عدا عليهم بالكتائب فحاصرهم فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء على أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة وهي السلاح، وكانوا يخربون بيوتهم فيأخذون ما وافقهم من خشبها، فأنزل الله تعالى الآيات(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من الخيانة، وتبشير للمؤمنين بنصر الله تعالى، وبيان بأن قدرة الله تعالى لا يحدها شيء.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٦.

أسباب النزول والمنافقون:

قال الإمام: بعد انتهائنا من أهل الكتاب.. سأسألكم الآن عن المنافقين.. فمن يذكر لي منكم سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فراح يثني عليهم، ثم قال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيرا، فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية[١].

قال المعلم: وفيها تحذير من هذه الخصلة واعتبارها من علامات النفاق؛ فالصادق صادق مع الجميع، ولا يعبر إلا عن الحقيقة التي يؤمن بها، والمنافق ما خالف ظاهره باطنه، وهو أعم من أن ينحصر في ابن أبي وأصحابه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رجال من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت الآية[٢].

قال المعلم: وفيها تحذير من هذه الصفات، واعتبارها من صفات المنافقين، أما

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٥.

المؤمنون فهم لعبوديتهم لله تعالى متواضعون، يستغفرون الله تعالى من التقصير في كل أحوالهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨]؟

قال أحدهم: روي أن قوما خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى أحد فرجعوا، فاختلف فيهم المسلمون، فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت هذه الآية[١].

قال آخر: ومثله ما روي أن قوما من العرب أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وأصابوا وباء المدينة وحماها فأركسوا، فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: ما لكم رجعتم؟ فقالوا: أصابنا وباء المدينة فاجتويناها، فقالوا: ما لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا هم مسلمون، فأنزل الله تعالى الآية[٢].

قال المعلم: وفيها توجيه للمؤمنين بالاعتناء بإصلاح نفسهم، وترك شؤون غيرهم لله تعالى بعد أن يؤدوا واجباتهم نحوهم بالنصيحة والدعوة؛ فالهداية من الله، وبقابلية المهتدين.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في جد بن قيس المنافق، وذلك أن رسول الله ﷺ لما

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٦٧.

تجهز لغزوة تبوك قال: يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهم فلا تفتني بهم وائذن لي في القعود عنك وأعينك بمالي، فأعرض عنه النبي ﷺ وقال: (قد أذنت لك)، فأنزل الله هذه الآية، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبني سلمة ـ وكان الجد منهم ـ: (من سيدكم يا بني سلمة؟) قالوا: الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان، فقال النبي ﷺ: (وأي داء أدوى من البخل، بل سيدكم الأبيض الفتى الجعد: بشر بن البراء بن معرور) [1]

قال المعلم: وفيها توبيخ شديد للذين يلتمسون لأنفسهم الأعذار حتى لا يؤدوا ما وجب عليهم؛ فرب عذر أقبح من ذنب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما كان رسول الله ﷺ يقسم قسما إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي ـ وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج ـ فقال: اعدل فينا يا رسول الله، فقال: (ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟)[2]

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون، قال رجل منهم يقال له أبوالجواظ للنبي ﷺ لم تقسم بالسوية، فأنزل الله تعالى الآية[3].

قال المعلم: وفيها تحذير من الذين يتعاملون مع الغير بحسب ما تقضيه مصالحهم، لا ما تقتضيه العدالة والحقيقة.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٨.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٨.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوأُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون الرسول ﷺ ويقولون فيه ما لا ينبغي، قال بعضهم: لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا: فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن سامعة، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث، وكان رجلا أدلم أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة، وهوالذي قال فيه النبي ﷺ: (من أراد أن ينظر الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)، وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن، من حدثه شيئا صدقه، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

قال آخر: ومثله ما روي أنه اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ وعندهم غلام من الأنصار يدعى: عامر بن قيس فحقروه، فتكلموا وقالوا: والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وإنكم لشر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة، وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب، فنزلت فيهم الآية، ونزل

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٨.

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢]؟[1]

قال المعلم: وفيها إشارة إلى الأذى العظيم الذي كان يعانيه رسول الله ﷺ ومن كل أصناف الناس.. وفيها إشارة إلى خلق من أخلاقه العظيمة، وهو حسن ظنه بكل من يحدثه، ما دام ذلك لا يتعلق به أي ضرر.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قال بعض المنافقين: والله لوددت أني قدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فأنزل الله هذه الآية.. وكانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا[2].

قال المعلم: وفيها إشارة إلى دور من أدوار القرآن الكريم وهو تبيين أنواع الانحراف وعلاماتها وأسبابها ليحذر المؤمنون من الوقوع فيها.. فالنفاق ليس محصورا في عصر النبوة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت بينما كان رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: يرجوهذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: (احبسوا علي الركب) فأتاهم فقال: (قلتم

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٩.

كذا وكذا؟) فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن عبد الله بن أبي سار قدام النبي ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]؟[3].

قال المعلم: وفيها إشارة إلى خلق من أخلاق المنافقين وهو السخرية والاستهزاء وسوء الأدب مع الله ورسوله.. بل مع الجميع.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]؟

قال أحدهم: ومثله ما روي أنها نزلت في الذين هموا أن يدفعوا النبي ﷺ ليلة العقبة

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٤٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٠.

وكانوا قوما قد أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ وهم معه، يلتمسون غرته حتى أخذ في عقبة، فتقدم بعضهم وتأخر بعضهم وذلك كان ليلا قالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، وكان قائده في تلك الليلة عمار بن ياسر وسائقه حذيفة فسمع حذيفة وقع أخفاف الإبل، فالتفت فإذا هوبقوم متلثمين، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله؛ فأمسكوا، ومضى النبي ﷺ حتى نزل منزله الذي أراد، فأنزل الله تعالى الآية(١).

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت حين خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: (يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم)؟ فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك، فأنزل الله تعالى الآية إكذابا لهم(٢).

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلين اقتتلا، رجلا من جهينة ورجلا من غفار، فظهر الغفاري على الجهيني، فنادى عبد الله بن أبي: يا بني الأوس انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع بها رجل من المسلمين، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، وأنزل الله تعالى هذه الآية(٣).

قال المعلم: وفيها إشارة إلى خصلة من خصال المنافقين وهي المسارعة إلى الأيمان الكاذبة، وجحودهم للنعم وكفرهم بها.

قلت: وفيها إشارة إلى استمرار عداوة قريش لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، وهمها

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٠.

بقتله، وأن الذي فعل ذلك كبارهم من الذين تولوا أمور المسلمين، وساهموا بعد ذلك في تشويه الدين وتحريفه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٨]

قال أحدهم: روي أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا، فقال رسول الله ﷺ: (ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه)، ثم قال مرة أخرى: (أما ترضى أن تكون مثل نبي الله، فوالذي نفسي بيده لوشئت أن تسيل معي الجبال فضة وذهبا لسالت) فقال: والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم ارزق ثعلبة مالا)، فاتخذ غنما فنمت كما ينموالدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلاة إلى الجمعة، وهي تنموكما ينموالدود حتى ترك الجمعة، فسأل رسول الله ﷺ فقال: (ما فعل ثعلبة؟) فقالوا: اتخذ غنما وضاقت عليه المدينة وأخبروه بخبره، فقال: (يا ويح ثعلبة) ثلاثا، وأنزل الله عز وجل فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة، وقال لهما: مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا

أخت الجزية، ما أدري ما هذا؟ انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي، فانطلقا وأخبرا السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذه منك، قال: بلى خذوه فإن نفسي بذلك طيبة، وإنما هي إبلي، فأخذوها منه، فلما فرغا من صدقتها رجعا حتى مرا بثعلبة، فقال: أروني كتابكما حتى أنظر فيه، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال: (يا ويح ثعلبة) قبل أن يكلمهما، ودعا للسلمي بالبركة، فأخبروه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل الله عز وجل الآيات[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من الخلف بالعهود والوعود مطلقا، وبيان أنها من خصال المنافقين.. وفيها تحذير من البطر الذي تسببه النعم، وأن الفقر حينها خير منها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]

قال أحدهم: روي أنه لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت[2].

قال المعلم: وفيها بيان لخصلة من خصال المنافقين وهي سوء الظن بغيرهم والسخرية منهم واللمز والهمز والعيب لهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]؟

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٢.

قال أحدهم: روي أنه عندما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وأصلي عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه ثم قال: (آذني حتى أصلي عليه)، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: (أنا بين خيرتين: أستغفر لهم أولا أستغفر) ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]؟[١].

قال المعلم: وفيها إشارة إلى رحمة رسول الله ﷺ بالجميع حتى الذين يؤذونه، وفيها نهي عن ممارسة أي عمل قد يجعل للمنافقين محلا صالحا في المجتمع، لما في ذلك من الخطر عليه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]؟

قال أحدهم: روي أنه حين اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدهم إخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا، وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه، وسماه النبي ﷺ: أبا عامر الفاسق، وخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٥.

وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند الروم، فأخرج محمدا وأصحابه، فبنوا له مسجدا إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم، فنزل عليه القرآن وأخبره الله عز وجل خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله ﷺ بعض أصحابه، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه، فخرجوا وانطلق مالك وأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا، ثم دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة، ومات أبوعامر بالشام وحيدا غريبا(١).

قال المعلم: وفيها تحذير من مساجد الضرار في كل الأزمنة، وأول وظائفها وصفاتها استخدامها للتفريق بين المسلمين ونشر الفتن بينهم وتشجيع الأعداء على محاربتهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في اليهود والمنافقين؛ وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أوموت أومصيبة أوهزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٢).

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٥٨.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٠.

قال المعلم: وفيها دعوة لاجتناب كل ما قد يسيء الآخرين، ولو كان في أصله مباحا، فالأذى محرم مطلقا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]؟

قال أحدهم: روي عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: (مه يا عائشة فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش)، فقلت: يا رسول الله ألست ترى ما يقولون؟ قال: (ألست ترين أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: وعليكم)، ونزلت هذه الآية في ذلك[1].

قال المعلم: وفيها بيان لدور الانحراف الإيماني في الانحراف السلوكي؛ فكلاهما يغذي الآخر، ويرسخه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٤ ـ ١٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٠.

حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله ﷺ في حجرة من حجره، إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: (علام تشتمني أنت وأصحابك؟) فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له النبي ﷺ: (فعلت)، فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[1].

قال المعلم: وفيها وعيد شديد للمنافقين، وبيان لتوليهم لأعداء الله، وهو أكبر من أن ينحصر في زمن دون زمن.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]؟

قال أحدهم: روي عن زيد بن أرقم قال: غزونا مع النبي ﷺ وكان معنا ناس من الأعراب وكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا، فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله الحجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه الأعرابي فانتزع حجرا ففاض الماء، فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى الأنصاري عبد الله بن أبي رأس المنافقين، فأخبره وكان من أصحابه، فغضب عبد الله بن أبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، يعني الأعراب، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل، قال زيد بن أرقم وأنا ردف عمي: فسمعت عبد الله، فأخبرت عمي، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد واعتذر، فصدقه

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤١٢.

رسول الله ﷺ وكذبني، فجاء إلي عمي فقال: ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك المسلمون، فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط، فبينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ إذ أتاني فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الدنيا، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين حتى بلغ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٧-٨]؟ (١)

قال المعلم: وفيها تصوير لبعض معاناة رسول الله ﷺ مع المنافقين، ومثلها معاناته مع غيرهم، وفيها دعوة لتأسي الصالحين به في الصبر والتحمل والرد الجميل.

أسباب النزول والمنحرفون مطلقا:

قال الإمام: بعد انتهائنا من المنافقين.. سأسألكم الآن عن المنحرفين مطلقا من غير تحديد.. فمن يذكر لي منكم سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]؟

قال أحدهم: روي أنه لما ضرب الله سبحانه الأمثال عن المنافقين، كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] قالوا: الله

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٣٠.

أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال، فأنزل الله الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنه لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتاب وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن الله عندما ذكر آلهة المشركين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية[3].

قال المعلم: وفيها بيان لخصلة من خصال الكفر والنفاق، وهي مطالبة الله بمراعاة أهوائهم، وأن يكون كلامه ودينه موافقا لعقولهم، لا لما تقتضيه الحقائق، وبيان لخلو المؤمنين من هذه الصفة، وانسجامهم التام مع كل ما يقوله الله أو يأمر به.. وذلك هو علامة التسليم والإسلام.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيرا نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٣.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤.

قال آخر: وقيل: إن اليهود وغيرهم من المشركين تمنعوا على رسول الله ﷺ فمن قائل يقول: يأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، ومن قائل يقول ـ وهوعبد الله بن أبي أمية المخزومي ـ إئتني بكتاب من السماء فيه: من رب العالمين، إلى ابن أبي أمية، اعلم أني قد أرسلت محمدا إلى الناس؛ ومن قائل يقول: لن نؤمن لك أوتأتي بالله والملائكة قبيلا فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لتعنت الجاحدين في كل العصور، وأن المطالبة بالآيات ليس إلا كذبا على النفس، وهربا من الحقيقة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِّ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُّ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الأشعث بن قيس، فقد قال: في والله نزلت كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال: (لك بينة؟) قلت: لا، فقال لليهودي: (أتحلف)، قلت يا رسول الله: إذن يحلف فيذهب بمالي، فأنزل الله عز وجل الآية[2].

قال آخر: ومثله ما روي أن ناسا من علماء اليهود أولي فاقة أصابتهم سنة فاقتحموا إلى كعب بن الأشرف بالمدينة، فسألهم كعب: هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله في كتابكم؟ قالوا: نعم، وما تعلمه أنت؟ قال: لا، فقالوا: فإنا نشهد أنه عبد الله ورسوله، قال كعب: لقد حرمكم الله خيرا كثيرا، لقد قدمتم علي وأنا أريد أن أبركم وأكسوا عيالكم،

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٠٩.

فحرمكم الله وحرم عيالكم، قالوا: فإنه شبه لنا، فرويدا حتى نلقاه، فانطلقوه فكتبوا صفة سوى صفته، ثم انتهوا إلى نبي الله فكلموه وسألوه، ثم رجعوا إلى كعب وقالوا: لقد كنا نرى أنه رسول الله، فلما أتيناه إذا هوليس بالنعت الذي نعت لنا، ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا، وأخرجوا الذي كتبوا فنظر إليه كعب، ففرح ومارهم وأنفق عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في أبي رافع كنانة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم من رؤوساء اليهود، كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من شأن محمد ﷺ وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره، وحلفوا أنه من عند الله لئلا يفوتهم الرشا والمآكل التي كانت لهم على أتباعهم(٢).

قال المعلم: وفيها بيان لكون الوفاء بالعهود علامة الإيمان والأخلاق؛ فمن لم يف بها، لا حظ له منهما.. ومن لم يكن له حظ منهما ليس له حظ في القرب من ربه، أو في فضله العظيم المعد للأوفياء من عباده.. بل إن خيانته ستتجسد له في الآخرة في صورة عذاب أليم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]؟

قال أحدهم: روي أن رجلا ارتد فلحق بالمشركين، فأنزل الله تعالى الآية إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، فبعث بها

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١١.

قومه إليه، فلما قرئت عليه قال: والله ما كذبني قومي على رسول الله ﷺ ولا كذب رسول الله على الله، والله عز وجل أصدق الثلاثة، فرجع تائبا، فقبل منه رسول الله ﷺ وتركه[1].

قال آخر: ومثله ما روي أن رجلا ارتد عن الإسلام ولحق بالشرك، فندم، فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة، فإني قد ندمت، فنزل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٦ ـ ٨٩]، فكتب بها قومه إليه، فرجع فأسلم[2].

قال المعلم: وفيها بيان بأن الظلم الحقيقي هو الذي يتجاوز فيه العاقل كل البينات والحجج التي تدل على الإيمان بالله ورسوله، ليقع في أوهام الضلالة التي تزينها له نفسه وشيطانه، وهو بذلك ليس جديرا، بل ليس قابلا لتنزل الهداية عليه، والله أعدل من أن يظلمه، بل هو الظالم لنفسه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

قال أحدهم: روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، وهوحليف بني زهرة أقبل إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فأظهر له الإسلام وأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم إني صادق، وذلك قوله: ﴿ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ ثم خرج من عند رسول الله ﷺ فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٢.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١١٣.

فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]؟ (١)

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الحذر وعدم الاغترار بالظواهر، سواء في قضايا الدين أو مصالح الدنيا، ولذلك كان الاغترار بمن يطلق عليهم ثقاة سببا في التحريف الذي حصل في الدين.. فما أسهل لمن يريد أن يكتسب تزكية من أي جهة أن يظهر ما يوجب حسن ظنها به.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في مشركي مكة، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش، وكانوا يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت هذه الآية(٢).

قال المعلم: وفيها دعوة للتعالي عن النظر القاصر إلى زخرف الحياة الدنيا؛ فالحياة الحقيقية في دار الخلد، وما أعد الله فيها من النعيم للمؤمنين، والخزي والعذاب للمنحرفين عن صراط الله المستقيم.. وفيها دعوة للمؤمنين بعدم التذلل أو الانكسار بسبب فاقتهم وحاجتهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]؟

قال أحدهم: روي أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٦٥.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٣٨.

إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا، على طريق الاستهزاء والضحك فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهونائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هووأهله[2].

وقال آخرون: إن الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين على ذلك، فدخلوا على رسول الله وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الآذان الأنبياء من قبلك، ولوكان في هذا الأمر خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما أقبح من صوت ولا أسمج من كفر! فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِّ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]؟[3].

قال المعلم: وفيها بيان لبعض أوصاف الجاحدين المناوئين الحاقدين الذين نهينا عن ولايتهم، وهي سوء الأدب مع الله وعدم تعظيم شعائره وشرائعه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِّ كَذِبًا أَوقَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُّ وَلَوتَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوأَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ١٩٩.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٠.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٠٠.

كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي كان يسجع ويتكهن ويدعي النبوة، ويزعم أن الله أوحى إليه.

قال آخر: ومثله ما روي أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن سرح الذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عنده، حتى إذا اطمأن أهل مكة أتى به عثمان رسول الله ﷺ فاستأمن له[1].

قال المعلم: وفيها تحذير من الكذب في الدين والافتراء على الله، وأنه أعظم الظلم والكذب.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما قال جبل بن أبي قشير وشموال بن زيد من اليهود: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا، فإنا نعلم متى هي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال آخر: وروي أنها نزلت عندما قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٠.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٧.

فأسر إلينا متى تكون الساعة؟ فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى الاهتمام بالتحضير للساعة، لا البحث عن ميعادها؛ فهو آت لا محالة، والشأن ليس فيها، وإنما فيما بعدها.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٧ ـ ٧٩]؟

قال أحدهم: روي عن خباب بن الأرت قال: كان لي دين على العاص بن وائل فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: إني إذا مت ثم بعثت، جئني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

قال المعلم: وفيها تصوير لغرور الجاحدين المانعين، وتوهمهم أن النعم التي حصلوا عليها في الدنيا ستبقى لهم مطلقا.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله وماشيته رضي عنه واطمأن، وقال: ما أصبت منذ

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٢٢٧.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٠.

دخلت في ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، فينقلب على دينه، فأنزل الله تعالى الآية[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنه أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام، فأتى النبي ﷺ فقال: أقلني، فقال: (إن الإسلام لا يقال)، فقال: إني لم أصب في ديني هذا خيرا، أذهب بصري ومالي وولدي، فقال: (يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب)، ونزلت[2].

قال المعلم: وفيها دعوة للتجرد والإخلاص، وأن الإسلام الحقيقي لا يتحقق به إلا من خلا من الأغراض والأهواء.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]؟

قال أحدهم: روي عن أبي ذر قال: أقسم بالله لنزلت في هؤلاء الستة: حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة[3].

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عباس قال: هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله معكم وأقدم منكم كتبا ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد ﷺ وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون نبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا، وكانت هذه خصومتهم في ربهم، فأنزل الله تعالى الآية[4].

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٣.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٧.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٨.

قال المعلم: وفيها إشارة إلى الفرق بين خصومة المؤمنين وغيرهم في ربهم؛ فالمؤمنون يلقون رضا الله، وغيرهم يلقون سخطه.. وهذا ما يسلي المؤمنين ويدعوهم إلى استعمال كل وسائل الهداية التي يطيقون.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]؟

قال أحدهم: روي عن ابن عباس قال: لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي إلى رسول الله ﷺ فأسلم وهوأسير فخلى سبيله، فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة وأخذ الله تعالى قريشا بسني الجدب حتى أكلوا العلهز، فجاء أبوسفيان إلى النبي ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم أليس تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: (بلى)، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

قال المعلم: وفيها بيان لبعض سنن الله تعالى في تربية عباده وإيقاظهم من غفلتهم، وهو ابتلاؤهم بأنواع العذاب، لعلهم يعودوا إلى ربهم، ويثوبوا إلى رشدهم.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا.. وقيل نزلت في أناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك.. وقيل: نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٠٨.

فارتدوا وهم الذين نزلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]؟ [1].

قال المعلم: وفيها تحذير من السقوط في الاختبارات التي يبتلي الله تعالى المؤمنين ليمحصهم ويميزهم بها عن غيرهم، وهي تشمل كل الناس، وفي كل الأزمنة.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمروبن سفيان السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبي، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق على النبي ﷺ قولهم [2].

قال المعلم: وفيها نهي للمؤمنين عن الإذعان لما يطلبه كل المنحرفين عن الدين الأصيل.. وفيها دعوة للاهتمام بأصالة الدين قبل الاهتمام بتكثير سواد أتباعه.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَووَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦]؟

قال أحدهم: روي أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤١.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٣٤٩.

الله تعالى الآية، فأحسنوا الكيل بعد ذلك[1].

قال آخر: ومثله ما روي أنه كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: المنابذة والملامسة والمخاطرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها[2].

قال آخر: ومثله ما روي أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: (أبوجهينة) ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قال المعلم: وفيها نهي عن الأثرة، ودعوة للعدل والإنصاف، وفي كل الشؤون الحسية والمعنوية.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١ ـ ١١]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت عندما بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمروالأنصاري، فتأخر خبرهم، فقال المنافقون: قتلوا جميعا، فأخبر الله تعالى عنها، فأنزل الله تعالى الآية، ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ يعني: تلك الخيل[4].

قال المعلم: وفي السورة تصوير لنفس الإنسان، ودعوة لتزكيتها، واستعمال الوسائل المختلفة لذلك، بما فيها ذكر الآخرة.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(٣) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٤٦.

(٤) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٢.

قال الإمام: ومن يذكر لي سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]؟

قال أحدهم: روي أنها نزلت في رهط من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: (معاذ الله أن أشرك به غيره)، فأنزل الله تعالى السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك[1].

قال المعلم: وفيها دعوة إلى البراءة التامة من كل دين غير دين الإسلام، وفيها تحذير من خلط الإسلام بغيره، أو عبودية الله بغيرها.

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي/ ٤٦٦.

رابعا ـ القرآن.. ومحال النزول

في صباح اليوم التالي، وجدت نفسي في شارع آخر، لم يكن يختلف كثيرا عن الشارع السابق، إلا أني لاحظت بدل الاهتمام بأسباب النزول، اهتماما مبالغا فيه بمحال النزول، وأماكنها، وخصوصا بما يطلق عليه [المكي والمدني]، والخلاف الوارد في بعض السور والآيات إلى حد الجدل والصراع الصارف عن التدبر والتأثر والانفعال.

١. تصنيفات وتحقيقات:

لكن ـ مع ذلك ـ سمعت الكثير من الحوارات العلمية الطيبة التي يمكن أن يستفاد منها في تدبر القرآن الكريم والتعرف على الظروف التي نزل فيها، والتي قد لا تختلف عن ظروف أخرى يمر بها المتدبر للقرآن الكريم، ويستعين بذلك على فهمه وتطبيقه الجيد لظروف النزول على ظروف واقعه.

المفهوم والحدود:

ومن تلك الحوارات الجميلة النافعة، أني التقيت في بعض حدائق ذلك الحي صبيان، يقول أحدهما لصاحبه: ما الذي تراه في تحديد مفهوم المكي والمدني.. هل ترى اعتبار الزمان أم المكان؟

قال الثاني: أنا أرى اعتبار الزمان.. فالمكي هو ما نزل قبل الهجرة، والمدني هو ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، في سفر أو في حضر[1].. وقد روي هذا التعريف عن يحيى بن سلام البصري المفسر، حيث قال: (ما نزل بمكة وما

---

(١) البرهان ١/ ١٧٨.

نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة، فهو من المكي، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني)[1]

قال الأول: أما أنا؛ فأرى أن التعريف المناسب هو تعريفه بحسب المكان؛ فالمكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة[2].. وقد قسّم هبة الله بن سلامة المفسر البغدادي المكي إلى قسمين، هما: المكي الأول، وهو ما نزل في مكة قبل الهجرة، والمكي الأخير: وهو ما نزل فيها بعد الفتح[3].

قال الثاني: لكن التعريف الأول أكثر فائدة، وأكثر ارتباطا بالواقع.. ذلك أن المسلمين كانوا في تلك الفترة مستضعفين مظلومين، بخلاف حالهم في الفترة الثانية، والتي شملت وجودهم في مكة أو المدينة.

قال الأول: من هذه الناحية لك الحق في ذلك.. فالمكي يمثل فترة استضعاف المسلمين، والمدني يمثل فترة خروجهم من ذلك الاستضعاف.. ثم تحولهم تدريجيا إلى قوة معتبرة يحسب لها ألف حساب.

قال الثاني[4]: نسيت أن أذكر لك أن هناك تعريفا آخر للمكي والمدني، وهو أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.. ويروى عن عبد الله بن مسعود، فقد روي عنه قوله: (كل شيء نزل فيه: ﴿يا أيها الناس﴾ فهو بمكة، وكل شيء نزل فيه ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهو بالمدينة)[5]

قال الأول[6]: لكن هذا الأثر ليس صالحا للاستدلال لهذا المذهب، لأن ابن مسعود

---

(١) الداني: كتاب البيان/ ١٣٢.

(٢) البرهان ١/ ١٧٨.

(٣) الناسخ والمنسوخ/ ٣٢٢.

(٤) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٦.

(٥) البرهان: ١/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٦) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٦.

لم يقصد وضع ضابط وتعريف للمكي والمدني، إنما أراد بيان علامة من علامات القرآن المكي والمدني، أو تفسيرا لبيان المراد بهذا الخطاب، وهو أمر أغلبي ليس مضطردا دائما.

قال الثاني[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن هذا المذهب في تفسير المكي والمدني أضيق من غيره، لأنه قد تقيد بالأشخاص المعينين في أمكنة معينة، وتقيد بموضوع معين هو ما كان فيه خطاب من آيات القرآن، فبقي القسم الأكبر من القرآن خارج هذا المنهج في تعريف المكي والمدني.

قال الأول[2]: نسيت أن أذكر لك أيضا أنه يندرج في ضمن المكي والمدني أنواع كثيرة من البحوث المتصلة بالظروف المحيطة بنزول القرآن كالسفري والحضري، والليلي والنهاري، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وغيرها من البحوث التي تدل على الاعتناء العجيب الذي أحيط به القرآن الكريم، وتوفير وسائل دراسته من جميع الجهات.

قال الثاني: هيا بنا نراجع ترتيب سور القرآن الكريم بحسب تاريخ نزولها ومحله.. فلاشك أن الأستاذ سيمتحننا عنها اليوم.

قال الأول: هيا.. فلنبدأ بالسور المكية؛ فأنا أحفظها جيدا.. فقد قال مجد الدين الفيروز آبادي في ترتيبها: (اتفقوا على أن أول السور المكية اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم ن والقلم وما يسطرون، ثم سورة المزمل، ثم سورة المدثر، ثم سورة تبت، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم الكوثر، ثم ألهاكم، ثم أرأيت، ثم الكافرون، ثم ألم

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٦.

(٢) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٦.

تر كيف فعل، ثم الفلق، ثم الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم، ثم عبس، ثم القدر، ثم والشمس وضحاها، ثم البروج، ثم والتين، ثم لإيلاف، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة لمزة، ثم والمرسلات، ثم ق والقرآن المجيد، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم والسماء والطارق، ثم اقتربت الساعة، ثم ص، ثم الأعراف، ثم قل أوحى، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة (فاطر)، ثم مريم، ثم طه، ثم الواقعة، ثم الشعراء، ثم النمل، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم عسق، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل، ثم سورة نوح، ثم سورة إبراهيم، ثم سورة الأنبياء، ثم قد أفلح المؤمنون، ثم الم السجدة، ثم الطور، ثم تبارك الملك، ثم الحاقة، ثم سأل سائل، ثم عم يتسآءلون، ثم النازعات، ثم إذا السماء انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم المطففين.. فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة، وبهذا الترتيب(١).

قال الثاني: ولا تنس ما ذكره الزركشي بعد ذكر هذا الترتيب، فقد قال ـ بعد ذكر سورة الروم ـ: (واختلفوا في آخر ما نزل بمكة، فقال ابن عباس: العنكبوت.. وقال الضحاك وعطاء: المؤمنون.. وقال مجاهد: ويل للمطففين.. فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة، وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهي خمس وثمانون سورة) (٢)

قال الأول: لقد سردت عليك ما حفظته من ترتيب السور المكية؛ فاسرد علي ما تحفظه من ترتيب السور المدنية.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٨ ـ ٩٩)

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤)

قال الثاني: لقد ذكروا أن أول ما نزل بالمدينة: سورة البقرة، ثم سورة الأنفال، ثم سورة آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم زلزلت، ثم الحديد، ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم الرحمن، ثم هل أتى على الإنسان، ثم الطلاق، ثم لم يكن، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم التحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الصف، ثم الفتح، ثم التوبة، ثم المائدة.. وقد قال الفيروز آبادي بعد ذكره لها: (فهذه جملة ما نزل بالمدينة. ولم نذكر الفاتحة لأنه مختلف فيها: قيل أنزلت بمكة، وقيل بالمدينة ؛ وقيل بكل مرة) [١].. وقد رجح لنا الأستاذ أنها نزلت بمكة المكرمة، ورد ردا شديدا على من زعم أنها نزلت بالمدينة، أو نزلت مرتين.

قال الأول: كما أنه رد بشدة[٢] على ما رواه النحاس في [الناسخ والمنسوخ] عن أبي عمرو بن العلاء، قال: سألت مجاهدا عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: (سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة: قل تعالوا أتل إلى تمام الآيات الثلاث.. وما تقدم من السور مدنيات.. ونزلت بمكة: سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل ـ سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرفه من أحد ـ وسورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج ـ سوى ثلاث آيات: هذان خصمان إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة ـ وسورة المؤمنين والفرقان وسورة الشعراء ـ سوى خمس آيات من أخراها نزلن بالمدينة: والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخرها

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٩)

(٢) سنعرض للردود المرتبطة بالاستثناءات المتعلقة بالآيات في محله من هذا الفصل.

ـ وسورة النمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان ـ سوى ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام إلى تمام الآيات ـ وسورة السجدة ـ سوى ثلاث آيات: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا إلى تمام الآيات الثلاث ـ وسورة سبأ وفاطر ويس والصافات وص والزمر ـ سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة: قل يا عبادي الذين أسرفوا إلى تمام الثلاث آيات ـ والحواميم السبع وق والذاريات والطور والنجم والقمر والرحمن والواقعة والصف والتغابن ـ إلا آيات من آخرها نزلن بالمدينة ـ والملك ون والحاقة وسأل وسورة نوح والجن والمزمل ـ إلا آيتين: إن ربك يعلم أنك تقوم ـ والمدثر إلى آخر القرآن، إلا إذا زلزلت وإذا جاء نصر الله وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فإنهن مدنيات. ونزل بالمدينة سورة الأنفال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم)[1]

الميزات والخصائص:

ومنها أني مررت على فتاتين تتحدثان، قالت إحداهما: أنا لم أتعجب من شيء في المصاحف، كتعجبي لوضع محل نزول السور القرآنية.. فكيف تسنى لهم معرفة ذلك، مع أنه لم يرد عن رسول الله ﷺ أي حديث يبين مكية أي سورة أو مدنيتها؟

قالت الثانية: صدقت فيما ذكرت عن رسول الله ﷺ.. وهو يدل على أن الاهتمام بالمكي والمدني ليس من أصول المعارف القرآنية.. وإنما هو اجتهاد، ودليل على الحرص على التعرف على الظروف التي نزل فيها القرآن الكريم.

قالت الأولى: فكيف تسنى لهم معرفة ذلك؟

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٩ ـ ٤٠)

قالت الثانية: ذلك بسيط جدا.. وقد شرحه القاضي أبو بكر الباقلاني بقوله: (إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة التابعين، ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول ﷺ)(1)

قالت الأولى: فالطريق لمعرفة المكي والمدني من سور القرآن الكريم إذن محصور في ما ورد في الروايات؟

قالت الثانية: أكثره كذلك.. فقد روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: (كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحدا منهم إلا سرّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ. فجعلت أسأل أبيّ بن كعب يوما، وكان من الراسخين في العلم، عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة) (2)

ومنها ما روي عن ابن مسعود قال: (والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت) (3)

قالت الأولى: كيف تذكرين أن أكثره كذلك.. فهل يمكن معرفة مثل هذا بالاجتهاد؟

قالت الثانية: هو ليس اجتهادا بمعنى الاجتهاد الذي تستنبط به الأحكام، وإنما هو نوع من القياس الذي يعتمد على جملة من الضوابط التي استخلصها العلماء من الروايات

---

(1) نقلا عن السيوطي: الاتقان 1/ 23.

(2) الطبقات الكبرى 2/ 371.

(3) البخاري: 6/ 186 ـ 187 ومسلم: 7/ 148.

المنقولة عن عدد من الصحابة والتابعين في بيان خصائص السور المكية والسور المدنية.

قالت الأولى: فهلا ذكرت لي طرفا منها.

قالت الثانية: منها ما روي عن عبد الله بن مسعود، قال: (كل شيء في القرآن ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أنزل بمكة، وكل شيء في القرآن ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنزل بالمدينة)[1].. وقد لاحظ العلماء بناء على هذا أن ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ منه مكي ومنه مدني، لكن أكثره مكي[2].

قالت الأولى: أجل.. فمع أن سورة البقرة مدنية إلا أن فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]

قالت الثانية: ومثلها سورة النساء، ففيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]

قالت الأولى: ومثلها سورة الحج، ففيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي

---

(١) الحاكم: المستدرك ٣/ ١٨، والبيهقي: دلائل النبوة ٧/ ١٤٤.

(٢) الزركشي: البرهان ١/ ١٨٨.

الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الحج: ٤٩]﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]

قالت الثانية: ومثلها سورة الحجرات، ففيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

قالت الأولى: وعيت هذا.. فهل هناك ضوابط أخرى غير هذه؟

قالت الثانية[1]: أجل.. لكنها ليست منضبطة دائما.

قالت الأولى: فهلا ذكرت لي طرفا منها.. فإني أرى الكثير من زميلاتي يسخرن مني بسبب جهلي بهذه الأمور.

قالت الثانية[2]: لا حرج عليك.. فتدبر القرآن الكريم لا يستلزم كل هذه التفاصيل.. لكن مع ذلك سأذكر لك طرفا منها.. وأولها أن كل سورة فيها الاستفتاح بالحروف المقطعة مكية سوى الزهراوين: البقرة وآل عمران.. و كل سورة فيها ﴿كلا﴾ مكية.. وكل سورة فيها ذكر آدم وإبليس مكية سوى سورة البقرة.. وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية، لكن ليس على عمومه.. وكل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٨.

(٢) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٨.

العنكبوت.

قالت الأولى: فهل هناك غيرها؟

قالت الثانية[1]: أجل.. فمن سمات أسلوب القرآن المكي الغالبة عليه أنه يغلب عليه قصر الآيات والسور.. وكثرة الفواصل القرآنية وقصرها، وتنوعها بما يتناسب مع المعاني والمواقف والصور.. وكثرة أسلوب التأكيد، والاعتناء بوسائل التقرير وترسيخ المعاني وتثبيتها، ولذلك كثر في المكي القسم، وضرب الأمثال، والتشبيه وتكرار بعض الجمل أو الكلمات.

قالت الأولى: فما الحكمة من اختيار هذا الأسلوب في السور المكية؟

قالت الثانية[2]: لأن بداية التعريف بالإسلام كانت تقتضي ذلك، وخاصة بين قوم أصحاب عنجهية، وحمية جاهلية، فكان المناسب لهم النذر القارعة، والعبارات الشديدة الرادعة ليزدجروا عن غيّهم، ويسلسلوا قيادهم أمام التأكيدات والتخييلات الحسية، كما أن مضمون خطابات القرآن في مكة لا يختص بالمؤمنين، بل يتوجه للناس أجمعين، يحمل الدعوة إلى أصول الإيمان، فكان من المناسب أن يبرز في إعجازها عنصر الجانب الصوتي، والجرس الموسيقى، فتصخ آياته الآذان، وتستولي على المشاعر وتدعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون، فلا يلبث البليغ منهم أن يلقي عصا العجز، بل يرسلها قولة صريحة تعلن إعجاز القرآن.

قالت الأولى: ذكرت لي خصائص أسلوب السور المكية الغالبة عليها.. فما أسلوب السور المدنية الغالبة عليها؟

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٦.

(٢) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٦.

قالت الثانية[1]: من سمات أسلوب القرآن المدني الغالبة عليه طول أكثر السور والآيات، كما هو واضح ظاهر من سورة البقرة وآل عمران مثلا.. ومنها أنها غالبا ما تسلك سبيل الهدوء، واللين في أسلوبها، واسترسال فواصلها.

قالت الأولى: فما الحكمة من اختيار هذا الأسلوب في السور المدنية؟

قالت الثانية[2]:الحكمة في اختيار هذا الأسلوب اشتمال القرآن المدني على الموضوعات المرتبطة بأحكام الشريعة وغيرها، وهي تقتضي البسط والإسهاب، كما أن الخطاب في المدينة توجّه في أكثره للمؤمنين وذلك يناسب الهدوء واللين.

الموضوعات والمقاصد:

ومنها أني مررت على كهلين يتحدثان، قال أحدهما لصاحبه: هلم بنا نتحدث عن موضوعات ومقاصد السور المكية والمدنية.

قال الثاني: لقد قمت أنا ببحث مفصل حول السور المدنية.. فهل قمت أنت بما اتفقنا عليه من البحث في السور المكية.

السور المكية:

قال الأول: أجل.. لقد قمت بالبحث في الموضوعات التي اهتمت بها السور المكية؛ فوجدت أنه يمكن تصنيفها إلى خمسة مواضيع كبرى.. وطبعا هذا لا يعني انحصارها فيها، بل إن السور المكية تناولتها، ولكن بصورة أقل مما تناولته السور المدنية.

قال الثاني: فما أولها؟

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٧.

(٢) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٧.

قال الأول[1]: أولها تقرير أصول العقائد الإيمانية، بدعوة الخلق إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.. والإيمان باليوم الآخر وما يتبع ذلك من الجزاء والجنة والنار.. وتقرير رسالة النبي ﷺ والرسل من قبله، والإيمان بالملائكة عليهم السلام.

وإن شئت دليلا على ذلك يمكنك أن تقرأ سورة القصص المكية، ودعوتها لهذه الأصول؛ ففيها هذه الآيات التي تدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٦٩-٧٣]

ومثل ما ورد في الآيات الخاتمة من سورة إبراهيم، والتي تعرض بعضا من مشاهد القيامة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٧-٥٢]

ومثل ذلك ما ورد في هذه الآيات من سورة ق المكية، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٥٩.

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦-١١]

ومثل ذلك ما ورد من الحجة البالغة في هذه الآيات الخاتمة من سورة القيامة المكية، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]

قال الثاني: بورك فيك، والأمثلة أكثر من أن يستوعبها هذا المجلس.. فما الثاني؟

قال الأول[1]: الحملة على كل الديانات والأفكار المنحرفة.. مثل الشرك والوثنية، والإلحاد والدهرية، وإقامة الحجج والبراهين الدامغة على بطلان عقائدهم الزائغة.. ومن الأمثلة على ذلك هذه الآيات من سورة العنكبوت المكية، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]

وبما أن التقليد كان منبعا خطيرا من منابع الضلال، واحتج المشركون بما وجدوا عليه آباءهم، فقد عني القرآن الكريم بتوسيع آفاق العقل والفكر وأمر بالتفكر وحض على النظر والتعقل، وسفّه أحلامهم وأحلام آبائهم، حتى جعل التقليد الأعمى للآباء عارا وشنارا،

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٠.

يعتبر به المعتبر، فضلا عن تقليد الأعداء فيما يبتكرونه في الفكر من الأزياء.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].. وقال: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٥]

قال الثاني: بورك فيك.. فما الثالث؟

قال الأول[1]: الاستدلال بدلائل الأنفس والأكوان على عظمة الله تعالى وسلطانه، ووجوب طاعته والانقياد له، وتوحيده في ألوهيته وربوبيته، والإيمان بالقيامة والبعث بعد الموت.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة لقمان المكية: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].. وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٥-٢٨]

ومثل ذلك هذه الآيات من سورة الأنعام المكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦١.

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩]

قال الثاني: بورك فيك.. فما الرابع؟

قال الأول[١]: اعتناء القرآن المكي بقصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، حتى كاد ذلك أن يكون علامة تميزه، إذ لم يوجد قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن المدني إلا في سور قليلة، كقصة موسى عليه السلام وقومه في سورة البقرة والمائدة وهما مدنيتان، وقصة عيسى وموسى عليهما السلام في سورة آل عمران والصف وهما مدنيتان أيضا.. والحكمة في ذلك ظاهرة جدا، وهي من أسباب نزول القرآن الكريم منجما، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].. وقد كان لذلك أثر عظيم في تثبيت النبي ﷺ والمسلمين، ومواساتهم فيما كان يصيبهم، وإنذار أعدائهم، وإثارة العبرة والعظة بقصص من سبقهم.

وإن شئت أمثلة على ذلك؛ فاقرأ القصص الواردة في سور الأعراف، ويونس، وهود وغيرها تجد فيها أبلغ المواعظ وأنفع العبر لتقرير سننه تعالى في إهلاك أهل الكفر والطغيان

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٢.

وانتصار أهل الإيمان والإحسان.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في آخر قصة موسى مع فرعون في سورة غافر المكية: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٤٥-٥٢]

قال الثاني: بورك فيك.. فما الخامس؟

قال الأول[1]: إن القرآن المكي شرح أصول الأخلاق، وقواعد عامة في الاجتماع مما لا يختلف فيه حال ولا عقل، لكونها من البدهيات الظاهرة والمقوّمات الأساسية لإنسانية الإنسان، واطمئنانه بالإيمان، كالصدق، والبرّ، والصلة، وبرّ الوالدين، وإكرام الجار، وطهارة القلب واللسان، وغير ذلك.. وقد شرح القرآن تلك القيم ببيانه المعجز شرحا غرسها في قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق، والظلم، ووأد البنات، والقتل والفواحش وغيرها.

ومن الأمثلة على ذلك هذه الآيات في الوصايا الأخلاقية والاجتماعية في سورة الإسراء المكية، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٣.

عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٩]

قال الثاني: بورك فيك، وجزاك الله خيرا على هذه المعلومات القيمة التي أفدتنيها.

السور المدنية:

قال الأول: والآن جاء دورك.. لقد ذكرت لك ما رأيته في غالب السور المكية.. فاذكر لي أنت ما رأيته في غالب السور المدنية.

قال الثاني: لقد رأيت الغالب على السور المدنية الاهتمام بأربعة موضوعات كبرى.

قال الأول: فما أولها؟

قال الثاني[1]: أولها بيان جزئيات التشريع وتفاصيل الأحكام العملية، في العبادات كأحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والمعاملات كالبيوع والأموال، والاجتماعيات كالزواج والطلاق والرضاع، والعقوبات كالحدود والقصاص كما هو ملاحظ في سورة البقرة والنساء والمائدة والنور.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في ذكر التشريعات المرتبطة بالطلاق في سورة البقرة المدنية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣١-٢٣٢]

ومثلها قوله في التشريعات المرتبطة بالرضاعة والأولاد: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا

---

(١) علوم القرآن الكريم، عتر، ص٦٤.

أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

ومثلها قوله في التشريعات المرتبطة بالعدة ونحوها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤-٢٣٥]

ومثلها قوله في التشريعات المرتبطة بالإرث في سورة النساء المدنية: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]

ومثلها قوله في التشريعات المرتبطة بالطهارة في سورة المائدة المدنية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].. وغيرها من الأمثلة الكثيرة.

قال الأول: وعيت هذا.. فما الثاني؟

قال الثاني: الثاني الاهتمام بدعوة أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إلى الإسلام، وإقامة الحجج عليهم، مثلما أقيمت الحجج على المشركين والوثنيين في السور المكية.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في محاجة أهل الكتاب في سورة آل عمران المدنية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤-٧١]

ومثل ذلك قوله في محاجتهم في سورة البقرة المدنية: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ

النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٣]

ومثل ذلك قوله في محاجتهم في سورة المائدة المدنية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٨-١٩]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٤-٦٦]

ومثل ذلك قوله في محاجتهم في سورة التوبة المدنية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].. وغيرها من الآيات الكثيرة.. مع العلم أنه قد يذكر أهل الكتاب في السور المكية، لكن بقدر محدود

جدا، مقارنة بذكرهم في السور المدنية.

قال الأول: وعيت هذا.. فما الثالث؟

قال الثاني: الثالث وصف المنافقين، وكشف فضائحهم والتحذير من أساليبهم، لأن النفاق أخطر ما تبتلى به أي دعوة، حتى أنزلت سورة خاصة تحمل اسمهم.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة النساء المدنية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦١-٦٢]، وقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٨-٨٩] ، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٧-١٣٩] ، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣] ، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦]

ومثل ذلك قوله تعالى عنهم في سورة التوبة المدنية: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨]

لكن ذلك ليس عاما؛ فقد يرد ذكرهم في السور المكية، ولكنه ذكر محدود جدا، مقارنة بالسور المدنية، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت المكية: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]

قال الأول: وعيت هذا.. فما الرابع؟

قال الثاني: الرابع بيان الأحكام الخاصة بالعلاقات بين الأمة الإسلامية وغيرها.. كالأحكام المتعلقة بالحرب، والسلم والصلح، والمعاهدات، والغنائم والأسرى، وقد ورد ذلك بصفة خاصة في سور البقرة والأنفال وبراءة والقتال والفتح والحشر.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال المدنية: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٠-٦٢]

ومثل ذلك قوله في سورة الممتحنة المدنية: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ

تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨-٩].. وغيرها من الأمثلة الكثيرة.

٢. اختلافات وخلافات:

بعد أن سمعت كل تلك الحوارات النافعة المؤدبة.. انتقلت إلى محل آخر في الحي، وقد تعجبت من كثرة اللافتات التي علقت في محاله المختلفة.. وكلها كانت لافتات حول القرآن الكريم، لكنها كانت تكتفي منه بمحال النزول دون غيرها من المعاني.. فقد كان أمام كل آية أو سورة ذكر كونها مكية أو مدنية، والاكتفاء به، وكأنه هو الغاية الكبرى من الآية والسورة.. بل كنت أرى ذكر الخلاف الوارد في ذلك، وبالخطوط العريضة المزخرفة التي تزاحم السور نفسها.

سور مختلف فيها:

ومن الأمثلة على ذلك أني مررت على محل كتب عليه سورة الفاتحة، وكتب أمامه[1]: هذه سورة مكية.. وقال مجاهد: إنّها مدنيّة[2].. وقال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد، لأنّ العلماء على خلاف قوله[3] .. ولقول الإمام عليّ: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش[4].. و لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وسورة الحجر مكيّة باتّفاق، وهذا إخبار عن ماض سبق.. و لأنّها أوّل سورة كاملة نزلت على رسول اللهّ ﷺ علّمه إيّاها جبريل عليه السلام، ومن ثم سميّت بفاتحة الكتاب، فكان ﷺ يصلّي بها، ولا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب.

ورأيت أمام محل آخر كتب عليه بالبنط العريض اسم [سورة النساء]، وكتب أسفلها

---

(١) التمهيد: ١/ ١٤٧.

(٢) مجمع البيان: ١/ ١٧.

(٣) الإتقان: ١/ ١٢.

(٤) الإتقان: ١/ ١٢.

بخطوط مزخرفة مزينة[1]: زعم النحّاس أنّها مكيّة، نظرا الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَّ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَّ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]؛ فقد قال ابن جريح: إنّها نزلت بمكة عام الفتح بشأن مفتاح البيت الحرام، أراد النبيّ ﷺ أن يدفعه الى العباس بن عبد المطلب فأمره اللهّ أن يدفعه الى عثمان بن طلحة، حيث كان ﷺ قد أخذه منه[2].. لكن المفسّرين اتفقوا على أنّها مدنيّة، نظرا لضعف إسناد هذا الحديث.. على أنّ نزول آية أو سورة بمكة عام الفتح لا يجعلها مكيّة، على الاصطلاح المشهور: ما نزل بعد الهجرة فهو مدنيّ ولو كان نزوله بمكة.. بالإضافة إلى أن السورة بكاملها لا تتّسم بسمة آية واحدة فيها، كان نزولها على غير نزول السورة.

ورأيت أمام محل آخر كتب عليه بالبنط العريض اسم [سورة يونس]، وكتب أسفلها بخطوط مزخرفة مزينة[3]: في رواية شاذة عن ابن عباس: أنّها مدنية[4].. ولم تثبت هذه الرواية، فضلا عن مخالفتها لما روي عن ابن عباس نفسه في ترتيب نزول السور.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الرعد]، وكتب أسفلها بخطوط مزخرفة مزينة[5]: قال محمد بن السائب الكلبي ومقاتل وعطاء إنّها مكية.. وكذا في رواية رواها مجاهد عن ابن عباس.. ورجّح سيّد قطب هذا القول، فقال: (مكيّة هذه السورة شديدة الوضوح، سواء في طبيعة موضوعها أو طريقة أدائها أو في جوّها العام الذي لا يخطئ تنسّمه من يعيش في ظلال هذا القرآن) [6].. لكن روايات الترتيب اتفقت على أنّها

---

(١) التمهيد: ١/ ١٤٨.

(٢) مجمع البيان: ٣/ ٦٣.

(٣) التمهيد: ١/ ١٤٨.

(٤) الإتقان: ١/ ١٢.

(٥) التمهيد: ١/ ١٤٨.

(٦) في ظلال القرآن.: ١٣/ ٦٣.

مدنيّة نزلت بعد سورة محمد، كما جاء في رواية عكرمة والحسين بن أبي الحسن، ورواية خصيف عن مجاهد عن ابن عباس نفسه[1].. وأمّا سياق السورة فإنّه توجيه عام للبشريّة الى آيات التوحيد، الأمر الذي تشترك فيها السور المكيّة والمدنيّة.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الحج]، وكتب أمامها[2]: الأصح أنها مدنية، وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب: إنّها مكيّة[3].. وروى ذلك عن مجاهد بسند فيه ضعف، قال: سألت ابن عباس عن نزول السور، حتى انتهى الى سورة الحج، فقال: أنزلت بمكة سوى الآيات الثلاث (١٩ و٢٠ و٢١) نزلن بالمدينة[4].. وأيضا فإنّ لهجتها الشديدة تناسب نزولها بمكة.. ورواية مجاهد ـ مع ضعف سندها ـ معارضة بروايات الترتيب المتفق عليها.. وأمّا اللهجة فهي غالبيّة وليست دائميّة، ومن ثم لا تصلح مستندا للحكم عليها.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الفرقان]، وكتب أمامها: سورة مكية، وزعم الضحّاك أنّها مدنية، نظرا لآيات في آخرها قيل فيها: انّها مدنية[5].. وهذا لوحده لا يصلح دليلا على مدنيّتها بعد اتفاق روايات الترتيب على كونها مكية.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة يس]، وكتب أمامها[6]: سورة مكية، وقيل: إنّها مدنيّة.. ولم يعرف هذا القائل ولا دليله الذي استند إليه.. والإجماع منعقد على أنّها مكيّة.

ورأيت أمام محل آخر [سورة ص] مكية.. وقيل: مدنيّة، وهو شاذّ مخالف للإجماع..

---

(١) الإتقان: ١/ ١٠.

(٢) التمهيد: ١/ ١٤٩.

(٣) الدر المنثور: ٤/ ٤٢.

(٤) الإتقان: ١/ ٩.

(٥) الإتقان: ١/ ١٣.

(٦) التمهيد: ١/ ١٥٠.

و[سورة محمد] مدنية، وفيها قول ضعيف: أنّها مكيّة، وهو غريب جدا.. و[سورة الحجرات]، قيل: إنّها مكية، وهي مدنيّة بالإجماع قولا واحدا[1].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الرحمن]، وكتب أمامها: مكيّة، لما رواه الترمذي والحاكم عن جابر قال: لما قرأ رسول اللّه ﷺ سورة الرحمن على أصحابه حتى فرغ، قال: ما لي أراكم سكوتا؟ للجنّ كانوا أحسن منكم ردّا! ما قرأت من مرّة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] إلّا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب، فلك الحمد[2]، وقصة الجنّ كانت بمكة.. وأصرح من ذلك ما رواه أحمد عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ وهو يصلّي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣][3] وهذا دليل على أنّها نزلت قبل سورة الحجر.. لكن كل هذا لا يدل على كونها مكية، بل هي مدنية، وكل التعليلات المذكورة ضعيفة لا تقاوم روايات الترتيب المتفق عليها.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الحديد]، وأمامها[4]: قال قوم: إنّها مكيّة استنادا الى حديث إسلام عمر، دخل على أخته فوجد عندها صحيفة فيها سورة الحديد[5]، و هذا الحديث معارض بحديث ابن إسحاق: كانت في الصحيفة سورة طه.. وقيل إنّ الصحيفة كان فيها مع سورة طه سورة التكوير[6].. ومعارض أيضا بحديث شريح بن عبيد، قال: قال عمر: خرجت أتعرّض رسول اللّه ﷺ قبل أن أسلم فوجدته سبقني الى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقّة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فلمّا

---

(١) الإتقان: ١/ ١٣.

(٢) الترمذي، (٣٢٩١)

(٣) مسند أحمد: ٦/ ٣٤٩.

(٤) التمهيد: ١/ ١٥٢.

(٥) أسد الغابة: ٤/ ٥٤.

(٦) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٧٠.

أتمّها وقع الإسلام في قلبي كلّ موقع[1]..والحديث مرسل، أرسله من لا يوثق به.. قال ابن حجر: والحديث بسند فيه إسحاق بن عبد اللهّ بن أبي فروة، وأشار بذلك الى غمز في السند، لأنّ ابن أبي فروة هذا مطعون فيه متروك الحديث[2].. و تمسّك بعضهم بحديث ابن مسعود: قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] إلّا أربع سنين، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا[3]..وهذا الحديث معارض بأحاديث تنصّ على أنّها نزلت بعد الهجرة بسنة، بشأن المنافقين أو بعد ما أترف المؤمنون فكادت تقسو قلوبهم[4].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الصف]، وأمامها: قال ابن حزم: مكيّة[5].. لكن الجمهور وروايات الترتيب على خلاف قوله، فالصحيح أنّها مدنيّة، ونسب ابن الغرس ذلك الى الجمهور[6].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الجمعة]، وأمامها: مدنيّة بالإجماع، والمخالف غير معروف.. لكن ثبت في نصوص صحيحة أنّها مدنية كلّها[7].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة التغابن]، وأمامها: قيل: مكيّة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]، نسب ذلك الى ابن عباس[8]،غير أنّ روايات الترتيب مطبقة على أنّها مدنيّة كلّها.

---

(١) الاصابة: ٢/ ٥١٩.

(٢) ميزان الاعتدال: ١/ ١٩٣.

(٣) الاتقان: ١/ ١٣.

(٤) أسباب النزول بهامش الجلالين: ٢/ ٩٤.

(٥) رسالة الناسخ والمنسوخ بهامش الجلالين: ٢/ ١٩٩.

(٦) الإتقان: ١/ ١٣.

(٧) الإتقان: ١/ ١٣.

(٨) مجمع البيان: ١٠/ ٢٩٦.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الملك]، وأمامها: فيها قول غريب أنّها مدنيّة(١)، والصحيح أنّها مكيّة قولا واحدا.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الإنسان]، وأمامها(٢): قال عبد اللهّ بن الزبير: نزلت بمكة، وتبعه على ذلك جماعة ممّن يروقهم إنكار أي فضيلة لأهل البيت.. وهكذا أصرّ سيّد قطب على أنّها مكيّة، مستشهدا بالسياق وقال: واحتمال أنّ هذه السورة مدنيّة ـ في نظرنا ـ احتمال ضعيف جدا، يمكن عدم اعتباره(٣).. وقال الحافظ الحسكاني: اعترض بعض النواصب بأنّ هذه السورة مكيّة باتفاق المفسّرين، وهذه القصة ـ إن كانت ـ فهي مدنيّة، فكيف كانت سبب نزول السورة؟ فقال ـ ردّا على هذا القائل ـ: كيف يسوغ له دعوى الإجماع، مع قول الأكثر: أنّها مدنيّة.. ثم ذكر نصوص الأئمة على ترتيب السور مصرّحة بأنّها نزلت في المدينة بعد سورة الرحمن وقبل سورة الطلاق(٤).. وهكذا حقّق العلّامة الطبرسي في تفسيره وغيره من محقّقي المفسّرين.. والعمدة: إطباق روايات الترتيب، لا تشذّ منها في ذلك ولا رواية واحدة، وعليه فالاعتماد على السياق غير كاف.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة المطففين]، وأمامها: أوّل سورة نزلت بالمدينة.. وقيل: نزلت عليه ﷺ وهو مهاجر في طريقه الى المدينة.. وعن ابن عباس، قال: لّما قدم النبيّ ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل اللهّ هذه السورة، فأحسنوا الكيل(٥).. لكن هذا يناقض روايات الترتيب المتّفقة على أنّها آخر السور المكيّة.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الأعلى]، وأمامها(٦): قيل: إنّها

(١) الإتقان: ١/ ١٣. وتفسير شبر، ص٥٤٢.

(٢) التمهيد: ١/ ١٥٥.

(٣) في ظلال القرآن: ٢٩/ ٢١٥.

(٤) شواهد التنزيل، ص٣١٠ و٣١٥.

(٥) الإتقان: ١/ ١٣.

(٦) التمهيد: ١/ ١٥٦.

مدنيّة، استنادا الى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] إشارة الى صلاة العيد وزكاة الفطرة.. لكن الآية عامّة، والرواية ـ إن صحت ـ جاءت لتطبّق هذا العموم على مصداق من مصاديقه، لا أنّه هو المقصود الذاتي لا غير.. ثم لو سلّمنا أنّ هاتين الآيتين نزلتا بالمدينة، فلا يدلّ ذلك على أنّ جميع السورة بكاملها مدنيّة.. فالصحيح أنّ السورة مكيّة حتى ولو كانت بعض آيها مدنيّة.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الفجر]، وأمامها: مكيّة باتفاق، والقائل بالخلاف غير معروف[١].. وأمامها لافتة مكتوبا عليها [سورة البلد]، وأمامها: مكيّة بالإجماع، لأنّ البلد هي مكة المكرّمة بالاتفاق، فكيف يقال: إنّها مدنيّة[٢]؟!.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الليل]، وأمامها[٣]: قيل: انّها مدنيّة، نظرا لما روي في سبب نزولها: كانت نخلة متدلّية في دار رجل فقير، وكان صبيانه يتناولون تمرها، أمّا صاحب النخلة ـ وهو رجل ثريّ ـ فكان يجفوهم. فساومه النبيّ ﷺ على نخلة في الجنة فأبى، حتى ساومه أنصاريّ على أربعين نخلة، فاشتراها منه ووهبها للنبيّ ﷺ فوهبها النبيّ ﷺ الى الرجل الفقير. قيل: فنزلت: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٨-١٠] غير أنّ السند مقطوع غير موصول[٤].. إضافة إلى أن الآية لا تنطبق تماما على فحوى القصّة؛ والصحيح: أنّ الآية عامّة في كلّ بخيل بحقّ الله سبحانه فلا يخشى عقابه.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة القدر]، وأمامها[٥]: قال ابن حزم

---

(١) الإتقان: ١/ ١٤.

(٢) الإتقان: ١/ ١٤.

(٣) التمهيد: ١/ ١٥٧.

(٤) الإتقان: ١/ ١٤.

(٥) التمهيد: ١/ ١٥٨.

وأبو محمد: إنّها مدنيّة[1] لما رواه الحاكم عن الإمام الحسن قال: رأى النبيّ ﷺ بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك فنزلت تسلية لخاطره[2].. وقال المزي: وهو حديث منكر[3].. لكنّه تعصّب مفضوح، لأنّ الحاكم رواها بسند صحيح، وقال: هذا إسناد صحيح. وقرّره على ذلك، الحافظ الذهبي في التلخيص.. وأضاف إليه طريقا آخر ووثقه أيضا، ثم قال: و ما أدري آفته من أين[4]؟!.. ولذلك؛ فإنّ دلالة هذا الحديث على مدنيّة السورة، جاءت من قبل لفظ (المنبر) إذ لم يكن للنبيّ ﷺ وهو بمكة منبر.. لكن هذا وحده لا يصلح دليلا على ذلك، إذ يجوز أنّه ﷺ أري ذلك بمكة قبل هجرته لتكون بشارة له باعتلاء ذكره، وإلماحه الى الاغتصاب الذي يرتكبه شرار أمّته، فلا تتنافى هذه الرواية مع روايات الترتيب أصلا.. ويدل لذلك أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]، فهي تشير الى نفس الرؤيا المذكورة، والآية من سورة الإسراء المكيّة بالاتفاق، ولم يستثن أحد هذه الآية، وإن استثنوا غيرها، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر: أنّ النبيّ ﷺ قال: (رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة، وأنزل اللهّ في ذلك: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: (والشجرة الملعونة، يعني الحكم وولده)

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة البيّنة]، وأمامها[5]: قال مكيّ بن أبي طالب: مكيّة.. لكن اتفاق روايات الترتيب ونصوصه على أنّها مدنيّة، ويؤيّده ما ورد:

---

(١) الكشف عن القراءات السبع: ١/ ٣٨٥.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣/ ١٧١.

(٣) الإتقان: ١/ ١٤.

(٤) تلخيص المستدرك بالهامش: ٣/ ١٧٠.

(٥) التمهيد: ١/ ١٦٠.

أنّها لّما نزلت على النبيّ ﷺ دعا أبي بن كعب فقرأها عليه، وأبي، أنصاريّ، أسلم على يدي رسول اللهّ ﷺ بالمدينة[1].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الزلزلة]، وأمامها: قال ضحّاك وعطاء: مكيّة.. وهكذا قال مكيّ بن أبي طالب.. لكن اتفقت الروايات على أنّها مدنيّة[2].. وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري، قال: لّما نزلت ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] قلت: يا رسول اللهّ إنّي لراء عملي؟ قال: نعم، قلت: تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم، قلت: الصغار الصغار؟ قال: نعم، قلت: واثكل أمي[3].. وأبو سعيد أنصاريّ لم يبلغ إلّا بعد وقعة أحد[4].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة العاديات]، وأمامها[5]: عن قتادة: أنّها مدنيّة، لرواية منسوبة الى ابن عباس، قال: نزلت في خيل بعثها رسول اللهّ ﷺ في سريّة فأبطأت، فشقّ ذلك عليه، فأخبره اللهّ بما كان من أمرهم[6].. لكن الرواية فيها تهافت ظاهر، وفي نفس الوقت معارضة بما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري والحاكم ـ وصحّحه ـ وابن مردويه، عن ابن عباس: أنّ عليا نهره عن تفسير العاديات بالخيل تغير في سبيل اللهّ، وأوضح له: أنّها الإفاضة من عرفات الى المزدلفة.. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت الى قول عليّ[7].

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة التكاثر]، وأمامها: قيل: إنها مدنيّة،

---

(١) الدر المنثور: ٦/ ٣٧٨.
(٢) الدر المنثور: ٦/ ٣٧٩.
(٣) الدر المنثور: ٦/ ٣٨١.
(٤) مستدرك الحاكم: ٣/ ٥٦٣.
(٥) التمهيد: ١/ ١٦١.
(٦) الدر المنثور: ٦/ ٣٨٣.
(٧) الدر المنثور: ٦/ ٣٨٣. وتفسير الطبري: ٣٠/ ١٧٧.

لحديث ابن بريدة: أنّها نزلت في قبيلتين من الأنصار تفاخروا.. وقال قتادة: إنّها نزلت في اليهود.. وعن أبي بن كعب ـ وهو أنصاريّ ـ: كنّا نزعم أنّ (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنّى ثالثا..) آية قرآنيّة، حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].. وعن عليّ: كنّا نشك في عذاب القبر، حتى نزلت.. وعذاب القبر لم يذكر إلّا بالمدينة[١].. وكل ما ذكروه من هذه الأدلة باطل[٢]: لأن هذه السورة لا تمسّ مسألة التفاخر، وإنّما تعرّضت للتكاثر.. ثم كيف يبقى أبي بن كعب في شكّ من آية قرآنية، ولا يسأل رسول الله ﷺ وهو كاتبه الأوّل، الى أن يذهب شكّه بنزول سورة لا شأن لها ونفي قرآنيّة غيرها.. ثم كيف نجيز لأنفسنا تصديق رواية تنسب الشّك إلى مثل الإمام عليّ في مسألة من مسائل الآخرة، وهو باب علم النبيّ ﷺ.. وأمّا اختصاص نزولها باليهود، فضيق في فحوى السورة العام، إذ هي تعالج مسألة عامّة تمسّ حياة البشريّة جميعا.. والصحيح ـ كما جاء في روايات الترتيب المتّفقة ـ: أنّها من أوّليات السور المكيّة، وقد رواه عن ابن عباس[٣].. هذا مضافا الى ما نلمسه من لهجة السورة العنيفة، التي تناسب أجواء مكة المسيطر عليها النزعة الماديّة بشدّة، ويزيد العنف استعمال لفظة (كلا) الخاصة بأهل مكة.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الماعون]، وأمامها[٤]: قال الضحّاك: إنّها مدنيّة[٥].. لكن روايات الترتيب ونصوصه المتّفق عليه ترفض هذا القول، مضافا الى أنّ لهجة السورة تقريع عنيف بأولئك المكذّبين بالدين، فهي بأوّليّات السور المكيّة أشبه، فقد كانت السابعة عشرة في الترتيب، نزلت بعد سورة التكاثر[٦].

---

(١) الإتقان: ١/ ١٤.

(٢) التمهيد: ١/ ١٦٢.

(٣) الدر المنثور: ٦/ ٣٨٦.

(٤) التمهيد: ١/ ١٦٢.

(٥) مجمع البيان: ١٠/ ٥٤٦.

(٦) مجمع البيان: ١٠/ ٤٠٥. والإتقان: ١/ ١١.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الكوثر]، وأمامها[١]: سورة مكية.. وعن عكرمة والضحّاك: أنّها مدنيّة[٢].. ورجّحه السيوطي، والنووي لما رواه مسلم عن أنس، قال: بينا رسول اللهّ ﷺ بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، فرفع رأسه وقال: انزلت عليّ آنفا سورة، فقرأها.. لكنّ ما ذكروه غير صحيح، ويؤيّد ذلك، أنّ مسلم نفسه روى هذا الحديث بسند آخر ليس فيه (أنزلت عليّ)، بل قال: أغفى النبيّ ﷺ إغفاءة، ثم رفع رأسه فقرأها[٣].. بالإضافة إلى أن المفسرين أجمعوا على أنّها مكيّة، نزلت تسلية لخاطر رسول اللهّ ﷺ عند ما شنأه ذلك الأبتر اللعين.. هذا مضافا لاتفاق روايات الترتيب: أنّها نزلت بمكة.

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [سورة الإخلاص]، وأمامها: سورة مكية.. لكن رجّح السيوطي كونها مدنيّة، لأحاديث رواها بشأن نزولها، حيث قال: نزلت في طائفة من يهود المدينة سألوا رسول اللهّ ﷺ أن يصف لهم ربّه، فنزل جبريل بسورة التوحيد[٤].. وفي مقابل هذه الروايات روايات أخرى تذكر أن هذا السؤال كان للمشركين، حيث قالوا: انسب لنا ربّك يا محمّد ﷺ فنزلت[٥].. مضافا الى اتفاق روايات الترتيب على ذلك.. وقد ذكر بعض الباحثين: أنّها نزلت مرّتين.. وهو قول مستغرب جدا؛ فكيف تنزل السورة مرتين[٦].

---

(١) التمهيد: ١/ ١٦٣.

(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٥٤٨.

(٣) الدر المنثور: ٦/ ٤٠١.

(٤) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ١٤٧. والإتقان: ١/ ١٤.

(٥) الدر المنثور: ٦/ ٤١٠.

(٦) رجح هذا القول الشيخ محمد مهدي معرفت، حيث قال: لا يبعد ذلك، ولكن معنى نزول السورة مرّتين: أنّ الثانية كانت تذكيرا للنبيّ ﷺ بمناسبتها الحاضرة، فمن المحتمل ـ على هذا الفرض ـ: أنّ اليهود سألوا النبيّ ﷺ سؤالا، كان المشركون قد سبقوهم الى مثله، فتردّد النبيّ ﷺ في أن يقرأ عليهم السورة التي كانت إجابة على سؤال المشركين من ذي قبل، وذلك نظرا للفرق بين مستوى اليهود ومستوى المشركين، فعند ذلك نزل جبريل بكفاية نفس الإجابة الأولى، بعد أن لم تكن السور القرآنية خاصّة بقوم دون قوم، وبمستوى دون مستوى إذ الناس على مختلف مستوياتهم يستفيدون من جميع آي القرآن، وإن كانت نوعيّة الاستفادة تختلف حسب مراتب الثقافات، وعلى ذلك فالسورة مكيّة وإن تكرّر نزولها بالمدينة أيضا. [التمهيد: ١/ ١٦٤]. وهو ترجيح

ورأيت أمام محل آخر لافتة مكتوبا عليها [المعوذتان]، وأمامها[1]: سورتان مكيتان، وقال السيوطي: المختار أنّها مدنيّتان، لأنّهما نزلتا في قصة سحر لبيد بن الأعصم[2].. والتي حدثت فيها عائشة، قالت: (سحر رسول اللهّ ﷺ رجل من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم.. حتى كان رسول اللهّ ﷺ يخيّل إليه إنّه يفعل الشيء وما يفعله..)[3].. وهذه القصّة ـ بالإضافة لمخالفتها القرآن الكريم في عدم إمكانية سحر النبي ﷺ ـ ليس فيها شاهد بنزول السورتين، وقد تنبّه السيوطي لذلك، ومن ثم استدرك بما ورد من طرق لم يصحّ إسنادها.

آيات مختلف فيها:

لم تكن اللافتات الكثيرة المعلقة في تلك المحال وحدها ما أثار انتباهي إلى مبالغة أهل ذلك الحي في التعامل مع [المكي والمدني]، بل رأيت الكثير من المظاهر التي تدل على أن الاختلاف لم يكن مجرد اختلاف علمي، وإنما تحول إلى جدل وصراع صرف أهل ذلك الحي عن التأمل في القرآن الكريم، والانشغال بمحال نزوله.

ومن الأمثلة على ذلك أني وجدت شحناء وقعت في الحي، وعندما رحت أبحث عن أسبابها، وجدت خلافا جرى بين اثنين حول مكية بعض الآيات أو مدنيتها.

لكن ذلك ليس عاما؛ فقد مررت في ذلك الشارع بمن يتحاور بطريقة علمية مهذبة مثل تلك الحوارات التي ذكرت لكم طرفا منها عند الحديث عن التصنيفات والتحقيقات.

سورة البقرة:

غريب جدا، وذرائعه أغرب منه.

(١) التمهيد: ١/ ١٦٤.

(٢) الإتقان: ١/ ١٤.

(٣) صحيح البخاري: ٧/ ١٧٧.

ومن تلك الحوارات العلمية اللطيفة، أني مررت على رجلين، قال أحدهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة البقرة مدنية.

قال الثاني: لكن استثني منها ثلاث آيات.. الأولى، قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فقد روي أنها نزلت بشأن المشركين أيام كان المسلمون بمكة ضعفاء.

قال الأول: لكن صدر الآية: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] شاهد نزولها بشأن أهل الكتاب، أوائل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ولم تقو شوكة الإسلام بعد.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فقد روي أنها نزلت بشأن تعنت المشركين تجاه الحقّ.

قال الأول[1]: لكن روي أن الآية نزلت بشأن إنفاق المسلمين على الكفّار، حيث امتنعوا من ذلك زعما أنّها محرّمة عليهم وهم على غير دينهم، فنزلت[2].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فقد قيل: هي آخر آية نزلت على رسول

---

(١) التمهيد: ١/ ٢٢٥.

(٢) مجمع البيان: ٢/ ٣٨٥. والدر المنثور: ١/ ٣٥٧.

اللهّ ﷺ وهو بمنى في حجّة الوداع[1].

قال الأول: حتى لو صح ذلك.. فالعبرة بالمكي والمدني ليس بمحل النزول، وإنما بزمنه، فما نزل قبل الهجرة مكي، والآخر مدني.

سورة الأنعام:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الأنعام مكيّة، وأنها (نزلت بمكة جملة واحدة، وشيّعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد، وقد طبقوا ما بين السماء والأرض، وكانت ليلة جمعة، وكان لنزولهم هيبة وعظمة، فجعل رسول اللهّ ﷺ يقول: سبحان اللهّ العظيم، سبحان اللهّ العظيم، وخرّ ساجدا.. ثم دعا الكتّاب فكتبوها من ليلتهم).. وهذا الحديث مستفيض رواه الفريقان بطرق يعضد بعضها بعضا[2].

قال الثاني[3]: أنا معك في مجمل السورة، لا في جميع آياتها.. فقد قيل باستثناء تسع آيات، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهَّ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

قال الأول[4]: لا شاهد للاستثناء في هاتين الآيتين إطلاقا، ولا دليل عليه.. ولعلّ السبب في هذا القول الضعيف المستهجن ما ورد من ذكر أهل الكتاب فيهما، وهو استدلال ضعيف؛ فقد ورد ذكر أهل الكتاب في كثير من سور مكيّة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ

---

(١) الدر المنثور: ١/ ٣٧٠.

(٢) مجمع البيان: ٤/ ٢٧١ والدر المنثور: ٣/ ٢.

(٣) الإتقان: ١/ ١٥.

(٤) التمهيد: ١/ ١٧٣.

الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ولم يستثنها أحد.. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧].. وأمثال ذلك كثير.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، فقد قيل: إنها نزلت في جماعة من اليهود، قالوا: يا محمد أنزل الله عليك كتابا؟ قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابا.. وقيل: نزلت في مالك بن الصيف، وكان حبرا من أحبار يهود قريظة، وكان سمينا، فقال له النبيّ ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة: (إنّ الله يبغض الحبر السمين؟)، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء.. وقيل: الذي خاصم النبيّ ﷺ في هذا المقال هو فنحاص بن عازوراء اليهودي.. و قيل: نزلت في مشركي قريش، حيث أنكروا النبوّات رأسا[1].

قال الأول[2]: لقد رد أبو جعفر الطبري على هذه الروايات بقوله: (وأولى هذه الأقوال بالصواب، هو القول الأخير، إذ لم يجر لليهود ذكر قبل ذلك، وليس إنكار نزول الوحي على بشر ممّا تدين به اليهود، بل المعروف من دينهم الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود.. ولم يكن الخبر بأنّها نزلت في اليهود خبرا صحيحا متصل السند، ولا أجمع

---

(١) تفسير الطبري: ٧/ ١٧٧، ومجمع البيان: ٤/ ٣٣٣.

(٢) التمهيد: ١/ ١٧٤.

المفسّرون على ذلك.. وكان سياق السورة من أوّلها الى هنا جاريا في المشركين، فناسب أن تكون هذه الآية أيضا موصولة بما قبلها لا مفصولة منه؛ فلم يجز لنا أن ندّعي فصلها إلّا بحجّة قاطعة من خبر أو عقل.. ولعلّ الذي أوقع هذا القائل في الوهم المذكور ما وجده في قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ على وجه الخطاب [1].. أمّا القراءة المشهورة بتاء الخطاب في الجميع، فلا تستدعي اختصاص الخطاب بأهل الكتاب، بل هو موجه إلى البشرية جميعا باعتبار فعل بعضهم ممّن نزل عليهم الكتاب، ولهذا جاء الكلام عن بني إسرائيل في سور مكيّة كثيرة، كما في سورة الأعراف.. ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، فهي خطاب لأهل مكة، وسورة الأنبياء مكية.. وقد كان للعرب صلة وثيقة وثقة بأهل الكتاب، ويعرفونهم أهل علم، وكثيرا ما يسألونهم عن تاريخ الأمم والأنبياء، ويعتمدون كلامهم، فجاز أن يخاطبوا بخطاب اليهود المجاورين لهم المخالطين معهم الموثوق بهم عندهم.

قال الأول[2]: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فقد روي أنها نزلت في عبد اللهّ بن سعد بن أبي سرح أخي عثمان من الرضاعة، وكان أسلم وكتب الوحي لرسول اللهّ ﷺ ولمّا نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ

---

(١) تفسير الطبري: ٧/ ١٧٨.

(٢) التمهيد: ١/ ١٧٥.

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] دعاه النبيّ ﷺ فأملاها عليه، فلمّا انتهى الى قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ عجب عبد اللهّ في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك اللهّ أحسن الخالقين، فقال رسول اللهّ ﷺ: هكذا أنزلت عليّ، فشك عبد اللهّ حينئذ، وقال: لئن كان محمد ﷺ صادقا لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال؛ فارتدّ عن الإسلام، ولحق أهل مكة، فجعلوا يقولون له: كيف كنت تكتب لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت.. وذلك أنّه كان رسول اللهّ ﷺ يملي عليه (عليما حكيما) فأكتب (غفورا رحيما)[1].. ومثل ذلك ما روي أنها نزلت في مسيلمة والأسود العنسي، اللذان ادعيا النبوة في آخر حياة رسول الله ﷺ[2].

قال الثاني[3]:الحديث الأول مكذوب من أصله.. لأنّ سورة (المؤمنون) مكيّة، ولم يستثن أحد تلك الآية؛ فكيف يكتبها ابن أبي سرح بالمدينة، ثم يرتدّ الى مكة!؟.. ثم أنّى لبشر أن يتقوّل على اللهّ كذبا وينتحله وحيا، وقد ضمن اللهّ لكتابه الكريم الحفظ!؟.. ثم كيف لا يشعر رسول الله ﷺ بدسّ كاذب مفتر على اللهّ فيما أنزله اللهّ عليه!؟.. نعم هناك ثلاث آيات من ثلاث سور، قيل في كلّ واحدة منها: إنّها نزلت بشأن ابن أبي سرح، هذه إحداها، وقد ذكرت ضعفها.. والثانية قوله: تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهَّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].. والثالثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُّ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].. وهذه الأخيرة أنسب وأولى

---

(١) مجمع البيان: ٤/ ٣٣٥. والدر المنثور: ٣/ ٣٠.

(٢) مجمع البيان: ٤/ ٣٣٥. والدر المنثور: ٣/ ٣٠.

(٣) التمهيد: ١/ ١٧٥.

بالقبول، كما روي ذلك عن الإمام الباقر، والإمام الصادق[1].

قال الأول: فما تقول في معنى الآية الذي لا ينطبق إلا على مدعي النبوة؟

قال الثاني[2]: أقول: إنها عامّة، تصف موقف الإنسان عموما تجاه رسالات الأنبياء عليهم السلام؛ فمن منكر معاند لا يصدّق بأي رسالة جاءت من قبل اللهّ.. وآخر مسترسل ضعيف يؤمن بكلّ دعوى رساليّة، حتى ولو كانت نزغة شيطانيّة، من غير تدبّر ولا تفكير صحيح.. ومن ثم وبّخت الآية هذا النمط من الاسترسال الهابط، وتلك الجرأة الظالمة تجاه ربّ العالمين، فيفترى عليه تعالى ظلما وعدوانا.

قال الأول: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهَّ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]؟

قال الثاني[3]: ليس في الآية ما يدعو الى الظنّ بأنّها مدنيّة إلّا ذكر أهل الكتاب فيها، وهذا وحده ليس دليلا، فقد ورد مثلها في آيات مكيّة كثيرا.. فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] يعني أهل الكتاب، ولا سيّما اليهود، وهذه الآية مكيّة بالإجماع، ما خلا ما نسب الى جابر بن زيد.

قال الأول: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]،

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٨١ ح ٢٨٨.

(٢) التمهيد: ١/ ١٧٦.

(٣) التمهيد: ١/ ١٧٧.

فقوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ لا يفسّر إلا بالحقّ الواجب بالزكاة، والزكاة لم تقرّر بأنصبتها المحددة في الزروع والثمار إلّا في المدينة.

قال الثاني[1]: لكن هذا المعنى ليس متعيّنا في الآية، لأنّها فسّرت بمطلق الصدقة من غير تحديد، وهي بهذا الإطلاق كانت واجبة في مكة، وقد جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، وهي من سورة الذاريات المكيّة بإجماع.. بالإضافة إلى أنه جاء ذكر الإنفاق والصدقة في كثير من الآيات المكيّة.. بالإضافة إلى ما جاء في الروايات بأنّ الحقّ في هذه الآية يعني الإنفاق وإعطاء اليتامى والمساكين[2].

قال الأول: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].. وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].. وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].. فقد قال السيوطي: وقد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء هذه الآيات الثلاث، وهي ما أخرجه أبو جعفر النحّاس في كتابه (الناسخ والمنسوخ) عن طريق أبي عبيدة معمّر بن المثنى[3].

---

(١) التمهيد: ١/ ١٧٨.

(٢) مجمع البيان: ٤/ ٣٧٥.

(٣) الإتقان: ١/ ٩.

قال الثاني[1]: أبو عبيدة هذا كان رجلا به شذوذ، وكان يرى رأي الخوارج، وكان بذي اللسان متهتّكا قليل العناية بالقرآن، وإذا قرأه قرأه نظرا[2].. ومن ثم لا يعتمد على نقله فيما يخصّ الكتاب والسنّة، اللهمّ إلّا في رواية الشعر والأدب.. بالإضافة إلى هذا؛ فقد روى أبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن علي بن أبي طالب قال: لّما أمر اللهّ نبيّه ﷺ أن يعرض نفسه على القبائل، خرج الى منى وأنا معه وأبو بكر، وكان رجلا نسّابة، فوقف على مضاربهم بمنى وسلّم عليهم فردّوا عليه السلام، فتكلم معه القوم، حتى سألوه: الى ما تدعو يا أخا قريش؟ فتلا رسول اللهّ ﷺ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى تمام الآيات الثلاث، فأعجبهم كلام اللهّ، وقالوا: فو اللهّ ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان لعرفناه[3]..فالآيات كانت نازلة حينذاك بمكة.

قال الأول: بورك فيك.. الآن اقتنعت أنّ سورة الانعام كلّها مكيّة، ليست منها آية مدنية إطلاقا، ولم يثبت شيء مما قيل باستثنائه أصلا، لا نقلا ولا عقلا.

سورة الأعراف:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الأعراف مكيّة؛ فقد أخرج ابن ضريس والنحّاس وابن مردويه من عدّة طرق عن ابن عباس: أنّها نزلت بمكة[4].

قال الثاني: لكن قتادة استثنى آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا

---

(١) التمهيد: ١/ ١٧٩.

(٢) ميزان الاعتدال: ٤/ ١٥٥.

(٣) الدر المنثور: ٣/ ٥٤.

(٤) الدر المنثور: ٣/ ٦٧.

يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، فقال: نزلت بالمدينة[١].. و قال غيره: بل المستثنى هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].. ودليل قتادة هو الأمر بسؤال اليهود، وهو يناسب أيّام كونه ﷺ بالمدينة.

قال الأول[٢]: هذا ليس دليلا، إذ لا مستند لعود الضمير الى اليهود، فلعلّه يعود الى المشركين أنفسهم، لمكان معرفتهم بقصّة أصحاب السبت، والقرية ـ وهي أيلة ـ كانت على ساحل البحر الأحمر، مما يلي الشام. وهي آخر الحجاز وأوّل الشام، وهي مدينة يهوديّة صغيرة كانت عامرة[٣]، وكانت قريش تمرّ عليها في رحلتها الصيفيّة التجاريّة، وكانت تتّصل بهم أخبارها، ومن ثمّ كانوا على معرفة من أهلها اليهود الذين عتوا عن أمر ربّهم.. وأمّا قول غيره فلا مستند له إطلاقا.. فالصحيح أنّ هذه الآيات متناسقة مع غيرها من قصص أمم الأنبياء عليهم السلام نزلت على قريش ليعتبروا.

سورة الانفال:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الانفال مدنية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فقد روي أنها نزلت في قصة دار الندوة حين اجتمعت فيها قريش للتآمر على رسول الله ﷺ وفشلت

---

(١) الكشف عن القراءات السبع: ١/ ٤٦٠.

(٢) التمهيد: ١/ ١٨٠.

(٣) معجم البلدان: ١/ ٢٩٢.

مؤامرتهم بهجرة رسول الله ﷺ[1].

قال الأول[2]: لكن نزول الآية بشأن ذلك لا يستدعي نزولها حينذاك، ولا سيّما بعد ملاحظة أداة ظرف الماضي (إذ) في صدر الآية، لأن فيها حكاية عن أمر سابق.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]؟

قال الأول[3]: فيها أيضا حكاية عن ماض وإخبار عن حال، أي لم يعذّبهم الله فيما قبل، بسبب وجودك بين أظهرهم، ولا يعذّبهم الآن ـ بعد خروجك ـ لوجود جماعة من المؤمنين لم يستطيعوا الخروج وهم على عزم الهجرة، فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفار هؤلاء المؤمنين الباقين بين أظهرهم[4].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وقد صحّح هذا الاستثناء ابن العربي وغيره لما روي عن عمر، قال: أسلمت رابع أربعين فنزلت[5].

قال الأول[6]: لكن يعارضه ما روي أنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر[7]، وقال الواقدي: نزلت بالمدينة في بني قريظة وبني النضير[8].. بالإضافة إلى أن سياق الآية يشهد بمدنيّتها، حيث نزلت إبان تشريع القتال، سواء مع المشركين أم مع أهل الكتاب.. بالإضافة إلى أنه لا معنى لكفاية أربعين رجلا أسلموا بمكة وهم على ضعف ما داموا فيها.. الأمر

---

(١) مجمع البيان: ٤/ ٥٣٧.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٢٨.

(٣) التمهيد: ١/ ٢٢٧.

(٤) مجمع البيان: ٤/ ٥٣٩.

(٥) الدر المنثور: ٣/ ٢٠٠.

(٦) التمهيد: ١/ ٢٢٨.

(٧) مجمع البيان: ٤/ ٥٥٧.

(٨) تفسير التبيان: ٥/ ١٥٢.

الذي يؤكّد نزولها بالمدينة حيث ازدادت شوكة المؤمنين وتقوى جانبهم، فكانت فيهم الكفاية والكفاءة، وهكذا فسّرها الطبري، حيث قال: (يقول لهم جلّ ثناؤه: ناهضوا عدوّكم فإنّ اللهّ كافيكم أمرهم ولا يهوّلنّكم كثرة عددهم وقلّة عددكم فإنّ اللهّ مؤيّدكم بنصره)، وذكر لهذا المعنى روايات، ولم يتعرّض لشيء من روايات نزولها بشأن إسلام عمر[1].

سورة براءة:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة براءة مدنية.

قال الثاني: لكن استثني منها أربع آيات.. أما الأولى والثانية، فقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤]، فقد روي أنها نزلت بشأن أبي طالب عندما حضرته الوفاة، حيث دخل عليه النبيّ ﷺ وعنده أبو جهل وعبد اللهّ بن أبي أميّة. فقال النبيّ ﷺ: أي عم، قل: لا إله إلّا اللهّ، أحاجّ لك بها عند اللهّ؛ فقال القرشيان: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطلب!؟.. فكانا كلّما عرض عليه النبيّ ﷺ كلمة الشهادة أعادا كلامهما.. فكان آخر كلام أبي طالب: أنّه على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا اللهّ؛ فقال النبيّ ﷺ عند ذلك: لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك. فنزلت الآية.. ومثلها يروى نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

(١) تفسير الطبري: ١٠/ ٢٦.

بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].. ويروى أيضا: أنّها نزلت بشأن والدي رسول اللهّ ﷺ.. حيث أراد أن يستغفر لهما، فقد روي أنه استجاز ربّه في زيارة قبر أمّه فأجازه، فبدا له أن يستغفر لها فنزلت الآية تنهاه؛ فما رئي رسول اللهّ ﷺ أكثر باكيا من يومه ذاك.

قال الأول[1]: واضح جدا الكذب والاختلاق في الروايتين، وأن الذي وضعهما صاحب عصبيّة جاهليّة، أو نزعة أمويّة ممقوتة عمدت إلى الحطّ من كرامة بني هاشم، وإلى تشويه أقارب النبيّ ﷺ لتجعل من أبيه وأمّه مشركين، ولتعتبر أبا طالب كافرا، وهو المحامي الأوّل والمدافع الوحيد في وقته عن رسول اللهّ ﷺ وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، ولا شكّ أنّ أبا طالب كان أوّل من آواه ونصره ووقف دونه بنفسه ونفيسه، والآية الكريمة شهادة عامّة تشمله قطعا[2].

و يكفي دليلا على إيمانه الصادق، قوله في قصيدته التي يحمي بها عن رسول اللهّ ﷺ مهدّدا قريش أجمع[3]:

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب	لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة	تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته	ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيّده ربّ العباد بنصره	وأظهر دينا حقّه غير باطل

(١) التمهيد: ١/ ٢٣٠.

(٢) حق اليقين للسيد عبد اللهّ شبر: ١/ ١٠٠.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٩٩.

ومثل ذلك أبوي رسول الله ﷺ؛ فإن كل الأدلة تدل على أن جميع أجداد رسول الله ﷺ لم يتلوّثوا بدنس شرك قط؛ وقد روي في الحديث عن رسول الله ﷺ: (لم يزل اللهّ ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذّبا) [1]

وبهذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، أي لم تزل تنتقل من صلب مؤمن موحّد إلى صلب مؤمن موحّد، قال الطبرسي: (وقيل: معناه: وتقلّبك في أصلاب الموحّدين حتى أخرجك نبيّا.. وهو مروي عن ابن عباس وعن الإمام الباقر، والإمام الصادق) [2]

والصحيح في سبب نزول الآية، ما ذكره الطبرسي: أنّ المسلمين جاؤوا إلى النبيّ ﷺ يطلبون إليه الاستغفار لموتاهم الذين مضوا على الكفر أو النفاق، وقالوا: ألا تستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية، فنزلت الآية[3].

و ممّا يدلّ على صحّة هذه الرواية وبطلان الرواية الأولى، أنّ الآية الكريمة جاءت بلفظ ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا﴾، فلو صحّت تلك الرواية لما كان هناك سبب معقول لإرداف غيره ﷺ من المؤمنين معه في هذا الإنكار الصارم[4].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]، فقد قال ابن الغرس: إنّهما مكيّتان[5].

---

(١) الدر المنثور: ٣/ ٢٩٤.

(٢) مجمع البيان: ٧/ ٢٠٧.

(٣) مجمع البيان: ٥/ ٧٦.

(٤) مجمع البيان: ٥/ ٥٤ و٥٦، والدر المنثور: ٣/ ٦٤ و٦٦.

(٥) الإتقان: ١/ ١٥. والدر المنثور: ٣/ ٢٩٦.

قال الأول: وقد قال السيوطي: (وهذا غريب، كيف وقد ورد أنّهما آخر ما نزل)[1].. بالإضافة إلى ما روي في سبب نزولها، وهو أن جهينة جاءت تسأل رسول الله ﷺ ـ أوّل قدومه المدينة ـ عهدا يأتمنون اليه، فنزلت الآيتان[2].

سورة يونس:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة يونس مكيّة.

قال الثاني[3]: استثنى بعضهم منها أربع آيات، ذكر بعضهم أنّها نزلت في اليهود.. أولاها قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠].. والثانية، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].. والثالثة، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥].. والرابعة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]

قال الأول[4]: لا دليل لهم في ذلك؛ فالسياق فيها واحد متّصل.. ولعلّ ذكر أهل الكتاب هو الذي أوقعهم في هذا الزعم، مع العلم بأنّ هذه الآيات ليست بأصرح من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، الآية مكيّة بإجماع.

سورة هود:

---

(١) الإتقان: ١/ ١٥. والدر المنثور: ٣/ ٢٩٦.

(٢) الدر المنثور: ٣/ ٢٩٧.

(٣) التمهيد: ١/ ١٨٠.

(٤) التمهيد: ١/ ١٨٠.

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة هود مكيّة.

قال الثاني[1]: لكن بعضهم استثنى منها ثلاث آيات.. أولاها قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]

قال الأول: لكن السياق يشهد بأنّها مكيّة، وقد روي في سبب نزولها ما يجعلها أيضا مكيّة قطعيّا[2].

قال الثاني: فما تقول في استثناء الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، فقد استشهد من قال بمدنيتها بقوله تعالى: ﴿ كِتَابُ مُوسَى﴾، وقوله: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾

قال الأول[3]: لا شاهد فيهما، فقد جرى ذكر موسى عليه السلام في كثير من آيات السور المكيّة.. أما الأحزاب؛ ففيها إشارة الى قبائل عربيّة كانت متحزّبة ضدّ الرسول ﷺ، وقد كانت تحزّبت منذ أن شعر المشركون بسرعة انتشار الدعوة الإسلامية.. ولا شاهد فيها على إرادة وقعة الأحزاب.

قال الثاني: فما تقول في استثناء الثالثة، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ

---

(١) التمهيد: ١/ ١٨١.

(٢) مجمع البيان: ٥/ ١٤٦.

(٣) تفسير التبيان: ٥/ ٤٦١.

وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، فقد روي عن أبي ميسرة، قال: ذكرت للنبيّ ﷺ أني وقعت في بعض المعاصي، فقال: هل جهّزت غازيا؟ قلت: لا، فقال: هل خلفت غازيا في أهله؟ قلت: لا، فقال: استغفر ربّك وصلّ أربع ركعات.. ثم تلا الآية.. ثم قال: إنّها للناس عامّة، وفي رواية: نزل بها جبرئيل لساعته[1].

قال الأول[2]: الكذب واضح في هذه الرواية، لأنّها تجرئ على المعاصي، وهي بذلك تخالف القرآن الكريم، ذلك أنها تبيح لكل إنسان أن يفعل ما يريد، ثم يعمد الى صلاة يصليها لتكون كفّارة عن كلّ ذنب يقترفه.. هذا فضلا عن التهافت في نفس الرواية وعدم انسجامها مع الآية، وهو دليل آخر على وهنها.. بالإضافة إلى أنه في بعض رواياتها أنه تلا عليه الآية، وليس فيها أنّها نزلت حينذاك.

سورة يوسف:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة يوسف مكيّة.

قال الثاني[3]: لكن بعضهم استثنى منها أربع آيات، ثلاث منها وردت في أولها، وهي قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣]، والرابعة، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]

---

(١) تفسير الطبري: ١٢/ ٨٢-٨٣.

(٢) التمهيد: ١/ ١٨٢.

(٣) التمهيد: ١/ ١٨١.

قال الأول: لقد قال السيوطي في ذلك: وهو واه جدا، لا يلتفت إليه[1].

سورة إبراهيم:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة إبراهيم مكية.

قال الثاني[2]: لكن بعضهم استثنى منها آيتين نزلتا في قتلى بدر من المشركين وهما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِّ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وذلك لما روي عن عمر قال: الذين بدّلوا نعمة اللهّ كفرا، هما: الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أميّة، أمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر.. وأمّا بنو أميّة؛ فمتّعوا الى حين[3] .. وهكذا روي عن الإمام الصادق، وزاد، بلى هي قريش قاطبة[4].

قال الأول[5]: لكن لا دلالة في ذلك على أنّهما نزلتا يوم بدر أو بعده.. وإنّما كانت وقعة بدر مصداقا من مصاديق البوار الذي أنذروا به.. أمّا المصداق الأوفى فهي جهنم يصلونها وبئس القرار.

سورة الحجر:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الحجر مكية.

قال الثاني: لكن بعضهم استثنى منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤]، لما أخرجه الترمذي: أنّها نزلت في صفوف

---

(١) الإتقان: ١/ ١٥.

(٢) إبراهيم: ٢٨ـ٢٩. البرهان: ١/ ٢٠٠.

(٣) تفسير الطبري: ١٣/ ١٤٦.

(٤) تفسير العياشي: ٢/ ٢٢٩ ح ٢٢. وتفسير الصافي: ١/ ٨٨٨.

(٥) التمهيد: ١/ ١٨٣.

الصلاة[1].. واستثنى آخر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] وقوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠-٩١] (٢)

قال الأول[3]: سياق الآية الأولى يأبى حملها على صلاة الجماعة بدليل قوله تعالى قبلها﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]، وكذا الآية بعدها: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ٢٥]، وإنّما المعنى: ولقد علمنا بالأموات الماضين وبالأحياء الباقين[4].. أمّا رواية الترمذي فهي مقطوعة، وفي اسنادها ضعف، مضافا الى عدم انسجامها مع الآية.

وأمّا استثناء الثانية؛ فمستند الى قول مجاهد: (إنّ سورة الفاتحة نزلت بالمدينة)، وهي هفوة منه، والإجماع على خلاف قوله[5].

و أمّا آية المقتسمين، فزعموا أنها نزلت في اليهود والنصارى ممّن آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعض[6]، لكنّه زعم باطل، لأنّ اليهود لم يؤمنوا بالقرآن إطلاقا، ولم يكونوا هم المنزل عليهم.. نعم كان إيمانهم بالكتب النازلة عليهم كذلك يؤمنون بالبعض ويكفرون بالبعض.. والصحيح أنّ الآية المذكورة نزلت في المشركين الذين جعلوا من القرآن بعضه سحرا وبعضه أساطير الأوّلين وبعضه مفترى وغير ذلك، وكانوا يتفرّقون على أبواب مكّة يصدّون الناس عن القرآن ويقولون على اللهّ الكذب[7].. بالإضافة إلى ذلك كله، فقد روي

---

(١) الإتقان: ١/ ١٥.

(٢) مجمع البيان: ٦/ ٣٢٦.

(٣) البرهان: ١/ ٢٠٠.

(٤) تفسير الطبري: ١٤/ ١٦ و١٨.

(٥) الإتقان: ١/ ١٢.

(٦) تفسير الطبري: ١٤/ ٤٢.

(٧) الميزان: ١٢/ ٢٠٥.

عن الإمامين الباقر والصادق: أنّها نزلت في قريش[1].

سورة النحل:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة النحل مكية

قال الثاني: لكن قتادة استثنى منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١]، وقيل: إلى آخر السورة، وأنهن نزلن بالمدينة[2].. وعن عطاء بن يسار استثناء قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨]، وهن ثلاث آيات نزلن في أحد، بعد مقتل حمزة[3].. وروي عن ابن عباس استثناء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥-٩٦]، وأنهما نزلتا بالمدينة.. وأنها نزلت بشأن امرئ القيس الكندي، كان قد غصب أرضا من عبدان الأشرع الحضرموتي؛ فشكاه إلى النبي ﷺ فأنكر امرؤ القيس، فاستحلفه فاستعظم أن يحلف كاذبا، فنزلت الآية[4].

قال الأول[5]: : أمّا الآية الأولى؛ فلا دلالة فيها على أنّ المراد هي الهجرة الثانية إلى المدينة، بل الظاهر منها أنّها: الهجرة الأولى إلى الحبشة، كما روي ذلك عن قتادة أيضا[6]..

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ١٥١ ـ ٢٥٢، ح ٤٣ و٤٤.

(٢) الإتقان: ١/ ١٥. وفي مجمع البيان: ٦/ ٣٤٧.

(٣) الدر المنثور: ٤/ ١٣٥.

(٤) مجمع البيان: ٦/ ٣٤٧.

(٥) التمهيد: ١/ ١٨٥.

(٦) الدر المنثور: ٤/ ١١٨.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ والقصة الواردة بشأنها؛ فقد وقعت بالمدينة.. لكن القصة لم تثبت، ولهجة الآية عامّة، وسياقها يشهد بانسجامها الوثيق مع آيات قبلها.. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، فقد اختلف المفسّرون فيها على ثلاثة أقوال: الأوّل: أنّها نزلت يوم أحد، عند ما وقف النبيّ ﷺ على حمزة وقد مثّل به، فقال: أما والله لامثّلنّ بسبعين، أو قال: بثلاثين منهم مكانك.. وهكذا لمّا سمع المسلمون ذلك، قالوا: لئن أمكننا الله منهم لنمثّلنّ بالأحياء منهم فضلا عن الأموات، وقال بعضهم: لنمثّلنّ بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب.. فنزل جبريل بالآية، فكفّر النبيّ ﷺ عن يمينه وأمسك عن الذي أراد، وهذا مستبعد جدا من أخلاق رسول الله ﷺ، والتي تأبى عليه أن يأخذ البريء بذنب المجرم.. والثاني: أنّها نزلت يوم الفتح، حين همّ المسلمون أن يقعوا في المشركين، ويقتلوهم شرّ قتلة، تشفّيا بما كانوا فعلوا بهم يوم أحد؛ فقد أصيب من الأنصار يومذاك أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة بن عبد المطلب، وقد مثّل بهم المشركون؛ فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربينّ عليهم، فلمّا كان يوم فتح مكة، وأمكن الله المسلمين من المشركين، نزلت الآية للأخذ من حدّة المسلمين، وأن لا يتجاوزوا حدود ما أنزل الله.. والثالث: أنّها عامّة في كلّ ظلم، يحاول المظلوم الانتقام من الظالم، بعد ما يمكّنه الله منه.. و هذه الآية جاءت مزيجا بين إباحة الانتقام العادل والصفح الجميل، الأمر الذي يتناسب مع حالة المسلمين يوم كانوا بمكة.. و هذا الرأي الأخير هو الصحيح، نظرا إلى سياق الآية نفسها، ومناسبتها الوثيقة مع آيات قبلها وبعدها.

سورة الإسراء:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة

الإسراء مكية.

قال الثاني[1]: لكن روي أن فيها سبع عشرة آية نزلن بالمدينة، وأولها قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، فقد قيل: إنها نزلت بالمدينة بعد ما فتح اللهّ خيبر على رسول اللهّ ﷺ فأعطى فاطمة فدكا[2].

قال الأول[3]: لكن ظاهر الآية يدل على كونها شريعة عامّة، لكلّ مسلم، وجاءت مجملة بوجوب الإنفاق على ذوي القربى والمساكين، كما هو طابع التشريعات المكيّة، ثم فصّلت حدودها بعد الهجرة بالمدينة.. و الآية بعمومها شاملة للنبيّ ﷺ فهو أيضا مأمور بصلة الأرحام والإنفاق عليهم وعلى الفقراء، كأحد المسلمين.. لذلك، بعد فتح خيبر، وبعد ما أفاء اللهّ على رسوله والمؤمنين دعا رسول الله ﷺ فاطمة وأعطاها فدكا، ولا دليل على أنّ الآية نزلت حينذاك.. ويدل لذلك أيضا أن الآية التي نزلت بخيبر، بشأن صلة القربى، كانت قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُّ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].. و أهل القرى: هم بنو قريظة وبنو النضير.. والقرى، هي فدك وخيبر وعرينة وينبع، وقد نزلت الآية بشأنها حينذاك[4].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا

---

(١) التمهيد: ١/ ١٨٦.

(٢) الدر المنثور: ٤/ ١٧٧. ومجمع البيان: ٦/ ٤١١.

(٣) التمهيد: ١/ ١٨٨.

(٤) مجمع البيان: ٩/ ٢٦٠ ـ ٢٦١. و الدر المنثور: ٦/ ١٨٩.

فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٢-٣٣] لما فيهما من الأحكام؟

قال الأول[1]: نعم كان تشريع أكثر الأحكام بالمدينة، أمّا أسس الشريعة وكليّات الأحكام في صورها الإجمالية فقد جاءت في سور مكيّة كثيرة.. وقد قال السدّي: قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى﴾ نزلت يوم لم تكن حدود، وقال الضحّاك في آية القتل: كان هذا بمكة، والنبيّ ﷺ بها، وهو أوّل شيء نزل من القرآن في شأن القتل، كان المشركون يغتالون أصحاب النبيّ ﷺ يومذاك، فهمّ أصحابه ﷺ أن يفعلوا بهم مثل ذلك، فقال جلّ ثناؤه: من قتلكم فلا يحملنّكم عمله على أن تقتلوا أباه أو أخاه أو أحدا من المشركين، كما كانت العادة الجاهليّة جارية على قتل الأخ بأخيه أو آخرين من أفراد قبيلته، فلا يقتلنّ أحدكم إلّا القاتل نفسه[2].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]؟

قال الأول[3]: لا شك أنّ الآيات مكيّات، نزلن بشأن مشركي قريش حين عرضوا على النبي ﷺ مسالمته مع آلهتهم، فنهرهم نهرا شديدا، ونزلت الآيات تثبيتا لموقف النبيّ ﷺ، وتيئيسا للمشركين نهائيا، لئلا يطمعوا في رسول الله ﷺ.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا

(١) التمهيد: ١/ ١٨٩.

(٢) الدر المنثور: ٤/ ١٨١.

(٣) مجمع البيان: ٦/ ٤٣١. والدر المنثور: ٤/ ١٩٤.

تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦-٧٧]، فقد قيل في وجه الاستثناء ما روي في سبب نزولهما، وهو أنّ اليهود أتوا النبيّ ﷺ وقالوا له: إن كنت نبيّا فأت الشام أرض الأنبياء، فصدّقهم على ذلك.. وغزا غزوة تبوك، لا يريد إلّا اللحاق بالشام، فلمّا بلغ تبوك أنزل اللهّ عليه هاتين الآيتين، فأمره بالرجوع إلى المدينة، ففيها محياه ومماته ومبعثه يوم القيامة[1].

قال الأول[2]: هذا معارض بما ورد أنّهما نزلتا بشأن مشركي مكة حين همّوا بإخراج الرسول من مكة بنفس الأسلوب، وقالوا له: كانت الأنبياء يسكنون الشام فما لك وسكنى هذه البلدة.. أو همّوا بإخراجه عنفا، لأنّ الاستفزاز هو الإزعاج بعنف، وظاهر الآية يرجّح المعنى الثاني، كما أنّ المشركين لمّا فعلوا ذلك بعدئذ طبّقت عليهم سنّة اللهّ في الخلق، حيث بدأت بقتلى بدر، وانتهت بفتح مكة وإخراج المشركين منها نهائيا[3].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٨-٨٠]، فقد قيل: إنّها من تتمّة الآيتين السابقتين نزولا بالمدينة[4].

قال الأول[5]: بعد أن لم يثبت الأصل لن يثبت الفرع.. وقد ورد في الحديث عن ابن عباس أنها نزلت بمكة قبيل هجرته ﷺ[6].. بالإضافة إلى أنّ الآيات في سياقها المتّصل، سبقا ولحوقا، بنفسها تشهد بنزولها بمكة، ولا تنسجم مع القول بنزولها في المدينة.

---

(١) مجمع البيان: ٦/ ٤٣٢. والدر المنثور: ٤/ ١٩٥.

(٢) التمهيد: ١/ ١٩١.

(٣) مجمع البيان: ٦/ ٤٣٢. والدر المنثور: ٤/ ١٩٥.

(٤) الإتقان: ١/ ١٥.

(٥) التمهيد: ١/ ١٩٢.

(٦) الدر المنثور: ٤/ ١٩٨. وتفسير الطبري: ١٥/ ١٠٠.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].. فقد روي أنّ هذا السؤال كان من يهود المدينة، بعد الهجرة[١].

قال الأول[٢]: وهو معارض بما ورد أنّ هذا السؤال وقع من مشركي قريش، سألوه عن الروح الذي جاء ذكره في القرآن.. أو أنّ اليهود أوعزوا إلى المشركين توجيه هذا السؤال إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: إن أجابكم فليس بنبيّ، وإن لم يجبكم فهو نبيّ[٣].. بالإضافة إلى أنّ ذيل الآية يشهد بأنّها خطاب مع المشركين.. وعن عطاء بن يسار: أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] نزل بمكة[٤].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فقد أخرج الطبري: أنّ الآية نزلت على رسول اللهّ ﷺ بالمدينة، بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وزعموا أنّ التوراة أفضل منه[٥].

قال الأول: وهي نفس المعاني التي كان يطلبها مشركو قريش، حين سألوه عن الآيات والخوارق.. وهي تتناسب مع قوله تعالى بعدها ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي

---

(١) الدر المنثور: ٤/ ١٩٩. وتفسير الطبري: ١٥/ ١٠٥.

(٢) التمهيد: ١/ ١٩٣.

(٣) مجمع البيان: ٦/ ٤٣٧ والدر المنثور: ٤/ ١٩٩.

(٤) تفسير الطبري: ١٥/ ١٠٦.

(٥) الإتقان: ١/ ١٥.

هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]؟

قال الأول[١]: الآية بسياقها تشهد بأنّها مكيّة، نزلت توبيخا لصمود المشركين تجاه نزول القرآن وإباءهم عن الإيمان به، وتلميحا بأنّ هذا العناد هو أثر الجهل الأعمى والتوحّش الفادح الذي تمكّن من نفوسهم القاسيّة، أمّا أهل المدنية والثقافة فإنّهم إذا لمسوا من حقيقة القرآن الواضحة يؤمنون به فورا بلا ارتياب.

سورة الكهف:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الكهف مكية.

قال الثاني: لكن روي أن فيها اثنتين وثلاثين آية، نزلن بالمدينة، وهذا يعني أنّ ثلث السورة، ولا سيّما ثماني آيات من أوّلها مدنيّة.. قال السيوطي: استثنى من أوّلها إلى قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨][٢]

قال الأول[٣]: لا دليل لهذا الاستثناء إطلاقا، مضافا إلى استلزامه أن تكون السورة مدنيّة لا مكيّة! لأنّ الاعتبار في المكيّة والمدنيّة إنما هو بمفتتح السورة، وشيء من آيات من أوّلها، والإجماع منعقد على أنّ سورة الكهف مكيّة لا اختلاف فيها[٤].. ولعلّ المستثني نظر

---

(١) التمهيد: ١/ ١٩٤.

(٢) الدر المنثور: ٤/ ٢٠٨.

(٣) التمهيد: ١/ ١٩٥.

(٤) الدر المنثور: ٤/ ٢٠٨.

إلى قوله تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، لكن ذلك لا يستدعي نزولها بالمدينة لمناسبة وجود اليهود فيها، بل هي عامّة تشمل النصارى والمشركين أيضا، على أنّ نزول آية بشأن قصّة يهوديّة لا تستوجب مقارنة نزولها يوم كانوا ينابذون الإسلام، والآيات بهذا النمط كثيرة في سور مكيّة، وذلك لوجود الصلة القريبة بين اليهود والمشركين قبل مهاجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، فقد روي أنها نزلت في عيينة بن حصن، عرض على رسول اللهّ ﷺ وهو آنذاك بالمدينة، أن يبعد مجلس فقراء المؤمنين[١].

قال الأول: لا.. بل الصحيح أنها نزلت في أميّة بن خلف، حين عرض على رسول الله ﷺ ذلك وهو بمكة، فدعا النبي ﷺ إلى طرد الفقراء وتقريب صناديد قريش[٢].. وأسلوب الآية وسياقها يدل على بذلك.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣] إلى آخر قصته، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، فقد روي أنّ الذين وجّهوا هذا السؤال إلى النبيّ ﷺ كانوا هم اليهود أنفسهم، ومن ثم كان نزول الآيات ـ بصدد الإجابة ـ في المدينة[٣].

---

(١) الدر المنثور: ٤/ ٢٢٠.

(٢) أسباب النزول بهامش الجلالين: ١/ ٢٣٠. والدر المنثور: ٤/ ٢٢٠.

(٣) الدر المنثور: ٤/ ٣٤٠.

قال الأول[1]: الصحيح أنّ المشركين هم الذين سألوا هذا السؤال، لكن بتعليم من اليهود، حيث كان المشركون قد بعثوا من يسأل اليهود عن أوصاف رسول اللهّ ﷺ، فأجابوهم بأسئلة يوجّهونها إلى رسول اللهّ ﷺ فإن أجاب فهو نبيّ حقا.. فقد روى الطبري: أنّ قريشا بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأوّل ـ التوراة ـ وعندهم علم ما ليس عندنا، من علم الأنبياء؛ فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول اللهّ ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنّكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل، ما كان من أمرهم، فإنّه قد كان لهم حديث عجيب سلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟.. وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنّه نبيّ فاتّبعوه.. إلى آخر الحديث[2].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١١٠]، فعن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحبّ أن يرى مكانه، فأنزل اللهّ: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

---

(١) التمهيد: ١/ ١٩٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢١٥/ ١٢٧ و: ١٦/ ٧. والدر المنثور: ٤/ ٢١٠.

أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠][1]

قال الأول[2]: لكن لحن الآية وفحواها لا يدل على ذلك، وقد روي عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]) قالت اليهود، أوتينا التوراة وفيها علم كثير.. فأنزل الله ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ولذلك قال الحسن: أراد بالكلمات العلم[3].. لكن هذا لا يدلّ على كونها نزلت بالمدينة.

سورة مريم:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة مريم مكية.

قال الثاني: لكن روي أن فيها آيتان مكيتان[4].. أولهما قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم: ٥٨]

قال الأول[5]: وذلك غير صحيح.. فقد نزلت تعقيبا على الآيات التي سبقتها من أوّل السورة، حيث ذكرت أحوال الأنبياء عليهم السلام وأممهم بتفصيل، ثم جاء مدحهم جميعا بصورة إجماليّة في هذه الآية، وكأنّها تلخيص لما سبق.. ولذلك إما أن نقول بأن جميعها من أوّل السورة إلى هذه الآية مدنيّة أو كلّها مكيّة، ولا محل لهذا الاستثناء الغريب، والذي لم يبيّن المستثنى سنده في ذلك.

---

(١) الدر المنثور: ٤/ ٢٥٥.

(٢) التمهيد: ١/ ١٩٧.

(٣) مجمع البيان: ٦/ ٤٩٩.

(٤) الإتقان: ١/ ١٥.

(٥) التمهيد: ١/ ١٩٧.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]؟

قال الأول[1]: هي كسابقتها مرتبطة تمام الارتباط بآيات اكتنفتها سبقا ولحوقا، بما لا يدع مجالا لاستثنائها وحدها، فقد وردت في هذا السياق: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٠-٧٢]

سورة طه:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة طه مكية.

قال الثاني[2]: لكن استثني منها آيتان، أولاهما قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]

قال الأول: لكن السياق الذي وردت فيه لا يسمح بذلك.. فقد وردت في هذا السياق: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٩-١٣١]

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

---

(١) التمهيد: ١/١٩٧.

(٢) التمهيد: ١/١٩٨.

مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، فقد روي عن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ بعثه ليقترض من يهودي طعاما، فأبى إلّا برهن، فحزن رسول اللهّ ﷺ على ذلك، فنزلت الآية(١).

قال الأول: الرواية ـ على فرض صحّتها ـ لا تصلح داعية لنزول هذه الآية بشأنها، فالكثير من الآيات المكية والمدنية تحوي هذا المعنى.

سورة الشعراء:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الشعراء مكية.

قال الثاني: لكن ورد استثناء خمس آيات منها.. أولها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].. فقد حكى ابن غرس: أنّها مدنيّة(٢).. ويدل لذلك ما ورد في تفسيرها من أنّ المراد من علماء بني إسرائيل ـ هنا ـ هم أسد واسيد وابن يامين وثعلبة وعبد اللهّ بن سلام(٣).

قال الأول(٤): لكن وجه الآية بلا شكّ عام يشكل مشركي قريش وغيرهم، وهو توبيخ لاذع لهم.. أمّا التفسير الوارد فلا يعني نزول الآية بعد إيمان هؤلاء اليهود، وإنّما هو بيان مصداق من المصاديق تحقّقت فيما بعد.. وقد تتحقق في كل الأجيال.. بالإضافة إلى ذلك فقد ورد في كتب السيرة والتاريخ ما يدل على رجوع المشركين لليهود فيما يخصّ معرفة رسول اللهّ ﷺ فكانوا يعرّفونهم خصائص وسمات كانت موجودة فيه ﷺ والآية إنّما تعني

---

(١) الإتقان: ١/ ١٦. وتفسير الطبري: ١٦/ ١٦٩.

(٢) الإتقان: ١/ ١٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/ ٦٩. والدر المنثور: ٥/ ٩٥.

(٤) التمهيد: ١/ ٢٠٠.

ذلك، فهذا شيء كان يعرفه أهل الكتاب، كما اعترفوا به قبل هجرته، وإنّما أنكروه بعد ذلك طمعا في حطام الدنيا، ولم تعن الآية إيمانهم وإنما عنت معرفتهم.. وبذلك لا يصلح التفسير الوارد لتعيين نزول الآية بالمدينة.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]، فقد حكي استثناء ذلك عن ابن عباس، فقد روي عنه أنّها نزلت في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين[(١)].

قال الأول: لكن ذلك معارض بما هو أقوى سندا وأكثر عددا، والذي يدل على أنّها نزلت في مشركي قريش، حيث كان شعراؤهم يهجون رسول الله ﷺ ويقرؤها سفلتهم على ملأ من الناس امتهانا لرسول الله ﷺ فنزلت الآية تقريعا وتنديدا بسلوكهم[(٢)].

سورة القصص:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة القصص مكية.

قال الثاني: لكن ورد استثناء قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢-

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ٩٩. وتفسير الطبري: ١٩/ ٧٨.

(٢) مجمع البيان: ٧/ ٢٠٨، تفسير الطبري: ١٩/ ٧٨.

٥٥]، فقد قيل: إنها نزلت في جماعة من أهل الكتاب كانوا قد أسلموا، منهم: عبد اللهّ بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي[١].. وقيل: نزلت في أصحاب النجاشي قدموا المدينة وشهدوا وقعة أحد[٢].

قال الأول[٣]: لو صحّ تفسير الآية بالمذكورين فإنّها عنت الإخبار عمّا سيكون لا عمّا هو واقع، فضلا عن معارضة هذا التفسير بتفسيرها بجماعة من أهل الكتاب كانوا مؤمنين بالنبيّ ﷺ قبل مبعثه، وهم أربعون رجلا على ما جاء في كتب التفسير[٤].. ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فهذه الآية مكيّة، وردت بشأن مجادلة أهل الكتاب.. ومثلها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، وهي مكية أيضا بالاتفاق.

سورة العنكبوت:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة العنكبوت مكية.

قال الثاني: لكن استثني من أوّلها إلى الآية الحادية عشرة، فقد قيل: أنها نزلت بالمدينة[٥]، وأنها نزلت في ناس من المسلمين تخلّفوا عن الهجرة، ثم كتب إليهم أصحاب رسول اللهّ ﷺ في ذلك، فعمدوا إلى المهاجرة، فردتهم قريش ووقع بينهم قتال وعنف[٦].

---

(١) مجمع البيان: ٧/ ٢٥٨.

(٢) الإتقان: ١/ ١٦.

(٣) التمهيد: ١/ ٢٠١.

(٤) مجمع البيان: ٧/ ٣٥٨. والدر المنثور: ٥/ ١٣٣.

(٥) الإتقان: ١/ ١٦.

(٦) أسباب النزول بهامش الجلالين: ٢/ ٣٢.

قال الأول[1]: لكن الآية عامّة، وقد ورد أنها نزلت في مؤمني مكة الذين وقعوا تحت البلاء والشدّة، وكانت ابتلاء لهم ليعلم الصادق من الكاذب.. وهكذا فسّرها الطبري[2]، وجاءت بذلك الرواية عن الإمام الصادق[3].. بالإضافة إلى أنّ مفتتح السورة هو المراعى في تحديد مكية السورة أو مدنيتها، ولو صحّ نزولها بالمدينة لأصبحت السورة مدنيّة، مع أنه لم يخالف أحد في مكيّتها.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، فقد استثناها السيوطي، لما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول اللهّ ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، ثم قال ﷺ هذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده.. قال ابن عمر: فو اللهّ ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت الآية[4].

قال الأول[5]: الرواية مطعون في سندها، فضلا عن اضطراب متنها وعدم معقوليّة فحواها.. بالإضافة إلى هذا، فقد روي عن مقاتل والكلبي: أنّها نزلت في جماعة من المؤمنين المستضعفين، ضاق بهم المقام بمكة قبل هجرة الرسول ﷺ ووقعوا في عسر وشدّة، فأمروا بالهجرة إلى المدينة، فقالوا: كيف نخرج إلى بلد ليس لنا به دار ولا عقار ولا معيشة؛ فنزل قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا

---

(١) التمهيد: ١/ ٢٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٣.

(٣) مجمع البيان: ٧/ ٢٧٢.

(٤) الإتقان: ١/ ١٦. والدر المنثور: ٥/ ١٤٩.

(٥) التمهيد: ١/ ٢٠٣.

تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥٦-٦٠].. و هذه الرواية أوفق بنصّ الكتاب وأولى بالاعتبار، ومن ثمّ فهي الصحيحة المقبولة.

سورة لقمان:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة لقمان مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٧-٢٩]، فقد روي عن ابن عباس في سبب نزولها: أنّ أحبار يهود قالوا لرسول اللهّ ﷺ بالمدينة: إنّا قد أوتينا التوراة، وفيها علم كثير، فقال ﷺ: إنّها في جنب علم اللهّ قليل، فنزلت الآيات[1].

قال الأول[2]: لكن هذا التعليل إن كان يتناسب مع الآية الأولى من باب التسليم الجدلي، فإنّه لا يتناسب مع الآيتين بعدها.. والصحيح أنّ الآيات الثلاث، هي كسوابقها ولواحقها منسجمة بعضها مع بعض، وهي جميعا بيان لعظمة ربّ العالمين، فلا سبب يفصلها عن قريناتها، ومن ثم لا وجه لاستثنائها.. ولو صحّت الرواية المذكورة عن ابن عباس، فإن ذلك يعني أنّه ﷺ قرأها عليهم حينما عرضوا عليه ذلك التحدّي الغريب، لا أنّها نزلت حينذاك.

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ١٦٧. والإتقان: ١/ ١٦.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٠٤.

سورة السجدة:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة السجدة مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، لما أخرجه البزّار وابن مردويه عن بلال، قال: كنّا جلوسا وناس من أصحاب رسول اللهّ ﷺ يصلّون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت[1].

قال الأول[2]: الآية عامّة، وانسجامها مع قريناتها من آيات بادية الوضوح، فضلا عن عدم التئامها مع فحوى الرواية في شيء.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]؟

قال الأول: هي كسابقتها عامّة.. ولا دليل يستثنيها.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٨-١٩]، فقد روي بطرق وأسانيد كثيرة ومعتبرة: أنّها نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط، في مشاجرة جرت بينهما يوم بدر، حيث قال له الوليد: اسكت فإنّك صبيّ وأنا أبسط منك لسانا وأحدّ منك سنانا وأردّ منك للكتيبة، فقال له علي:

---

(١) الإتقان: ١/ ١٦. والدر المنثور: ٥/ ١٧٥.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٠٥.

على رسلك فإنّك فاسق، وليس كما تقول[1].

قال الأول[2]: سياق الآية عام، وهي مرتبطة مع بقيّة الآيات، سابقة ولا حقة.. ويُحتمل أنّ المحاورة المذكورة بلغت النبيّ ﷺ فقرأ الآية الكريمة، تطبيقا مع المورد، فقد فسق الوليد هذا في آيات اخرى، ونزلت في حقه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] بشأنه[3].

سورة سبأ:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة سبأ مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، فأهل العلم هنا هم أهل الكتاب.

قال الأول: لا.. بل في هذه الآية إشارة إلى أنّ أهل العلم الحقيقي يؤمنون بالقرآن الكريم إيمانا صادقا عن علم ويقين، ولا شكّ أنّ الأمر كذلك، فالنابهون العقلاء وأرباب الفضيلة والكمال، لا يتردّدون في الإيمان فور معرفتهم به.. وقد رجّح هذا المعنى العلّامة الطبرسي، فقال: (وهذا أولى، لعمومه.. لأنّهم يتدبّرونه ويتفكّرون فيه، فيعلمون بالنظر والاستدلال أنّه ليس من قبل البشر)[4]

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ١٧٨. ومجمع البيان: ٨/ ٣٣٢.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٠٦.

(٣) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٨٠ـ ٨٢.

(٤) مجمع البيان: ٨/ ٣٧٨ـ ٣٧٩.

عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ١٥-٢١]، فقد روي عن فروة بن مسيك، أنّه سأل رسول اللهّ ﷺ عن سبأ: جبل أم أرض، رجل أم امرأة؟.. فنزلت الآيات، وكان هذا السؤال بعد مرجعه من غزو قبائل سبأ، أرجعه رسول اللهّ ﷺ لأنّه لم يؤمر بذلك[١].. وبناء على هذا قال ابن الحصار: (وهذا يدلّ على أنّ نزول الآيات كان بالمدينة، لأنّ مهاجرة فروة كانت بعد إسلام ثقيف سنة تسع من الهجرة)[٢]

قال الأول[٣]: لكنه قال بعد ذلك: (ويحتمل أن يكون قوله: (وأنزل في سبأ ما أنزل) حكاية عمّا تقدّم نزوله قبل الهجرة بمكة، لا نزوله حينذاك)[٤].. بالإضافة إلى أن ملاحظة القصد من القصة تكفي للدلالة على أنّ الهدف منها عامّ كسائر القصص الواردة في القرآن الكريم.. والصحيح في قصة فروة بن مسيك: أنّه سأل النبيّ ﷺ عن قصة سبأ بعد أن قرأها في القرآن، فسأله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امراة، أم هو اسم أرض أم جبل؟ فشرح له النبيّ ﷺ أنّه رجل من العرب كان له من الأولاد كذا وكذا[٥].. وهذا يدلّ على تأخّر السؤال عن

(١) مجمع البيان: ٨/ ٣٨٦. والدر المنثور: ٥/ ٢٣١.

(٢) الاتقان: ١/ ١٦.

(٣) التمهيد: ١/ ٢٠٧.

(٤) الاتقان: ١/ ١٦.

(٥) مجمع البيان: ٨/ ٣٨٦.

نزول الآيات.. بالإضافة إلى كل ذلك؛ فإنّ الرواية بهذا الشأن عن فروة مضطربة ومتناقضة بعضها مع بعض، بما يجعل الاستناد إليها في الحكم بنزول الآيات بشأنها مستحيلا، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدّثني فلان أنّ فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله إنّ سبأ قوم كان لهم في الجاهلية غزو، وإنّي أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: ما أمرت فيهم بشيء بعد، فانزلت هذه الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].. وهي رواية مفكّكة سندا ومتنا وأسلوبا، ولا يوجد أيّ مناسبة بينها وبين مضمونها.. وهكذا سائر الروايات الواردة بهذا الشأن.

سورة فاطر:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة فاطر مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها آيتين.. أولاهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].. والثانية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].. ولعلّ الأولى لذكر الصلاة فيها.. والثانية من أجل تعقيبها بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فقد روى عكرمة عن ابن عباس: أنّ الظالم هو المنافق[1].

(١) مجمع البيان: ٨/ ٣٩٩ و٤٠٩.

قال الأول[1]: لكن هذا يتعارض مع كون الصلاة فرضت بمكّة.. أما تطبيق الظالم على المنافق؛ فإنه لا يستدعي نزول الآية بالمدينة حيث وجد المنافقون، لأنّه تطبيق وبيان مصداق من المصاديق، واللّفظ عامّ لا يتقيّد بموارد تطبيقه.

سورة يس:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة يس مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها آيتان.. أولاهما قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]؛ فقد أخرج الحاكم والترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة، فشكوا إلى رسول اللهّ ﷺ بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه، فنزلت الآية، فقال لهم رسول اللهّ ﷺ : إنّ آثاركم تكتب، فلم ينتقلوا[2].

قال الأول[3]: لكن القصّة لا تصلح سببا لنزول جميع ما ورد في الآية، لعدم المناسبة، ولعلّ رسول اللهّ ﷺ استشهد بجزء منها بعد ما شكوا إليه بعد منازلهم، حيث ذكر أن أفضل الأعمال أحمزها.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُّ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُّ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ٤٧]، فقد قال ابن عباس: نزلت بالمدينة بشأن المنافقين[4].

---

(١) التمهيد: ١/ ٢٠٩.

(٢) مجمع البيان: ٨/ ٤١٨. والإتقان: ١/ ١٦. وتفسير الطبري: ٢٢/ ١٠٠.

(٣) التمهيد: ١/ ٢٠٩.

(٤) الإتقان: ١/ ١٦. ومجمع البيان: ٨/ ٤١٣.

قال الأول: لكنّها صريحة في خطابها مع الذين كفروا، وقد نصّ ابن جرير على أن نزولها بشأن المشركين(١).. وهذا ما يدل عليه سياق الآية ذاتها.

سورة الزمر:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الزمر مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد روي أنّها نزلت بالمدينة(٢).

قال الأول: لكن سياق الآية يدل على أنّها مكيّة.. بالإضافة إلى ما روي أنها نزلت تحرّض المؤمنين المستضعفين على الهجرة(٣).

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، فقد حكى ابن الجزري عن بعضهم أنّها نزلت بالمدينة(٤).

قال الأول: لكن سياق الآية شاهد على أنّها مكيّة، ولا وجه لهذا الاستثناء أبدا.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ

---

(١) تفسير الطبري: ٢٣/ ٩.

(٢) الإتقان: ١/ ١٦.

(٣) مجمع البيان: ٨/ ٤٩٢.

(٤) الإتقان: ١/ ١٦.

وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥]، فقد قيل: إنها نزلت في وحشي قاتل حمزة[١].

قال الأول[٢]: سند الرواية المذكورة ضعيف، وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في مشركي مكة[٣].. وهكذا فسّرها الطبري بعدّة طرق[٤].. وقال الطبرسي: (لا يصحّ نزولها بشأن (وحشي) لأنّ الآية نزلت بمكة، ووحشي أسلم بعدها بسنين كثيرة، ولكن يحتمل أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب إسلامه) [٥]

سورة غافر:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة المؤمن (غافر) مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها ثلاث آيات.. أولاها قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، فقد روي أنّها تعني بذلك صلاة المغرب وصلاة الفجر، وقد ثبت أنّ فرض الصلاة نزل بالمدينة [٦].

قال الأول[٧]: هذا غريب.. لأنّ الصلاة أوّل ما فرضت فرضت بمكة، وكان المسلمون يصلّون بها جماعة وفرادى، وهي أوّل شيء نزل به جبريل عليه السلام، وعلّم

---

(١) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٦٣.
(٢) التمهيد: ١/ ٢١١.
(٣) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٦٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٤/ ١٠.
(٥) مجمع البيان: ٨/ ٥٠٣.
(٦) مجمع البيان: ٨/ ٥١٢.
(٧) التمهيد: ١/ ٢١١.

رسول اللهّ ﷺ الوضوء والصلاة في بدء بعثته.. بالإضافة إلى أن صدر الآية: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ دليل على مكيّتها، فضلا عن السياق المتناسب.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى في الثانية والثالثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٦-٥٧]، فقد أخرج ابن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية، قال: إنّ اليهود أتوا النبيّ ﷺ فقالوا: الدجّال منّا يخرج في آخر الزمان.. وجعلوا يعظّمون من شأنه، فأنزل اللهّ هاتين الآيتين[1].

قال الأول[2]: معنى الآية عام؛ فقد قارنت بين خلق السماوات وخلق الناس، وجعلت الأولى أكبر، وهو ما يتنافى مع تلك المزاعم.

سورة الشورى:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الشورى مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٤-٢٦]، فقد قيل:

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ٣٥٣. وأسباب النزول بهامش الجلالين: ٢/ ٦٥.

(٢) التمهيد: ١/ ٢١٢.

إنها نزلت في الأنصار[1].. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، فقد قيل: نزلت في أصحاب الصفّة[2].

قال الأول[3]: من المستبعد جدا، بل من المستحيل، نزول الآيات الأولى في الأنصار، إذ كيف يعقل نسبة هذا الكلام إليهم: ﴿ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾، ثم إن الرواية تذكر أنّ الأنصار أساءوا الظنّ برسول الله ﷺ فحسبوه يقاتل دون أهل بيته خاصّة!؟.. أمّا الآية الأخيرة فهي عامّة، ولو صحّت الرواية عن الإمام علي، فإنّما تعني شمولها لهم بعمومها، لا أنّها نزلت بشأنهم الخاص، إذ ذلك ـ على هذا الفرض ـ قدح لاذع بأهل الصفّة، وحاشا القرآن أن يجرح من عاطفة جماعة من المؤمنين لفقرهم.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٣٩-٤١]، فقد حكى أبو غرس عن بعضهم: أنّهنّ نزلن بالمدينة[4].

قال الأول[5]: غير أنّ السياق يمنع ذلك، وهو يدل على أنها نزلت بشأن المؤمنين في مكة أيام كانوا مستضعفين.

سورة الزخرف:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة

---

(١) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٦٨.

(٢) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٦٨.

(٣) التمهيد: ١/ ٢١٣.

(٤) الإتقان: ١/ ١٦، مجمع البيان: ٩/ ٢٠.

(٥) التمهيد: ١/ ٢١٤.

الزخرف مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فقد قال مقاتل: نزلت ببيت المقدس ليلة المعراج، وقيل: نزلت بالمدينة[(١)].

قال الأول[(٢)]: لكن الآية مرتبطة بقريناتها المكتنفة بها ارتباطا وثيقا، وقد نزلت بشأن المشركين، أمّا نزولها في السماء[(٣)] أو ببيت المقدس فلا يجعلها مدنيّة، وإنّما هي مكيّة باعتبار نزولها قبل الهجرة.

سورة الجاثية:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الجاثية مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]، فقد قال قتادة: نزلت بالمدينة[(٤)].

قال الأول[(٥)]: الصحيح أنّها من آيات الدعوة إلى الصفح، والتي نزلت بمكة أيام كان المؤمنون مستضعفين.

سورة الاحقاف:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الاحقاف مكية.

---

(١) مجمع البيان: ٩/ ٣٨. والدر المنثور: ٦/ ١٩.

(٢) التمهيد: ١/ ٢١٤.

(٣) الإتقان: ١/ ١٦.

(٤) مجمع البيان: ٩/ ٧٠. والإتقان: ١/ ١٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٥/ ٨٧.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِّ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]، فقد أخرج الطبراني أنّها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد اللهّ بن سلام[١].

قال الأول[٢]: لا.. بل هي عامة، وإنّما خصّ بنو إسرائيل بالذكر ـ هنا ـ لمزيد عناية العرب آنذاك بهم وثقتهم بعلمهم.. وقد أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال: نزلت هذه الآية بمكة بشأن المشركين، وهكذا أخرج بعدة أسانيد[٣].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَّ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٥-١٩]، فقد قيل: نزلت الآيات في أبي بكر حيث برّ والديه وفي ابنه عبد الرحمن عند ما عقّ والديه، وهما يحاولان إسلامه[٤].

قال الأول[٥]: لكن الآيات في كلا الموضعين عامّة، بدليل صيغة الجمع، فالآيات

---

(١) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٧٢. وتفسير الطبري: ٢٦/ ٨. والإتقان: ١/ ١٦.

(٢) التمهيد: ١/ ٢١٥.

(٣) تفسير الطبري: ٢٦/ ٧. والدر المنثور: ٦/ ٣٩.

(٤) الدر المنثور: ٦/ ٤١. وتفسير الطبري: ٢٦/ ١٣.

(٥) التمهيد: ١/ ٢١٦.

تصوير تفصيلي عن الذي يبرّ بوالديه والذي يعقّهما بصورة عامّة[1].. وعلى تقدير نزولها بشأن أبي بكر وابنه عبد الرحمن فلا موجب لعدّها مدنيّة بعد أن كانت تلك القصة بشأنهما ـ على فرض الصحّة ـ بمكة.

سورة ق:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة ق مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، فقد روي أنها نزلت بالمدينة، ردّا على قول اليهود: إنّ الله استراح يوم السبت بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، من يوم الأحد إلى يوم الجمعة[2].

قال الأول[3]: نزولها ردّا على تلك الخرافات الباطلة لا ينفي كونها مدنية؛ ذلك لأنّ العرب كانوا على اتصال دائم بأهل الكتاب، وربّما كانوا يأخذون منهم معارف ممّا يخصّ خلق السماوات والأرض، فكانت مشهورة بين العرب المشركين، فهذا الردّ ـ لو صحّ أنّه ردّ ـ لا يدلّ على أنّه نزل بالمدينة؛ فلعلّ الرواية القائلة بأنّها نزلت في اليهود، إنّما تعني أنها نزلت في تعاليم كانوا بثّوها بين العرب، والشاهد على أنّ الآية مكيّة ما جاء تفريعا عليها، وهو قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، والتي هي من آيات الصفح المكيّة.

---

(١) مجمع البيان: ٩/ ٨٧.

(٢) الدر المنثور: ٦/ ١١٠. والإتقان: ١/ ١٦.

(٣) التمهيد: ١/ ٢١٧.

سورة النجم:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة النجم مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، فقد روي عن ثابت بن الحرث الأنصاري، قال: كانت اليهود تقول ـ اذا هلك لهم صبيّ صغير ـ: صدّيق.. فبلغ ذلك رسول اللهّ ﷺ فقال: كذبوا، ما من نسمة يخلقها اللهّ في بطن أمّه إلا أنّه شقيّ أو سعيد، فأنزل اللهّ عند ذلك الآية[1].

قال الأول: الحديث ظاهر المخالفة للقرآن؛ فالله لا يميز الشقي من عباده من السعيد إلا بما كسبت يداه، لا بعلمه فيه، وإلا ارتفع التكليف، وتوقف الجزاء على علم الله فقط.. بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الرواية المذكورة لا علاقة لها بالآية رأسا، لأنّ قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ تعليل لقوله: ﴿واسع المغفرة﴾.. وهو يعني[2]: إنّ هذا الإنسان مفطور على اقتراف مطاليب أرضيّة سافلة وفقا لفطرته البشريّة المتركّبة من نزعات ورغبات، واللهّ أعلم بذلك.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٣-٤١]، فقد قيل: إنها نزلت في رجل أتى النبي ﷺ عند خروجه إلى غزاة،

---

(١) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٨٩. والدر المنثور: ٦/ ١٢٨.

(٢) التمهيد: ١/ ٢١٨.

يطلب مركبا وسلاحا فلم يجد، فلقي صديقا له فقال: أعطني شيئا، فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمّل بذنوبي، فقال: نعم. فنزلت الآيات[1].

قال الأول: لكن الآيات لا تنطبق على فحوى القصة في شيء، وإنّما نزلت في صنديد من صناديد قريش كما ذكر ذلك أبو جعفر الطبري[2].

سورة القمر:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة القمر مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها ثلاث آيات.. الأولى، قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، فقد روي أنها نزلت يوم بدر[3].

قال الأول: وهو غير صحيح.. والآية تدل على ذلك، لأن فيها وعد بظفر المسلمين فيما يأتي، فتحقّق يوم بدر[4].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى في الثانية والثالثة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]

قال الأول: فما دليل استثنائها؟

قال الثاني: لا أعرف.. لكن هذا ما وجدته في المصاحف المستندة للمصحف الأميري.

قال الأول: ليس كل ما أثبت في ذلك صحيح.. والسياق وحده كاف في إثبات

---

(١) الدر المنثور: ٦/ ١٢٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٧/ ٤١ ـ ٤٢.

(٣) لباب النقول بهامش الجلالين: ٢/ ٩٠.

(٤) مجمع البيان: ٩/ ١٩٤. والإتقان: ١/ ١٧ و٣٦.

ارتباطها بما قبلها وما بعدها.

سورة الواقعة:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الواقعة مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠] لما رواه ابن مسعود من رؤيا رآها رسول الله ﷺ فقصّها على أصحابه، ثم قرأ عليهم الآيتين، وهذه القصة كانت بالمدينة[١].

قال الأول[٢]: لكن قراءته ﷺ لا تدلّ على نزولهما حينذاك.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢]، فقد روى مسلم والحاكم وغيرهما: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ أصيبوا بجدب، أو نفدت مياههم في سفر من الأسفار، أو في غزوة تبوك، فشكوا إليه، فقام ﷺ وصلّى ركعتين ثم دعا الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم، فجعل بعض المنافقين يسرّ إلى بعضهم: إنّما مطرنا بنوء كذا، فنزلت الآيات[٣].

قال الأول[٤]: لكن الآيات تأبى الانطباق على هذه القصة، بل هي ردّ على منكري الوحي.. كما أنّ انسجام الآيات مع بعضها يجعل من قبول الرواية المذكورة مستحيلا.

---

(١) مجمع البيان: ٩/ ٢١٩.

(٢) التمهيد: ١/ ٢١٩.

(٣) اسباب النزول بهامش الجلالين: ٢/ ٩٢ ـ ٩٣

(٤) التمهيد: ١/ ٢٢٠.

سورة الملك:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة الملك مكية.

قال الثاني: لكن ما تقول فيما روي عن ابن عباس: أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلّا ثلاث آيات[1].

قال الأول[2]: ليس معنى هذا الكلام أنّها نزلت بمكة غير ثلاث آيات نزلن بغيرها، وذلك لأنّه قال: (في أهل مكّة)، ولم يقل: في مكة أو بمكة.. بل المعنى: أنّ هذه السورة نزلت تقريعا وتشنيعا بأهل مكة أي المشركين، فكلّ آياتها تهديد وتوعيد بشأنهم، غير ثلاث آيات تخصّ المؤمنين..أولاها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].. والثانية قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].. والثالثة قوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩].. والصحيح ـ كما في حديث ابن خديج ـ: أنّها نزلت جملة واحدة بمكة[3].

سورة القلم:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة القلم مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ

---

(١) الدر المنثور: ٦/ ٢٤٦.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٢٠.

(٣) الدر المنثور: ٦/ ٢٤٦.

أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ١٧-٣٣]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].. فهذه عشرون آية ذكر أنها نزلت بالمدينة.. وقد روى ابن أبي حاتم وابن جريح أنّ أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذا، فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحدا، فنزلت: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾[١].

قال الثاني[٢]: لا توجد مناسبة ظاهرة بين كلام أبي جهل، وما ورد في الآيات المذكورة، ليكون الداعي لنزولها.. والصحيح: أنّها نزلت بشأن المشركين عموما، انسجاما مع بقية آيات السورة[٣].. وأمّا قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فهي من آيات الصفح المكيّة بلا ريب.

سورة المزّمل:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة المزّمل

---

(١) الدر المنثور: ٦/ ٢٥٣.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٢١.

(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٣٣٦. وتفسير الطبري: ٢٩/ ١٩.

مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١٠-١١]، كما حكاه الأصبهاني[1].

قال الأول: الآيتان واضحتان في كونهما دعوة للنبيّ ﷺ للصبر تجاه أذى المشركين، فهما من آيات الصفح المكيّة، ولا وجه لعدهما مدنيّتين.

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]؟

قال الأول[2]: يردّه ما أخرجه الحاكم: أنّه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أوّل الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس[3].. ومثله ما روى عبد بن حميد عن عكرمة، قال: لبث المسلمون بعد نزول ﴿يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ سنة فشقّ عليهم وتورّمت أقدامهم، حتى نزل آخر السورة: ﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[4].

قال الثاني: فما تقول في استثناء قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا

(١) الإتقان: ١/ ١٧.

(٢) التمهيد: ١/ ٢٢٢.

(٣) الإتقان: ١/ ١٧.

(٤) الدر المنثور: ٦/ ٢٨٠.

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، لأنّ الصلاة والزكاة لم تفرضا بمكة.

قال الأول: هذا استدلال غريب، لأنّ الصلاة هي أولى فريضة فرضت بمكة، وأمّا الزكاة فليست هي الزكاة المفروضة بحدود وأنصبة مقررة، وإنّما هي مطلق التصدّق الذي كان واجبا حينذاك، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤] وقوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٧].. نعم جاءت تفاصيل حدودها وأحكامها بالمدينة، أمّا أصلها فكانت واجبة بمكة بلا شك.

قال الثاني: فما تقول في الاستدلال على الاستثناء بقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، والقتال لم يشرّع أصلا إلّا بالمدينة؟

قال الأول[1]: في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى أسباب تخفيف ذلك التكليف الشديد، ومنها تشريع القتال بعدئذ، من غير أن يكون هناك دليل صريح على إرادة فعليّته حينذاك.

سورة المرسلات:

ومنها أني مررت بآخرين، قال أولهما لصاحبه: لقد ذكرت لك سابقا أن سورة المرسلات مكية.

قال الثاني: لكن استثني منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، فقد روي أنها نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا ننحني، فإنّ ذلك سبّة علينا[2]، وثقيف أسلمت بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة.

---

(١) التمهيد: ١/ ٢٢٢.

(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٤١٩.

قال الأول[1]: بالإضافة إلى عموم الآية، إلا أن سياقها، يدل على أن المكذّبين، هم مشركو العرب، ولا معنى لأن يكون هذا الموضع من السورة خلوا من هذه الآية إلى أواخر سني الهجرة ثم تكتمل، لأن ذلك يخلّ بفصاحة السورة ويخلخل من نظمها المنسجم.. على أنّ الركوع هنا بمعنى: الخضوع لله والانقياد التامّ لأوامره ونواهيه، لا الركوع المصطلح عليه كجزء من الصلاة[2]، وقد جاء بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣][3].. أو أريد به الخضوع والانقياد للحقّ، وحينها يكون المعنى: إذا قيل لهم سلّموا واخشعوا أو انقادوا.. وبذلك لا علاقة للآية بإسلام ثقيف، بل هي عامّة حكاية عن صمود المشركين أمام الحقّ الصراح.

٣. شبهات وردود:

بينما كنت أتجول في تلك الشوارع، لا أسمع إلا الأحاديث عن المكي والمدني، طرق سمعي صوت عال، يدعو أهل الحي للاجتماع في ساحة من ساحاته، وكان يردد: لقد حضر أخيرا المتكلمون الذين سيردون على الشبه التي أثارها أولئك الذين أساءوا فهم المكي والمدني؛ فتصوروا أن للقرآن الكريم إصدارين مختلفين متناقضين.. أحدهما مكي، والثاني مدني.

وما هي إلا لحظات حتى رأيت الكثير من سكان ذلك الحي نسائهم ورجالهم، وكهولهم وشبابهم، يسرعون إلى الساحة التي ذكرها، وكأنهم على موعد بحدث مهم انتظروه كثيرا.

---

(١) التمهيد: ١/ ٢٢٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٩/ ١٥٠.

(٣) تفسير شبر، ص٤٦ و٥٤٥.

سرت معهم إليها.. وعندما وصلنا فوجئت بمعلمي يقف في المنصة، ومعه بعض الشيوخ الذين يبدو عليهم الوقار.

قال المعلم: ها قد جاء من انتظرتموهم طويلا.. وهم سيجيبونكم على كل الأسئلة والشبه التي تطرحونها.. فسلوا ما بدا لكم.

قام بعض الحضور، وقال[1]: لعل أول الشبه وأكثرها انتشارا بين أولئك الذين يدعون الاستنارة بيننا هي ذكرهم أن للقرآن الكريم أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة، وهو ما جعلهم يتوهمون أن القرآن الكريم خضع لظروف مختلفة، وتأثر ببيئات متباينة.

قال آخر[2]: فهم يذكرون مثلا أن القسم المكي من القرآن الكريم يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، بخلاف القسم المدني منه، والذي تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة.

قال آخر[3]: وهم يستدلون لذلك، بأن القسم المكي يتفرد بالعنف والشدة والقسوة والحدة والغضب والسباب والوعيد والتهديد.. ويضربون المثل على ذلك بسورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وسورة ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ وسورة ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ وبمثل قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

قال آخر[4]: وطبعا هم استثمروا في هذه الشبهة ما ذكره علماؤنا من خصائص المكي والمدني، والاختلافات بينهما.. ومبالغة البعض في ذلك إلى الدرجة التي مكنت من هذه

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٠٥)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٠٥)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٠٥)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢٠٥)

الشبهة، وسهلت انتشارها.

قام كبير المتكلمين، وقال[1]: لقد سمعنا هذه الشبهة؛ فائذنوا لنا في جوابها.. وبحسب ما يقضته المنهج العلمي الذي يشخص القضايا قبل الحكم عليها.. وعندما تأملنا فيما طرحتموه، نجد أن الشبهة تتألف من ثلاث علل نحتاج إلى الإجابة على كل واحدة منها.. وهي أن القسم المكي تفرد بالعنف والشدة.. وأن فيه سبابا وإقذاعا.. وأنه يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة.. والغرض من كل هذا الوصول إلى أن القرآن الكريم مفكك الأجزاء، غير متصل الحلقات، وأنه خاضع للظروف متأثر بالبيئة.

قال آخر[2]: وغرضهم الأكبر من هذا معروف طبعا، وهو استخدام المكي والمدني وسيلة لإثبات أن القرآن الكريم ليس كلام الله، وليس معجزا، وإنما هوكلام محمد الذي تأثر أولا بأهل مكة فكان كلامه خشنا بعيدا عن المعارف العالية التي اكتسبها من أهل الكتاب في المدينة.

العنف والشدة:

قال آخر[3]: فأما اعتبارهم القسم المكي متفردا بالعنف والشدة؛ فغير صحيح، ذلك أن في القسم المدني شدة وعنفا.. لأن ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب وسياسة الأمم والدول تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشدة واللين.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة وهي مدنية: ﴿فَإِنْ لَمْ

(1) مناهل العرفان (1/ 205)

(2) مناهل العرفان (1/ 205)

(3) مناهل العرفان (1/ 206)

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].. وفيها في التحذير من الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].. وفيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران وهي مدنية كذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٠-١٢].. وفيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦]

قال آخر[1]: ثم إن دعواهم انفراد المكي بالعنف والشدة يفهم منه دعوى انفراد المدني باللين والصفح، ودعوى خلو المكي من ذلك اللين والصفح، وهذا المفهوم باطل كمنطوقه أيضا.

قال آخر: والأمثلة على ذلك أكثر من أن نحصرها هنا.. فبين السور المكية آيات كريمة كثيرة تفيض لينا وصفحا، كما في قوله تعالى في سورة فصلت المكية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٠٧)

قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الشورى المكية: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الحجر المكية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

[الحجر: ٨٧-٩٩]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الزمر المكية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[الزمر: ٥٣]

التقريع والتوبيخ:

قال آخر[1]: أما ادعاؤهم أن في القسم المكي من القرآن الكريم سبابا وفحشا.. فهو من جهلهم بالقرآن الكريم.. ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ونحن نتحداهم أن يأتوا بمثال واحد في القرآن كله مكيه ومدنيه يحوي ما ذكروه من البذاءة والفحش.

قال آخر: هل يعقل أن يحوي الكتاب المقدس الذي جاء يعلم الناس أصول الآداب أن يخرج هو عن تلك الأصول.. إنه بذلك يصبح غرضا لكل منتقديه الذين يذكرون تناقضه بين ما يدعو إليه، وبين ما يحويه.

قال آخر: كيف يحوي القرآن الكريم السباب والشتائم، وهو الذي حرم على المؤمنين به أن يسبوا أعداءه المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

قال آخر: إن ما يذكره هؤلاء لا يختلف عن قول المشركين الذين كانوا يعتبرون نقد القرآن الكريم الشديد للعقائد والسلوكات الجاهلية سبا وشتائم.. فمنذ متى كان النهي عن المنكر والدعوة لتغييره سبابا وشتائم؟

قال آخر[2]: ولذلك؛ إن أرادوا بالسب والشتائم الدعوة للتغيير والإصلاح؛ فإن القرآن كله ـ لا في القسم المكي وحده ـ تسفيها لأحلام المتنطعين الذين يصمون آذانهم، ويغمضون أعينهم عن الحق، ويهملون الحجج والبراهين.

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٠٨)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٠٨)

قال آخر[1]: وهوفي ذلك شديد عنيف.. بيد أنه في شدته وعنفه لم يخرّج عن جادة الأدب ولم يعدل عن سنن الحق، ولم يصدف عن سبيل الحكمة.. بل الحكمة تتقاضاه أن يشتد مع هؤلاء لأنهم يستحقون الشدة.. ومن مصلحتهم هم ومن الرحمة بهم والخير لهم أن يشتد عليهم ليرعووا عن باطلهم ويصيخوا إلى صوت الحق والرشد ويسيروا على هدى الدليل والحجة على حد قول القائل:

قسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

قال آخر[2]: أضف إلى ذلك أن هذا التفريع الحكيم تجده في السور المدنية كما تجده في السور المكية.. وإن كان في المكي أكثر من المدني لأن أهل مكة كانوا أشداء العارضة، صعاب المراس، مسرفين في العناد والإباء، لم يتركوا بابا من الشر إلا دخلوه على رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يكفهم أن يخرج من بلده وأهله بليل، بل وجهوا إليه الأذى في مهاجره.

قال آخر[3]: ومن الأمثلة على ما في السور المدنية من التقريع والتوبيخ الذي تقتضيه الدعوة والإصلاح، قوله تعالى من سورة البقرة المدنية في شأن المشركين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة أيضا في شأن المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٠٨)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٠٨)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٠٩)

بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٥].. فكل هذه الآيات الكريمة مليئة بالتوبيخ والتعنيف لأولئك المخادعين الذين ينفثون سمومهم ويفسدون المجتمع بسلاح خطير ذي حدين هوسلاح النفاق والذبذبة.

قال آخر: ومثل ذلك نقرأ في هذه السورة المدنية نفسها في شأن اليهود آيات كثيرة من هذا الطراز، تنقدهم وتنعي جرائمهم، وتحمل عليهم حملة شعواء، تقبيحا لجناياتهم وجنايات آبائهم من قبلهم.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١] .. وقوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]

قال آخر: ومثل ذلك نقرأ في سورة آل عمران المدنية قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]

قال آخر: ومثل ذلك نقرأ في سورة آل عمران المدنية قوله تعالى في شأن النصارى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٥-٥٦]

قال آخر: ومثل ذلك نقرأ في سورة آل عمران المدنية قوله تعالى في شأن المرتدين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩٠-٩١]

قال آخر[١]: أما السور والآيات التي اعتمد عليها مثيرو الشبهة؛ فلا تدل على ذلك السباب الذي زعموه ووصموا به القرآن الكريم لأن سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ غاية ما اشتملت عليه أنها إنذار ووعيد لأبي لهب وامرأته، جزاء ما أساءا إلى الرسول ﷺ كما يدل على ذلك سبب نزولها، فقد روي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: (يا بني فهر يا بني عدي) لبطون قريش حتى اجتمعوا؛ فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبولهب وقريش فقال ﷺ: (أرأيتكم لوأخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبولهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت[٢].. ومثل ذلك زوجته؛ فقد كانت تشاركه في كل جرائمه إن لم تتفوق عليه فيها.

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٠)

(٢) البخاري برقم (١٣٩٤، ٣٥٢٥، ٤٨٠١)

قال آخر(١): فهذه الأسباب مجتمعة تفيد أن السورة نزلت لمقابلة أبي لهب بما يستحق من إنذاره بالهلاك والقطيعة، وأن ماله لا ينفعه، ولا كسبه، وأنه خاسر هووامرأته وأن مصيرهما إلى النار وبئس القرار.. ولا ريب أن في هذا الوعيد العنيف ردعا له، ولأمثاله وتسلية لمن أصيب بأذاهم من الرسول ﷺ وأصحابه، وذلك هواللائق بالعدالة الإلهية والتربية الحكيمة الربانية.

قال آخر(٢): وأما سورة العصر؛ فكل ما عرضت له هو تقسيم الناس قسمين: قسما غريقا في الخسران، وقسما فاز ونجا من هذا الخسران، وهم الذين جمعوا عناصر السعادة الأربعة.. تأملوا قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].. فهل فيها إلا الحكمة والنصح.

قال آخر(٣): وأما سورة التكاثر؛ فمبلغ ما تشير إليه أن المخاطبين شغلتهم الدنيا عن الدين، وألهتهم الأموال عن رب الأموال، حتى انتهت أعمارهم وهم على هذه الحال، وغدا يسألون عن هذا النعيم، ويعاقبون على إهمال شكره بعذاب الجحيم.

قال آخر(٤): وأما قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣] فهو حكاية لما حل بالأمم السابقة كثمود وعاد حين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، ليكون من هذا القصص والخبر عبرة لأولئك الكفار ومزدجر، فلا يقعوا فيما وقع فيه أسلافهم، لأن سنة الله واحدة في الأمم وميزان عدالته قائم في كل جيل وقبيل، قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣]

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٠)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١١)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢١١)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢١١)

قال آخر[1]: والخلاصة أن القرآن الكريم كله قام على رعاية حال المخاطبين، فتارة يشتد، وتارة يلين تبعا لما يقتضيه حالهم، سواء منهم مكيهم ومدنيهم، بدليل أننا نجد بين ثنايا السور المكية والمدنية ما هو وعد ووعيد، وتسامح وتشديد، وأخذ ورد، وجذب وشد.

قال آخر[2]: وإذا لوحظ أن أهل مكة كثر خطابهم بالشدة والعنف، فذلك لما مردوا عليه من أذى رسول الله ﷺ وأصحابه، والكيد لهم حتى أخرجوهم من أوطانهم، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا إليهم الأذى في مهاجرهم.

قال آخر[3]: وكان القرآن الكريم في حملته عليهم وعلى أمثالهم بالقول بعيدا عن كل معاني السباب والإقذاع، متذرعا بالحكمة والأدب الكامل في الإرشاد والإقناع، حاثا على الصبر والعفووالإحسان حتى ليخاطب الله رسوله في سورة الأنعام المكية بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٤-٣٦]

قال آخر[4]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإننا نلاحظ أن القسم المكي خلا خلوا تاما من تشريع القتال والجهاد، كما خلت أيامه في مكة على طولها من مقاتلة القوم بمثل ما يأتون من التنكيل والمصاولة، فلم يسمع للمسلمين فيها صلصلة لسيف، ولا قعقعة لسلاح، ولا زحف على عدو.. إنما هوالصبر والعفووالمجاملة والمحاسنة بالرغم من إيغال الأعداء في

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١١)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١١)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢١٢)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢١٢)

أذاهم، ولجاجهم في عتوهم.

الانحطاط والتعارض:

قال آخر[1]: أما ادعاؤهم أن القسم المكي يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة؛ فهومردود عليهم، بل هو باطل من كل وجه أرادوه، لأنهم إن أرادوا بذلك ما توهموه من انفراده بالشدة والعنف، أوالسباب والإقذاع، فهو كذب وافتراء وجهالة بما جاء في القرآن من ترغيب وترهيب في شطريه المكي والمدني على السواء.

قال آخر[2]: وإن أرادوا بانحطاطه أن أهل مكة كانوا منحطين في الفصاحة والبيان والذكاء والألمعية؛ فالتاريخ شاهد عدل بأن قريشا كانت في مركز الزعامة من جميع قبائل العرب، يصدرون عن رأيها، ويرجعون إلى حكمها، ويأخذون عنها، وينزلون على قولها فيما يعلو وينزل من منظوم ومنثور، ويذعنون لها بالسبق في مضمار الفصاحة والبلاغة.

قال آخر[3]: ثم إن وصف القسم المكي بميزات الأوساط المنحطة تهمة جريئة، ما رضيها أعداء الإسلام في فجر دعوته من مشركين وأهل كتاب وعرب وعجم وأميين ومثقفين، على حين أن أولئك العرب كانوا على أميتهم أعرف الناس بانحطاط الكلام ورقيه وعلوه ونزوله، كما كانوا أحرص الناس على إحراج رسول الله ﷺ ودحض حجته ونقض دينه والقضاء على الإسلام في مهده، لكن سجيتهم لم تسمح بهذا الهراء الذي يهرف به هؤلاء.

قال آخر[4]: بل نعلم بجانب هذا أن القرآن الكريم كان له سلطان على نفوسهم إلى

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٣)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٣)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢١٣)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢١٣)

حد خارق مدهش، فقد كان يقودهم بقوته إلى الإسلام، ويدفع المعاند منهم إذا استمع إليه أن يسجد لبلاغته، ويهتز لفصاحته، ويأخذ نفسه بالتشاغل عنه مخافة أن يؤمن عن طريق تأثره بسماعه.

قال آخر[1]: وأما زعمهم انقطاع الصلة بين القسم المكي والمدني والتعارض بين أسلوبيهما فهوزعم مبني على اعتبارات خاطئة.. وأدل دليل على ذلك أن أساطين البلاغة من أعداء الإسلام في مكة نفسها أيام نزول القرآن الكريم لم يستطيعوا أن يتهموا أساليب التنزيل بمثل هذا الاتهام، لأنهم كانوا يرون أن هذا الاتهام سيكون كذبا مكشوفا وافتراء مفضوحا.

قال آخر[2]: ولعلكم سمعتم بالوليد بن المغيرة، وهو يقول للملأ من قريش: (والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هومن كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلوو ما يعلى)، ولما قالت قريش عندئذ: صبأ والله الوليد واحتالوا عليه أن يطعن في القرآن لم يجد حيلة إلا أن يقول: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، ولم يستطع أن يرمي القرآن بالتهافت والتخاذل وانقطاع الصلة بين أجزائه وانحطاط شيء من أساليبه على نحوما يرجفون.

القصار والطوال:

قام أحد الحضور، وقال[3]: ومن الشبه التي لا نزال نسمعها ما يذكرونه في سر الفرق في الطول والقصر بين السور المكية والمدنية.. حيث يذكرون إن قصر السور والآيات

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٤)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٤)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢١٥)

المكية مع طول السور والآيات المدنية يدل على انقطاع الصلة بين القسم المكي والقسم المدني، ويدل على أن القسم المكي يمتاز بمميزات الأوساط المنحطة، ويدل على أن القرآن في نمطه هذا نتيجة لتأثر رسول الله ﷺ بالوسط والبيئة، فلما كان في مكة أميا بين الأميين جاءت سور المكي وآياته قصيرة، ولما وجد في المدينة بين مثقفين مستنيرين جاءت السور المدنية وآياتها طويلة.

قال أحد المتكلمين[1]: وهذا ناتج عن جهلهم بالقرآن الكريم، ذلك أن في القسم المكي سورا طويلة مثل سورة الأنعام، وفي القسم المدني سورا قصيرة مثل سورة النصر.. وبذلك؛ فإن كلاهما لا يسلم على عمومه.

قال آخر[2]: إذا أرادوا الكثرة الغالبة لا الكلية الشاملة فهذا نسلمه لهم، لكنه لا يدل على ما افتروه ورتبوه عليه، لأن قصر معظم السور المكية وآياتها وطول معظم السور المدنية وآياتها لا يقطع الصلة بين قسمي القرآن: مكيه ومدنيه، ولا بين سور القرآن وآياته جميعا، بل الصلة كما يحسها كل صاحب ذوق في البلاغة محكمة وشائعة بين كافة أجزاء التنزيل.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم قد تحدى الناس جميعا مكيهم ومدنيهم، وعربيهم وعجميهم، أن يأتوا ولوبمثل أقصر سورة من تلك السور القصيرة فعجزوا أجمعين، وأسلم المنصفون منهم لله رب العالمين.. فلوكان القصر أثرا للانحطاط كما يقول أولئك المرجفون لكان في مقدور الممتاز غير المنحط أن يأتي بمثل ذلك المنحط، بل بأرقى منه.

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٥)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٥)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢١٧)

تشريعات وأحكام:

قام أحد الحضور، وقال[1]: ومن الشبه التي لا نزال نسمعها ما يذكرونه من أن القسم المكي خلا من التشريع والأحكام، بينما القسم المدني مشحون بتفاصيل التشريع والأحكام.. وهم يستدلون بذلك على أن القرآن الكريم من وضع رسول الله ﷺ وتأليفه تبعا لتأثره بالوسط الذي يعيش فيه، فهوحين كان بمكة بين الأميين جاء قرآنه المكي خاليا من العلوم والمعارف العالية، ولما حل بالمدينة بين أهل الكتاب المثقفين جاء قرآنه المدني مليئا بتلك العلوم والمعارف العالية.

قال أحد المتكلمين[2]: وهذا من دلائل عدم معرفتهم بالقرآن الكريم.. فالقسم المكي لم يخلو جملة من التشريع والأحكام، بل عرض لها، ولكن بطريقة إجمالية.. ولذلك نجد جميع مقاصد الدين مذكورة فيه.. ابتداء من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.. وانتهاء بالدعوة إلى حفظ النفس.. وحفظ العقل.. وحفظ النسل.. وحفظ المال.. وغيرها.

قال آخر[3]: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى من سورة الأنعام المكية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].. فقد جمعت هذه الآيات الكريمة جمعت الوصايا العشر، والتي تحوي المقاصد الكبرى للدين.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن آيات العقائد في القسم المكي ظاهرة واضحة وكثيرة شائعة، ولا يختلف اثنان في أنها أكثر من مثيلاتها في السور المدنية بأضعاف.. وذلك لقيام الدين على الإيمان قبل التشريعات.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كثرة التفاصيل في تشريع الأحكام بالمدينة ليس نتيجة لما زعموه.. إنما هوأمر لا بد منه في سياسة الأمم وتربية الشعوب وهداية الخلق.. ولهذا بدأ الله عباده في مكة بالدعوة لإصلاح القلوب وتطهيرها من الشرك والوثنية وتقويمها بعقائد الإيمان الصحيح والتوحيد الواضح، حتى إذا استقاموا على هذا المبدأ القويم، وشعروا بمسؤولية البعث والجزاء، وتقررت فيهم هذه العقائد الراشدة، فطمهم عن أقبح العادات وأرذل الأخلاق، وقادهم إلى أصول الآداب وفضائل العادات، ثم كلفهم ما لا بد منه من أمهات العبادات.. وهذا ما حصل في مكة.. ولما مرنوا على ذلك وتهيأت نفوسهم للترقي والكمال بتطاول الأيام والسنين، وكانوا وقتئذ قد هاجروا إلى المدينة، جاءهم بتفاصيل التشريع والأحكام، وأتم عليهم نعمته ببيان دقائق الدين وقوانين الإسلام.

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

قال آخر[1]: ونظير ذلك ما تواضع عليه الناس قديما وحديثا في سياسة التعليم، من أنهم يلقنون البادئين في مراحل التعليم الأولى أخف المسائل وأوجزها فيما يشبه قصار السور ومختصر القصص، حتى إذا تقدمت بهم السن، وعظم الاستعداد، تلاطم بحر التعليم وزاد، على حد قولهم: الإمداد على قدر الاستعداد.

قال آخر[2]: أما ما زعموه من أن ذلك كان نتيجة لاختلاط رسول الله ﷺ بأهل المدينة المستنيرين، فينقضه أن القرآن الكريم جاء يصلح عقائد أهل الكتاب وأخطاءهم في التشريع وفي التحليل والتحريم وفي الأخبار والتواريخ، فكيف يأخذ المصيب من المخطئ؟

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران المدنية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].. وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].. وقوله ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].. وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة المائدة المدنية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٨)

فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

قال آخر[١]: أما ما زعموه من استفادة رسول الله ﷺ من أهل الكتاب.. فلوكان صحيحا لظهر أثر أهل الكتاب المدنيين فيمن معهم من عرب أهل المدينة وفيمن حولهم من أهل مكة وآفاق الجزيرة، ولكانوا هم الأحرياء بهذه النبوة والرسالة، ولسبق رسول الله ﷺ إليها كثير غيره من فصحاء العرب وتجار قريش الذين كانوا يختلطون بأهل الكتاب في المدينة والشام أيما اختلاط.

قال آخر[٢]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن القرآن الكريم تحدى الكافة من مكيين ومدنيين، بل من جن وإنس، فهلا كان أساتذته أولئك يستطيعون أن يجاروه ولوفي مقدار سورة قصيرة واحدة؟

براهين وأدلة:

قام أحد الحضور، وقال[٣]: ومن الشبه التي لا نزال نسمعها ما يذكرونه من أن القسم المكي خلا من الأدلة والبراهين، بخلاف قسمه المدني فإنه مليء بالأدلة مدعم بالحجة.. ويذكرون أن هذا برهان جديد على تأثر القرآن بالوسط الذي كان فيه.

قال أحد المتكلمين[٤]: أول ما يرد به على هذه الشبهة أن رسول الله ﷺ لو تأثر بالوسط الذي يعيش فيه لكان الوسط أولى بتوجيه هذا المطعن عليه، ولكان أعرف بهذا

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢١٩)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢١٩)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٣٦)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢٣٦)

النقض فيه، فيظفر عليه ويدخل إلى إبطال دعوته من هذا الباب الواسع، لا سيما أن رسول الله ﷺ في مكة والمدينة كان له أعداء ألداء ليس لعداوتهم دواء.. ولو صح هذا لبطلت نبوته، ولصح أن تكون النبوة لهم باعتبار أنهم مصدرها، وأنهم أساتذته فيها.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كذبهم في هذه الشبهة صريح مكشوف، لأن القسم المكي حافل بأقوى الأدلة وأعظم الحجج على عقيدة الإسلام في الإلهيات والنبوات والسمعيات.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة المؤمنون المكية في البرهنة على التوحيد: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء المكية في الاستدلال للتوحيد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢-٢٤]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت المكية في البرهنة على نبوة محمد ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٥١]

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٣٦)

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة ق المكية: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ٩-١٥].. وقوله فيها: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المؤمنون المكية في الاستدلال على البعث والجزاء: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٧]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة السجدة المكية: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٨-٢٠]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الجاثية المكية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١-٢٢]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى سورة الأنعام المكية في نقض أوهام المشركين في

احتجاجهم لأباطيلهم بالمشيئة الإلهية: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٤٩]

الحس والمعنى:

قام أحد الحضور، وقال[١]: ومن الشبه التي لا نزال نسمعها ما يذكرونه من أن القرآن الكريم أقسم كثيرا بالضحى والليل والتين والزيتون وطور سينين.. وغيرها من المخلوقات.. ولا ريب أن القسم بالأشياء الحسية يدل على تأثر القرآن بالبيئة في مكة لأن القوم فيها كانوا أميين، لا تعدو مداركهم حدود الحسيات.. أما بعد الهجرة واتصال رسول الله ﷺ بأهل المدينة وهم قوم مثقفون مستنيرون، فقد تأثر القرآن بهذا الوسط الراقي الجديد، وخلا من تلك الأيمان الحسية الدالة على البساطة والسذاجة.

قال أحد المتكلمين[٢]: وهذه الشبهة دالة على الجهل بالقرآن الكريم وبالأقسام نفسها وبأهل مكة والمدينة.. وهي دالة على أن الغرض منها الإشكال فقط.. فأهل مكة وأهل المدينة سواء في إدراك جمال الألفاظ والمعاني.. وكانوا سواء في البحث عن أي ثغرة يمكن أن يعارضوا بها القرآن الكريم.. ولو وجدوا لفعلوا.

قال آخر[٣]: أما القسم بالأمور الحسية في القرآن؛ فليس منشؤه انحطاط القوم كما يزعمون، وإنما رعاية مقتضى الحل فيما سيق القسم لأجله.. ذلك أن القرآن الكريم كان

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٠)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٢٠)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٢٠)

بصدد علاج أفحش العقائد فيهم، وهي عقيدة الشرك، ولا سبيل إلى استئصال هذه العقيدة وإقامة صرح التوحيد على أنقاضها إلا بلفت عقولهم إلى ما في الكون من دلائل عظمة الله، وإلا بفتح عيونهم على طائفة كبيرة من نعم الخلق المحيطة بهم ليصلوا من وراء ذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ما دام هوالخالق وحده، لأنه لا يستحق العبادة عقلا إلا من كان له أثر الخلق في العالم فعلا.

قال آخر[1]: فعرض بعض المخلوقات على أنظار الجاحدين بالتوحيد بعد إقرارهم أن ليس لها خالق إلا الله إلزام لهم بطرح الشرك وتوحيد الخالق.. وهذا مطمح نبيل أجاد القرآن الكريم في أساليب عرض نعم الله عليهم من أجله، وكان في إجادته هذه موفيا على الغاية.. فمرة يحدث عن خلق السماء، ومرة عن خلق الأرض، وثالثة عن أنفسهم، ورابعة عن أنواع الحيوان والنبات والجماد وهلم جرا.

قال آخر[2]: وتارة يختار القرآن في عرضه طريقة السرد والشرح.. وتارة يختار طريقة الحلف والقسم، لأن في الحلف والقسم معنى العظمة التي أودعها الله في هذه النعم، وهي دالة على توحيده وعظمته حتى صح أن يدور القسم عليها وأن يجيء الحلف بها.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم لم يكتف بالقسم بالأمور الحسية، بل أقسم أيضا بالأمور المعنوية[4].. وكل ذلك لينبههم إلى مدى إنعامه عليهم بتلك الأقسام كلها حسيها ومعنويها، فيرعووا عن عبادة تلك الآلهة المزيفة التي لا تملك ضرا ولا نفعا، وليس لها أي شأن في هذا الخلق.

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٠)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٢١)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٢١)

(٤) ومن الأمثلة على ذلك القسم بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ١ـ٥]

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن في مضامين تلك الأقسام بالحسيات أسرارا تنأى بها عن السذاجة والبساطة.. ومن الأمثلة على ذلك قسم الله تعالى بالضحى والليل في قوله: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ١-٥]، وسبب نزول هذه الآيات: أن النبي ﷺ فتر عنه الوحي مرة لا ينزل بقرآن فرماه أعداؤه بأن ربه ودعه وقلاه، أي تركه وأبغضه، فنزلت هذه الآيات مصدرة بهذا القسم، مشيرة إلى أن ما كان من سطوع الوحي على قلبه ﷺ بمنزلة الضحى الذي تقوى به الحياة، وما عرض بعد ذلك من فترة الوحي بمنزلة الليل إذا سجى، لتستريح فيه القوى، وتستعد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل.. وبذلك فإن فترة الوحي كانت لتثبيته ﷺ وتقوية نفسه على احتمال ما يتوالى عليه منه حتى تتم به حكمة الله في إرساله إلى الخلق.. ولهذا قال له: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤]، أي إن كرة الوحي ثانيا سيكمل بها الدين وتتم بها نعمة الله على أهله.. وأين بداية الوحي من نهايته؟.. وأين إجمال الدين الذي جاء في قوله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] من تفصيل العقائد والأحكام الذي جاء في مثاني القرآن.. ثم زاد الأمر تأكيدا بقوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥].. فمن هذا نعلم أن الحلف بالضحى والليل في هذا المقام ليس مجرد تذكير بآياته ونعمه فحسب، بل هوأيضا إقامة دليل على أن تنزل الوحي أشبه بضحوة النهار، وأن فترة الوحي أشبه بهدأة الليل، فإذا كانوا يتقبلون الضحى والليل بالرضا والتسليم لما فيهما من نفع الإنسان بالسعي والحركة والحياة بالنهار والنوم والاستجمام بالليل، يجب أن يتقبلوا أيضا ما يجري على محمد ﷺ من نزول الوحي وفترته للمعنى الذي

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٢)

سلف.

لغو وغموض:

قام أحد الحضور، وقال[1]: ومن الشبه التي لا نزال نسمعها ما يذكرونه من أن القسم المكي من القرآن الكريم اشتمل على لغومن الكلام في كثير من فواتح السور، مثل الحروف المقطعة.. وذلك يبطل دعوى المسلمين أن القرآن بيان للناس وهدى وأنه كلام الله.. وأي بيان وأي هدى في قوله: ﴿الم﴾ وقوله: ﴿كهيعص﴾؟

قال آخر[2]: ويقولون: إن هذه الأحرف وأمثالها في غاية البعد عن الهدى، بدليل أنه لم يهتد أحد منهم، ولا الراسخون في العلم لإدراك معناها، فالخطاب بها كالخطاب بالمهمل.

قال آخر[3]: ويقولون: إن الحروف المقطعة المفتتح بها أوائل بعض السور إما أن يكون قصد منها التعمية أوالتهويل، أوإظهار القرآن في مظهر عميق مخيف، أوهي رمز للتمييز بين المصاحف المختلفة، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا.. أو هي أثر من آثار اليهود فيه بسبب كونهم من كتبته.

قال أحد المتكلمين[4]: وهذه الشبهة أيضا دليل على الجهل بالقرآن الكريم، وعدم التعمق في أسراره، بل حتى في أبسط المعارف المرتبطة به.. وأولها أن رسول ﷺ لم يكن له كتبة من اليهود أبدا.. وها هوالتاريخ حاكم عدل لا يرحم ولا يحابي فليسألوه إن كانوا صادقين؟

قال آخر[5]: بالإضافة إلى ذلك.. فإن اليهود لم يعرف عنهم الطعن في القرآن الكريم

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

(٥) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

بمثل هذا.. ولوكان هذا مطعنا عندهم لكانوا أول الناس جهرا به وتوجيها له، لأنهم كانوا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ والمسلمين يتمنون أن يجدوا في القرآن مغمزا من أي نوع يكون ليهدموا به دعوة الإسلام.. كيف وهم يكفرون به حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق؟

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك..فإن اشتمال القرآن الكريم على كلمات غير ظاهرة المعنى لا ينافي وصفه بأنه بيان للناس وهدى ورحمة، فإن هذه الأوصاف يكفي في تحققها ثبوتها للقرآن باعتبار جملته ومجموعه، لا باعتبار تفصيله وعمومه الشامل لكل لفظ فيه.. ولا ريب أن الكثرة الغامرة في القرآن كلها بيان للتعاليم الإلهية، وهداية للخلق إلى الحق، ورحمة للعالم من وراء تقرير أصول السعادة في الدنيا والآخرة.

قال آخر[2]: وهذا الجواب مبني على التسليم الجدلي بأن فواتح تلك السور من الأسرار التي استأثر الله بعلمها، ولم يطلع عليها أحد من خلقه، وذلك لحكمة من حكمة السامية، وهي ابتلاؤه وتمحيصه لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب، وصادق الإيمان من المنافق، بعد أن أقام لهم أعلام بيانه، ودلائل هدايته، وشواهد رحمته في غير تلك الفواتح من كتابه بين آيات وسور كثيرة لا تعتبر تلك الفواتح في جانبها إلا قطرة من بحر أوغيضا من فيض.

قال آخر[3]: أما الذين آمنوا فيعلمون أن هذه الفواتح حق من عند ربهم، ولولم يفهموا معناها، أو لم يدركوا مغزاها، ثقة منهم بأنها صادرة من لدن حكيم عليم، عمت

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٢٥)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٢٦)

حكمته ما خفي وما ظهر من معاني كتابه، ووسع علمه كل شيء عرفه الخلق أو لم يعرفوه من أسرار تنزيله.. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ﴾ [آل عمران: ٧]

قال آخر[١]: ونظير ذلك أن يكون لك أصدقاء تريد أن تعرفهم أوتعرف منهم مدى صداقتهم لك، فتبتليهم بأمور يزل عندها المزيفون ويظهر الصادقون.. كما قال الشاعر:

ابل الرجال إذا أردت إخاءهم   وتوسمن فعالهم وتفقد

فإذا ظفرت بذي اللبانة والتقى   فبه اليدين قرير عين فاشدد

قال آخر[٢]: ونظير ذلك أن تكون أستاذا معلما، وتريد أن تقف على مدى انتباه تلاميذك، ومبلغ ثقتهم فيك وفي علمك بعد أن زودتهم منك بدراسات واسعة وتعاليم واضحة، فإنك تختبرهم في بعض الأوقات بكلمات فيها شيء من الإلغاز والخفاء، ليظهر الذكي من الغبي، والواثق بك الوامق لك من المتشكك فيك المتردد في علمك وفضلك.. فأما الواثق فيك فيعرف أن تلك الألغاز والمعميات صدرت عن علم منك بها، وإن لم يعلم هو تفسيرها، ويعرف أن لك حكمة في إيرادها على هذه الصورة من الخلفاء، وهي الاختبار والابتلاء.. وأما المتشكك فيك فيقول: ماذا أراد بهذا؟ وكيف ساغ له أن يورده؟ وما مبلغ العلم الذي فيه؟ ثم ينسى تلك المعارف الواسعة الواضحة التي زودته بها من قبل ذلك، وكلها من أعلام العلم وآيات الفضل.

قال آخر[٣]: بالإضافة إلى هذا.. فإن إبتلاء الله لعباده ليس المراد منه أن يعلم تعالى

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٦)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٢٦)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٢٧)

ما كان جاهلا منهم، حاشاه.. فقد وسع كل شيء علما.. إنما المقصود منه إظهار مكنونات الخلق، وإقامة الحجج عليهم من أنفسهم، فلا يتهمون الله في عدله وجزائه إذا جعل من الناس أهلا لثوابه وآخرين لعقابه.

قال آخر[1]: هذا على التسليم الجدلي بعدم العلم بها.. أما على الثاني.. فإن لهذه الفواتح معاني لا تعرف إلا بالتدبر والتأمل.. فالقرآن كتاب هداية، والهداية لا تتحقق إلا بتدبره والاستنباط منه.

قال آخر[2]: ومن الأمثلة على الفهوم المرتبطة بها أن المقصود منها إفهام المخاطبين أن الذي سيتلى عليهم من الكلام الذي عجزوا عن معارضته والإتيان بمثله إنما يتركب من مثل هذه الحروف التي في الفواتح، وهي معروفة لهم يتخاطبون بها يدور عليها ولا يخرج عنها.. ومنهم من قال: إن المقصود منها هوالدلالة على انتهاء سورة والشروع في أخرى.. ومنهم من قال: إن المقصود منها القسم بها لإظهار شرفها وفضلها إذ هي مبنى كتبه المنزلة.

قال آخر[3]: ومنهم من قال: إن المقصود منها تنبيه السامعين وإيقاظهم.. ذلك أن قرع السمع في أول الكلام بما يعيي النفوس فهمه أو بالأمر الغريب دافع لها أن تصغي وتتيقظ وتتأمل وتزداد إقبالا: فهي كوسائل التشويق التي تعرض في مقدمة الدرس على منهج التربية الحديثة في التعليم.

قال آخر[4]: ومنهم من قال: إن المقصود منها سياسة النفوس المعرضة عن القرآن واستدراجها إلى الاستماع إليه.. والمعروف أن أعداء الإسلام في صدر الدعوة كان يقول

---

(١) مناهل العرفان (١/ ٢٢٧)

(٢) مناهل العرفان (١/ ٢٢٧)

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٢٧)

(٤) مناهل العرفان (١/ ٢٢٨)

بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]

خامسا ـ القرآن.. ومصاديق التنزيل

في صباح اليوم التالي، نهضت على أصوات ضجة تملأ الشارع الذي كنت أقيم فيه؛ فأسرعت أنظر ما يحصل؛ فوجدت جمعا من الكهول والشباب، يسيرون بسرعة، وهم يرددون: هيا إلى المحكمة؛ فاليوم سيحاكَم الباطنيون الضالون المحرفون للقرآن، وسنرى القاضي كيف يطبق عليهم أحكام الردة والمحاربة.

قال آخر: كم انتظرنا ذلك اليوم الذي نرى فيه تلك الرؤوس معلقة على الرماح، والأجساد معلقة على الصلبان.

قال آخر: سيكون ذلك أعظم انتقام للقرآن الكريم، ولعله يصبح بركة علينا؛ فنخرج من هذا الضيق الذي نعيشه؛ فلعل سببه أولئك المحرفين الذين قصرنا في عقوبتهم.

قال آخر: أجل.. ولن نكتفي بأولئك الضالين المبتدعين، بل سنفتش عن كل من يفكر بنفس تفكيرهم، ويحرف القرآن بنفس تحريفهم، لنمتحنه، ونعاقبه بنفس عقوبتهم.

مع أن كل ما ذكروه كان مهما بالنسبة لي، لكني لفرط نعاسي، لم أبال به، إلى أن مر بي رجلان قال أحدهما لصاحبه: لست أدري كيف بقي أولئك الضالون الباطنيون كل تلك السنين سجناء لا يلتفت لهم أحد إلى أن قرر القاضي اليوم إحضارهم، ودعوة الجميع لحضور جلسة محاكمتهم؟

قال الثاني: لقد سمعت أن شخصا فاضلا زار بلدتنا، يقال له [المعلم]، وأنه هو من استطاع إقناع القاضي بذلك.. وقد سمعت أيضا أن هذا المعلم سيحضر الجلسة، وهو ما دفعني إلى الحضور؛ فالكل يثني عليه، وعلى الأنوار التي تشع منه، والتي لا يملك أحد من

الناس أن يقاوموها.

ما نطق الرجل بذلك، حتى وجدتني أسرع إلى حيث يسرعون، وأنا أتعجب من أن يدعو معلم الاعتدال إلى تلك المحاكمة الشديدة القاسية.

لكني.. ما إن وصلت حتى تغير موقفي تماما، كما تغير موقف الجميع.. وسأحكي لكم كل ما ذكروه في الجلسة، والتي تشكلت من القاضي والمدعي والمتَّهمين والمعلم طبعا.. والذي جعله القاضي معه في منصة المحكمة.

١ . المصاديق والتأويل الصحيح:

قال القاضي: ها نحن نجتمع أخيرا في البت في هذه القضية التي طال تأجيلنا لها، خوفا من الفتنة التي زعم البعض أن مدينتنا قد تقع فيها.. لكن هذا المعلم الفاضل أقنعني بأن العدل لن يجر إلى الفتنة، والحقيقة هي وحدها من يقضي على كل صراع.. ولذلك طلبت من المدعي أن يجمع كل الشهادات والوثائق التي تدين هؤلاء المتهمين، ومعها كل الشهود، وسنسمح للمتهمين طبعا بأن يجيبوا عليها، ثم بعد ذلك نقرر ما يقتضيه العدل الذي نراه، والذي ترونه معنا معشر الحضور، وخاصة أهل العلم منكم.

قال المدعي: وقد فعلت ذلك.. وسأبدأ بأول ما قد نكتفي به لإدانتهم.

ثم التفت للمتهمين، وقال: إن التهمة الكبرى الموجهة لكم هي تحريف فهم القرآن الكريم، وأنتم بذلك تشبهون بني إسرائيل الذين كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويستبدلون بمعانيه ما يريدون هم لا ما تريده كتبهم المقدسة.

قال أحد المتهمين: كيف ذلك؟

قال المدعي: ألستم تقولون بأن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا.. وأنكم تأخذون

بباطن القرآن؟

قال أحد المتهمين: وبظاهره.. فنحن نؤمن بكليهما، ونحاول أن نفهم كليهما.

قال المدعي: وذلك هو التحريف بعينه.. فظاهر القرآن الكريم هو المقصود.. وكل من يرى أن هناك باطنا له فهو من زنادقة الباطنية.

قال أحد المتهمين: فأنت تتهم نفسك بذلك إذن؟

قال المدعي: كيف ذلك؟

قال أحد المتهمين: ألم تشبهنا ببني إسرائيل وتحريفهم لكتبهم؟

قال المدعي: ولا أزال أصر على ذلك.. فأنتم معشر الباطنية هم يهود هذه الأمة.. بل منافقوها.

قال أحد المتهمين: وهذا هو معنى الباطن الذي نريده.. فنحن نؤمن بأن اليهود والمنافقين المذكورين في القرآن الكريم لم يذكروا لذواتهم، وإنما لصفاتهم وأفعالهم المشينة، ولذلك فإن كل من تشبه بهم يجري ويطبق عليه حكمهم.

قال آخر: لقد قال إمامنا الباقر يذكر ذلك: (ظهر القرآن الذين نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم) [1]

قال آخر: ومثله ما روي عنه قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، فقد قال: (عليٌّ الهادي، ومنَّا الهادي)، فقيل له: فأنتَ جعلتُ فداك الهادي؟، قال: (صدقت إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيَّةٌ لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين)

(١) تفسير العيّاشي، ١/ ١١.

(١)

قال آخر: ومثله ما روي عنه قوله: (ولو أنَّ الآية إذا نزلت في قومٍ ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنَّ القرآن يجري أولُه على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلِّ قوم يتلوها هم منها من خيرٍ أو شر) [٢]

قال آخر: ومثله ما روي عنه قوله في تفسير ما ورد في الحديث من أنه (ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن): (ظهره تنزيلُه وبطنه تأويلُه، منه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر كلَّما جاء تأويلُ شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] نحن نعمله) [٣]

قال آخر: ومثله ما روي عن الإمام الصادق، فقد قال: (إنَّ القرآن حيٌّ لم يمت، وانَّه يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا) [٤]

قال آخر[٥]: نحن نعبر عن هذه المعاني التي ذكرها هؤلاء الأئمة بـ [الجري والانطباق].. فهذه الروايات تدل على أنَّ فاعليَّة القرآن الكريم وحيويَّته تكمنُ في التعاطي معه على أساس الجري والانطباق.. فـ[الجري] يستبطن معنى الحركة والتجددُّ والديمومة، فكما أنَّ الليل والنهار والشمس والقمر في تجدُّدٍ دائم فكذلك هو القرآن لا يختص به زمان، وكما أنَّ الليل والنهار يتعاقبان على كلِّ بقاع الأرض فكذلك هو القرآن لا يختصُّ به مكان

---

(١) تفسير العياشي: ج٢/ ٢٠٣.

(٢) تفسير العياشي: ج١/ ١٠.

(٣) تفسير العياشي: ج١/ ١١.

(٤) تفسير نور الثقلين: ج٣/ ٤٨٤.

(٥) الجري والانطباق: معناه وضوابطه، الشيخ محمد صنقور، موقع الهدي القرآني.

دون مكان، فالمراد من الجري هو إجراء أحكام القرآن وتوصيفاته على كلِّ من كان واجداً لخصوصياتها بقطع النظر عن الزمان والمكان.. وهذا هو معنى الانطباق والذي هو تطبيق أحكام القرآن وتوصيفاته على كلِّ مَن كان منطَبقاً لخصوصيات أحكامه وتوصيفاته.

قال آخر: وذلك هو عين ما يدعو إليه القرآن الكريم فالله تعالى عند بيانه سبب ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

قال آخر: انظروا كيف عقب الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].. فلو أنا أخذنا بظاهر القرآن الكريم فقط، لما كان فيه تفصيل كل شيء.. بل نحتاج إلى التعمق في معانيه، وتطبيقها على الواقع لنبحث عن حكم الله فيها.

قال آخر[1]: ولذلك يذكر أئمتنا وعلماؤنا أنه يمكن أن يظهر في كلّ زمان موسى وفرعون، وإبراهيم والنمرود، وعاد وثمود، في مظهر وصورة ما، ويتجسّد فيه الحقّ والباطل مرّة أخرى، فلا بدّ من التمييز بين أهل الهداية والضلالة في كلّ عصر على ضوء النماذج والعيّنات التي طرحها القرآن الكريم، والتي ينبغي تطبيقها عليهم.

قال آخر: ولهذا فسر أئمتنا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، بما ورد في الأخبار الكثيرة المتواترة عن الإمام المهدي، ودوره الإصلاحي في الأمة، وخروج المستضعفين في عصره من

---

(١) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٤٤.

ضعفهم، مع أن سياق الآيتين كان حديثا عن موسى وفرعون وهامان والمستضعفين من بني إسرائيل، ومع أنها اشتملت على وعد إلهي بهلاك فرعون وهامان وجنودهما والتمكين للمستضعفين من بني إسرائيل في الأرض وجعلهم الوارثين لها واصطفاء أئمة لهم يكونون منهم.. فظاهر الآية أن الوعد الإلهي لا يختص بأمة دون أخرى، وأن إرادة الله قد تعلقت بالتمكين للمستضعفين في الأرض واصطفاء أئمة منهم.

قال آخر: من تلك الروايات ما رواه الإمام الصادق عن رسول الله ﷺ أنه نظر إلى علي والحسن والحسين، وبكى وقال: (أنتم المستضعفون بعدي)، قيل للإمام الصادق: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟، قال: (معناه إنكم الأئمة بعدي إن الله عز وجل يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة)

قال آخر: ومثله ما روي عن الإمام علي، فقد قال في الآية الكريمة: (هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم)

قال آخر: ومن الأمثلة على تلك التطبيقات التي لا حرج في قبولها ما ذكره الإمام الباقر في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، فقد قال: (إلى علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه)[1].. ذلك أنه (لا شكّ أن العلم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسد؛ فكما يجب على الإنسان أن يعرف أنّ الطعام الصالح والغذاء النافع الكافل لسلامة الجسد وصحّة البدن، هو الذي يأتيه من جانب اللهّ، وأنه تعالى هو الذي هيّأه له ترفيها لمعيشته، كذلك يجب عليه أن يعلم أن العلم النافع والغذاء الصالح لتنمية روحه وتزكية نفسه هو

(١) رجال الكشّي/ ١٠.

الذي يأتيه من جانب اللهّ، وعلى يد أوليائه المخلصين الذين هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، فلا يستطرق أبواب البعداء الأجانب عن مهابط وحي اللهّ، ومجاري فيضه المستدام.. ذلك لأن الطعام يشمل طعام البدن وطعام الروح جميعا كما أنّ الإنسان يشمل البدن والروح؛ فكما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه الجسماني ليعلم أنه نزل من عند اللهّ، فكذلك غذاؤه الروحاني الذي هو العلم، ليعلم أنه نزل من عنده تعالى بأن صبّ أمطار الوحي إلى أرض النبوّة وشجرة الرسالة، وينبوع الحكمة، فأخرج منها حبوب الحقائق وفواكه المعارف، ليغتذي بها أرواح القابلين للتربية.. فقوله: (علمه الذي يأخذه عمن يأخذه)، أي ينبغي له أن يأخذ علمه من مهابط الوحي ومنابع الحكمة، أهل بيت رسول اللهّ ﷺ الذين أخذوا علومهم من مصدر الوحي الأمين، خالصة صافية ضافية.. فهذا تأويل الآية، الذي هو باطن الآية، مرادا إلى جنب ظاهرها) [1]

قال المدعي: ولكن ذلك سيجعل القرآن الكريم لعبة بيد العابثين يجرون آياتها ويطبقونها على حسب ما تقتضيه أهواؤهم.. وبذلك فإن سد هذا الباب خير من فتحه، لأن فتحه شر مطلق.

قال أحد المتهمين: ما ذكرته من فتح الباب للتأويل الباطن مطلقا صحيح جدا، ونحن نوافقك عليه.. فإجراء آيات القرآن الكريم وتطبيقها على فرد أو فئة أو أمة من الأمم لا يكون جزافا ولا يتيسر لكل أحد ما لم تكن له إحاطة بمعاني آيات القرآن ومراداته؛ فقد يكون مقتضى الظهور بادئ الرأي انطباق آية على أمة من الأمم إلا أن ذلك لا يصحح إجراء الآية وتطبيقها على تلك الأمة، وذلك لأن المصحح للجري والانطباق إنما هو الظهو ر

---

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٦.

الجدي، إذ هو الكاشف عن المراد الواقعي للمتكلم، وهو لا يتيسر إلا بعد الملاحظة لتمام القرائن والخصوصيات المكتنفة بالآية الكريمة أو المستفادة من مجموع الآيات ذات الصلة.

قال آخر: ولذلك نحن نرى أن هذا النوع من التدبر القرآني ليس معصوما، ذلك أنه لم يُعتمد على أنه كاشف قطعي عن المرادات الواقعية للمتكلم.

قال المدعي: ما دام الأمر كذلك؛ فكيف تشوهون المعاني القرآنية بما ترون أنه ليس معصوما ولا قطعيا.. فهل يمكن تفسير القطعي بالظني؟

قال أحد المتهمين: لو أنا طبقنا ما تذكر سيدنا لما بقي هناك تفسير واحد للقرآن الكريم.. فكل المفسرين يذكرون أن ما فهموه من القرآن الكريم اجتهاد اجتهدوه، وليس معصوما.. بل حتى الروايات والأحاديث التي يوردونها أكثرها إن لم نقل كلها ظني، لم يرد عن طرق قطعية ثابتة.

قال المدعي: فأنتم تؤمنون إذن بأن ما تذكرونه من الجري والانطباق غير صحيح ولا جازم.

قال أحد المتهمين: لا.. بل نحن نؤمن بكونه جازما وصحيحا.. وأنت كذلك سيدنا.. بل القاضي.. بل الجميع.

قال المدعي: كيف تتهمنا بهذه التهمة؟

قال أحد المتهمين: لاشك أنكم تعلمون الأحاديث الكثيرة الواردة في فضل الإمام علي وتقواه وصلاحه.

قال المدعي: لا أحد يشك في ذلك، وقد كتب علماؤنا الكتب في فضله ومناقبه وكونه إماما للمتقين الصالحين.

قال أحد المتهمين: فما المانع أن نطبق آيات التقوى عليه.. ونعتبره نموذجا لها.

قال المدعي: وأين غيره من باقي الصحابة والتابعين وغيرهم؟

قال أحد المتهمين: يمكنك أن تطبق الآيات على من تراه أهلا لها.. لا يمنعك أحد من ذلك.. لكن لو عرفت الواقع الذي عاشه أئمتنا لعرفت سر الاهتمام بهذا.. لقد ظل الطلقاء وأبناؤهم وتلامذتهم يسبون الإمام علي وبقية العترة الطاهرة فترة طويلة من الزمن، ويشوهونهم ويحاربونهم.. فلذلك كانوا يدعون الناس إلى تدبر القرآن الكريم والبحث فيه عن الصالحين وأوصافهم لتطبيقها عليهم.. فهم أولى الناس بها.

قال آخر: وعلى هذا يفسر قول الإمام الباقر لبعض أصحابه: (إذا سمعت الله ذكر أحداً من هذه الأمّة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا)[1]

قال آخر[2]: وهذا القول ليس منكرا لا عقلا ولا شرعا.. فالقرآن الكريم عندما يعبّر عن بعض الناس بـ (الصالحين، الصادقين، المحسنين، المتّقين)، فإنّ العترة الطاهرة بلا شك، أول من تنطبق عليهم هذه الأوصاف قطعاً، بل هم المصداق الأكمل والأفضل لذلك.. وفي مقابل ذلك، فإنّه كلّما ورد في القرآن وصف (الفاسقين، المتكبّرين، الظالمين) فإنّه ينطبق جزماً على كل من استبدل المودّة لأهل البيت التي هي أمر الله تعالى بها، بالبغض والعداوة لهم، والاتّباع لهم بالتخلّف عنهم، والتعظيم والتكريم لهم بقتْلهم وسفك دمائهم.

٢. المصاديق والتأويل المنحرف:

قال المدعي: لا بأس.. قد أوافقكم في كل ما ذكرتم.. ولكن ألا ترون من المبالغة أن

---

(١) تفسير العيّاشي، ١/ ١٣.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٤٤.

يفسر القرآن الكريم جميعا بذلك؛ ففي تفاسيركم المأثورة نجد معظم القرآن الكريم يفسر على هذا الأساس، بحيث يلغى القرآن الكريم جميعا بمقتضى ذلك التفسير.

نماذج للتفسير المنحرف:

أخرج بعض الأوراق، ثم راح يقول: من الأمثلة على ذلك الحديث الذي تروونه عن الإمام الباقر، أنه قال: (يا خيثمة، القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدومن كان قبلنا، وثلث سنّة ومثل)[1] .. وعنه أنه قال: (نزل القرآن أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام)[2]

قال أحد المتهمين[3]: إن هذه الروايات سيدنا غير صحيحة، بل هي ضعيفة سنداً، مضطربة متناً، وهي في أغلبها، بل كلها من وضع الغلاة الذين نصبهم أئمة السوء لتشويه أئمة الهدى.

قال آخر: والدليل على ذلك ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (لا تقولوا في كلّ آية هذا رجل وهذا رجل، من القرآن حلال ومنه حرام، ومنه نبأ ما قبلكم وحكم ما بينكم وخبر ما بعدكم وهكذا هو)[4]..وقال: (إنّ القرآن نزل أربعة أرباع: ربع حلال، وربع حرام، وربع سنن، وربع أحكام، وربع خبر ما كان قبلكم ونبأ ما يكون بعدكم وفصل بينكم)[5]

قال آخر: وفي حديث آخر أنّ الإمام الصادق كتب لأبي الخطّاب[6] ـ وهو من الغلاة

(١) تفسير العيّاشي، ١/ ١٠.

(٢) الكافي، ٢/ ٦٢٨.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٤٢.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٢٣.

(٥) البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٢٣.

(٦) محمّد بن مقلاص الأسدي الكوفي (أبوزينب) غال، (رجال الطوسي/ ٣٤٥)

الذين حذر منهم أئمة الهدى ـ يقول: (بلغني أنّك تزعم أنّ الخمر رجل، وأنّ الزنا رجل، وأنّ الصلاة رجل، وأنّ الصوم رجل، وليس كما تقول) (١)

قال آخر: وفي حديث آخر عنه أنّه قيل له: (روي عنكم أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال (٢)، فقال: (ما كان الله ليخاطب خلقه بما لا يعلمون) (٣)

قال آخر: ولهذا وردت التحذيرات الشديدة من أئمتنا من الغلاة، ومن الأحاديث التي كذبوا بها عليهم.. بل قد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ نفسه، ففي الحديث عنه ـ مخاطبا الإمام علي ـ: (يا علي مثلك، في هذه الأمّة، كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا فيه، وأبغضه قوم فأفرطوا فيه) (٤).. وقال: (إنّ أمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوّك وهم الشاكّون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون.. وعدوّك والغالي في النار) (٥)

قال آخر: وعلى هذا النهج نرى أئمة الهدى يحذرون من الغلاة، ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الصادق: (إنا أهل بيت صدّيقون، لا نخلو من كذّاب يكذب علينا ويُسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس.. كان رسول الله ﷺ أصدق الناس لهجةً وأصدق البرية كلها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان الإمام علي أصدق مَن برأ الله بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفتري على الله الكذب عبدُ الله بن سبأ)(٦)

قال آخر: وقيل للإمام الصادق: إنّ بنانا يتأول هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٢٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]

(٣) وسائل الشيعة، ١٢/ ١٢١.

(٤) بحار الأنوار، ٢٥/ ٢٨٤ (نقلًا عن مسند أحمد)

(٥) بحار الأنوار، ٢٥/ ٢٤٦ و٣٦٥.

(٦) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٨٧، والكشي ص٧١.

وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أن الذي في الأرض غير إله السماء، وإله السماء غير إله الأرض، وأنّ إله السماء أعظم من إله الأرض، وأنّ أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظّمونه، فقال: (والله ما هو إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ في السماوات وإلهٌ في الأرضين، كذب بنان ـ عليه لعنة الله ـ صغّر الله جلّ جلاله، وصغّر عظمته)[1]

قال آخر: وقيل للإمام الصادق: إنهم يقولون: يعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء وقال: (سبحان الله سبحان الله لا والله ما يعلم هذا إلا الله) [2]

قال آخر: وذكر الإمام الصادق أصحاب أبي الخطاب والغلاة فقال: يا مفضّل، لا تقاعدوهم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا توارثوهم)[3].. وقال فيهم: (إنّ فيهم مَن يكذب حتى أنّ الشيطان ليحتاج إلى كذبه)[4]

قال آخر: وقيل للإمام الصادق: جُعلنا فداك، إنّ المفضّل بن عمر يقول إنكم تقدّرون أرزاق العباد، فقال: (والله ما يقدّر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى طعامٍ لعيالي فضاق صدري، وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي)[5]

قال آخر: وروي أن الإمام الصادق خرج وهو مغضب، ثم قال: (إني خرجت آنفاً في حاجة فتعرّض لي بعض سودان المدينة فهتف بي: لبيك جعفر بن محمد لبيك، فرجعت عَودي على بدئي إلى منزلي، خائفاً ذعراً مما قال، حتى سجدت في مسجدي لربي، وعفّرت له وجهي، وذلّلت له نفسي، وبرئت إليه مما هتف بي،، ولو أن عيسى بن مريم عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٩٦، والكشي ص١٩٦.

(٢) بحار الأنوار (٢٥/ ٢٩٤) ، رجال الكشي: ١٩٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٩٦، والكشي.

(٤) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٩٦، والكشي ص١٩١.

(٥) بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٠١، والكشي ص٢٠٧.

جاوز ما قال الله فيه لصم صمما لا يسمع بعده أبدا وعمي عمى لا يبصر بعده أبدا، وخرس خرسا لا يتكلم بعده أبدا)[1]

قال آخر: وسئل الإمام الرضا عن الغلاة والمفوضة، فقال: (الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أوزوجهم أو تزوج إليهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزوجل وولاية الرسول ﷺ وولايتنا أهل البيت)[2]

قال آخر: وروي أنه قيل للإمام الرضا: يا ابن رسول الله، ما شيء يحكيه عنكم الناس؟، قال: وما هو؟، قيل: يقولون: إنكم تدّعون أنّ الناس لكم عبيد، فقال: (اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت شاهدٌ بأني لم أقل ذلك قطّ، ولا سمعت أحداً من آبائي قال قطّ، وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة، وإنّ هذه منها)[3]

قال آخر: وكان الإمام الرضا يقول في دعائه: (اللهم إني بريءٌ من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بك.. اللهم، إني أعوذ بك، وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق.. اللهم، إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا.. اللهم، لك الخلق ومنك الرزق، وإياك نعبد وإياك نستعين.. اللهم، أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين.. اللهم، لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك.. اللهم، إنا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.. اللهم، مَن

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٢١، وروضة الكافي ص٢٢٥.

(٢) بحار الأنوار (٢٥/ ٢٧٣) ، عيون الاخبار: ٣٢٦.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٦٨، والعيون ص٣١١.

زعم أنّا أرباب فنحن منه براءٌ، ومَن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براءٌ منه، كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى.. اللهم، إنّا لم ندعُهُم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون، ولا تدع على الأرض منهم ديارا، إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفّاراً)[1]

قال آخر: وفي حديث طويل للإمام الرضا مع بعض أصحابه ردا على الغلو والمغالين، قال: (ومن تجاوز بالإمام علي العبودية، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين)[2]

قال آخر: وقيل للإمام الرضا: يا ابن رسول الله، إنّ عندنا أخباراً في فضائل الإمام علي، وفضلكم أهل البيت، وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم، أفندين بها؟، فقال: (يا ابن أبي محمود، لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ﷺ قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عزّ وجلّ فقد عبدَ الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس)، ثم قال: (يا ابن أبي محمود، إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨])[3]

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٤٣، واعتقادات الصدوق ص١٠٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٧٨، والاحتجاج ص٢٤٢.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢٧٨، والاحتجاج ص٢٤٢.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن أئمتنا وضعوا لنا المعيار الذي نكتشف به كل حديث مدسوس عليهم.. وهو عرضه على القرآن الكريم والقيم النبيلة التي جاء بها؛ فما انحرف عنها كذبناه ورميناه ونزهنا أئمتنا عنه.

قال آخر: وفي إمكانكم ـ سيدي ـ أن تذكروا لنا أي حديث شئتم لنذكر لكم وجه رده أو قبوله، وسترون أننا نتفق جميعا، وأن الخلاف الجاري بيننا ليس له من سبب إلا عدم توفر فرصة للحوار بيننا.. والحمد لله، فقد أتيحت لنا هذه الفرصة.

مثال البعوضة:

أخرج المدعي بعض الأوراق، وقال: من الأمثلة على ذلك ما تروونه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُّ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] ما روي عن الإمام الصادق، أنه قال: (إن هذا المثل، ضربه الله لأمير المؤمنين علي.. فالبعوضة أمير المؤمنين، وما فوقها، رسول الله ﷺ والدليل على ذلك قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: أمير المؤمنين كما أخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم أخذ له)(١)

ثم التفت للجمع، وقال: هل رأيتم هذا التهكم والسخرية برسول الله ﷺ وبأخيه الإمام علي، وتشبيههما بالبعوض؟

قال أحد المتهمين: ليس كل ما يوجد في كتبنا صحيح، مثلما هو الحال في كتب الأمة جميعا، والتي أخبر رسول الله ﷺ أن الخير فيها سيختلط بالدخن.. وهذا الحديث منها، ولو

---

(١) تفسير القمي ١/ ٣٤.

رجعت ـ سيدي ـ إلى ما كتبه علماءنا عنه، لوجدت تكذيبهم له، وبيان علة ذلك.

قال آخر: الرواية فيها علتان في السند وهما: القاسم بن سليمان، والمعلى بن خنيس.. فالأول مجهول كما يقول المحقق الأردبيلي(1).. ومن الأمثلة على عدم قبوله الاستدلال بحديثه قوله ـ في رواية لبس الديباج: (ويكره لبس الحرير) مع أنه حرام كما مر، على أن السند ليس بصحيح، لوجود قاسم بن سليمان المجهول)

قال آخر: وأما المعلى بن خنيس فهو في غاية الضعف كما يقول السيد الخوئي(2).. وقال النجاشي: معلي بن خنيس، أبو عبد الله: مولى الإمام الصادق، ومن قبله كان مولى بني أسد، كوفي، بزاز، ضعيف جداً، لا يعول عليه، له كتاب يرويه جماعة(3).. وقال ابن الغضائري عنه: الغلاة يضيفون إليه كثيرا ولا أرى اعتمادا على شيء من حديثه.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآية الكريمة وردت في مقام التحقير، وقد ذكر جمع من المفسرين عن ابن عباس أن سبب نزولها اعتراض المنافقين على ما ورد من أمثلة في الآيات السابقة، وقالوا إن الله أسمى من أن يضرب مثل هذه الأمثال، وبذلك راحوا يشككون في الرسالة وفي القرآن.. وفي هذه الظروف نزلت الآية الكريمة المذكورة.. وقال آخرون: عند نزول الآيات التي تضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت، بدأ المشركون ينتقدون ويسخرون(4).

قال آخر: ولو رجعت إلى علمائنا المحققين ـ سيدي الكريم ـ لوجدت أنهم يعرضون عند تفسير الآية ما يذكره عامة المفسرين من المدارس الإسلامية المختلفة، ومن الأمثلة على

---

(1) مجمع الفائدة: ٢/ ٨٦.

(2) معجم رجال الحديث: ٩/ ٢٥٨.

(3) النجاشي في رجاله: ٤١٧ رقم ١١١٤.

(4) الأمثل، (١/ ١٣٤)

ذلك قول بعض أكبر مفسرينا المتأخرين: (لماذا التمثيل بالبعوضة؟.. المعاندون اتخذوا من صغر البعوضة والذبابة ذريعة للإستهزاء بالأمثلة القرآنية، لكنهم لو أنصفوا وأمعنوا النظر في هذا الجسم الصغير، لرأوا فيه من عجائب الخلقة وعظيم الصنع والدقة ما يحير العقول والألباب)[1]

ثم ساق حديثا للإمام الصادق بشأن خلقة هذا الحيوان الصغير يقول فيه: (إنما ضرب الله المثل بالبعوضة لأن البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فأراد الله سبحانه أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه وعجيب صنعته)[2] .. ثم علق عليه بقوله: (يريد الله سبحانه بهذا المثال أن يبين للمؤمنين دقة الصنع في الخلق، التفكير في هذا الموجود الضعيف على الظاهر، والشبيه بالفيل في الواقع، يبين للإنسان عظمة الخالق.. خرطوم هذا الحيوان الصغير يشبه خرطوم الفيل، أجوف، ذو فتحة دقيقة جدا، وله قوة ماصة تسحب الدم.. ومنح الله هذا الحيوان قوة هضم وتمثيل ودفع، كما منحه أطرافا وأذنا وأجنحة تتناسب تماما مع وضع معيشته.. هذه الحشرة تتمتع بحساسية تشعر فيها بالخطر بسرعة فائقة وتفر عندما يداهمها عدو بمهارة عجيبة، وهي مع صغرها وضعفها يعجز عن دفعها كبار الحيوانات)[3]

قال آخر: ومثل ذلك ساق حديثا للإمام علي يقول فيه: (كيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مرحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلدة أممها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف

---

(١) الأمثل، (١/ ١٣٧)

(٢) تفسير البرهان: ١/ ٧٢.

(٣) الأمثل، (١/ ١٣٨)

السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة حسيرة، عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها) (١)

قال آخر: هذا مجرد مثال.. وهكذا يمكنكم الرجوع إلى كتب تفسيرنا، فستجد نفس هذه التعابير والمعاني.

قال المدعي: لكني وجدت خلاف ذلك أيضا.. ومن الأمثلة على ذلك وجدت بعضهم يدافع عن الحديث، ويسوق في ذلك رواية عن الإمام العسكري، وفيها أنه قيل للإمام الباقر: إن بعض من ينتحل موالاتكم، يزعم أن البعوضة، عليّ، وما فوقها ـ وهو الذباب ـ محمد رسول الله ﷺ فقال الإمام الباقر: سمع هؤلاء شيئا، لم يضعوه على وجهه.. إنما كان رسول الله ﷺ قاعدا، ذات يوم، وعلي، إذ سمع قائلا يقول: ما شاء الله وشاء محمد، وسمع آخر يقول: ما شاء الله وشاء علي.. فقال رسول الله ﷺ: (لا تقرنوا محمدا وعليا، بالله عز وجل، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم ما شاء محمد.. ما شاء الله، ثم ما شاء علي.. إن مشيئة الله هي القاهرة التي لا تساوي ولا تكافأ ولا تداني.. وما محمد رسول الله، في الله وفي قدرته، إلا كذبابة.. وما علي في الله وفي قدرته إلا كبعوضة، في جملة هذه الممالك)(٢)

قال أحد المتهمين: بغض النظر عن صحة الرواية أو عدم صحتها.. هل ترى معناها صحيحا، ومتوافقا مع ما ورد في القرآن الكريم وما تعتقده الأمة جميعا؟

سكت المدعي، فقال أحد المتهمين: بل فيها رد شديد على الذين يتهموننا بأننا ـ معاذ الله ـ نصف أئمتنا بالربوبية؛ فهم عبيد الله الذين لا يساوون شيئا أمام عظمته.

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة ١٨٦/ ٢٧٥.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري / ١٠١ ـ ١٠٢.

السماء والطارق:

قال المدعي: دعنا من تلك الرواية.. فما تقولون في تلك الروايات المخالفة للنصّ والسِّياق القرآنيين، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣]، حيث فسرت (السماء)بعليّ، و(الطارق) بالروح، و(النجم الثاقب) بالنبيّ ﷺ.

قال أحد المتهمين[1]: تلك الرواية رواها أبو محمّد الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، وهو واقفي ضعيف، وقال علي بن الحسن بن فضّال فيه: (ملعون كذّاب، وقد كتب عنه تفسيره، ولا أرى جواز روايته).. ومثله علي بن أبي حمزة، فكلاهما ضعيف.

قال آخر: ولهذا نرى كل علمائنا يفسرون الآيات بحسب ما يدل عليه ظاهرها، فقد قال بعضهم في معنى الطارق: (اختلفوا في تأويل هذه الكلمة.. والذي يبدو لي أنّ الطارق هي الأقدار التي تتواصل في الليل والنهار بخيرها وشرّها، ولذلك نستعيذ بالله من طارق السوء حسب النص المأثور عن النبي ﷺ: (أعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار إلّا طارقا يطرق بخير يا رحمن).. وفي الدعاء: (بك أستجير يا ذا العفو والرضوان من الظلم والعدوان، ومن غير الزمان، وتواتر الأحزان، وطوارق الحدثان، ومن انقضاء المدّة قبل التأهب والعدّة).. وحسب هذا الرأي فإنّ النجم الثاقب هو بيان لهذا الطارق الذي يشبه النجم الثاقب، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].. ويكون القسم ـ إذا ـ بتلك الشهب التي يحفظ الله بها السماء من الشياطين الذين يسترقون السمع، ويكون السياق متناسبا مع الحديث عن حفظه سبحانه لأهل الأرض..

---

(١) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٥.

وقيل: إنّ كلّ نجم يسمّى طارقا باعتباره يطلع بالليل، وعليه فإنّ القسم بكلّ نجوم السماء أو النجوم اللّامعة.. وقال البعض: بل النجم هنا هو زحل، وقد روي ذلك عن الإمام الصادق، وقال بعضهم: بل هو الثريا، وقال الآخر: بل هو الزهرة)[1]

ثم علق على ذلك بقوله: (وقد تتسع العبارات لكلّ تلك التطبيقات، ذلك لأنّ آية نتلوها في سورة الملك يظهر منها أنّ مصابيح السماء هي رجوم الشياطين أو مراكز لرجمهم، قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].. فمن المحتمل أن تكون النجوم هي ذات الشهب الطارقة أو أنّها مصادر للشهب، يبقى أن نقول: إنّ المراد من النجم يمكن أن يكون جنس النجم فيشمل سائر الأنجم وليس واحدا منها)[2]

وبعد كل هذه التطبيقات التي لا يوجد من يعارض فيها، قال: (حينما ينظر الإنسان إلى متانة بناء السماء، وكيف جعلها الله سقفا محفوظا، وزرع في أرجائها مراجم للقوى الشيطانية التي تسعى لإفساد النظام فيها، يطمئنّ إلى تلك اليد العظيمة التي تمسك السموات والأرض أن تزولا، ويعرف أنّه في كنف ربّ عظيم، يحفظه من طوارق السوء ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤])[3]

قال آخر: وهكذا لو ذهبت إلى كل التفاسير التي فسرت بها الآية وجدتهم يذكرون أمثال هذه المعاني.. ولذلك لا يصح أن نرميها جميعا بسبب انحراف وقع فيه بعضهم، وقد نجد أمثاله في تفاسير كل الطوائف.

---

(١) من هدي القرآن، المدرسي (١٨/ ١١)

(٢) من هدي القرآن، المدرسي (١٨/ ١١)

(٣) من هدي القرآن، المدرسي (١٨/ ١٢)

ليلة القدر:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير سورة القدر، وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٤ - ٥]، فعن محمد بن جمهور، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن حمران، قال: سألت أبا عبد الله عما يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدر سبحانه وتعالى فيها؟ قال: (لا توصف قدرة الله تعالى، إلا أنه قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] فكيف يكون حكيما إلا ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه، لأنه يحدث ما يشاء.. و أما قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يعني فاطمة.. وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ والرُّوحُ فِيها﴾ والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد ﷺ، والروح روح القدس وهي فاطمة ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ﴾ يقول: من كل أمر سلمه ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني حتى يقوم القائم)[١]

قال أحد المتهمين[٢]: يكفي في رد هذه الرواية أن يكون في سندها محمّد بن جمهور، وهومن الغُلاة المعروفين الذين لا يصح الاستدلال بأحاديثهم.. بالإضافة إلى أنّ التفسير المذكور للملائكة والروح مخالف لظاهر جميع الآيات التي ورد فيها هذا اللفظان.. بالإضافة إلى أنّ فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآيات كانت في الأرض، فلا معنى لنزولها.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٩٣٢)

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٦.

الكريم في ليلة القدر، وبيان أهمية هذه الليلة وبركاتها)[1] ثم قال ـ عند بيانه لمفهوم ليلة القدر ـ: (في سبب تسمية هذه الليلة بليلة القدر قيل الكثير من ذلك: لأنها الليلة التي تعين فيها مقدرات العباد لسنة كاملة، يشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٣-٥].. فهذه الآية الكريمة تنسجم مع ما جاء من الروايات تقول: في هذه الليلة تعين مقدرات الناس لسنة كاملة، وهكذا أرزاقهم، ونهاية أعمارهم، وأمور أخرى تفرق وتبين في تلك الليلة المباركة.. وهذه المسألة طبعا لا تتنافى مع حرية إرادة الإنسان ومسألة الاختيار، لأن التقدير الإلهي عن طريق الملائكة إنما يتم حسب لياقة الأفراد وميزان إيمانهم وتقواهم وطهر نيتهم وأعمالهم، أي يقدر كل فرد ما يليق له، وبعبارة اخرى، أرضية التقدير يوفرها الإنسان نفسه، وهذا لا يتنافى مع الاختيار بل يؤكده.. وقال بعض إنها سميت بالقدر لما لها من قدر عظيم وشرف كبير في القرآن جاء قوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].. وقيل لأن القرآن بكل قدره ومنزلته نزل على الرسول الأكرم ﷺ بواسطة الملك العظيم في هذه الليلة.. وقيل لأنها الليلة التي قدر فيها نزول القرآن.. وقيل لأنها الليلة التي من أحياها نال قدرا ومنزلة.. وقيل لأنها الليلة التي تنزل فيها الملائكة حتى تضيق بهم الأرض لكثرتهم، لأن القدر جاء بمعنى الضيق أيضا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُّ﴾ [الطلاق: ٧]).. ثم علق على هذه التطبيقات بقوله: (كل هذه التفاسير يستوعبها المفهوم الواسع لليلة القدر مع أن التفسير الأول أنسب وأشهر)[2].. وهكذا ترى سيدي الكريم أنه مع استيعابه لكل هذه التطبيقات لم يذكر ما ورد في تلك الرواية.

---

(١) الأمثل، (٢٠/ ٣٣٩)

(٢) الأمثل، (٢٠/٣٤٦)

النبأ العظيم:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير سورة النبأ، وقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١-٣]، وأن المراد بـ (النبأ) هو الإمام عليّ وولايته [١].

قال أحد المتهمين[٢]: في إسناد الروايات المفسّرة لهذه الآية محمّد بن فضيل الأزدي، وهو ممن روى عن الإمامين الكاظم والرضا، وهو من الضعفاء والغُلاة.. وفيها عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، وقد روى عن الإمام الباقر والصادق، وهو ضعيف غال.. وفيها أبوإسحاق، إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، وهو ضعيف في الحديث، متّهم في دينه بالغلوّ، لا يعتمد على شيء من حديثه.

قال آخر[٣]: بالإضافة إلى ذلك، فإن قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يخبر عن خلاف حاصل بين المشركين في (النبأ العظيم). ومن المعلوم أنّ مسألة ولاية الإمام علي لم تكن مثارةً في ذلك الوقت.. بالإضافة إلى أن الآيات التي بعدها تتحدّث عن الخلق وعود الحياة للأموات، ما يدلّ على أنّ المراد بالنبأ (القيامة)

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتمدين بهذا المعنى.. فقد قال بعضهم: (أورد المفسرون آراء متباينة في المقصود من (النبأ العظيم)، فمنهم من اعتبره إشارة إلى يوم القيامة، ومنهم من قال بأنه إشارة إلى القرآن الكريم، ومنهم من اعتبره إشارة إلى أصول الدين من التوحيد حتى المعاد.. وبنظرة دقيقة إلى مجموع آيات السورة وسياق طرحها، وما ذكرته

---

(١) الكافي، ٣/ ٢٠٧ و٤١٨، وتهذيب الأحكام، ٣/ ١٤٦.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٦.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٦.

الآيات اللاحقة من ملامح القدرة الإلهية بعرض بعض مصاديقها في السماء والأرض، وبعد هذا العرض تؤكد إحدى الآيات، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، ثم مخالفة وعدم تقبل المشركين لمبدأ (المعاد)، كل ذلك يدعم التفسير الأول القائل: بأن النبأ العظيم هويوم القيامة)[١]

ثم قال: (فوصف (النبأ) بـ (العظيم) للتأكيد على أهميته، وللبت بأن ما يشك فيه البعض إنما هو: أمر واقع، بالغ الأهمية، خطير.. وكما قلنا فهذا المعنى يناسب كونه يوم القيامة أكثر مما يناسب بقية التفاسير.. وربما كانت جملة ﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ إشارة إلى الكفار دون غيرهم، لأنهم كثيرا ما كانوا يتسائلون فيما بينهم بخصوص (المعاد)، وما كان تساؤلهم لأجل الفحص والتحقيق وصولا للحقيقة، بل كان لغرض التشكيك لا أكثر)[٢]

قال آخر: ولكن ذلك لا يمنع ـ بعيدا عن الآية ـ من إطلاق لفظ [النبأ العظيم المختلف فيه] بكل ما تحقق فيه هذا الوصف.. وفي هذا قال بعض المفسرين: (النبأ العظيم: كمفهوم قرآني ـ مثل سائر المفاهيم القرآنية ـ له من السعة ما يشمل كل ما ذكر من معان، وإذا كانت قرائن السورة تدل على أن المقصود منه (المعاد)، فهذا لا يمنع من أن تكون له مصاديق أخرى، كما هومعلوم أن للقرآن بطونا مختلفة وظواهرا متعددة، وأدلة وقرائن الاستخراج مختلفة أيضا، وبعبارة أخرى: أن لمعاني آيات القرآن دلالات التزامية لا يعرفها إلا من غاص في بحر علمها ومعرفتها، ولا يكون ذلك إلا للخاصة من الناس.. وليست الآية المذكورة منفردة في أن لها ظاهر وباطن دون بقية آيات القرآن، حيث أن الأحاديث والروايات الشريفة فسرت كثير من الآيات بمعان مختلفة، بعضها ما ينسجم مع ظاهر الآية،

(١) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/٣١٨.

(٢) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/٣١٨.

والبعض الآخر يشير إلى المعنى الباطن لها) [1]

قال آخر: وقد قال آخر يشير إلى المصاديق التي يمكنها أن تنطبق على ﴿ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢]: (النبأ خبر ذوفائدة عظيمة يحصل به علم أوغالب ظن، والخبر الحق الذي يتعرى عن الكذب، والنبيء هوالموحى إليه بأخبار الحق والصدق، حاملة كافة البراهين المصدقة لهما ثم إذا كان النبأ عظيما كانت الفائدة والعلم فيه أعظم، دون أن يتطرق إليه أية شائبة وريبة اللهم إلا جهلا وعنادا ممن لا يهوى إلا هواه، ولا يهدف هداه.. وأول الأنباء العظيمة ـ منذ بزوغ الإسلام ـ هونبأ الرسالة الإسلامية التي حملها الرسول الأقدس محمد ﷺ، فنبأ الرسالة المحمدية هوأعظم الأنباء الرسالية في تاريخ الرسالات، ولأنها تشملها كلها وفيها مزيد هورمز الخلود، فلما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢]، ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢].. فهذه الرسالة السامية كانت نبأ عظيما تحمل كافة الأنباء العظيمة)[2]

ومن المصاديق التي ذكرها (إنذار النبي وإنبائه نبأ التوحيد، هما من الأنباء العظيمة، وقد بدأ بنبإ التوحيد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [ص: ٦٥-٧٠]) [3]

ومن المصاديق التي ذكرها (القرآن.. فهو نبأ عظيم لأنه المعجزة الخالدة لهذه الرسالة

(١) الأمثل، الشيرازي، ١٩/ ٣٢٢.

(٢) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه، ٣٠/ ١٠.

(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه، ٣٠/ ١٠.

السامية، وأنه يحمل كافة أنباء الغيب﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].. ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]) [(١)]

ومن المصاديق التي ذكرها (نبأ المعاد.. وهو نبأ عظيم بعد التوحيد.. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧].. ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]) [(٢)]

ثم علق على هذه المصاديق بقوله: (هذه هي الدعائم الأربع من الأنباء العظيمة، تشملها: ﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾.. ومن الأنباء العظيمة استمرارية الولاية والحكم المحمدي المتمثل في أخيه ونفسه ووليه وخليفته علي أمير المؤمنين) [(٣)]

الخنّس:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٥-١٩]، حيث ورد في تفسيرها أن ﴿الخنّس﴾ هوقائم آل محمّد ﷺ الغائب عن الأنظار[(٤)].

قال أحد المتهمين[(٥)]: وقد وقع في سند بعض هذه الروايات المفسِّرة للآية الشريفة، جعفر بن محمّد بن مالك، وقد ذكروا فيه: إنّه ضعيف، غال، وضّاع، وقد جمع إليه جميع

---

(١) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه، ٣٠/ ١١.

(٢) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه، ٣٠/ ١١.

(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه، ٣٠/ ١١.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٣٣.

(٥) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٧.

عيوب الرواة الضعاف.. كما أنّ الكثير من رواة هذه الأخبار مجاهيل.. بالإضافة إلى ذلك، فإن القسم الوارد، في هذه السورة، هو لتأكيد حقّانية النبوّة والقرآن، وعليه فكيف يتمّ القسم بغيبة الإمام التي هي فرع النبوّة؟!.. بالإضافة إلى أن الشيء الذي يقع القسم به لا بدّ من أن يكون معلوماً عند المخاطبين في ذلك الزمان، ولم تكن مسألة الغيبة بهذه المثابة.

قال المدعي: فما تقولون في حديث آخر حول نفس الآية الكريمة، رووا فيه عن أمّ هاني أنها قالت للإمام الصادق: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾؟ فقال: يا أمّ هاني، إمام يخنَّس نفسه حتّى ينقطع عن الناس علمه سنة ستّين ومائتين، ثمّ يبدوكالشهاب الواقد في الليلة الظلماء، فإن أدركت ذلك الزمان قرّت عينك [١].

قال أحد المتهمين[٢]: لا شك في كون هذه الرواية مكذوبة موضوعة؛ ففي سندها جعفر بن محمّد بن مالك، وهوضعيف، غال، وضّاع للحديث.. وقد ذكروا فيه: إنّه جمع عيوب الرواة الضعاف جميعاً.. بالإضفاة إلى ذلك؛ فإنا لوفرضنا أنّ راوية الحديث كان عمرها عند سماع الحديث (١٥) سنة، وأنّ سماعها الحديث كان في أخريات حياة الإمام الباقر، فمع ملاحظة أنّ وفاته كانت سنة ١١٤، فإنّ عمر أمّ هاني كان آنذاك في سنة ٢٦٠ هو(١٦١) سنة، وحينئذ فمن المستبعد أن يقول لها الإمام: إذا أدركت زمانه.

قال آخر: ولهذا نرى كل علمائنا يفسرون الآيات الكريمة بحسب ما يدل عليه ظاهرها، فقد قال بعضهم بعد أن أورد المعاني اللغوية لها: (يعتقد كثير من المفسرين، إنها الكواكب الخمسة السيارة التي في منظومتنا الشمسية، والتي يمكن رؤيتها بالعين المجردة (عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري وزحل).. فلوتأملنا السماء عدة ليال، لرأينا أن نجوم

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٤٧.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٤.

السماء أوالقبة السماوية تظهر وتغيب بشكل جماعي من دون أن تتغير الفواصل والمسافات فيما بينها، وكأنها لآلئ خيطت على قطعة قماش داكن اللوان، وهذه القطعة تتحرك من المشرق إلى المغرب، إلا خمسة كواكب قد خرجت عن هذه القاعدة، فنراها تتحرك وليس بينها وبين بقية النجوم فواصل ثابتة، وكأنها لئالئ قد وضعت على تلك القطعة وضعا، من دون أن تخيط بها.. وهذه الكواكب الخمس هي المقصود في هذا التفسير، وما نلاحظه من حركتها إنما تكون لقربها منا لا نتمكن من تمييز حركات بقية النجوم لعظم المسافة فيما بيننا وبينها.. ومن جهة أخرى: ينبغي التنويه إلى أن علماء الفلك يطلقون على هذه الكواكب اسم (الكواكب المتحيرة)، لأنها لا تتحرك على خط مستقيم ثابت، فتراها تسير باتجاه معين من الزمن ثم تعود قليلا ومن ثم تتابع مسيرها الأول وهكذا.. ولهؤلاء العلماء من البحوث العلمية في تحليل هذه الظاهرة)[1]

ثم عقب على هذا بقوله: (عليه يمكن حمل إشارة الآيات إلى الكواكب السيارة (الجوار)، التي في سيرها لها رجوع (الخنس)، ثم تختفي عند طلوع الفجر وشروق الشمس.. فهي تشبه غزالا يتصيد طعامه في الليل وما أن يحل النهار حتى يختفي عن أنظار الصيادين والحيوانات المفترسة فيذهب إلى (كناسه)، ولذا وصفت الكواكب بـ (الكنس)[2]

ثم ذكر احتمالات أخرى يمكن أن تنطبق عليها الآيات، فقال: (وثمة احتمال آخر لـ ﴿الكنس﴾: اختفاء الكواكب في ضوء الشمس.. أي إنها حينما تدور حول الشمس، تصل في بعض الوقت إلى نقطة مجاورة للشمس فيختفي نورها تماما عن الأبصار، وهوما يعبر عنه علماء الفلك بـ (الاحتراق).. و(الكنس) في نظر بعض آخر: إشارة إلى دخول الكواكب في

---

(١) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/ ٤٦٠.

(٢) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/ ٤٦٠.

البروج السماوية، وذلك الدخول يشبه اختفاء الغزلان في أماكن أمنها.. وكما هو معروف، إن كواكب مجموعتنا الشمسية لا تنحصر بهذه الكواكب الخمس، بل ثمة ثلاثة كواكب أخرى(أورانوس، بلوتون، نبتون) ولكنها لا ترى بالعين المجردة لبعدها عنا، وللكثير من هذه السيارات قمرا أوأقمارا، فعدد كواكب هذه المجموعة بالإضافة إلى الأرض هو تسعة كواكب) [1]

وبعد أن ذكر هذا وغيره بين مغزى القسم، فقال: (وعلى أية حال، فكأن القرآن الكريم يريد بهذا القسم المليء بالمعاني الممتزجة بنوع من الإبهام، كأنه يريد إثارة الفكر الإنساني، وتوجيهه صوب الكواكب السيارة ذات الوضع الخاص على القبة السماوية، ليتأمل أمرها وقدرة وعظمة خالقها سبحانه وتعالى، وثمة احتمالات أخرى في هذا الموضوع أهملناها لضعفها) [2]

فها أنتم ترون كيف فسرها بما يقتضيه العلم والواقع، وذكر الاحتمالات المختلفة لكنه لم يعرج أبدا إلى ذلك الفهم الذي وردت به الرواية التي ذكرتم.. بل إنه ذكر ما يخالفها، فقد روى عن الإمام علي أنه سئل: ما الخنس، الجوار الكنس؟ فقال: (هي الكواكب، تخنِس بالنهار فلا ترى، وتكنس بالليل فتأوي إلى مجاريها.. وهن: بَهْرام، وزُحَل، وعُطَارد، والزُّهْرة، والمشتري) [3]

قال آخر: وقال آخر في تفسيرها: (قسما بالنجوم التي تختفي وتظهر، وبالليل حيث يخيم ظلامه، وبالصبح حين يبسط نوره على الأفق.. إن القرآن وحي اللهّ الذي أنزله جبرئيل

(1) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/ ٤٦٠.

(2) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/ ٤٦١.

(3) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثورللسيوطي ٦/ ٥٢٨، ومجمع البيان: ج١٠، ص٤٤٦.

على الرسول الكريم.. هذه الحقائق تتواصل في جو تلك الصورة المؤثرة لتكون أبلغ أثرا، وأعظم وقعا.. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ يبدو أن اللام هنا زائدة لتأكيد معنى القسم.. أليس معناه التهويل؟ فإذا نفي القسم دل على عظمة ذلك الشيء الذي يتحرز المتحدث عن القسم به، وهذا أشد وقعا في النفس، فما هو الخنّس؟ قالوا: خنس بالضم خنوسا: تأخّر، وأخنسه، غيره: إذا خلفه ومضى عنه.. و﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ والجوار جمع جارية، بينما الكنس جمع الكناس اي الغيّب.. وروي عن الامام علي: (هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر الليل، وتكنس في وقت غروبها) وروي عنه: (هي الكواكب الخمسة الدراري: زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة) وقيل: المراد من (الخنس) البقر الوحش، و(الكنس) الظباء.. وروي عن علي وعطاء ومقاتل وقتادة: أنها هي جميع الكواكب، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار، وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل، أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها.. ويبدو لي أن الفرق: أن هناك نجوما وكواكب ثابتة على مدار السنة، وهناك نجوما وكواكب فصلية ربما تبقى ليلة أو حتى جزء من ليلة أو فصل كامل.. و لكن من ظاهر الآيتين: أن قوله: (الجوار الكنس) تفسير للخنس، فعلى هذا التفسير نستطيع أن نفهم لما ذا كلمة (الخنس) تشابه كلمة الكنس) [1]

ثم علق على هذه التطبيقات المختلفة بقوله: (ألا ترى كيف تهجم جحافل الظلام جند النور فتهزمه دون أن يكون لنا سلطان به نمنع ورود الليل أو نحافظ على بقية ضياء من نهار، أفلا نتذكر آنئذ أننا مربوبون، وأن لهذا العالم ربّا حكيما يدبّر أمره وأمرنا، وأنه لا بد أن قد خلقنا لأمر عظيم، وأنه باعث إلينا رسولا من عنده ينبئنا بذلك الأمر؟!)[2]

---

(١) من هدي القرآن١٧/ ٣٦٧.

(٢) من هدي القرآن١٧/ ٣٦٧.

قال آخر: وقال آخر: (يؤيد كون المراد بالخنس الجوار الكنس الكواكب كلها أوبعضها لكن صفات حركة بعضها أشد مناسبة وأوضح انطباقا على ما ذكر من الصفات المقسم بها: الخنوس والجري والكنوس وهي السيارات الخمس المتحيرة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد فإن لها في حركاتها على ما تشاهد استقامة ورجعة وإقامة فهي تسير وتجري حركة متشابهة زمانا وهي الاستقامة وتنقبض وتتأخر وتخنس زمانا وهي الرجعة وتقف عن الحركة استقامة ورجعة زمانا كأنها الوحش تكنس في كناسها وهي الإقامة.. وقيل: المراد بها مطلق الكواكب وخنوسها استتارها في النهار تحت ضوء الشمس وجريها سيرها المشهود في الليل وكنوسها غروبها في مغربها وتواريها.. وقيل: المراد بها بقر الوحش أوالظبي ولا يبعد أن يكون ذكر بقر الوحش أوالظبي من باب المثال والمراد مطلق الوحوش.. وكيف كان فأقرب الأقوال أولها والثاني بعيد والثالث أبعد) [1]

فهل تلاحظون أن هذا التفسير وما سبقه، يختلف عن أي تفسير آخر يورده عامة المفسرين من المدارس المختلفة.

سنفرغ لكم أيها الثقلان:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، فقد روي في تفسيرها عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن هارون ابن خارجة، عن يعقوب بن شعيب، عن الإمام الصادق أنه قال فيها: (الثقلان: نحن والقرآن)[2].. وفي رواية: (كتاب الله ونحن)

---

(١) الميزان في تفسير القرآن٢٠/ ٢١٧.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٣٢٢)

قال أحد المتهمين[1]: في سند هذه الروايات المفسّرة محمّد بن عيسى اليقطيني، وهو من أصحاب الإمام الهادي، وهو ضعيف يرى مذهب الغلو.. وفيها أبان بن عثمان البجلي، روى عن الإمام الصادق والكاظم، وكان ناووسياً، وفي قبول روايته خلاف.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك، فإن الملاحظ بشكل عابر لسورة (الرحمن) وآياتها يجد أنّها تخاطب الإنسان والجنّ مثل الآيتين السَّابقتين على هذه الآية، وهما: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] و﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، كما أنّ الآية التي بعدها صريحة في ذلك، وهي قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].. بالإضافة إلى أنّه لو كان المراد بـ ﴿الثقلان﴾ الكتاب والعترة، فلا بدّ من أن يكون المخاطب فيها بعد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٤] هو القرآن والعترة أيضاً، فهل يمكن أن يكونا مكذِّبين بنعمته سبحانه؟!

قال آخر: ولهذا نرى كل علمائنا يفسرون الآية الكريمة بحسب ما يقتضيه سياقها، وقد قال بعضهم في ذلك: (نعم، إن الله العالم القادر سيحاسب في ذلك اليوم الإنس والجن حسابا دقيقا على جميع أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، ويعين لكل منهم الجزاء والعقاب.. ومع علمنا بأن الله سبحانه لا يشغله عمل عن عمل، وعلمه محيط بالجميع في آن واحد، ولا يشغله شيء عن شيء، ولا يشغله شأن عن شأن، ولكننا نواجه التعبير في ﴿سنفرغ﴾ والتي تستعمل غالبا بالتوجه الجاد لعمل ما، والانصراف الكلي له، وهذا من شأن المخلوقات بحكم محدوديتها.. إلا أنه إستعمل هنا لله سبحانه، تأكيدا على مسألة حساب الله تعالى

(١) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٨.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٨.

لعباده بصورة لا يغادر فيها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا يغفل عن مثقال ذرة من أعمال الإنسان خيرا أوشرا، والأظرف من ذلك أن الله الكبير المتعال هو الذي يحاسب بنفسه عبده الصغير، وعلينا أن نتصور كم هي مرعبة ومخيفة تلك المحاسبة) (١)

ثم فسر المراد بالثقلين في الآية الكريمة، فقال: (﴿الثقلان﴾ من مادة (ثقل) على وزن (كبر) بمعنى الحمل الثقيل وجاءت بمعنى الوزن أيضا، إلا أن (ثقل) على وزن (خبر) تقال عادة لمتاع وحمل المسافرين، وتطلق على جماعة الإنس والجن وذلك لثقلهم المعنوي، لأن الله تبارك وتعالى قد أعطاهم عقلا وشعورا وعلما ووعيا له وزن وقيمة بالرغم من أن الثقل الجسدي لهم ملحوظ أيضا كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، حيث ورد أن أحد معانيها هو خروج الناس من القبور في يوم القيامة، إلا أن التعبير في الآية مورد البحث جاء باللحاظ المعنوي، خاصة وأن الجن ليس لهم ثقل مادي، والتأكيد على هاتين الطائفتين بالخصوص لأن التكاليف الإلهية مختصة بهما في الغالب) (٢)

قال آخر: وقال آخر: (﴿الثقلان﴾: أصله من الثقل، وكلّ شيء له وزن وقدر فهو ثقل، وإنّما سمّيت الإنس والجن ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما) (٣)

ثم قال: (و﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] لا تعني أن ربنا كان مشغولا عنهم بحيث لم يتسع لهم وقته، ولم تحتمل قدرته بما عنده من الشؤون كلّا.. سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، إنما الغاية من الفراغ تمام التدبير والقدرة والجزاء، ومنه قولنا (تفرغ فلان للعمل أي انصب عليه بكامل قدرته ووعيه وإرادته)، والآية تشير إلى أن ألله أعطى الثقلين حرية

(١) الأمثل، الشِيرازي، ١٧/ ٤٠٦.

(٢) الأمثل، الشِيرازي، ١٧/ ٤٠٦.

(٣) من هدي القرآن١٤/ ٣٠٣.

نسبية في الدنيا، أما في الآخرة فالأمر لله وحده ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].. و لك أن تتصور شيئا من الرهبة التي تحملها إلينا كلمة سنفرغ، إذا علمت أنه تهديد من رب العزة والقدرة المطلقة، الى مخلوق ضعيف محدود كالإنسان الذي تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة، كما يصفه الامام علي بن أبي طالب، ويكفي هذا الوعيد العاقل الذي يلقي سمعه شهيدا أن يتورع عن التكذيب بآيات ربه ونعمه)[1]

قال آخر: وهذا لا يتنافى مع إطلاق اصطلاح [الثقلين] على القرآن الكريم والعترة الطاهرة في غير هذا المحل، كما صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة المتفق عليها في المصادر الإسلامية جميعا، ومنها قوله ﷺ: (إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به، لن تضلوا بعدي: الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[2]

وقد قال القاضي عياض في تفسيرها: (قِيل سُمِّيَا بذلك؛ لعِظم أقدارهما، وقيل: لشدَّة الأخْذ بهما)[3]، وقال النوويُّ: (سمِّيَا ثَقلين؛ لعظمهما، وكبير شأنهما)[4]

هذا الذي كنتم به تكذبون:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٦-١٧]، فقد ورد في تفسيرها عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن قلت: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، قال:

---

(١) من هدي القرآن١٤/ ٣٢٠.

(٢) رواه أحمد (١١٥٧٨) ، وابن أبي عاصم في (السنة) (١٥٥٣) ، وأبو يعلى (١١٤٠) ، والطبراني في (المعجم الكبير) (٣/ ٦٥) (٢٦٧٨) ، والبغوي في (شرح السنة) (٣٩١٤)

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١٣٤)

(٤) شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٨٠)

(هم الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم)، قلت: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧] قال: (يعني أمير المؤمنين)، قلت: تنزيل؟ قال: (نعم)[1]

قال أحد المتهمين[2]: يكفي في رد هذه الرواية أن يكون في سندها محمّد بن الفضيل، وهو من الغلاة المعروفين.. بالإضافة إلى أن الآيات السابقة على هذه الآية صريحة في أنّ الأمر الذي وقع مورد التكذيب هويوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٠-١٣]

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (بعدما ذكرت آخر آية من الآيات السابقة مصير المكذبين، تأتي الآيات أعلاه لتشرح حالهم، فتقول: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المطففين: ١١]، وهويوم القيامة.. وتقول أيضا: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: ١٢].. فإنكار القيامة لا يستند على المنطق السليم والتفكير الصائب والاستدلال العقلي، بل هونابع من حب الاعتداء وارتكاب الذنوب والآثام.. فهم يريدون الإستمرار بالذنوب والإيغال بالإعتداءات وبكامل اختيارهم، ومن دون أي رادع يردعهم من ضمير أوقانون، وهذا الحال شبيه ما أشارت إليه الآية من سورة القيامة: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٥-٦]، وعليه، فهو يكذب بيوم الدين.. وعلى هذا الأساس، فإن للممارسات السيئة أثر سلبي على عقيدة الإنسان، مثلما للعقيدة من أثر على سلوكية

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٧٩٩)

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٨.

وتوجيهات الإنسان)[1]

دين القيمة:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].. فقد ورد في تفسيرها عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن الإمام الباقر.. أن ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ[2].

قال أحد المتهمين[3]: في سند هذه الروايات المفسّرة أبو عبد الله، عمروبن الشمر بن يزيد الجعفي، روى عن الإمام الصادق، وقد عُدّ في الضعاف ووضّاع الحديث.. بالإضافة إلى أن (ذلك) اسم إشارة للأمر السابق الوارد في هذه الآية وهو: عبادة الله سبحانه بإخلاص، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فهذه هي الدعائم التي أقام سبحانه عليها دينه وأمر الناس بها.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (جملة ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] إشارة إلى أن الأصول المذكورة في الآية وهي: التوحيد الخالص، والصلاة (الارتباط بالله)، والزكاة (الارتباط بالناس) من الأصول الثابتة الخالدة في جميع الأديان، بل إنها قائمة في أعماق فطرة الإنسان، ذلك لأن مصير الإنسان يرتبط بالتوحيد، وفطرته تدعوه إلى معرفة المنعم وشكره، ثم إن الروح الاجتماعية المدنية للإنسان تدعوه إلى مساعدة المحرومين.. من هنا، هذه التعاليم لها

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٢٥.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٩٣٧)

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٨.

جذور في أعماق الفطرة، وهي لذلك كانت في تعاليم كل الأنبياء السابقين وتعاليم خاتم النبيين ﷺ)[1]

قال آخر: وقال آخر: (وهذه درجة الحنيفية.. ومن أبعادها الالتزام بشرائع الله: من إقامة الصلاة على وجهها، إلى الخضوع فيها وتعاهدها دائما، وكذلك إيتاء الزكاة.. بدلالة قوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٣].. بلى، إنها كتب لا عوج فيها ولا تعقيد، ولا تفاوت ولا اختلاف، ولا نشوز عن فطرة البشر أو حقائق الخلق.. ولا يجوز الاختلاف بين أتباع دين واحد، كما لا يمكن توحيد دين الحق ومذهب الباطل، بل لا بد أن يبقى الخلاف ماثلا بين الحق والباطل وهو أساس توحيد الله، وحينما ينماث الخلاف بينهما هنالك يغلب الباطل ويهزم أهل الحق، وهكذا يذكرنا السياق هنا بأن الكفار هم شرّ البرية) [2]

قال آخر: وقال آخر: (﴿وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي الكتب القيّمة أو الشريعة القيّمة.. والمراد: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد، وإذا تحدثنا عن التوحيد، فإننا نتحدث عن العقيدة التي تربط الإنسان بكل أحواله الخاصة أو العامة بالله، بحيث لا يتحرك إلا من خلاله، ولا يسكن إلا بأمره، وهو الذي يختصر العقيدة كلها، والشريعة كلها في كلمة واحدة هي كلمة: (ربنا الله) ثم الاستقامة على هذا الخط.. وبذلك يفترق الناس في الموقف والمصير على أساس التزامهم بالخط وابتعادهم عنه، وهذا هو أساس التقييم القرآني لهم، في من هو الشرّير، وفي من هو الخيّر، وفي من هو في النار، أو هو في الجنة) [3]

نارا تلظى:

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٣٦١.

(٢) من هدي القرآن١٨/ ٢٦٥.

(٣) من وحي القرآن٢٤/ ٣٦٢.

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٤-١٧] فقد ورد أن المراد من قوله ﴿ناراً تلظّى﴾ الإمام المهدي، وأنه عندما يخرج وينتفض غاضباً، يقتل من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، والمراد بـ (الأشقى) عدو آل محمّد ﷺ و(الأتقى) هو الإمام علي[1].

قال أحد المتهمين[2]: في سند هذه الروايات المفسّرة عمرو بن شمر، وهو ضعيف غال.. بالإضافة إلى أن هذا الحديث يخالف ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من أن حركة الإمام المهدي كباقي بعثات الأنبياء رحمةً وهداية، وهو يتناقض مع هذا الوصف الذي وصفت به، فلو فرضنا أنّ عدد سكّان الأرض وقتئذ عشرة مليارات إنسان، فإنّه سيبقى منهم عشرة ملايين شخص فقط، والباقي سيقتلون على يديه، فهل ثمّة تشويه من هذا بحقّه؟!

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (الإنذار والتحذير من سبل الهداية، ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].. و﴿تلظى﴾ من اللظى، وهو الشعلة المتوهجة الخالصة والشعلة الخالصة من الدخان ذات حرارة أكبر، وتطلق ﴿لظى﴾ أحيانا على جهنم.. ثم تشير الآية إلى المجموعة التي ترد هذه النار المتلظية الحارقة وتقول: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥].. وفي وصف الأشقى تقول الآية: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٦]، فمعيار الشقاء والسعادة ـ إذن ـ هو الكفر والإيمان وما ينبثق عنهما من موقف عملي، إنه

(١) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٧١.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٥٩.

لشقي حقا هذا الذي يعرض عن كل معالم الهداية وعن كل الإمكانات المتاحة للإيمان والتقوى.. بل إنه أشقى الناس.. وعبارة ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٦] قد يكون التكذيب إشارة إلى الكفر، والتولي إشارة إلى ترك الأعمال الصالحة، إذ هو ملازم للكفر، وقد يشير الفعلان إلى ترك الإيمان، ويكون التكذيب بنبي الاسلام، والتولي الإعراض عنه)[1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى﴾ وتشتعل بلهيبها المحرق﴿ لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي بلغ الذروة في شقوته من خلال عمق التنكر لربه، والتمرد على رسله، هذا ﴿الَّذِي كَذَّبَ وتَوَلَّى﴾ لأنه يعيش أجواء الرفض للرسالة قبل أن يستوعب فكرها ومنهجها وشريعتها، من خلال رفضه للالتزام بالاستقامة في الخط، لأنه يريد أن يأخذ حريته في السير وفق هواه، مما يجعل من تكذيبه للرسول وإعراضه عن الرسالة معنى في العقدة الذاتية المستحكمة، لا خطّا في الفكر المضادّ، لأن المفكر لا يعرض عن أيّة فكرة، بل يقبل على الدخول في نقاش حولها، ليكون قبوله عن وعي، ورفضه عن موقف للفكر في نتائج الحوار.. وإذا كانت العقدة الخبيثة تتحول إلى حالة عدوانية في السلوك، فإن من الطبيعي أن يكون مصيره صورة لعمله، فإن الذي يهيّئ النار الحاقدة في الشعور ضد الإيمان والمؤمنين، لا بد من أن يلتقي في الآخرة بالنار التي أعدها اللهّ للكافرين)[2]

فكّ رقبة:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى:﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٤]، فعن محمد بن جمهور، عن يونس، قال: أخبرني من رفعه إلى الإمام الصادق: (يعني بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾

(١) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٢٦٠.

(٢) من وحي القرآن٢٤/ ٢٩٩.

ولاية أمير المؤمنين، فإن ذلك فك رقبة)[1]

قال أحد المتهمين[2]: في سند هذه الرواية المفسّرة محمّد بن جمهور العمّي، وهومن الغُلاة.. بالإضافة إلى أنه قد ورد في الآية أمران على نحوالتخيير بعنوان: (العقبة)، وهما (فكّ رقبة) و(الإطعام)، فهل ولاية الإمام علي تقدّر بإطعام مسكين؟!.. وهل يمكن بناء على هذا التأويل يصبح الناس مخيّرين بين ولاية الإمام علي وبين إطعام المسكين.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (المقصود من (فك رقبة) على الظاهر هوتحرير العبد والرقيق، وقد روي أن أعرابيا جاء إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة، فأجابه رسول الله ﷺ: (إن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة: اعتق النسمة وفك الرقبة)، فقال الأعرابي: أوليسا واحدا؟!.. قال: (لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها)، ثم قال: (والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من الخير)[3])[4]

ثم ذكر بعض مصاديق ذلك، فقال نقلا عن بعض المفسرين أن معنى (فك رقبة) (تحرير الفرد رقبته من الذنوب بالتوبة، أوتحرير نفسه من العذاب الإلهي بتحمل الطاعات)، ثم عقب عليها بقوله: (غير أن ما جاء في الآيات التالية من توصية باليتيم والمسكين يؤيد أن المقصود هو تحرير رقبة العبد)[5]

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٨٦٨)

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٠.

(٣) نور الثقلين٥/ ٥٨٣.

(٤) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٢٢١.

(٥) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٢٢١.

قال آخر: قال آخر: (﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي تحريرها وعتقها لتعود إنسانا حرّا يملك إرادته وحركته وكل شؤون حياته، مما يوحي بأن مسألة حرية الإنسان من العبودية في إعتاقه من الرق، تمثل مدخلا لرضى اللهَّ، لأن مسألة الاسترقاق في الإسلام لم تكن مسألة اختارها الإسلام في شريعته كواقع تشريعيّ يؤكد على استجابة الناس له، في ما يريد لهم أن يأخذوا به ويسعوا إليه كأمر محبوب لديه، بل هي مسألة الواقع الذي عاش الإسلام في داخله من خلال التاريخ السحيق الذي أوجد للرقّ نظاما وحشيا لا يتقيّد بأيّ خلق إنسانيّ وأيّة عاطفة روحيّة، بحيث أسقط كل إنسانية الإنسان من حساباته التشريعية، فعمل الإسلام على تجفيف منابعه، وأبقى بعضها من خلال ما قد تفرضه الضرورات العامة في حركة العلاقات بينه وبين معسكر الكفر في بعض دوائر الحرب والسلم، وجعل لوليّ الأمر الكثير من الصلاحيات في المنّ والفداء في أسرى الحرب، ووجّه كل التشريع الاجتماعي نحو تحرير الرقيق، كعبادة شرعية ترفع مستوى الإنسان في درجة القرب عند اللهَّ، ولذلك، رأينا الواقع الإسلامي خاليا من العبيد، بفضل الطريقة الواقعية للتحرير التي درج عليها المؤمنون في مختلف مواقع التاريخ الإسلامي، حتى في العصور المظلمة منه من دون حاجة إلى أيّة ثورة للتحرير، كما حدث في أنحاء متفرقة من العالم)(١)

هل رأيتم ـ سيدي ـ هذه المعاني السامية التي ذكرها هذا المفسر؟ وهل ترونها متنافية مع ما ذكره سائر المفسرين؟ أو ترونها متنافية مع ما جاء به الإسلام من القيم الإنسانية؟

قال المدعي: لا بأس.. فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهَّ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ

(١) من وحي القرآن٢٤/ ٢٧٠.

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٨-٢٩]، وأن المراد بقوله ﴿وليقضوا تفثهم﴾ هولقاء الإمام عليّ[١].

قال أحد المتهمين[٢]: في سند تلك الرواية أبوسعيد، سهل بن زياد الآدمي، وهو من أصحاب الإمام الهادي والعسكري، وهو ضعيف في نقل الحديث، وقد أخرجه أحمد بن محمّد بن عيسى من قم لغلوّه.

قال آخر: ولهذا اتفق جميع المفسرين على المعنى الظاهر من الآية الكريمة، وقد قال بعضهم معبرا عن ذلك: (كلمة (تفث) تعني ـ كما قال كبار اللغويين والمفسرين ـ القذارة وما يلتصق بالجسم وزوائده كالأظافر والشعر.. ويقول البعض: إن أصلها يعني القذارة التي تحت الأظافر وأمثالها.. وقد فسرت في الأحاديث الإسلامية بتقليم الأظافر وتطهير البدن ونزع الإحرام.. وبتعبير آخر: تشير هذه العبارة إلى برنامج (التقصير) الذي يعد من مناسك الحج، وجاء في أحاديث إسلامية أخرى بمعنى حلاقة الرأس التي تعتبر أحد أساليب (التقصير)، كما جاء في (كنز العرفان) حديث رواه ابن عباس في تفسير هذه الآية: (القصد إنجاز مشاعر الحج كلها) إلا أنه لا سند لدينا لحديث ابن عباس هذا)[٣]

قال آخر: لكنه لم يمنع من احتمال أن يراد به معنى آخر من حيث الباطن والمصداق، فقال: (والذي يلفت النظر في حديث عن الإمام الصادق أنه فسر عبارة (ليقضوا تفثهم) بلقاء الإمام، وعندما سأله الراوي عبدالله بن سنان عن توضيح لهذه المسألة قال: (إن للقرآن ظاهرا وباطنا).. وهذا الحديث ربما كان إشارة إلى ملاحظة تستحق الاهتمام، وهي أن

---

(١) الكافي، ٦/ ٥٤٩، من لا يحضره الفقيه، ٢/ ٤٨٤ و٤٨٥.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٠.

(٣) الأمثل، الشيرازي، ١٠/ ٣٣٣.

حجاج بيت الله الحرام يتطهرون عقب مناسك الحج ليزيلوا الأوساخ عن أبدانهم، فعليهم أن يطهروا أرواحهم أيضا بلقاء الإمام، خاصة وأن الخلفاء الجبابرة كانوا يمنعون لقاء المسلمين لإمامهم في الظروف العادية، لهذا تكون أيام الحج خير فرصة للقاء الإمام، وبهذا المعنى نقرأ حديثا للإمام الباقر قال فيه: (تمام الحج لقاء الإمام).. وكلاهما ـ في الحقيقة ـ تطهير، أحدهما تطهير لظاهر البدن من القذارة والأوساخ، والآخر تطهير باطني من الجهل والمفاسد الأخلاقية)[1]

وأنت ترى ـ سيدي ـ أن هذا المعنى لا يتناقض مع المعنى الظاهر، ولا يتنافى معه، بل هو فهم من الفهوم المكملة له.. فالحج مناسبة عظيمة للقاء الصالحين والاستفادة منهم، وليس مجرد قيام بالمناسك الظاهرية.

والتين والزيتون:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]، فقد روي في تفسيرها أن التين والزيتون هما الحسن والحسين.

قال أحد المتهمين[2]: في سند هذه الروايات المفسّرة محمّد بن القاسم، وهو ضعيف كذّاب.. وعبد الله بن عبد الرحمن الأصمّ، وهو ضعيف غال كذّاب، من البصرة.. ومحمّد بن الفضيل، وهو غال.. ومحمّد بن عيسى بن عُبيد اليقطيني، وهو غال.. وبدر بن الوليد وأبوالربيع الشامي، وكلاهما مجهول.. ولذلك فإن ما نعتقده، في شأن هذه الأحاديث، هوأنّها من صنع الغُلاة بهدف الحطّ من مقام الأئمّة، ولعلّ وضّاعها كانوا يرمون إلى ذلك أيضاً.

---

(١) الأمثل، الشِيرازي، ١٠/ ٣٣٤.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦١.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (التين والزيتون: ثمرتان معروفتان، واختلف المفسرون في المقصود بالتين وبالزيتون، هل هما الفاكهتان المعروفتان أم شيء آخر.. بعضهم ذهب إلى أنهما الفاكهتان بما لهما من خواص عذائية وعلاجية كبيرة.. وبعض آخر قال: المقصود منهما جبلان واقعان في مدينتي (دمشق) و(بيت المقدس) لأن المكانين منبثق كثير من الرسل والأنبياء.. وبذلك ينسجم هذان القسمان مع ما يليهما من قسمين بأراض مقدسة.. وقال آخرون: إن تسمية الجبلين بالتين والزيتون يعود إلى وجود أشجار التين على أحدهما والزيتون على الآخر.. وقال بعضهم: إن التين إشارة إلى عهد آدم عليه السلام، إذ أن آدم وحواء طفقا يضعان على عوراتهما من ورق التين في الجنة، والزيتون إشارة إلى عهد نوح لأنه أطلق في آخر مراحل الطوفان حمامة فعادت وهي تحمل غصن الزيتون، ففهم نوح عليه السلام أن الأرض بدأت تبتلع ماءها وظهرت اليابسة، لذلك اتخذ غصن الزيتون رمزا للسلام.. وقيل: إن التين إشارة إلى مسجد نوح عليه السلام الذي بني فوق جبل الجودي، والزيتون إشارة إلى بيت المقدس)[1]

ثم عقب على كل هذه المعاني بقوله: (ظاهر الآية يدل على أن المقصود هوالفاكهتان المعروفتان، ولكن القسمين التاليين يجعلان تفسير التين والزيتون بالجبلين أوالمركزين المقدسين أنسب)[2]

قال آخر: وقال آخر: (﴿والتِّينِ والزَّيْتُونِ﴾ الظاهر من هاتين الكلمتين اللتين أقسم اللهَّ بهما، أن المراد بهما، الفاكهتان المعروفتان المتميزتان بخصائص غذائية ومذاقية معينة،

---

(١) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/٣٠٦.

(٢) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/٣٠٦.

تجعلها في موقع الإبداع من خلق اللهّ، وفي موقع النعمة من نعم اللهّ، وقد جاء في بعض التفاسير، أن المراد بها شجرتا التين والزيتون، وقيل: المراد بالتين الجبل الذي عليه دمشق، وبالزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، وقيل: إن المناسبة في إطلاق الفاكهتين على الجبلين باعتبار أنهما منبتاهما، ولعلّ القسم بهما لكونهما مبعثي جمّ غفير من الأنبياء.. و ربما كان هذا التوجيه ناشئا من محاولة إيجاد نوع من التناسب بين هاتين الكلمتين وبين الكلمتين التاليتين، ولكن ذلك خلاف الظاهر في طبيعة مدلول الكلمتين، وقد لا يكون هناك أيّ ابتعاد عن التناسب في الجمع بين هاتين الفاكهتين اللتين تمثلان موضع نعمة اللهّ المادية، كما هما الكلمتان التاليتان اللتان تمثلان منطلق نعمة اللهّ الروحية) [1]

وطور سينين:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، فقد روي في تفسيرها أنه الإمام علي، وفي خبر آخر أنه الحسن والحسين[2].

قال أحد المتهمين[3]: في سند أحد هذه الروايات المفسّرة محمّد بن الفضيل، وفي الآخر محمّد بن عيسى بن عبيد، وكلاهما غال، وأما قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، فالرواية في تأويله مرسلة [4].

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (﴿طُورِ سِينِينَ﴾ قيل هو: طور سيناء، وهو الجبل المعروف

---

(١) من وحي القرآن٢٤/ ٣٢٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٥٧.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٧.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٧٧.

في صحراء سيناء حيث أشجار الزيتون المثمرة، وحيث ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربّه، و(سيناء) تعني المبارك، أو كثير الأشجار، أو الجميل.. و قيل: إنّه جبل قرب الكوفة في أرض النجف.. و قيل: إنّ سينين وسيناء بمعنى واحد وهو كثير البركة.. و﴿هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، مكّة، الأرض التي كانت في عصر الجاهلية أيضا بلدا آمنا وحرما إليها، ولا يحق لأحد فيها أن يتعرض لأحد، المجرمون والقتلة كانوا في أمان إن وصلوا إليها أيضا.. وهذه الأرض لها في الإسلام أهمية عظمى، الحيوانات والنباتات والطيور فيها آمنة فما بالك بالإنسان)[1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿طُورِ سِينِينَ﴾ وقيل في معنى (سينين) الحسن باللغة السريانية، وقيل: إن كل جبل ذا أشجار مثمرة يسمى بسينين.. وأنى كان فإن الصورة تنسجم مع القسم بالتين والزيتون من جهة وبالبلد الأمين من جهة أخرى، حيث قال ربنا سبحانه: ﴿وهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ذلك أن أصول مدنيّة الإنسان: الطعام، والأرض، والسلام؛ فإذا كان التين والزيتون مثلا لأرقى أنواع الطعام، وطور سينين لأحسن الأراضي وأكثرها بركة، فإن البلد الأمين مثل لأفضل البلاد وهي بلاد الأمن، ويتناسب هذا الإطار مع محور السورة المتمثل في خلق الإنسان بأحسن تقويم، ذلك لأن تسخير الحياة له، وإعداد طعامه وأرضه، وتوفير الأمن، وبالتالي توفير وسائل المدنيّة له بعض جوانب حسن صنعه إليه وجميل عطائه له)[2]

يا ليتني كنت ترابا:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ

---

(1) الأمثل ٢٠/٣٠٨.

(2) من هدي القرآن١٨/ ٢٠٦.

عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، فقد روي في تفسيرها: إنّ الكفّار يقولون يوم القيامة: (يا ليتنا كنّا في زمرة شيعة أبي تراب)[١]

قال أحد المتهمين[٢]: في سند هذه الروايات المفسّرة محمّد بن عيسى بن عُبيد وبكر بن عبد الله بن حبيب، والأوّل من الغُلاة، والثاني لا يتحاشى نقل الأحاديث المنكرة[٣].. بالإضافة إلى أن تأويل (يا ليتني كنت تراباً) بـ (يا ليتني كنت من شيعة أبي تراب) بعيد جدا، ولا ينسجم مع بلاغة القرآن الكريم.. فالجري والتطبيق لا ينبغي أن يتجاوز بلاغته.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (حينما يرى الكفار أعمالهم مجسمة أمامهم سيهالهم الموقف وتصيبهم الحسرة والندامة، حتى يقولون: يا ليتنا لم نتجاوز منذ البداية مرحلة التراب في خلقنا، وعندما خلقنا في الدنيا، ثم متنا وتحولنا إلى التراب، فيا ليتنا بقينا على تلك الحال ولم نبعث من جديد!.. فهم يعلمون بأن التراب بات خيرا منهم، لأنه: تغرس به حبة واحدة فيعطي سنابل، وهو مصدر غني للمواد الغذائية والمعدنية والبركات الأخرى، مهد لحياة الإنسان، ومع ما له من فوائد جمة فهو لا يضر قط، بعكس ما كانوا عليه في حياتهم، فرغم عدم صدور أية فائدة منهم، فليس فيهم إلا الضرر والأذى!.. نعم، فقد يصل الأمر بالإنسان، وعلى الرغم من كونه أشرف المخلوقات، لأن يتمنى أن يكون والجمادات بدرجة واحدة، لما بدر منه كفر وذنوب)[٤]

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٢٣.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٢.

(٣) الحديث المعروف هوالحديث الذي يكون مضمونه أشهر عند الرواة من الحديث المعارض له وبعكسه الحديث المنكر، فهوالذي ينقله غير الثقة ويكون مخالفاً للمعروف. (انظر: دراية الحديث، كاظم مدير شانه چي/ ٦٩)

(٤) الأمثل، الشِيرازي، ١٩/ ٣٦٣.

قال آخر: وقال آخر: (حين يرى المؤمن عمله يفرح كثيرا، ولكن حين يرى الكافر عمله يتمنّى لو كان ترابا ولم يرتكب ذلك العمل السيء.. ﴿وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ ما أشد هذا الإنسان ندما أن يصل إلى هذه الدرجة فيتمنّى لو كان ترابا، ولم يقترف تلك الجرائم.. هذا الإنسان الذي خلقه اللهّ سبحانه ليكون ضيفا عنده في جنات الخلد بلغ به الحال أن يكون أرذل من التراب؛ فكيف والتراب ينتفع به وهو لا ينتفع به؟! بل يستحق المزيد من الهوان والأذى) (1)

قال آخر: وقال آخر: (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه من خير أو شر في ما كان يأخذ به من قضايا العقيدة والعمل، ويتطلع إلى النتائج من خلال ذلك، فيرتاح المتقون لأعمالهم ويؤكدون الثقة بمستقبلهم، ويطمئنون لثواب الله.. أما الكافر، فإنه ينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور، ويعيش التمنيات اليائسة، ويقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا لا مجال فيه للحس ولا للوعي ولا للحركة، بل هو الموت الجامد الذي لا ينتهي إلى حياة، لئلا يواجه المسؤولية بهذا المستوى الكبير في مثل هذا اليوم العظيم) (2)

أهل الكتاب:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1]، فقد روي في تفسيرها أن (أهل الكتاب) هم الشيعة، و(الذين كفروا) هم المكذّبون بهم و(المشركون) المرجئة(3).

(1) من هدي القرآن١٧/ ٢٧٦.

(2) من وحي القرآن٢٤/ ٢٤.

(3) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٨٩.

قال أحد المتهمين[1]: في سند هذه الرواية المفسّرة عمرو بن شمر وهوضعيف وضّاع.. بالإضافة إلى أنه من الواضح أنّ ﴿من﴾ في الآية بيانيّة، توضّح أنّ المراد من ﴿الذين كفروا﴾ أهل الكتاب والمشركين، كما أنّ ﴿المشركين﴾ عطف على ﴿أهل الكتاب﴾، ولكن بناءً على التأويل المذكور، فإنّ لفظ ﴿المشركين﴾ عطف على ﴿الذين كفروا﴾ لا على ﴿أهل الكتاب﴾، وعليه فلا بدّ من أن يكون ﴿المشركون﴾ بالرفع لا بالجرّ [2].

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (في بداية السورة ذكر لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) ومشركي العرب قبل ظهور الإسلام، فهؤلاء كانوا يدعون أنهم غير منفكين عن دينهم إلا بدليل واضح قاطع.. و(البينة) التي أرادوها: رسول من الله يتلوعليهم كتابا مطهرا من رب العالمين.. وهذه الصحف فيها من الكتابة ما هوصحيح وثابت وذوقيمة.. كان هذا ادعاؤهم قبل ظهور الإسلام، وحينما ظهر ونزلت آياته تغير هؤلاء، واختلفوا وتفرقوا.. وما تفرقوا إلا بعد أن جاءهم الدليل الواضح والنبي الصادح بالحق.. فالآيات الأولى لهذه السورة المباركة تتحدث عن أهل الكتاب والمشركين الذين كانوا يدعون أنهم سوف يقبلون الدعوة إن جاءهم نبي بالدلائل الساطعة، لكنهم أعرضوا حين ظهر، وجابهوه، إلا فريق منهم آمن واهتدى) [3]

ثم ذكر تفسيرا آخر للآية، فقال: (جمع من المفسرين لهم رأي آخر في تفسير الآية، يقولون: مقصود الآية هوأن أهل الكتاب والمشركين لم يكونوا منفكين عن دينهم حقيقة ـ

---

(١) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٢.

(٢) استعمال مصطلح (أهل الكتاب) في اليهود والنصارى هوالمشهور والمعروف، ولذا فالتأويل المذكور مخالف للنصّ والسياق القرآنيَّين.

(٣) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٣٥٧.

لا إدعاء ـ حتى تأتيهم البينة.. وهذا يعني أن هؤلاء آمنوا بعدما جاءتهم البينة، لكن الآيات التالية تدل على غير ذلك، اللهم إلا إذا قيل أن المقصود إيمان مجموعة منهم وإن كانت قليلة وتكون المسألة من قبيل ما يسمى في المنطق (موجبة جزئية).. ولكن على أي حال نستبعد هذا التفسير، ويبدوأن الفخر الرازي لهذا السبب وصف الآية الاولى من هذه السورة بأنها أعقد آية في القرآن لتعارضها مع الآيات التالية، ولحل هذا التعارض ذكر طرقا متعددة أفضلها هوالذي ذكرناه أعلاه)[1]

ثم ذكر تفسيرا آخر للآية، وهو (أن الله لا يترك أهل الكتاب والمشركين لحالهم حتى يتم الحجة عليهم ويرسل إليهم البينة ويبين لهم الطريق، ولذلك أرسل إليهم نبي الإسلام لهدايتهم.. وبناء على هذا التفسير، هذه الآية تشير إلى قاعدة اللطف التي يتناولها علم الكلام وتقرر أن الله يبعث إلى كل قوم دلائل واضحة ليتم الحجة عليهم)[2]

واكتفى بهذه الأقوال الثلاثة، ولم يذكر ما ذكرته تلك الرواية.. فهل ترون في المعاني التي ذكرها أي حرج؟

قال آخر: وقال آخر: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ممن رفض دعوة الرسل وأنكر نبوّتهم، فكان كافرا بالرسول وبالرسالة منفصلين عن موقفهم الكافر حَتَّى ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي الحجة القائمة على إثبات حقيّة الرسالة والرسول.. وربما كان الجوّ الذي يعيشه هؤلاء هو جوّ التبرير لإصرارهم على الدين القويم في صورته التي يتمثلونها في طريقتهم الخاصة ووضعهم المعقّد.. ولكن كيف يسألون ذلك، في الوقت الذي تتمثل البيّنة أمامهم مجسدة في النبي محمد ﷺ، وفي الصحف المطهرة التي يحملها، ليقدم

---

(١) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٣٥٨.

(٢) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٣٥٨.

للناس ما تشتمل عليه من كتب قيّمة؟ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾ وهي الصحف القرآنية التي تتضمن أصول العقيدة، وأحكام الشريعة، ومناهج الحياة التي يرضاها اللهَّ، وحجج الفكر التي تؤكد حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)[1]

لحبّ الخير لشديد:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٦-٨] ، فقد روي في تفسيرها أن ﴿الإنسان﴾ هوالخليفة الأوّل، ومرجع الضمير في ﴿إنّه لحبّ الخير لشديد﴾ الإمام عليّ[2].

قال أحد المتهمين[3]: في سند هذه الرواية الكثير من الكذابين والغلاة.. منهم علي بن حسّان الهاشمي، وهو من الغُلاة، فاسد العقيدة، ضعيف، له كتاب باسم (تفسير الباطن) نقله بتمامه عن عمّه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، وهومن الغلاة أيضاً.. ومنهم إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، وعلي بن حسّان الهاشمي.. ومنهم عمروبن شمر، وهوضعيف وضّاع.. بالإضافة إلى أنّ الضمير في ﴿إنّه لحبّ الخير لشديد﴾ راجع للإنسان، وعليه فالإنسان هوالمراد أيضاً أيّاً كان المقصود به في قوله ﴿إنّه لحبّ الخير لشديد﴾، وحينئذ فكيف يمكن تصوّر أن يراد بـ (الإنسان) الخليفة الأوّل، ومرجع الضمير في (إنّه) الإمام عليّ ؟!

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن

---

(١) من وحي القرآن٢٤/ ٣٦٠.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٩٨.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٢.

الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (كلمة ﴿الإنسان﴾ في مثل هذه الإستعمالات القرآنية تعني الأفراد المتطبعين على الشر والشهوات الجامحة والطغيان، وقيل: إنه الإنسان الكافر.. فهذه الصفة لا يمكن إطلاقها على مطلق الإنسان؛ فثمة أفراد ليسوا بقليلين من امتزج الشكر والعطاء بدمائهم، ورفضوا البخل والكفران، واستطاعوا بفضل الإيمان بالله أن يتحرروا من الذاتية والأهواء الدنيئة ويحلقوا في أجواء معرفة أسماء الله وصفاته والتخلق بالأخلاق الإلهية.. ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ أي إنه شديد الحب للمال والمتاع.. وهذا الانشداد المفرط بالمال والثروة هو سبب هذا البخل والكفران.. وكلمة ﴿الخير﴾ لها معنى واسع يشمل كل نعمة، فكثير من النعم مثل العلم والمعرفة والتقوى والجنة والسعادة ليست مذمومة، ولا ينكر عليها القرآن.. لذلك فسر الخير في الآية بأنه (المال)، يدل على ذلك قرينة المقام والآية السابقة، وآيات أخرى كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].. وإطلاق (الخير) على المال في الآية يعود إلى أن المال في حد ذاته شيء حسن، ويستطيع أن يكون وسيلة لأنواع الخيرات، لكن الإنسان الكنود يصرفه عن هدفه الأصلي، وينفقه في طريق ذاتياته وأهوائه)[1]

قال آخر: وقال آخر: (كلما ذكرت كلمة (الإنسان) أريد بها ـ فيما يبدو ـ طبيعة الإنسان الأولية قبل التزكية والتعليم.. ﴿وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وحب الخير بذاته فضيلة، ولكنه يصبح رذيلة إذا اشتد في الإنسان، وطغى على حبه للهّ وللرسالة، وفضّله الإنسان على الآخرة التي هي الخير حقّا)[2]

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٣٩٥.

(٢) من هدي القرآن١٨/ ٢٩٤.

لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦]، فقد روي في تفسيرها أن المراد بالإنسان هو الخليفة الأوّل، و﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ هو الإمام علي[1].

قال أحد المتهمين[2]: هذا الحديث ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمّي مرسلًا.. بالإضافة إلى أنه كيف يمكن أن يكون المراد بالإنسان، في هذه الآية، فرداً معيّناً، ومع ذلك يستثنى منه (الذين آمنوا)، فإنّ المستثنى لا بدّ من أن يكون داخلًا في المستثنى منه حتّى في الاستثناء المنقطع، وإن كان يشترك مع المستثنى منه في الحكم فقط.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وسعة مفهوم الآية يشير إلى أن الله سبحانه خلق الإنسان بشكل متوازن لائق من كل الجهات، الجسمية والروحية والعقلية، إذ جعل فيه ألوان الكفاءات، وأعده لتسلق سلم السمو، وهو- وإن كان جرما صغيرا - وضع فيه العالم الأكبر، ومنحه من الكفاءات والطاقات ما جعله لائقا لوسام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذا الإنسان هو الذي يقول فيه الله سبحانه بعد ذكر انتهاء خلقته: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].. وهذا الإنسان

---

(١) انظر: البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٧٨.

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٢.

بكل مافيه من امتيازات، يهبط حين ينحرف عن مسيرة الله إلى أسفل سافلين) [١]

قال آخر: وقال آخر: (﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في بنيانه الجسدي الذي تقوم به حياته، ويثبت به وجوده، وإذا كان اللهّ يتحدث عن الجانب المادي الذي يتمثل به الكيان الجسدي، في ما يرتفع به إلى المستوى الأحسن الذي يوحي بالمستوى الأفضل والأرفع، فلا بد من أن يكون الحديث عن ذلك مدخلا إيحائيا للاستعداد الإنساني الذي يملكه الإنسان في عقله وروحه وشعوره وحركته للارتفاع بعمله للوصول إلى المستوى الأرفع في السموّ الروحي، ليكون الأحسن في التقويم الروحي، وهذا ما نستفيده ـ إيحائيا ـ من الحديث عن الجزاء، أو عن يوم الجزاء الذي يمثل مستوى التفاضل في المصير)[٢]

لعلي حكيم:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، فقد روي في تفسيرها أن المراد منه الإمام علي.

قال أحد المتهمين[٣]: بالإضافة إلى كون الحديث مجهولا من جهة السند.. فإنه يعلم من ملاحظة الآيات السابقة أنّ مرجع الضمير في (إنّه) القرآن الكريم، حيث ورد فيها قوله تعالى: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١-٤].. ومن هنا فإنّ أدنى التفات لهذه الآيات يثبت خواء هذا الادّعاء وزيفه.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٣٠٩.

(٢) من وحي القرآن٢٤/ ٣٢٤.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٣.

الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (ثم يتطرق القرآن إلى بيان ثلاث صفات أخرى لهذا الكتاب السماوي، فيقول: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، ويشير في الصفة الأولى إلى أن القرآن الكريم قد حفظ وأثبت في أم الكتاب لدى الله سبحانه، كما نقرأ ذلك أيضا في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].. والآن، لنر ما هوالمراد من (أم الكتاب)، أو(اللوح المحفوظ)؟.. (الأم) في اللغة تعني أصل كل شيء وأساسه، وإنما يقول العرب للأم أما لأنها أساس العائلة ومأوى الأولاد، وعلى هذا فإن ﴿أم الكتاب﴾ يعني الكتاب الذي يكون أساسا لكل الكتب السماوية، وهوذلك اللوح المحفوظ لدى الله سبحانه، والمصون من كل تغيير وتبديل وتحريف.. إنه كتاب علم الله المحفوظ لديه، والذي أدرجت فيه كل حقائق العالم، وكل حوادث الماضي والمستقبل، وكل الكتب السماوية، ولا يستطيع أي أحد أن يصل إليه ويعلم ما فيه، إلا إذا أراد الله سبحانه أن يعلم أحدا بالمقدار الذي يريده عز وجل، وهذا وصف عظيم للقرآن الذي ينبع من علم الله اللامتناهي، وأصله وأساسه لديه سبحانه، ولهذا يقول في الصفة الثانية: (لعلي) وفي الثالثة (حكيم).. إن الشيء الذي ينبعث من علم الله اللامتناهي يجب أن يكون بهذه الصفات.. واعتقد البعض أن سمو القرآن وعلو مقامه نابع من أنه فاق كل الكتب السماوية، ونسخها جميعا، وهوفي أرفع مراتب الإعجاز.. واعتبر البعض الآخر علو القرآن لاحتوائه على حقائق لا تدركها أفكار البشر، وهي بعيدة عن مدى ما تستوعبه عقولهم - إضافة إلى الحقائق التي يفهمها الجميع من ظاهر القرآن. ولا تتضارب هذه المعاني فيما بينها حيث تجتمع كلها في مفهوم ﴿علي﴾.. وهنا مسألة تستحق الإنتباه، وهي أن ﴿الحكيم﴾ صفة للشخص عادة، لا الكتاب، لكن لما كان هذا الكتاب السماوي بنفسه معلما عظيما

وناطقا بالحكمة ناشرا لها، فإن هذا التعبير في محله تماما، وقد وردت كلمة (الحكيم) بمعنى المستحكم الحصين أيضا، وكل هذه المعاني جمعت في اللفظة المذكورة، وهي صادقة في شأن القرآن الكريم، لأنه حكيم بكل هذه المعاني) [١]

قال آخر: وقال آخر: (الظاهر أن المراد بأمّ الكتاب ـ في ما يذكره المفسرون ـ اللوح المحفوظ، وأن علوّه في علوّ المنزلة التي يمكن أن يصل إليها الإنسان من خلاله، أو في علوّ الفكر الذي يرتفع بالتصور الإنساني لحقائق العقيدة والحياة إلى المرتبة العليا، أو في علوّ البلاغة، كما يذكره البعض.. و قد اعتبر صاحب الميزان، العلو بمعنى (أنه رفيع القدر والمنزلة من أن تناله العقول) ولكن الظاهر أن الحديث عنه، بلحاظ جانب السموّ في معناه وفي أسلوبه للدلالة على أن اللهَّ يريد للإنسان العلو من خلاله، لأنه لا معنى لأن ينزل اللهَّ كتابا لا يتعقل الناس حقيقته ومعناه، (بحيث يمكن أن تكون النسبة بين ما عندنا وما في أمّ الكتاب نسبة المثل والممثّل، فالمثل هو الممثّل بعينه لكن الممثّل له لا يفقه إلا المثل) [٢]، إذ ليس هنالك حكمة من ذلك بالنسبة إلى طبيعة الكتاب.. وربما كان معنى ﴿وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ هو وصف القرآن هناك بهاتين الصفتين، أمّا الحكمة فيه، فاشتماله على المضمون الذي يحقق للناس التوازن في حياتهم ويساعدهم على وضع الأشياء في مواضعها، فيتصورون القضايا في موازينها، ليملكوا بذلك البصيرة الكاملة في الأمور المتعلقة بقضايا الفكر والحياة) [٣]

فإذا فرغت فانصب:

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ١٦/ ١١.

(٢) تفسير الميزان: ١٨/ ٨٦.

(٣) من وحي القرآن٢٠/ ٢١٣.

قال المدعي: فما تقولون في الروايات التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]، فقد روي في تفسيرها: إذا فرغت من النبوّة فانصب عليّاً للخلافة[١].

قال أحد المتهمين[٢]: في سند هذه الرواية المفسّرة عبد الرحمن بن كثير، وهومن الغُلاة.. بالإضافة إلى أنّ هذه السورة نزلت في أوّل البعثة، فمن المستبعد أن يتعرّض لذلك في بدء النبوّة.. بالإضافة إلى أن نبوّة النبيّ ﷺ قد استمرّت إلى آخر حياته، فمن الممكن أن يفرغ النبيّ ﷺ من كلّ عمل، ولكنّه لا يمكن أن يفرغ من النبوّة.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين بمعناها الظاهر.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (الآيتان ـ حسب ما ذكرناه ـ لهما مفهوم واسع عام يقضي بالبدء بمهمة جديدة بعد الفراغ من كل مهمة، وبالتوجه نحوالله في كل المساعي والجهود، لكن أغلب المفسرين ذكروا معاني محددة لهما يمكن أن يكون كل واحد منها مصداقا للآيتين.. قال جمع منهم: المقصود، إنك إذا فرغت من فريضة الصلاة فادع الله واطلب منه ما تريد.. أو عند فراغك من الفرائض انهض لنافلة الليل.. أو عند فراغك من أمور الدنيا ابدأ بأمور الآخرة والصلاة وعبادة الرب.. أو عند فراغك من الواجبات توجه إلى المستحبات التي حث عليها الله.. أو عند فراغك من جهاد الأعداء انهض إلى العبادة.. أو عند فراغك من جهاد الأعداء ابدأ بجهاد النفس.. أو عند انتهائك من أداء الرسالة انهض لطلب الشفاعة)[٣]

قال آخر: ثم بين اتساع معنى الآية ليشمل المعاني الكثيرة جدا، فقال: (موضوع

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٨٩٨)

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٤.

(٣) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٢٩٩.

(الفراغ) في الآية لم يذكر، وكلمة (فانصب) من النصب أي التعب والمشقة، ولذلك فالآية تبين أصلا عاما شاملا، وهدفها أن تحث النبي ﷺ ـ باعتباره القدوة ـ على عدم الخلود إلى الراحة بعد انتهائه من أمر هام، وتدعوه إلى السعي المستمر.. انطلاقا من هذا المعنى يتضح أن التفاسير المذكورة للآية كلها صحيحة، ولكن كل واحد منها يقتصر على مصداق معين من هذا المعنى العام) [1]

ثم بين الآثار التربوية لتلك المصاديق جميعا، فقال: (ما أعظم العطاء التربوي لهذا الحث، وكم فيه من معاني التكامل والإنتصار.. البطالة والفراغ من عوامل الملل والخمول والتقاعس والاضمحلال، بل من عوامل الفساد والسقوط في أنواع الذنوب غالبا.. وحسب الإحصائيات، مستوى الفساد عند عطلة المؤسسات التعليمية يرتفع إلى سبعة أضعاف أحيانا)[2]

قال آخر: وبناء على هذه المصاديق جميعا لم يستبعد أن يكون من بينها تنصيب المستحق للخلافة بعده، وخاصة مع كثرة الروايات الواردة في ذلك من مصادر الفريقين، وهي تعني باطن الآية، لا ظاهرها، يقول في ذلك: (الآية الكريمة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧] تعني ـ كما جاء في روايات عديدة ـ نصب أمير المؤمنين علي بالخلافة بعد الإنتهاء من أمر الرسالة كمصداق من المفهوم العام للآية) [3]

ثم بين وجه دلالتها على ذلك، فقال: (لأنها تقول: إذا فرغت من مهمة مثل مهمة الرسالة فابدأ بمهمة آخرى كمهمة الولاية، وهذا مقبول باعتباره أحد المصاديق.. ونعلم

---

(١) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٢٩٩.

(٢) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٢٩٩.

(٣) الأمثل، الشِيرازي، ٢٠/ ٣٠٠.

أن رسول الله ﷺ ـ حسب حديث الغدير المعروف وأحاديث أخرى منتشرة في الصحاح والمسانيد ـ كان في سعي مستمر في هذا المجال)[1]

الذي يكذب بالدين:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]، فقد روي في تفسيرها أن الدّين هو ولاية الإمام عليّ.

قال أحد المتهمين: في سند هذه الرواية المفسّرة محمّد بن جمهور، وعبد الرحمن بن كثير الهاشمي، وهما من الغُلاة.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (هذه السورة المباركة تبدأ بسؤال موجه للنبي ﷺ عن الآثار المشؤومة لإنكار المعاد وتقول: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]، وتجيب عن السؤال: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢-٣].. (الدين) هنا (الجزاء) أويوم الجزاء، وإنكار يوم الجزاء له عواقبه الوخيمة وانعكاسات على أعمال الإنسان.. وفي هذه السورة ذكرت خمسة آثار لهذا الإنكار منها: (طرد اليتيم، وعدم الحث على إطعام المسكين)، أي إن الشخص المنكر للمعاد لا يطعم المساكين، ولا يدعوالآخرين إلى إطعامهم)[2]

قال آخر: وقال آخر: (﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ من هؤلاء المنافقين الذين لا يؤمنون بالجزاء في يوم القيامة، أو لا يؤمنون بالدين كله في عقيدته وفي شريعته التي تدعو إلى أن يحمل الإنسان مسئوليّة الفئات المحرومة في الأمة، ليمنحهم من جهده، ومن ماله،

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٣٠٠.

(٢) الأمثل، الشيرازي، ٢٠/ ٤٨٤.

ومن جاهه، الإمكانات المادية والمعنوية التي يستطيعون من خلالها الحصول على العيش الكريم، فلا يستجيبون لهذه الدعوة، بل يتمردون عليها في ما يأخذون به من أسباب النفاق التي ترتكز على الارتباط بالشكليات الدينية، التي لا تكلّفهم الكثير من جهدهم المالي أو المعنوي الذي قد يثقل عليهم بنتائجه، ولو كانوا قد استجابوا لتلك الدعوة، لابتعدوا عن النفاق.. أرأيت يا محمد، ويا كلّ من يتحرك في الحياة على خط محمد ﷺ، هذا الإنسان كيف يتحرك في المجتمع، وكيف يعبّر عن واقعه الداخلي، وكيف يكذّب عمله ما يدّعيه من الإيمان في الصورة الخارجية من حياته؟)[1]

قال آخر: وقال آخر: (تلك الصفات التي تسوقها سورة الماعون هل تؤخذ مفردة أم جميعا؟ نقل عن بعضهم الثاني، فالمكذب بالدين هو الذي يجمع الصفات الثلاث، وهذا هو الظاهر؛ لأن صفات الشر تتداعى كما تتداعى صفات الخير، وهكذا تعرفنا السورة الكريمة بالذين يكذبون بالدين من هم، حتى نتقي تلك الصفات وما يؤول إليها من التكذيب بالدين.. والدين هو الجزاء، وقيل: بل الإسلام والقرآن، ولكن محور أيّ دين هو الايمان بالجزاء، الذي ينعكس على النفس بالإحساس بالمسؤولية، وهو معنى الدين بمعناه الشامل.. الايمان بالدين يزكي نفس الإنسان، ويخرجها من شحّها وضيقها وجهلها، ويستثير فيها فطرة الحب، وبواعث الخير، وحوافز المعروف، ويجليها بالعواطف الجيّاشة تجاه المستضعف والمحروم، بينما الذي يكذب بالدين تراه يدعّ اليتيم، ذلك الطفل البريء الذي حرم حب والده (أو والدته) وحنانه وعواطفه..)[2]

عاملة ناصبة:

---

(1) من وحي القرآن٢٤/ ٤٤٠.

(2) من هدي القرآن١٨/ ٣٨٠.

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ١-٤]، فقد روي في تفسيرها أنها نزلت في النواصب، فقد كانوا من أهل الصلاة والصوم، ولكنّهم يعادون الإمام عليّاً[1].

قال أحد المتهمين[2]: في سند هذه الرواية المفسّرة سهل بن زياد ومحمّد بن الفضيل، وهما غاليان.. بالإضافة إلى أنّ سياق الآيات يتحدّث عن عاقبة طائفتين في يوم القيامة، إحداهما آمنت بالنبوّة، والأخرى كفرت، وعليه فإنّ تخصيص الآيات ـ الواردة في عامّة من أنكر النبوّة ـ بمجموعة خاصّة جاءت بعد نزول الآيات بسنوات ممّا لا ينسجم والسياق القرآني.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ﴾ وهي القيامة التي تفنّن التعبير القرآني عنها، للإيحاء بالأجواء التي تنطلق في مشاهدها وأهوالها وصدماتها الواقعية، ليواجهها القلب البشري، من خلال ذلك، بالخوف الشعوري الذي يدفع إلى المزيد من التفكير ومن التركيز، للوصول إلى مسألة الإيمان والانتماء إليه بكل قوّة، ولعل التعبير عنها بالغاشية من خلال أنها تفرض نفسها على واقع الناس هناك، فتغشاهم وتحيط بهم، كما يحيط الغشاء بالموقع كله، أو لأنّ أهوالها الشديدة تغشاهم فتحول بينهم وبين الرؤية في شدّة تأثيرها عليهم، فتبدو للعيون كالدخان الذي يحجب الأفق بكثافته.. و إذا كان الخطاب للنبي ﷺ، فإنه ليس مختصا به بالمضمون، بل هو شامل لكل الناس الذين يبلّغهم النبي ذلك،

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٨٤١)

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٥.

فيأتيهم كل ما يأتيه، ويخاطبهم بكل ما يخاطبه به، لأن المضمون لا يتوجه إليه كرسول، بل كإنسان مسئول، لا بد من أن يتحمل مسئولية نفسه من خلال القناعة الفكرية الباحثة عن الحق أينما كان.. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ﴾ وتلك هي وجوه الأشقياء الذين رفضوا مواقف الخشوع للهّ في الدنيا، فلم يستغرقوا في مواقع عظمته، ولم يعيشوا روحية العبودية في الابتهال إليه، والصلاة بين يديه، والانفتاح على آفاق رحمته في مواقف رضاه، بل استكبروا وعاندوا وتمردوا على رسوله وكتابه، فجاءت الغاشية، التي أطبقت عليهم من كل جانب، فلا يجدون، الآن، مجالا للفرار ولا للخلاص، ليعيشوا الخشوع في أجواء الذلّ والانكسار عند ما يواجهون المصير المظلم في حاضرهم الذي تنتظره جهنم لتحتويهم في داخلها.. ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾ في ما توحي به كلمة العاملة من الجهد القاسي المرهق للأجساد الذي بذله هؤلاء في الدنيا، وكلمة الناصبة التي تدل على التعب والإرهاق، فقد عملوا وتعبوا وعاشوا الإرهاق الجسدي، فلم ينالوا من نتائجه المرضية، لأنهم لم يعملوا للهّ، بل عملوا لغيره، ولهذا، فإن ملامح وجوههم في يوم القيامة هي ملامح الوجوه التي أرهقها العمل وأذواها النصب، فلا تنبض بأيّة حيويّة، ولا توحي بأيّ إشراق) [1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ﴾ قالوا: هذا في الدنيا، إذ لا عمل في الآخرة، وفسّروا العمل بالدأب في السير والنصب بالتعب، ولكن من قال لا عمل في الآخرة ولا نصب؟ بلى. وتحركهم في صحراء المحشر وسط ظلام دامس تسوقهم ملائكة العذاب، ويشهد عليهم ملائكة الحساب.. إنّه عمل ناصب.. إنّما عملهم ثمّة بلا فائدة ترجى لهم، ونصبهم بلا ربح ومكسب، ولو أنّهم أجهدوا أنفسهم في الدنيا قليلا لأعقبتهم راحة طويلة

---

(١) من وحي القرآن٢٤/ ٢٢٠.

في العقبى، كما قال الإمام أمير المؤمنين في صفة المتقين: (صبروا أيّاما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة) [1]

ثم بين اتساع معنى الآيات ليشمل طوائف كثيرة، فقال: (وفي طائفة من النصوص المأثورة تفسير هذه الآية بأولئك الذين يعملون في الدنيا وينصبون ولكن في طريق خاطئ فلا يكسبون من عملهم نقيرا، لأنّهم يوالون الطواغيت، وينصبون لأئمة الهدى، وتابعيهم، وروي عن الإمام علي أنّ هؤلاء هم أهل حروراء، يعني الخوارج الذين ذكرهم رسول اللهّ ﷺ فقال: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرميّة).. و هذا تأويل حسن للآية، بيد أنّ تفسيرها ـ فيما يبدو من السياق ـ أعم وأشمل) [2]

اثنا عشر شهرا:

قال المدعي: ليس ذلك فقط.. بل نرى في الروايات التفسيريّة، تطبيق جملة من الألفاظ القرآنية كالشمس، والقمر، والأرض، والسماء، والنجوم، والسنَّة، والشهر، والليل، والمشرق، والمغرب وغيرها على النبيّ ﷺ والأئمّة وأعدائهم بشكل غير معقول وخال من الترابط، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهَّ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهَّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] أن السنة هي رسول الله ﷺ، والاثنا عشر شهراً هم الأئمّة من أهل بيته، والأشهر الأربعة الحرم الأئمّة الأربعة المسمّون بعلي [3]

---

(١) من هدي القرآن١٨/ ٦٣.

(٢) من هدي القرآن١٨/ ٦٣.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٥٤.

(وهم: علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وعلي بن موسى الرضا، وعلي بن محمّد الهادي)

قال أحد المتهمين[1]: الحديث مرسل من جهة الإسناد.. بالإضافة إلى أنه لا يوجد ارتباط بين الأئمّة الاثني عشر والأشهر الاثني عشر سوى التشابه في العدد.. وأبعد منه الترابط بين الأئمّة الأربعة المسمّون بعليّ وبين الأشهر الأربعة الحرم.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (لما كانت هذه السورة تتناول أبحاثا مفصلة حول قتال المشركين، فالآيتان تشيران الى أحد مقررات الحرب والجهاد في الإسلام، وهو احترام الأشهر الحرم.. فتقول الأولى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [التوبة: ٣٦] والتعبير بـ ﴿كتاب الله﴾ يمكن أن يكون إشارة الى القرآن المجيد أوسائر الكتب السماوية، إلا أنه بملاحظة جملة ﴿يوم خلق السماوات والأرض﴾ يبدوأن المعنى الأكثر مناسبة هوكتاب الخلق وعالم الوجود.. وعلى كل حال، فمنذ ذلك اليوم الذي استقرت عليه المجموعة الشمسية بنظامها الخاص حدثت السنين والأشهر، فالسنة عبارة عن دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة والشهر دوران القمر حول الأرض دورة كاملة.. وهذا في الحقيقة تقويم طبيعي قيم غير قابل للتغيير حيث يمنح حياة الناس جميعا نظاما طبيعيا، وينظم على وجه الدقة حسابهم التأريخي، وتلك نعمة عظمى من نعم الله للبشر.. ثم تضيف الآية معقبة: ﴿منها أربعة حرم﴾ يرى بعض المفسرين أن تحريم القتال في هذه الأشهر الأربعة كان من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان نافذا حتى في زمان الجاهلية على أنه سنة متبعة إلا أن عرب الجاهلية كانوا يغيرون هذه

---

(١) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٥.

الأشهر أحيانا تبعا لميولهم وأهوائهم، إلا أن الإسلام أقر حرمتها على حالها ولم يغيرها، وثلاثة من الأشهر متوالية وتسمى بالأشهر السرد وهي: ذوالقعدة، وذوالحجة، والمحرم، وشهر منها منفصل عنها، وهورجب ويسمى بالشهر الفرد.. وينبغي التنويه على أن تحريم هذه الأشهر إنما يكون نافذ المفعول إذا لم يبدأ العدوبقتال المسلمين فيها، أما لوفعل فلا شك في وجوب قتاله على المسلمين لأن احترام الشهر الحرام لم ينتقض من قبلهم، بل انتقض من قبل العدو)[1]

رب المشرقين ورب المغربين:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، فقد روي في تفسيرها أن المراد بـ ﴿المشرقين﴾ هما رسول الله ﷺ والإمام علي، و﴿المغربين﴾ الحسن والحسين[2].

قال أحد المتهمين[3]: الحديث الوارد في هذا مرسل سنداً، إضافةً إلى وجود سيف بن عميرة فيه، وقد ضعّفه بعضهم.. بالإضافة إلى أن المعنى الموضوع له لفظ المشرق والمغرب معلوم لغة، فإذا كان الحديث يشير إلى المعنى المجازي لهما كان ذلك محتاجاً إلى القرينة، وهي مفقودة في الآيات السابقة عليها.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (قد يأتي تعبير المشرق والمغرب أحيانا بصيغة المفرد، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]، وأحيانا بصيغة المثنى، كما في قوله: ﴿رَبُّ

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ٦/ ٤٤.

(٢) بحار الأنوار، ٢٤/ ٢٤٠.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٦.

الْمُشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وأحيانا بصيغة الجمع، كما في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].. البعض من ذوي النظرات الضيقة يظنون تضاد هذه التعابير، في حين أنها مترابطة، وكل منها يشير إلى بيان خاص، فالشمس في كل يوم تطلع من نقطة جديدة، وتغرب من نقطة جديدة أخرى، وعلى هذا الأساس لدينا بعدد أيام السنة مشارق ومغارب، ومن جهة أخرى فإن من بين كل هذه المشارق والمغارب هناك مشرقان ومغربان ممتازان، إذ أن أحدهما يظهر في بدء الصيف أي الحد الأعلى لبلوغ ذروة ارتفاع الشمس في المدار الشمالي، والآخر في بدء الشتاء أي الحد الأدنى لنزول الشمس في المدار الجنوبي، ويعبرون عن أحدهما بمدار (رأس السرطان)، وعن الآخر بمدار (رأس الجدي)، وقد اعتمد على ذلك لأنهما واضحان تماما، بالإضافة إلى هذين المشرقين والمغربين الآخرين الذين سميا بالمشرق والمغرب والإعتداليان، وهوأول الربيع وأول الخريف، عند تساوي ساعات الليل والنهار في جميع الدنيا، ولذا ذهب البعض إلى هذا المعنى في تفسير الآية: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وهومعنى مقبول أيضا.. وأما ما جاء بصيغة المفرد فإن المراد به ماهيته، لأن الملاحظ فيه أصل المشرق والمغرب بدون الإلتفات إلى الأفراد، وبهذا الترتيب فإن لكل من العبارات المختلفة مسألة تلفت نظر الإنسان إلى التغييرات المختلفة لطلوع وغروب الشمس، والتغيير المنتظم لمدارات الشمس)[١]

والفجر وليال عشر:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١-٣]، فقد روي في تفسيرها أن ﴿الفجر﴾ هو الإمام المهدي،

---

(١) الأمثل، الشيرازي، ١٩/ ٣٤.

و(ليال عشر) الأئمّة بدءاً بالإمام الحسن المجتبى وانتهاءً بالإمام الحسن العسكري، و(الشفع) علي وفاطمة، و(الوتر) الله تعالى[1].

قال أحد المتهمين[2]: في سند هذه الرواية المفسّرة عمرو بن شمر، وهو ضعيف وضّاع.. والحديث ظاهر التكلف، ويبدو أنّ الوضّاعين قد عقدوا العزم على تأويل اللفظ القرآني في الأئمّة بأيّ نحو اتّفق، فإذا كان فيه إشارة إلى العدد (اثنا عشر) قالوا: إنّ المراد به هم الأئمّة الإثنا عشر، وإذا كان فيه العدد (أربعة) قيل: هم الأئمّة الأربعة الذين سمّوا بعليّ، وإذا كان فيه العدد (اثنان) فإمّا يقال: هما النبيّ ﷺ وعليّ، أويقال: هما علي وفاطمة، أويقال: هما الحسن والحسين.. وهنا حيث كان العدد محدّداً بعشرة فقد قالوا: إنَّ المراد به الأئمّة من الإمام الحسن السبط إلى الإمام الحسن العسكري.. ومن الطريف أنّ بعض من جمع مثل هذه الروايات التفسيرية قد ذكر، في تفسيره، أنّ تفسير (ليال عشر) هنا بالأئمّة العشرة يطلق يدنا في عملية تطبيق مثل هذه الأعداد على الأئمّة.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (فسّر (الفجر) في الآية بمعناه المطلق، أي: بياض الصبح.. ولا شك فهو من آيات عظمة اللهّ سبحانه وتعالى، ويمثل انعطافا في حركة حياة الموجودات الموجودة على سطح الأرض، ومنها الإنسان، ويمثل كذلك حاكمية النور على الظلام، وعند مجيئه تشرع الكائنات الحية بالحركة والعمل، ويعلن انتهاء فترة النوم والسكون، وقد أقسم اللهّ تعالى ببداية حياة اليوم الجديد.. وفسّره بعضهم بفجر أوّل يوم من محرم وبداية السنة الجديدة.. وفسّره آخرون بفجر يوم عيد الأضحى، لما فيه من مراسم الحج المهمّة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٨٤٨)

(٢) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٦.

ولاتصاله بالليالي العشرة الأولى من ذي الحجّة.. و قيل أيضا: إنّه فجر أوّل شهر رمضان المبارك، أو فجر يوم الجمعة)[1]

ثم بين اتساع مفهوم الآية لكل المصاديق المناسبة، فقال: (لكنّ مفهوم الآية أوسع من أن تحدد بمصداق من مصاديقها، فهي تضم كلّ ما ذكر) [2]

ثم ذكر من تلك المصاديق التي يمكن اعتبارها فهوما للآية، لكنها لا تلغي ظاهرها، فقال: (وذهب البعض إلى أوسع ممّا ذكر حينما قالوا: هو كلّ نور يشع وسط ظلام.. وعليه، فبزوغ نور الإسلام ونور المصطفى ﷺ في ظلام عصر الجاهلية هو من مصاديق الفجر، وكذا بزوغ نور قيام المهدي في وسط ظلام العالم.. و من مصاديقه أيضا، ثورة الإمام الحسين في كربلاء الدامية، لشقها ظلمة ظلام بني أميّة، وتعرية نظامهم الحاكم بوجهه الحقيقي أمام النّاس.. و يكون من مصاديقه، كلّ ثورة قامت أو تقوم على الكفر والجهل والظلم على مرّ التاريخ.. وحتى انقداح أوّل شرارة يقظة في قلوب المذنبين المظلمة تدعوهم إلى التوبة، فهو (فجر).. وممّا لا شك فيه أنّ المعاني هي توسعة لمفهوم الآية، أمّا ظاهرها فيدل على (الفجر) المعهود) [3]

والسماء ذات البروج:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، فقد روي في تفسيرها أن (السماء) هي النبيّ ﷺ، و(البروج) هم الأئمّة[4].

---

(١) الأمثل ٢٠/ ١٧٢.

(٢) الأمثل ٢٠/ ١٧٢.

(٣) الأمثل ٢٠/ ١٧٢.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٧٨.

قال أحد المتهمين: في سند هذه الروايات المفسّرة سعد بن طريف، وقد ضعّفه بعضهم.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (ابتدأت السّورة بـ ﴿والسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ﴾ و(البروج): جمع (برج) وهو القصر، وقيل: هو الشيء الظاهر، وتسمية القصور والأبنية العالية بالبروج لظهورها ووضوحها، وقيل للمحلات الخاصة من السور المحيط بالبلد والتي يجتمع فيها الحراس والجنود (البروج) لظهورها الخاص، ويقال للمرأة التي تظهر زينتها (تبرجت).. والأبراج السماوية: إمّا أن يكون المراد منها النجوم الزاهرة والكواكب المنيرة في السماء، أو المجموعات من النجوم تتخذ مع بعضها شكل شيء معروف في الأرض، وتسمى ب (الصور الفلكية)، وهي إثنا عشر برجا، وفي كلّ شهر تحاذي الشمس أحد هذه البروج، طبيعي أن الشمس لا تتحرك تلك الحركة، وإنّما الأرض، تدور حول الشمس فيبدو لنا تغيّر موضع الشمس بالنسبة إلى الصور الفلكية أو الأبراج.. والقسم بهذه البروج يشير إلى عظمة أمرها، التي لم تكن معلومة للعرب الجاهليين وقت نزول الآية بينما أصبحت معلومة تماما في هذا الزمان والأقوى أنّ المراد منها هو النجوم المتلألئة ليلا في القبة السماوية، و لذا نقرأ فيما روي عن النّبي الأكرم ﷺ، أنّه حينما سئل عن تفسير الآية قال: (الكواكب)[1]

قال آخر: وقال آخر: (القسم بالسماء ذات البروج.. ربما كان كناية عن مواضع الكواكب في السماء، وذلك ما يوحي به قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٦-١٧]، مما يراد فيه الإيحاء بأنها تشبه

---

(١) الأمثل ٢٠/ ٧٨.

البروج المعدّة للدفاع.. و على ضوء ذلك، يظهر أن تفسيرها بالبروج الاثني عشر لا يرجع إلى دليل، بل الدليل القرآني على خلافه) [1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿البروج.. يبدو أنّها طبقات السماء المتمثلة في مجاميع المجرات، كل مجرة فيها أعداد هائلة من الشموس.. وأصل معنى البروج الظهور، ولأنّ البناء العالي ظاهر سمّي القصر برجا، كما سمّي موقع الدفاع عن المدينة بالبرج، ولعلّ انتخاب هذه الكلمة هنا كان لأنّ في السماء حرسا اتخذوا مواقع لرصد حركات الإنس والجن والشياطين، ممّا ينسجم مع السياق الذي يجري فيه الحديث عن جزاء الطغاة على جرائمهم بحقّ المؤمنين، فإذا تحصّن الطغاة ببروجهم الأرضية فإنّ للسماء بروجا لا يستطيعون مقاومة جنودها.. و قال بعضهم: البروج هي منازل الشمس والقمر والكواكب وأفلاكها التي لا تستطيع أجرام السماء على عظمتها تجاوزها قيد أنملة، ممّا يشهد على أنّها كائنات مخلوقة مدبّرة) [2]

والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ١-٢]، فقد روي في تفسيرها أن (الشمس) هي رسول الله ﷺ، و(القمر) هو الإمام عليّ، و(الليل) هم أئمّة الجور، و(النهار) هم أئمّة الهدى.

قال أحد المتهمين: الحديث علاوة على إرساله، فإنّ فيه سهل بن زياد الغالي.. ولهذا فسرها جميع مفسرينا بظاهرها.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (القسم عادة يكون بالمهم من الأمور من هنا تعمل هذه الأقسام على تحريك الفكر في الإنسان كي يمعن النظر

---

(١) من وحي القرآن٢٤/ ١٦٦.

(٢) من هدي القرآن١٧/ ٤٦٩.

في هذه الموضوعات الهامّة من عالم الخليقة، وليتخذ منها سبيلا إلى اللهّ سبحانه وتعالى.. و﴿الشمس﴾ ذات دور هام وبنّاء جدّا في الموجودات الحية على ظهر البسيطة فهي إضافة إلى كونها مصدرا للنور والحرارة ـ وهما عاملان أساسيان في حياة الإنسان ـ تعتبر مصدرا لغيرهما من المظاهر الحياتية، حركة الرياح، وهطول الأمطار، ونمو النباتات، وجريان الأنهر والشلالات، بل حتى نشوء مصادر الطاقة مثل النفط والفحم الحجري.. كل واحد منها يرتبط ـ بنظرة دقيقة ـ بنور الشمس.. و لو قدر لهذا المصباح الحياتي أن ينطفئ يوما لساد الظلام والسكوت والموت في كل مكان.. و﴿الضحى﴾ في الأصل انتشار نور الشمس، وهذا ما يحدث حين يرتفع قرص الشمس عن الأفق ويغمر النور كل مكان، ثمّ يطلق على تلك البرهة من اليوم اسم (الضحى)، والقسم بالضحى لأهميته، لأنّه وقت هيمنة نور الشمس على الأرض.. و القسم الثّالث بالقمر.. وهذا التعبير ـ كما ذهب إلى ذلك جمع من المفسّرين ـ إشارة إلى القمر حين يكتمل ويكون بدرا كاملا في ليلة الرابع عشر من كلّ شهر، ففي هذه الليلة يطل القمر من أفق المشرق متزامنا مع غروب الشمس. فيسطع بجماله النّير ويهيمن على جوّ السماء، ولجماله وبهائه في هذه الليلة أكثر من أيّة ليلة أخرى جاء القسم به في الآية الكريمة.. واحتمل بعضهم أن يكون في تعبير الآية إشارة إلى تبعية القمر بشكل دائم للشمس، واكتساب النور من ذلك المصدر المشعّ، غير أن عبارة ﴿والْقَمَرِ إِذا تَلاها﴾ تكون في هذه الحالة قيدا توضيحيا.. و ثمّة احتمالات أخرى ذكرت في تفسير الآية لا تستحق الذكر)[1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿وَالشَّمْسِ وضُحاها﴾ هذا القسم بالشمس التي تمنح

---

(١) الأمثل ٢٠/ ٢٣١.

الكون الشروق الذي ينفذ إلى السماء ليعطيها الرونق والصفاء، وإلى الأرض ليهبها الحيوية والجمال، وإلى المخلوقات الحيّة المتحركة فيها، ليمنحها الدفء والحرارة وحيويّة الحياة، وجعل الضحى رديفا للشمس، لأنه الزمن الذي ترتفع فيه وتتجلّى في كبد السماء، لتكون في أكثر أوقاتها رونقا وصفاء، فهي في الشتاء تعطي الدفء المنعش، وفي الصيف تعطي الإشراق الرائع قبل اشتداد حرارة القيظ.. ﴿وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها﴾ عند ما يطلع في الليل ليكون نوره تابعا للشمس في ما يستمدّه من إشراقها، ليعطي الليل بعض نورها، من خلال النور المنبعث منه، حيث يمتزج امتزاجا هادئا بحبّات الظلام، فيزيد الكون سحرا وصفاء ووداعة توحي بالكثير من الأحلام الغامضة التي تشيع في القلب همسات السعادة، وفي النفس تسبيحات الرحمة المنبعثة من روح الله)[(١)]

والنور الذي أنزلنا:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، فقد روي في تفسيرها أن النور هو الأئمّة [(٢)].

قال أحد المتهمين[(٣)]: في سند هذه الروايات المفسّرة محمّد بن الفضيل، وهو غال.. وأحمد بن أبي عبد الله البرقي.. وأحمد بن مهران.. والمعلّى بن الخنيس.. وكلهم من الضعاف.

قال آخر[(٤)]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإنّ تشبيه النبيّ ﷺ وأهل بيته الكرام بالشمس والقمر والنور وما شابه، وإن كان صحيحاً في نفسه، وكما هو وارد في القرآن الكريم في شأن

---

(١) من وحي القرآن٢٤/ ٢٨١.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٣٤١ و٣٤٢.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٨.

(٤) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٨.

النبيّ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] إلّا أنّ حمل هذه الألفاظ على النبيّ وعليّ وفاطمة وأهل البيت من دون نصب قرينة على ذلك ممّا لا وجه له، فإنّ استعمال مثل هذه الألفاظ فيهم، استعمال مجازي يحتاج إلى القرينة، وحينئذ فلا بدّ من حملها على معانيها الحقيقيّة.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا بمعناها الظاهر.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (لقد اختلف المفسّرون في المعنى المراد من كلمة (النّور) الواردة في الآية، فذهب البعض منهم إلى أنّها تعني شخص النّبي محمّد ﷺ، وقال مفسّرون آخرون: إنّ المعنى بالنور هو القرآن المجيد.. و حين نلاحظ آيات قرآنية عديدة تشبه القرآن بالنور، يتبيّن لنا أنّ كلمة (النور) الواردة في الآية إنّما تعني القرآن، وعلى هذا الأساس فإنّ عطف عبارة (كتاب مبين) على كلمة (النور) يعتبر من قبيل عطف التوضيح، كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].. وآيات عديدة أخرى تشير إلى نفس المعنى، بينما لا نجد في القرآن آية أطلقت فيها كلمة النور على شخص النّبي ﷺ.. و إضافة إلى ما ذكر فإنّ الضمير المفرد الوارد في عبارة (به) الواردة في الآية الثانية من الآيتين الأخيرتين، يؤكّد هذا الموضوع أيضا، وهو أن النور والكتاب المبين هما إشارتان لحقيقة واحدة)[١]

ثم تحدث عن المصاديق التي وردت في تفسير الآية، فقال: (ومع إنّنا نجد روايات عديدة تفسّر كلمة (النّور) على أنّها إشارة إلى الإمام علي بن أبي طالب أو الأئمّة الإثني عشر، لكن الواضح هو أنّ هذا التّفسير يعتبر من باب بيان بواطن الآيات، لأنّنا كما نعلم أنّ

---

(١) الأمثل٣/ ٦٤٧.

للآيات القرآنية ـ بالإضافة إلى معانيها الظاهرية ـ معان باطنية يعبّر عنها ب (بواطن القرآن) أو (بطون القرآن)، ودليل قولنا هذا أنّ الأئمّة لم يكن لهم وجود في زمن النّبي ﷺ لكي يدعو القرآن أهل الكتاب للإيمان بهم) [1]

والآخرة خير وأبقى:

قال المدعي: لا بأس.. قد نسلم لكم بكل ما ذكرتم.. لكن ما تقولون في تلك التأويلات الخطيرة التي لا هدف لها إلا إنكار أصول الشريعة وفروعها.. بل القضاء على الإسلام تماما.

قال أحد المتهمين: كل ذلك من الغلو.. وكلها من الأكاذيب التي حذر منها أئمتنا، وفي إمكانك أن تذكر لنا ما تشاء منها لنبين لك وجه رده، وكيف لم يعر علماؤنا تلك التفاسير أي اعتبار.

قال المدعي: من الأمثلة على ذلك تأويل أكثر الآيات الوارد فيها أمثال لفظ القيامة، والحشر، والنشر، والبعث، وغيرها بالرجعة أوأهل البيت، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]، حيث فسرت (الآخرة) بأنها الإمام عليّ[2].

قال أحد المتهمين[3]: في سند الرواية المفضّل بن عمر، وهو من الغُلاة.. وفيها محمّد بن سنان، والمعلّى بن محمّد، وكلاهما ضعيف، وأوّلها من الغُلاة أيضاً.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (يشير البيان القرآني إلى العامل الأساس في عملية الانحراف

---

(١) الأمثل٣/ ٦٤٧.

(٢) تفسير البرهان، ٤/ ٤٥١.

(٣) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٦٩.

عن جادة الفلاح: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، ونقل الحديث النّبوي الشريف هذا المعنى، بقوله ﷺ: (حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة).. فالإنسان العاقل لا يجيز لنفسه أن يبيع الدار الباقية بأمتعة فانية، ولا أن يستبدل اللذائذ المحدودة والمحفوفة بألوان الآلام بالنعم الخالدة والنقية الخالصة)[1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقى﴾ إنّها الأكمل، وقدرة الإنسان يومئذ كاملة، إنّك لا تستطيع أن تستمرّ في الأكل إلّا ريثما يمتلئ بطنك، وإذا أسرفت فسوف تصاب بالتخمة والغثيان، ولكنّ أهل الجنة يجلسون على كلّ مائدة أربعمائة عام لا يملّون ولا يسأمون.. و إنّ المرض والهرم والكسل والضجر والموت يهدّد أهل الدنيا، بينما الآخرة باقية مع الأبد)[2]

ثم استدل لهذا بحديث رواه عن الإمام الباقر يقول فيه: (إنّ أهل الجنّة يحيون فلا يموتون أبدا، ويستيقظون فلا ينامون أبدا، ويستغنون فلا يفتقرون أبدا، ويفرحون فلا يحزنون أبدا، ويضحكون فلا يبكون أبدا، ويكرمون فلا يهانون أبدا، ويفكهون ولا يقطبون أبدا، ويحبرون ويسرّون أبدا، ويأكلون فلا يجوعون أبدا، ويروون فلا يظمؤون أبدا، ويكسون فلا يعرون أبدا، ويركبون ويتزاورون أبدا ويسلّم عليهم الولدان المخلدون أبدا، بأيديهم أباريق الفضة وآنية الذهب أبدا، متّكئين على سرر أبدا، على الأرائك ينظرون أبدا، تأتيهم التحيّة والتسليم من اللهّ أبدا، نسأل اللهّ الجنّة برحمته إنّه على كل شيء قدير)[3]

ثم علق عليه بقوله: (وهذه الحقائق وبالذات حقيقة الدنيا، وأنّها ليست بدار بقاء،

---

(١) الأمثل ٢٠/ ١٤٠.

(٢) من هدي القرآن١٨/ ٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ٨/ ٢٢٠.

وأنّ الآخرة خير منها وأبقى، إنّها لا تخصّ رسالة النبي بل هي في صحف الأنبياء جميعا، ولا سيما صحف إبراهيم عليه السلام الذي يحترمه العرب كما اليهود والنصارى، وموسى عليه السلام ـ الذي يزعم اليهود أنّهم أنصاره ثم ترى العرب واليهود يعبدون الدنيا، ويزعمون أنّ ذلك من دين الله ﴿إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى﴾ فلم يكن الرسول بدعا بين إخوانه)[1]

قال آخر: وقال آخر: (﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقى﴾ لأنها تمنح الإنسان السعادة الدائمة التي لا شقاء فيها ولا موت في طبيعتها، فهي الخير كله، والخلود كله.. فكيف تفضلون الشقاء على السعادة، والفناء على البقاء؟)[2]

وقال الإنسان ما لها:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٣]، فقد روي في تفسيرها تأويل الإنسان بالإمام عليّ.. وأرجعت بعض هذه الروايات موضوع الآيات إلى الزلزلة التي حدثت في زمانه، وأنه ضرب الأرض برجله مخاطباً لها: (مالكِ مالكِ)؟ حتّى هدأت!؟[3].

قال أحد المتهمين[4]: في سند هذه الروايات ضعاف أمثال أبي عبد الله الرازي، ومحمّد بن سنان، وإبراهيم بن إسحاق النهاوندي، والحسن بن محمّد بن جمهور، مع عدد آخر من المجهولين.

---

(١) من هدي القرآن١٨/ ٥٢.

(٢) من وحي القرآن٢٤/ ٢١٤.

(٣) تفسير البرهان، ٤/ ٤٩٣ و٤٩٤.

(٤) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٧٠.

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (عبارة ﴿زلزالها﴾ تعني أنّ الأرض بأجمعها تهتز في ذلك اليوم خلافا للزلازل العادية الموضعية عادة، أو أنّها إشارة إلى الزلزلة المعهودة، أي زلزلة يوم القيامة.. و﴿الأثقال﴾ ذكر لها المفسّرون معاني متعددة.. قيل إنّها البشر الذين يخرجون من أجداثهم على أثر الزلزال، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].. وقيل إنّها الكنوز المخبوءة التي ترتمي إلى الخارج، وتبعث الحسرة في قلوب عبّاد الدنيا.. ويحتمل أيضا أن يكون المقصود إخراج المواد الثقيلة الذائبة في باطن الأرض، وهو ما يحدث أثناء البراكين والزلازل، فإنّ الأرض في نهاية عمرها تدفع ما في أعماقها إلى الخارج على أثر ذلك الزلزال العظيم.. ويمكن الجمع بين هذه التفاسير) (١)

ثم تحدث عن المراد بالإنسان في الآية الكريمة، فقال: (في ذلك الجو المليء بالرهبة والفزع، تصيب الإنسان دهشة ما بعدها دهشة فيقول في ذعر: ما لهذه الأرض تتزلزل وتلقي ما في باطنها؟.. و ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ الإنسان في الآية هو الكافر الذي كان شاكا في المعاد والبعث، ولكن الظاهر أنّ الإنسان هنا له معنى عام يشمل كل أفراد البشر؛ فالدهشة من وضع الأرض في ذلك اليوم لا يختص بالكافرين) (٢)

قال آخر: وقال آخر: (نحن في الدنيا نشهد أهوالا تفزعنا وتكاد تقتلع أفئدتنا، ومنها الزلازل العظيمة التي قد تبتلع في لحظات مدينة كبيرة بناها الإنسان عبر قرون متمادية، وانها ـ على ذلك ـ ليست سوى زلزال محدود يضرب ناحية من الأرض، فيكف إذا كان شاملا للأرض كلّها؟! أيّ منظر رهيب، أم أيّ فزع عظيم، أم أي داهية كبري يكون ذلك الزلزال!

---

(١) الأمثل ٢٠/ ٣٧٦.

(٢) الأمثل ٢٠/ ٣٧٦.

﴿إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها﴾، ولعل ضمير (ها) العائد إلى الأرض يوحي بأنّ الزلزال لا يخص منطقة، وأنه يكون كأشد ما يقع في الأرض من زلزال.. ماذا يحدث عندئذ؟ هل تفور النواة المركزية للكرة الأرضية بعوامل غير معروفة لدينا فتهتز القشرة الفوقية للأرض هزّات عنيفة ومتتالية، ثم تقذف فوقها المواد التي احتسبت فيها منذ ملايين السنين؟ هكذا يبدو من الآيات التي تصرح بأن الأرض تلقي أثقالها)[1]

ثم فسر المراد من الإنسان في الآية، فقال: (ويبقى الإنسان حائرا مدهوشا! ماذا حدث للأرض حتى تزلزلت، وأخرجت ما في أحشائها، ولماذا وما هي الغاية؟.. ﴿وَقالَ الْإِنْسانُ ما لَها﴾.. قال بعضهم: هذا هو الكافر الذي جحد بالآخرة، فتساءل مع بروز أشراطها عنها وقال: ماذا حدث؟ ولكن يبدو أن تلك الحوادث المروعة تحمل كلّ إنسان على التساؤل)[2]

فاستبقوا الخيرات:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨]، فقد روي في تفسيرها أنّها في أصحاب الإمام المهدي.

قال أحد المتهمين: في سند هذه الروايات المفسّرة ضعاف ومجهولون، مثل محمّد بن سنان، والمفضّل بن عمر، وسهل بن زياد، وبعض منهم مهمل ومجهول.. بالإضافة إلى أن هذه الآية وردت في سياق الآيات التي تشير إلى تعيين الكعبة قبلةً للمسلمين، وحاصل الكلام، على ضوء هذه الآية، هو(أنّ كلّ قوم لهم قبلة مشرّعة على حسب ما تقتضيه

---

(١) من هدي القرآن١٨/ ٢٧٦.

(٢) من هدي القرآن١٨/ ٢٧٨.

مصالحهم وليس حكماً تكوينيّاً ذاتياً لا يقبل التغيير والتحويل، فلا يهم لكم البحث والمشاجرة فيه، فاتركوا ذلك واستبقوا الخيرات وسارعوا إليها بالاستباق، فإنّ الله سيجمعكم إلى يوم لا ريب فيه) [1].. ولذلك فإنه يمكن قبولها من باب الجري والتطبيق المتسامح فيه.. لا من باب التفسير الذي يحرم فيه القول بالرأي المجرد عن الدليل[2].

قال آخر: ولهذا فسرها جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (هذه الآية الكريمة ترد على الضجة التي أثارها اليهود حول تغيير القبلة وتقول: ﴿ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها﴾ كان للأنبياء عليهم السلام على مرّ التاريخ وجهات عديدة يولونها، وليست القبلة كأصول الدين لا تقبل التغيير، ولا أمرا تكوينيا لا يمكن مخالفته، فلا تطيلوا الحديث في أمر القبلة، وبدل ذلك ﴿اسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ﴾، لأن معيار القيمة الوجودية للإنسان هي أعمال البرّ والخير) [3]

قال آخر: قال آخر: (لكل قوم وجهة يتجهون إليها من خلال القاعدة الفكرية الإيمانية التي يرتكزون عليها في ما يأخذون به أو يتركونه، أو ينطلقون به من مواقع ومواقف وعلاقات بالحياة وبالإنسان، سواء في ذلك الأنبياء الذين ينطلق كل واحد منهم بملّته ووجهته التي تختلف في خصوصياتها فتتعدد جهاتها، ولكنها تلتقي في الإسلام الذي يجمع الرسالات كلها عند الانقياد للهّ في كل شيء، وهذا هو ما ينبغي للمسلمين أن يتحركوا فيه في انفتاحهم على الكعبة التي أراد اللهّ لهم أن يتوجهوا إليها، بعيدا عن كل عناصر الشك التي يثيرها اليهود والمنافقون في عملية تحويل القبلة التي شرّعها الأنبياء من قبلهم، لأنه من

(١) المصدر نفسهد/ ٣٢٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ١/ ٣٣٤ و٣٣٥.

(٣) الأمثل١/ ٤٢٢.

الممكن أن يختلف اتجاه القبلة بين رسالة وأخرى، وبين نبي وآخر، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فهذا هو الوجه الذي أراد اللهّ لكم أن تستقبلوه في كل مواقع حياتكم في رسالتكم التي حمّلكم اللهّ إياها من خلال رسوله بالمسارعة إلى الخيرات التي تمثل حركة الحياة في إيجابياتها الروحية والأخلاقية في الإنسان بعلاقته بالإنسان الآخر، وبالكون من حوله، عند ما يقدم من عقله وقلبه وروحه وجهده الكثير من الأفكار والمشاعر والعواطف والأعمال التي تفتح آفاته على عوالم جديدة كما توجّه خطواته إلى دروب جديدة، وترتفع بحياته إلى الدرجات العليا على مستوى تطوير طاقاته وتنميتها وتحويلها إلى عناصر حيّة في كل اتجاه من اتجاهات الحركة في الحياة) [١]

إقامة الصلاة:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فقد روي في تفسيرها أن ﴿الصلاة﴾ هي الإمام عليّ[٢].. ومثل ذلك أو قريب منه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، حيث ورد في الرواية أن سعد الخفّاف سأل الإمام الباقر: وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم ثمّ قال: نعم يا سعد، والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى.. إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر، فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله ونحن أكبر [٣].

(١) من وحي القرآن٣/ ٩٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ٤/ ٤٨٩.

(٣) الكافي، ٢/ ٥٩٨.

قال أحد المتهمين(١): في سند الرواية الأولى عمروبن شمر، وهوضعيف غال.. وأما الثانية؛ فضعيفة بسعد بن طريف الحنظلي راوي الحديث.. كما أنّ فيها علي بن العبّاس الخراذيني الرازي، وهوضعيف غال.. وفيها سفيان الحريري أو (صفوان الحريري) والحسين بن عبد الرحمن، وهم مهملون.

قال آخر: والدليل على أن تلك الروايات من وضع المغالين الذين كذبوا على أئمة الهدى، ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شرّ خلق الله) إلى أن قال: (إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله)، فقيل له: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: (الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزّكاة والصَّيام والحجِّ، فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عزّ وجل أبداً، وإن المقصّر إذا عرف عمل وأطاع)(٢)

قال آخر: ومثله ما روي أنه قيل للإمام العسكري: (إن علي بن حسكة يدَّعي أنه من أوليائك وأنك أنت الأول القديم وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو الى ذلك ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من النيابة والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصوم والصلاة والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال إليه ناس كثير فإن رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة)، فكتب الإمام العسكري: (كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي ماله لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمدا والأنبياء من قبله إلا بالحنيفية والصلاة والزكاة والحج والصيام والولاية، وما دعا محمد ﷺ

(١) مجلة المنهاج، ع٣٢/ ٢٧١.

(٢) أمالي الطوسي، ٢٦٤.

إلا إلى الله وحده لا شريك له)[1]

قال آخر: ومثله ما ورد من الأحاديث الدالة على معارضة الأئمّة لتأويل الآيات والموضوعات الشرعية فيهم، فقد كتب بعضهم إلى الإمام الكاظم في قوم يتكلّمون ويقرأون أحاديث وينسبونها إليك، ومن أقاويلهم أنّهم يقولون: إنّ قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] معناها رجل، لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأوّلوها.. فكتب إليه: ليس هذا ديننا فاعتزله[2].

قال آخر: ولهذا فسر جميع مفسرينا المعتبرين المعتمدين إقامة الصلاة بما فسرها به غيرهم، وفي جميع المواضع الواردة في القرآن الكريم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم: (طبيعة الصلاة ـ حيث أنّها تذكر بأقوى رادع للنفس، وهو الاعتقاد بالمبدأ والمعاد ـ تردع عن الفحشاء والمنكر، فالإنسان الذي يقف للصلاة، ويكبّر، يرى اللهّ أعلى من كل شيء وأسمى من كل شيء، ويتذكر نعمه فيحمده ويشكره، ويثني عليه وينعته بأنّه رحمان رحيم، ويذكر يوم الجزاء (يوم الدين) ويعترف بالعبودية له، ويطلب منه العون، ويستهديه الصراط المستقيم، ويتعوذ به من طريق المغضوب عليهم، ويلتجئ إليه (مضمون سورة الحمد).. فلا شك أنّ قلب مثل هذا الإنسان وروحه سوف تدبّ فيها حركة نحو الحقّ، واندفاع نحو الطهارة، ونهوض نحو التقوى.. يركع للهّ.. ويضع جبهته على الأرض ساجدا لحضرته، ويغرق في عظمته، وينسى أنانيته وذاتيّاته جميعا، و يشهد بوحدانيته وبرسالة النّبي ﷺ، و يصلي ويسلم على نبيّه، ويرفع يديه متضرعا بالدعاء ليجعله في زمرة عباده الصالحين..

---

(١) بحار الانوار: ٢٥ / ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥/ ٣١٥ (نقلًا عن رجال الكشي/ ٣٢١ و٣٢٢)

جميع هذه الأمور تمنح وجوده موجا من المعنوية، وتكون سدا منيعا بوجه الذنوب، و يتكرر هذا العمل عدة مرّات (ليل نهار) فحين ينهض صباحا يقف بين يدي ربّه وخالقه ليناجيه.. وعند منتصف النهار وبينما هو غارق في حياته المادية يفاجأ بصوت تكبير المؤذن، فيقطع عمله ويسرع إلى حضرته، بل في آخر النهار بداية الليل أيضا وقبل أن يدلف إلى فراش الدعة والراحة، يدعوه ويطلب منه حاجته، ويجعل قلبه مركز أنواره.. وبغض النظر عن كل ما تقدم فإنّ الإنسان حين يتهيأ لمقدمات الصلاة، يطهّر بدنه ويبعد عنه مسائل الحرام والغصب، ويتجه إلى الحبيب، فكلّ هذه الأمور لها تأثير رادع لنوازع الفحشاء والمنكر.. غاية ما في الأمر أنّ كل صلاة ـ بحسب شروط الكمال وروح العبادة لها ـ أثر رادع ناه عن الفحشاء والمنكر، فتارة تنهى نهيا كليّا وأخرى جزئيا ومحدودا.. ولا يمكن لأحد أن يصلي ولا تدع الصلاة فيه أثرا حتى لو كانت الصلاة صورية، وحتى لو كان ملوّثا بالذنب! وبالطبع فإنّ مثل هذه الصلاة قليلة الفائدة ومثل هؤلاء الأفراد لو لم يصلّوا صلاة كهذه لكانوا أسوأ ممّا هم عليه) [(١)]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال المدعي: فما تقولون في الرواية التي وردت في تفسير (الأمر بالمعروف) بالإمام عليّ، و(النهي عن المنكر) بمن ظلمه، فقد روي في تفسيرها أنه لما قدم الإمام الصادق العراق نزل الحيرة، فدخل عليه أبو حنيفة وسأله عن مسائل، وكان مما سأله أن قال له: جعلت فداك، ما الأمر بالمعروف؟ فقال: (المعروف ـ يا أبا حنيفة ـ المعروف في أهل السماء، المعروف في أهل الأرض، وذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).. قال: جعلت فداك، فما

---

(١) الأمثل١٢/ ٤٠٠.

المنكر؟ قال: (اللذان ظلماه حقه، وابتزاه أمره، وحملا الناس على كتفه).. قال: ألا ما هو أن ترى الرجل على معاصي الله فتنهاه عنها؟ فقال: (ليس ذاك أمرا بالمعروف، ولا نهيا عن المنكر إنما ذاك خير قدمه) (١)

قال أحد المتهمين: في سند هذه الروايات المفسّرة محمّد بن عائر، وهومهمل.. ويمكنك الرجوع لكتب الفقه عندنا لترى ما يقوله فقهاؤنا في أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وستجد أنها نفس ما يقوله جميع المسلمين.

قال آخر: ولهذا فسر جميع مفسرينا هذا بما فسرها به غيرهم.. ومن الأمثلة على ذلك قول بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]: (وبعد الصلاة يتطرّق لقمان عليه السلام إلى أهمّ دستور اجتماعي، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧] و بعد هذه الأوامر العمليّة المهمّة الثلاثة، ينتقل إلى مسألة الصبر والاستقامة، والتي هي من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فيقول: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] من المسلّم أنّه توجد مشاكل وعقبات كثيرة في سائر الأعمال الاجتماعية، وخاصّة في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المسلّم أيضا أنّ أصحاب المصالح والمتسلّطين، والمجرمين والأنانيّين لا يستسلمون بهذه السهولة، بل يسعون إلى إيذاء واتّهام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولا يمكن الإنتصار على هذه المصاعب والعقبات بدون الصبر والتحمّل والاستقامة أبدا) (٢)

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني (٥/ ٩٧٧)

(٢) الأمثل١٣/ ٤٧.

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]: (من الواضح أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عامّة على جميع الناس ولا تخصّ بعضا دون آخر، غير أنّ مسئولية الإنسان تجاه زوجته وأبنائه أكد من غيرها وأشدّ إلزاما، كما يتجلّى ذلك بشكل واضح من الروايات الواردة في مصادر عديدة، وكذلك الآيات السابقة التي تدعو الإنسان لأن يبذل أقصى جهده لتربية أهله وتعليمهم، ونهيهم عن ارتكاب الذنوب وحثّهم على اكتساب الخيرات، ولا ينبغي عليه أن يقنع ويكتفي بتوفير الغذاء الجسمي لهم.. و بما أنّ المجتمع عبارة عن عدد معيّن من وحدات صغيرة تدعى (العائلة) فإنّ الاهتمام بالعائلة وتربيتها تربية إسلامية صحيحة سيجعل أمر إصلاح المجتمع أسهل وأيسر، و تبرز هذه المسؤولية أكثر وتكتسب أهميّة خاصّة في العصر الراهن، حيث تجتاح المجتمع موجات من الفساد والضلال الخطرة، وتحتاج إلى وضع برنامج دقيق ومدروس لتربية العائلة لمواجهة هذه الموجات دون التأثّر بها والانجراف مع تيارها) [1]

مصادر التفسير المنحرف:

قال المدعي: لا بأس.. دعنا من كل هذه النماذج.. ولنهتم بالأصول والمصادر.. فكل ما ذكرناه من الأحاديث والروايات مقتبس منها.. ألستم تعتمدون تفسير الحسن العسكرى، وهو أحد أئمتكم.. ومثله تفسير محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى الكوفى المعروف بتفسير العياشى من علماء القرن الثالث الهجرى، وهو من أُمهات كتب التفسير عندكم.. وعليه تعوِّلون كثيراً.. ومثله تفسير علىّ بن إبراهيم القُمِّى فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى.. وغيرها، وكلها مملوءة بالضلالات والتحريفات.

---

(١) الأمثل١٨/ ٤٥٦.

قال أحد المتهمين: نحن ـ سيدي ـ مع احترامنا لجميع كتب التفسير والحديث إلا أننا لا نعتبر أحدا منها معصوما، بل نعرض ما فيه على كتاب الله تعالى؛ فإن وافقه قبلناه، وإلا رفضناه، ولهذا؛ فإنه لا يوجد عندنا ما يمكن اعتباره كتابا معتمدا أو صحيحا مجردا، وكيف يكون ذلك، وكل من ألفوها غير معصومين، وحتى لو كانوا كذلك فالرواة عنهم غير معصومين.

قال آخر: نحن نعمل في ذلك بما أوصانا به رسول الله ﷺ الذي قال: (إذا جاءكم حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاطرحوه، أو ردوه علينا)[1]

قال آخر: ومثله ما روي عن جميع أئمتنا، ومنهم الإمام علي الذي قال: (الوقوف عند الشبهة خيرٌ من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثا لم تروه خيرٌ من روايتك حديثا لم تحصه، إنّ على كل حقّ حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه)[2]، وقال: (ما جاءتك رواية من بر أو فاجر توافق القرآن فخذ بها، وما جاءتك من رواية من بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ بها)[3]

قال آخر: ومثله ما روي عن الإمام الصادق أنه قال: (كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)[4]

قال آخر: ولهذا اعتبر علماؤنا كل كتبهم الحديثية محال للمناقشة والنقد لأي رجل بلغ درجة الاجتهاد من غير نكير عليه، وقد قال الشيخ المفيد في كتابه [تصحيح الاعتقاد]:

---

(١) تهذيب الأحكام ٧/ ٢٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ١٦٥، وتفسير العياشي.

(٣) صحيح الكافي ١ ص١١.

(٤) وسائل الشيعة ١٨ / ٧٨.

(وكتاب الله تعالى مقدَّم على الأحاديث والروايات، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها، فما قضى به فهو الحقّ دون سواه)[1]

قال آخر[2]: ولهذا؛ فإن الجوامع الحديثية التي حوت على أمثال تلك التفاسير المأثورة نقلا عن الأئمّة لم يكد يصح منها إلّا القليل النادر.. فتفسير أبي النضر محمد بن مسعود العياشي (توفّي ٣٢٠) الذي كان من أجمع التفاسير المأثورة، أصبح مقطوع الإسناد، حين حذف أسانيده بعض الناسخين لعذر غير وجيه، وبذلك أسقط مثل هذا التفسير الثمين عن الحجّية والاعتبار.

قال آخر[3]: ومثله تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي (توفّي ٣٠٠)، وقد أسقطت أسانيده أيضا.. ومثلهما تفسير محمد بن العباس ماهيار المعروف بابن الحجّام (توفّي ٣٣٠)، حيث لم يوجد منه سوى روايات مقطوعة الإسناد.

قال آخر[4]: فهذه تفاسير كانت بروايات مسندة إلى أئمة أهل البيت، وقد أصبحت مقطوعة الإسناد فاقدة الاعتبار، لا يجوز الاستناد إليها في معرفة ما قاله الأئمّة في التفسير.

قال آخر[5]: وهكذا؛ فإن تفسير أبي الجارود، زياد بن المنذر الهمداني الخارفي الملقّب بسرحوب (توفّي ١٥٠) الذي يرويه عن الإمام الباقر، فإنه ضعيف لا اعتبار له.

قال آخر[6]: ومثله تفسيرأحمد بن محمد السياري (توفّي ٢٦٨)، فهو تفسير متقطع مختصر اعتمد المأثور عن الأئمّة، غير أنه ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفوّ الرواية، كثير المراسيل، حسبما وصفه أرباب التراجم.. وكان القمّيون ـ المحتاطون في نقل الحديث ـ

(١) تصحيح الاعتقاد: ٤٤.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٧.

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٧.

(٤) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٧.

(٥) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٧.

(٦) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٧.

يحذفون من كتب الحديث ما كان برواية السيّاري[1].

قال آخر[2]: ومثله تفسير النعماني، المنسوب إلى أبي عبد اللهّ محمد بن إبراهيم النعماني من أعلام القرن الرابع (توفّي ٣٦٠)، فهو تفسير مجهول، لم يعرف واضعه، وإنما نسب إلى النعماني عفوا ولم يثبت؛ فقد عزي هذا التفسير المشتمل على توجيه الآيات المتعارضة ـ فيما زعمه واضعه ـ إلى ثلاثة من شخصيات لامعة في تاريخ الإسلام، هم: السيد المرتضى علم الهدى، وسعد بن عبد اللهّ الأشعري القمّي، والنعماني هذا، والجميع مكذوب عليهم.

قال آخر[3]: ومثله التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمّي (توفّي ٣٢٩ هـ) فهو من صنع أحد تلاميذه المجهولين، وهو: أبو الفضل العباس بن محمد العلوي، الذي أخذ شيئا من التفسير بإملاء شيخه علي بن إبراهيم، ومزجه بتفسير أبي الجارود، وأضاف إليه شيئا ممّا رواه هو عن غير طريق شيخه بسائر الطرق، فهو تفسير مزيج ثلاثي الأسانيد، ولم يعرف لحدّ الآن من هذا العباس العلويّ، واضع هذا التفسير.. كما أن الراوي عن أبي الفضل هذا أيضا مجهول، فلم يصح الطريق إلى هذا التفسير، كما لم يعتمده أرباب الجوامع الحديثية، فلم يرووا عن الكتاب، وإنما كانت رواياتهم عن علي بن إبراهيم بإسنادهم إليه لا إلى كتابه، فهو تفسير مجهول الانتساب[4].

قال آخر[5]: و في القرن الحادي عشر قام مؤلّفان كبيران، هما: السيد هاشم بن سليمان البحراني المتوفّى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩) وعبد علي بن جمعة الحويزي المتوفّى (١٠٩١)، فجمعا المأثور من أحاديث أهل البيت الواردة في التفسير، من الكتب الآنفة،

(١) الذريعة: ١٧/ ٥٢.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٩.

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٧٩.

(٤) الذريعة: ٤/ ٣٠٢ـ٣٠٣. والصيانة/ ٢٢٩ـ٢٣١.

(٥) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/ ٤٨٠.

وما جاء عرضا في سائر الكتب الحديثيّة، أمثال الكافي وكتب الصدوق وكتب الشيخ، ونحوها، فجاء ما جمعه السيد البحراني باسم (البرهان)، والشيخ الحويزي باسم (نور الثقلين)، وقد اشتملا على تفسير كثير من الآيات القرآنية، بصورة متقطّعة، ولكن حسب ترتيب السور، من كل سورة آيات، ومن غير وفاء بتفسير كامل الآية، سوى الموضع الذي تعرض له الحديث المأثور.. غير أنّ غالبيّة هذه الروايات ممّا لا يوزن بالاعتبار؛ حيث ضعف إسنادها، أو إرسالها، أو مخالفة مضامينها مع أصول العقيدة أو مباني الشريعة، فضلا عن مخالفة العلم أو العقل الرشيد، الأمر الذي يوهن صدور مثلها عن أئمة أهل البيت؛ إذ يجب تنزيه ساحتهم عن صدور مثل هذه الأخبار الضعاف.

تفسير العسكري:

قال المدعي[1]: مع احترامي لكل ما ذكرتموه؛ فإن ذلك لا يكفي.. وخاصة مع التفاسير الخطيرة التي تحوي الكثير من المفاسد العقدية.. وأولها التفسير المنسوب للحسن العسكري.. والكتاب مملوء بالافتراء على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ وعلى أهل البيت الأطهار.

قال أحد المتهمين: إن هذا التفسير، سيدي، ليس من الكتب المعتبرة عندنا، وقد صرح أكثر علمائنا ومحدثينا بذلك.. ومنهم العلامة أحمد بن الحسين المعروف بابن الغضائري، فقد قال عنه: (محمد بن القاسم المفسّر الاسترابادي، روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيف كذّاب، روي عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين أحدهما: يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر: علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث

---

(١) مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع لعلي السالوس، ص٤٧٨.

(العسكري)، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير)[1]

قال آخر: ومثله العلامة أبو القاسم الخوئي، وهو من كبار المراجع المتأخرين، فقد قال عنه: (هذا التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري إنما يرويه هذا الرجل علي بن محمد بن يسار، وزميله يوسف بن محمد بن زياد، وكلاهما مجهول الحال.. هذا مع أن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع، وجلّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام)[2]

قال آخر: ومثله العلامة البلاغي، فقد قال فيه: (وأما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري، فقد أوضحنا في رسالة منفردة في شأنه أنه مكذوب موضوع، ومما يدل على ذلك نفس ما في التفسير من التناقض والتهافت في كلام الراويين وما يزعمان أنه رواية، وما فيه من مخالفة الكتاب المجيد، ومعلوم التاريخ كما أشار إليه العلامة في الخلاصة وغيره)[3]

قال آخر: ومثله العلامة الحلي، فقد قال فيه: (محمد بن القاسم، وقيل ابن أبي القاسم المفسر الأسترآبادي روى عنه أبو جعفر ابن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين: أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر: علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي، عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير)[4]

قال آخر: ومثله العلامة مصطفى بن الحسين التفرشي، فقد قال: (محمد بن القاسم:

---

(1) معجم رجال الحديث: ١٨/ ١٦٢.

(2) معجم رجال الحديث: ١٣/ ١٥٥.

(3) آلاء الرحمن: ١/ ٤٩.

(4) خلاصة الأقوال: ٢٥٦.

وقيل: ابن أبي القاسم المفسر الاسترآبادي، روى عنه: أبو جعفر ابن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيرا يروي عن رجلين مجهولين أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد والآخر علي بن محمد بن يسار عن أبيهما عن أبي الحسن الثالث ، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير)[1].. وليكن في علمكم ـ سيدي ـ أن قائل هذا الكلام من المحققين الكبار الذي تتملذ عليهم وعلى كتبهم كبار علماء الشيعة، وقد قال عنه محمّد الأردبيلي: (السيّد الأجل، جليل القدر، رفيع الشأن، عظيم المنزلة، فاضل كامل متبحّر، وأمره في جلالة قدره ورفعة شأنه وعظم منزلته وتبحّره أشهر من أن يُذكر، وفوق ما تحوم حوله العبارة، وكفاك في ذلك تأليفه كتاب الرجال في كمال النفاسة ونهاية الدقّة، وكثرة الفائدة، جزاه الله تعالى عنه خير جزاء المحسنين، ورضي عنه وأرضاه).. وقال عبد الله الإصفهاني: (عالم محقّق ثقة فاضل).. وقال الخونساري: (الناقد البصير، والفاقد النظير، والمحقّق النحرير، والموثّق التحرير.. والمقدّم قوله في الأقوال.. وكذلك كمال وثاقته وعدالته ونهاية ضبطه وجلالته).. وقال عباس القمّي: (سيّد جليل ماهر عالم محقّق ثقة فاضل أمين) [2]

قال آخر: ومثله العلامة المحقق الداماد: (وأما تفسير محمد بن القاسم المفسر الأسترآبادي، من مشايخ أبي جعفر بن بابويه وعده رجال الحديث ضعيفا، فهو تفسير مروي عن رجلين مجهولي الحال، وأسنداه إلى أبي الحسن الثالث الهادي العسكري، وعد القاصرون، لا المتبحرون هذا الإسناد معتبرا، ولكن حقيقة الحال أن هذا التفسير موضوع، ويسند إلى أبي محمد سهل بن أحمد الديباجي، ويحتوي على أحاديث منكرة، وأخبار كاذبة.

---

(١) نقد الرجال: ٤ / ٣٠٣.

(٢) نقد الرجال ١ / ٧.

وإسناده إلى الإمام المعصوم اختلاق، وافتراء، وما يتوهمه المتوهم في عصرنا هذا من أنه: يجوز أن يكون تفسير العسكري هو تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، هو أيضا وهم كاذب، وخيال باطل سببه ضعف الخبرة: ونقصان المهارة، وقلة الإطلاع على كتب الرجال)[1]

قال آخر: ومثله العلامة الاسترآبادي ، فقد قال عنه: (محمد بن القاسم، وقيل ابن أبي القاسم، المفسر الاسترآبادي، روى عنه أبو جعفر ابن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين، أحدهما: يعرف بيوسف بن محمد بن زياد والآخر: علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير)[2]

قال آخر: ومثله العلامة الاردبيلي، فقد قال عنه: (محمد بن القاسم، وقيل ابن أبي القاسم، المفسر الاسترآبادي، روى عنه أبو جعفر ابن بابويه، ضعيف كذاب، روى عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين، أحدهما: يعرف بيوسف بن محمد بن زياد والآخر: علي بن محمد بن يسار، عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير)[3]

قال آخر: ومثله المحقق التستري، فقد قال: (الباب الثاني في الأحاديث الموضوعة، وفيه فصول.. الفصل الثاني في أخبار التفسير الذي نسبوه إلى العسكري بهتانا، يشهد لافترائها عليه السلام وبطلان نسبتها إليه، أولا: شهادة خريت الصناعة ونقاد الآثار أحمد

---

(١) معالم العلماء: ٢٩.

(٢) منهج المقال: ٣١٥.

(٣) جامع الرواة: ٢/ ١٨٤.

بن الحسين الغضائري أستاذ النجاشي أحد أئمة الرجال، فقال: إن محمد بن أبي القاسم الذي يروي عنه ابن بابويه ضعيف كذاب، روي عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين: أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر بعلي بن محمد بن يسار، عن أبويهما، عن أبي الحسن الثالث، والتفسير موضوع عن سهل الديباجي عن أبيه بأحاديث من هذه المناكير وثانيا بسبر أخباره، فنراها واضحة البطلان مختلقة بالعيان، ثم ذكر نحوا من أربعين موردا من الموارد التي زعم، أنها تشهد بكذب هذا التفسير وكونه موضوعا، ثم قال: ما نقلت من هذه الكتاب نموذج منه، ولو أردت الاستقصاء لاحتجت إلى نقل جل الكتاب لولا كله، فإن الصحيح فيه في غاية الندرة، ثم قال: وأيضا لو لم يكن هذا الكتاب جعلا لنقل هذه المعجزات العجيبة التي نقلها عن النبي ﷺ وأمير المؤمنين وباقي الأئمة، ولرواها علماء الإمامية، وأيضا لو كان الكتاب من العسكري لنقل شيئا منه علي بن إبراهيم القمي، ومحمد بن مسعود العياشي اللذان كانا في عصره ومحمد بن العباس بن مروان الذي كان مقاربا لعصره في تفاسيرهم، والكل موجود ليس في شئ منها أثر منه، ثم قال: وبالجملة هذا تفسير وإن كان مشتملا على ذكر معجزات كثيرة لأمير المؤمنين كالنبي ﷺ وهو بمنزلة نفس النبي ﷺ بشهادة القرآن، إلا أنه ليس كل ما نسب إليهم صحيحا، فقد وضع جمع من الغلاة أخبارا في معجزاتهم وفضائلهم وغير ذلك.. كما أنه وضع جمع من النصاب والمعاندين أخبارا منكرة في فضائلهم ومعجزاتهم بقصد تخريب الدين، ولأن يرى الناس الباطل منه فيكفروا بالحق منه قال الباقر: (ورووا عنا ما لم نقله، ولم نفعله، ليبغضونا إلى الناس)[1]

قال آخر: ومثله الميرزا أبو الحسن الشعراني، فقد قال عنه: (لم ينقل المصنف (الشيخ

---

(١) الأخبار الدخيلة: ١ / ١٥٢ – ٢٢٨.

الطبرسي) عن التفسير المنسوب إلى العسكري.. وقال العلامة في محمد بن القاسم الأسترآبادي: إنه موضوع، وضعه سهل بن أحمد الديباجي، وأحاديثه منا كير)[1]

ثم استدل ببعض ما فيه من أخطاء، فقال: (ومن أغلاطه أن الحجاج حبس المختار بن أبي عبيدة وهم بقتله ولم يمكنه الله منه حتى نجاه وانتقم من قتلة الحسين عليه السلام، مع أن إمارة الحجاج كان من سنة ٧٥ وقتل المختار قبل ذلك بسنين، وكان ظهوره على قتلة الحسين سنة ٦٤، وإنما قتل المختار مصعب بن الزبير وقتل مصعبا عبد الملك، وفي ذلك قال له رجل: هذا رأس مصعب لدى، ورأيت رأس المختار هنا لدى مصعب، ورأس ابن زياد لدى المختار، ورأس الحسين لدى ابن زياد، فقال عبد الملك: لا أراك الله الخامس، في قصة خرب بسببها عبد الملك قصر الإمارة بالكوفة..ومن أغلاطه أيضا أنه توهم أن سعد بن أبي وقاص كان في فتح نهاوند. وذكر في تفسير ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ما يستحيى من نقله ويشمئز الطبع من قرائته، نعوذ بالله من الضلال، ونسأله الهداية والصواب)

ثم قال: (ولم يكن واضع هذا التفسير عارفا بالتاريخ، والعجب أن ما نقلنا عن التفسير موجود في البحار ولم يتعرض المجلسي لرده)

قال آخر: ومثله العلامة الخوانساري الذي قال:(إن احتمال الواضع فيه (أي فقه الرضا) بعيد لما يلوح عليه من حقيقة الصدق والحق؛ ولأن ما استعمل عليه من الأصول والفروع والأخلاق أكثرها مطابق لمذهب الامامية، وما صح عن الأئمة، ولا يخفى أنه لا داعي للوضع في مثل ذلك، فان غرض الواضعين تزييف الحق، وترويج الباطل، والغالب

---

(١) مجمع البيان: ١٠ / ٥٨٠، والتفسير المنسوب للإمام العسكري: ٢٠٠.

وقوعه عن الغلاة والمفوضة والكتاب خال عما يوهم ذلك بخلاف غيره مما نسب إلى الأئمة.. كمصباح الشريعة المنسوب إلى مولانا الصادق.. وتفسير الإمام المنسوب إلى سيدنا أبي محمد العسكري، فإن من أمعن النظر في تضاعيفهما اطلع على أمور عظيمة مخالفة لأصول الدين أو المذهب، مغيرة لطريقة الأئمة وسياق كلماتهم)[1]

قال المدعي: ولكن مع ذلك، نرى أن هناك من قبل رواياته، ونشرها.. ومن الأمثلة على ذلك الشيخ الصدوق؛ فقد نقل في كتبه بعض روايات هذا التفسير أو غيرها، إما بعين سند التفسير، وإما مع اختلاف يسير، مع العلم أنه صرح بأنه لا ينقل في كتابه [من لا يحضره الفقيه] إلا رواية تكون حجة بينه وبين الله كما قاله في مقدمته، وما نقل في الفقيه بسند هذا التفسير موجود بعينه في تفسير العسكري[2].

قال أحد المتهمين: لاشك أن في روايته له من باب التساهل في نقل الأخبار، وهو نهج وقع فيه للأسف في بعض كتبه، ومنها ـ مثلا ـ ما ذكره في آخر المجلس الرابع والأربعين من أماليه في شأن إطعام الإمام علي للمسكين واليتيم والأسير شعرا لأمير المؤمنين والزهراء لا يرتاب العارف بشأنهما في كذب نسبته لهما لما فيه من الركاكة والألحان واختلال الوزن[3].

قال آخر: ولهذا؛ فإنا لو طبقنا ما يطلق عليه [نقد المتن]، فسنجد الأدلة الكثيرة على الكذب الموجود فيه، وأن الإمام العسكري منزه عنه.. ومن الأمثلة على ذلك[4] ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فقد نقل عن زين العابدين قوله: (أي أطيعوا ربكم من حيث يأمركم

---

(١) رسالة في تحقيق فقه الإمام الرضا: ٧.

(٢) الفقيه: ٢/ ٣٢٧، التفسير المنسوب للإمام العسكري: ١٣.

(٣) الامالي ـ الصدوق (ص ٣٣٠)

(٤) اقتبسنا الأمثلة التالية والتعقيب عليها من رسالة في التفسير المنسوب للإمام العسكري للشيخ البلاغي.

أن تعتقدوا أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له)، وذكر جملة من صفات الله فيما يجب اعتقاده، وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله، وأن آل محمد أفضل آل النبيين وأن عليا أفضل آل محمد وأن أمة محمد أفضل أمم النبيين وان أصحاب محمد أفضل أصحاب النبيين، ثم قال بعد هذا بمقدار من الكلام: فذلك قوله تعالى ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ اعبدوه بتعظيم محمد ﷺ وعلي)[1]

لقد عقب العلامة الشيخ البلاغي على هذا بقوله: (أفلا ترى الاضطراب والتهافت في ذكر هذين التفسيرين، كيف يصحّ الاقتصار على عبادة الله بتعظيم محمد وعلي؟.. أترى الكاتب يريد أن الاعتقاد بما ذكر أولا من وحدانية الله وصفاته الكريمة جلّ شأنه كله يرجع في الحقيقة إلى تعظيم محمد وعلي، أو أن الكاتب ذكر رأي زين العابدين أولا ثم ذكر ما يراه هو تأويلا، أو إغماضا عن النقد وهل يكون هذا من إمام أو عالم مستقيم من أصحابه؟)

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك هذه الخرافات التي وصف فيها كيفية خلق السموات والأرض، والتي لا تختلف عن الخرافات الإسرائيلية، فقد ورد فيه: (فخلق من دخانه السماوات السبع، وخلق من زبده الأرضين السبع فبسط الأرض على الماء، وجعل الماء على الصفا، والصفا على الحوت، والحوت على الثور، والثور على الصخرة التي ذكرها لقمان لابنه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، والصخرة على الثرى، ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله، فلما خلق الله تعالى الأرض دحاها من تحت الكعبة، ثم بسطها على الماء، فأحاطت بكل شيء، ففخرت الأرض، وقالت: أحطت بكل شيء فمن يغلبني؟ وكان

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ١٣٩.

في كل أذن من آذان الحوت سلسلة من ذهب مقرونة الطرف بالعرش، فأمر الله الحوت فتحرك فتكفأت الأرض بأهلها كما تتكفأ السفينة على وجه الماء و قد اشتدت أمواجه لم تستطع الأرض الامتناع، ففخر الحوت وقال: غلبت الأرض التي أحاطت بكل شئ، فمن يغلبني؟ فخلق الله عز وجل الجبال فأرساها، وثقل الأرض بها، فلم يستطع الحوت أن يتحرك، ففخرت الجبال وقالت: غلبت الحوت الذي غلب الأرض، فمن يغلبني؟ فخلق الله عز وجل الحديد، فقطعت به الجبال، ولم يكن عندها دفاع ولا امتناع ففخر الحديد وقال: غلبت الجبال التي غلبت الحوت فمن يغلبني؟ فخلق الله عز وجل النار، فألانت الحديد وفرقت أجزاءه ولم يكن عند الحديد دفاع ولا امتناع)[١]

لقد عقب العلامة الشيخ البلاغي على هذا بقوله: (ومقتضى هذا أن الأرض قبل خلق الجبال فيها كانت آهلة محيطة بكل شيء فليلحظ ذلك مع قوله تعالى في سورة فصّلت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ٩-١٠]، فإن خلق الجبال، فأما يكون في يومي خلق الأرض فهو قبل البركة فيها، وتقدير أقواتها، فلا تكون حينئذٍ آهلة محيطة بكل شيء، وأما أن يكون في يومي البركة في الأرض فيبعد في عادة الله تعالى، سيما في خلق الأرض والسموات والعالم، أن يجعل الأرض آهلة محيطة بكل شيء في يوم ونحوه قبل خلق السموات.. مضافا إلى مقتضى الحديث أن الأرض كانت على الماء لا على الحوت، والحال إن الجبال جزء من الأرض ومن طبيعتها مهما بلغت من العظم فلا تقتضي رسوب الأرض على الصفا على خلاف طبيعة الأرض

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ١٤٤ – ١٤٥.

التي طبعها الله عليها، على أن الجبال بالنسبة إلى جرم شيء يسير فلو كانت من غير طبيعة الأرض لما اقتضت ثقلا ترسب به الأرض إذا كانت طافية على الماء، أو تضعف به الحوت إذا كانت تقوى على الأرض)

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢] ما ملخّصه: (إن بني إسرائيل قالوا للسامري كيف يكون العجل إلهاً ؟ فقال: إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم، وقال: إن السامري نصب عجلا مؤخره إلى الحائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض، وأجلس فيه بعض مردته فهو الذي وضع فاه في دبره وتكلم بما تكلم لما قال هذا إلهكم واله موسى)[1].. وحاصل هذا أن كلمات الضلال كانت تخرج من ناحية فم العجل بدسيسة تكلم المارد من وراء الحائط في دبر العجل، فضلّ بنو إسرائيل وحسبوا أن العجل يكلمهم على أن الله يكلمهم على لسانه.. وكأن هذا المفسّر لم يفطن إلى قوله تعالى في وصف العجل وتوبيخ الضالين بعبادته والاحتجاج والإنكار عليهم: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧]: (لما كنتم في التيه يقيكم حر الشمس وبرد القمر)[2].. وقد علق عليه الشيخ البلاغي بقوله: (ولا يخفى أنه لا يوجد للقمر برد يحتاج إلى الوقاية، ألا ترى يبدو في الصيف كاملا والناس تضجر من الحر، وينقص في الشتاء ويمحق وتتضور من البرد، فمن أين جاء

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ٢٥١ – ٢٥٢.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ٢٥٨.

برد القمر في الآية الكريمة أيكون هذا من إمام؟)

تفسير القمي:

قال المدعي: لا بأس.. يمكننا أن نقبل ما ذكرتموه من الأدلة والتصريحات على عدم اعتبار ذلك التفسير.. لكن ما تقولون في تفسير أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، وهو تفسير يشمل القرآن الكريم كله.. وصاحب الكتاب كان في عصر الإمام العسكري، وعاش إلى سنة (٣٠٧ هـ).. وهو فوق ذلك ثقة عندكم ، بل يعتبر من أجل الرواة، وقد أكثر من النقل عنه تلميذه محمد بن يعقوب الكليني في كتابه (الكافي)، الكتاب الأول في الحديث عندكم.. ومع ذلك كله نجده مملوءا بكل أنوع الغلو والتحريف والضلالة[١].. وإن شئتم ذكرتم لكم من ذلك الكثير.. فكيف تبرؤون أنفسكم من هذا الكتاب الذي توثقون مؤلفه؟

قال أحد المتهمين[٢]: ما ذكرته من قدم هذا التفسير، وكونه مصدرا مهما لكثير من التفاسير التي تعتمد على الروايات في تفسير الآيات، كالبرهان والصافي ومجمع البيان وغيرها صحيح.. ومثل ذلك ما ذكرته من توثيق شخصية علي بن إبراهيم القمي؛ فقد أجمع الرجاليون على ذكره بألفاظ المدح والتعديل، حيث قال عنه النجاشي: (علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتبا وأضر في وسط عمره، وله كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب قرب الإسناد)[٣].. وقال آخر: (إنه من أجل رواة أصحابنا، كان في عصر الإمام

---

(١) مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع لعلي السالوس ـ ص٤٨٩.

(٢) رجعنا في هذا المبحث إلى دراسة بعنوان: تفسير القمّي، دراسة علمية على ضوء علم الرجال والحديث، الشيخ محمود هيدوسفى.

(٣) رجال النجاشي: ١٨٣.

العسكري، وعاش إلى سنة ٣٠٧هـ، وقد أكثر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرواية عنه في الكافي)[١]

قال آخر: لكن المشكلة ليست فيه، وإنما في صحة نسبة التفسير الموجود إليه.. وذلك لا يعني أننا ننكر أو نشك بأن لعلي بن إبراهيم كتابا باسم التفسير، فهذا مما لا شك فيه؛ إذ إن النجاشي والطوسي قد نصا على وجود التفسير المذكور[٢]، وذكرا إليه طريقا صحيحا.. لكن ما يدعو للشك هو التفسير المتداول اليوم.. فراوي التفسير هو أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى الكاظم، وهو الذي صدر التفسير بقوله: (حدثنا أبو الفضل.. قال: حدثنا علي بن إبراهيم..)[٣].. وهذا الراوي مجهول الحال، غير مذكور في كتب الرجال.. وهذا وحده كاف لإسقاط الكتاب عن الاعتبار، وبالتالي لا نجزم بصحة نسبة ما بأيدينا إلى علي بن إبراهيم؛ لجهالة الراوي، بل جهالة من أملى عليه أبو الفضل، بقرينة: (حدثنا أبو الفضل..)

قال المدعي: ولكن ألا تعلم أن السيد طيب الجزائري رفع الجهالة عنه بقوله: (إلا أن ما يدل على علو شأنه وسمو مكانه، كونه من أولاد الإمام موسى بن جعفر ومنتهيا إليه بثلاث وسائط فقط.. ومما يرفع غبار الريب عن اعتبار الراوي ركون الأصحاب إلى هذا الكتاب وعملهم به بلا ارتياب، فلو كان فيه ضعف لما ركنوا إليه)

قال أحد المتهمين[٤]: هذا التبرير غير كاف، ولا معتبر.. فانتساب الراوي إلى الإمام حتى مع عدم الواسطة ليس دليلا على الوثاقة، فهذا جعفر ابن الإمام الهادي قد لقب بجعفر الكذاب.

---

(١) تفسير القمي: ٨.

(٢) الفهرست: ٢٠٩؛ ورجال النجاشي: ١٨٣.

(٣) تفسير القمي ١: ٢٧.

(٤) تفسير القمّي، دراسة علمية على ضوء علم الرجال والحديث، الشيخ محمود هيدوسفى.

قال آخر: أما ركون الأصحاب إلى الكتاب، مع أنه لا يمكن اعتباره دليلا إلا أنه قد يكون لتفسيره الموجود آنذاك، لا لهذا التفسير الذي بين أيدينا.. بالإضافة إلى أن الركون من الأصحاب قد يكون للوثوق بكثير مما تضمنه من روايات توافق القرآن الكريم، ذلك أنه ليس كل ما فيه مرفوض مردود.

قال المدعي: لكني رأيت أن مشكلة جهالة الراوي للكتاب، طرحها الشيخ المعاصر باقر الإيرواني، وأجاب عنها بقوله: (وفيه: أن الشيخ الطوسي في فهرسته يذكر طريقا صحيحا إلى جميع كتب علي بن إبراهيم، والتي منها تفسيره، وينص في ذلك الطريق إلى القمي نفسه، ومع افتراض أن القمي نفسه قد أجاز الشيخ الطوسي بالوسائط في نقل تفسيره، فلا تضر بعدها جهالة أبي الفضل)[1].

قال أحد المتهمين[2]: إن هذا الافتراض يتم لو كان القمي قد أعطى الواسطة الأولى كتابه، وقال له: أجيزك أن تنقل هذا الكتاب، وهكذا نكون قد حصلنا على ما في النسخة الأصلية، أو يكون قد قرأ عليه التفسير فأجازه بنقله؛ وهذا بعيد؛ لكثرة مؤلفات علي بن إبراهيم، والإجازة لم تكن للتفسير، بل لجميع كتبه بما فيها التفسير كما ذكر الشيخ الطوسي.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن قوله: (لا تضر بعدها جهالة أبي الفضل) غير مقبول ولا صحيح، ذلك أن أبا الفضل ما زال طرفا من خلال وجوده في كل النسخ التي بأيدينا، فهو الذي يقول: (حدثنا علي بن إبراهيم..)، مما يبعد من احتمال أن يكون الكتاب قد وصلنا من طريق آخر، بل هناك قرائن كثيرة موجودة في الوسائل والبحار تدل على أن النسخة الموجودة لديهما هي نفس النسخة الموجودة لدينا بتوسط أبي الفضل، فكثيرا ما يرد

---

(١) الشيخ الإيرواني، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ١٧٣.

(٢) تفسير القمّي، دراسة علمية على ضوء علم الرجال.

في الوسائل: (علي بن إبراهيم في تفسيره، عن أبي الجارود)[1]

قال آخر: وهكذا يذكر علماء الرجال كالشيخ محمد سند[2] الشواهد الكثيرة من الوسائل والبحار وغيرها، والتي تفيد أن نسخة صاحب الوسائل لتفسير القمي، وكذلك النسخة التي عند العلامة المجلسي، وأيضا النسخة التي عند صاحب تفسير البرهان، هي النسخة عينها التي بأيدينا بتوسط أبي الفضل.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الفحص والتأمل في تفسير القمي يفضيان إلى القول بأنه عبارة عن خليط من تفسيرين أو أكثر، فبعضه للقمي وبعضه الآخر لغيره، بل عبارة الآغا بزرك الطهراني توحي بأنه مقتنع بهذا التصرف من الراوي؛ فقد قال: (ولخلو تفسيره (القمي) هذا عن روايات سائر الأئمة، فقد عمد تلميذه الآتي ذكره (يقصد أبا الفضل)، والراوي لهذا التفسير عنه إلى إدخال بعض روايات الإمام الباقر التي أملاها على أبي الجارود في أثناء هذا التفسير، وبعض روايات أخر عن سائر مشايخه مما يتعلق بتفسير الآية ويناسب ذكرها في ذيل تفسير الآية، ولم يكن موجودا في تفسير علي بن إبراهيم؛ فأدرجها في أثناء روايات هذا التفسير؛ تتميما له تكثيرا لنفعه، وذلك التصرف، وقع منه من أوائل سورة آل عمران إلى آخر القرآن)[3]

قال آخر: وقد ذكر السيد جعفر مرتضى ذلك ـ وهو في معرض الرد على الأحاديث التي صرحت أو يفهم منها تحريف بعض الآيات القرآنية ـ بقوله: (وأما بالنسبة لأحاديث تفسير القمي، فهو وإن حاول بعض الأعلام أن يستدل لوثاقة جميع رواته، إلا أن كثيرين من العلماء لم يقبلوا ذلك منه، وناقشوا أدلته وردوها.. لا سيما.. وأن هذا التفسير قد خلط

---

(1) الوسائل٢٢.

(2) محمد سند، بحوث في مباني علم الرجال: ٢١٢ ـ ٢١٦.

(3) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤: ٣٠٢.

ما روي عن القمي بما روي عن أبي الجارود الضعيف الرواية، بالإضافة إلى علل أخرى موجودة فيه)[1]

قال آخر: وقد رد الشيخ الإيرواني أيضا استفادة التوثيق العام من المقدمة بقوله: (إن النسخة الأصلية للكتاب المذكور ليست بأيدينا، والمطبوع المتداول لا نجزم بكونه بكامله تفسير القمي وغيره ـ وبعد أن ذكر القرائن قال ـ: ومعه فيحصل علم إجمالي بكونه خليطا من تفسير القمي وغيره، وحيث لا يمكن التمييز؛ فيسقط جميعه عن الاعتبار)[2].. وقال في موضع آخر: (إن القمي وإن كان له كتاب باسم التفسير ولا يمكن التشكيك في ذلك؛ باعتبار أن النجاشي والطوسي قد نصا على وجود التفسير المذكور وذكروا إليه طريقا صحيحا.. ولكنا نشكك في كون التفسير المتداول اليوم هو نفس تفسير القمي، ونحتمل عدم كونه للقمي رأسا، ولا أقل بعضه للقمي والبعض الآخر قد دس فيه) ثم ذكر ما يؤكد ذلك من القرائن[3]

قال آخر: من الشواهد والقرائن الدالة على كون التفسير الموجود خليطا من تفسيرين أحدهما للقمي ما ورد في التفسير من التعابير التي لا تتناسب وكون المفسر واحدا، بل تدل على الخروج من تفسير إلى آخر، فكثيرا ما يرد هذا التعبير: (رجع إلى تفسير علي بن إبراهيم) أو (رجع إلى رواية علي بن إبراهيم) أو (رجع الحديث إلى علي بن إبراهيم) أو (في رواية علي بن إبراهيم)[4].. فلو كان التفسير لعلي بن إبراهيم، فهل خرج عنه حتى يعود إليه.. بل كما هو الظاهر هناك خروج عن تفسير القمي ودخول في تفسير آخر، كتفسير أبي الجارود، ومما يدل على ذلك أن هذه التعابير لم ترد بعد كلام ليس له علاقة بتفسير الآيات؛ ليقال: إنه ربما

---

(١) جعفر مرتضى، حقائق هامّة حول القرآن الكريم: ٣٣.

(٢) الإيرواني، دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية: ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٤) يمكن مراجعة هذه التعابير في تفسير القمي ١: ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣١٣، ٣٨٩.

خرج علي بن إبراهيم بنحو الاستطراد إلى موضوع آخر لا يتعلق بالتفسير ثم عاد إلى التفسير، بل كانت ترد بعد تفسير آية، وفي (رواية أبي الجارود) ونحو ذلك.

قال آخر[1]: ومن تلك القرائن كثرة النقل عن أحمد بن محمد، وهو المعروف ـ بحسب الظاهر ـ بابن عقدة الراوي عن الكليني، مع أن الكليني في الكافي يروي عن علي بن إبراهيم كثيرا، فكيف يمكن أن يروي علي بن إبراهيم عن تلميذه.

قال آخر[2]: ومن تلك القرائن وجود الواسطة بين علي بن إبراهيم وبين أبيه، فقد ذكر في أحد الطرق شخصان إلى إبراهيم بن هاشم؛ فلو كان لعلي بن إبراهيم فلا حاجة إلى الواسطة.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى تضعيف علمائنا لبعض الرواة الواقعين في إسناد التفسير، وهو يدل على أن القمي لا يقصد توثيق جميع من ورد في تفسيره.. فبعد دراسة طويلة ومفصلة لكل الأسانيد الواقعة في تفسير القمي، وما قيل في ترجمة الرجال الواقعين في إسناده تبين أنه يوجد راويا تقريبا ـ بعد حذف المشترك ـ منهم راويا من مجهولي الحال، ولم يرد لأكثرهم ذكر في المجاميع الرجالية، والباقون ذكروا ولكن بلا توثيق أو تضعيف، ومنهم من الثقات بحسب الظاهر، وهناك ٢٠ راويا ممن ضعفوا من قبل النجاشي أو الشيخ وغيرهما.. فتكون النسبة التقريبية هي ٤٢ بالمائة من الثقات تقريبا، و ٨ بالمائة من المضعفين، و ٥٠ بالمائة من المجهولين.. وهذه النسب هي من مجموع الرواة بمن فيهم المجهولي الحال، وبما أنه في الواقع يوجد بين المجهولين الثقات والضعاف بنسب متفاوته تبعا للنسبة الاحتمالية التي نحصل عليها من مجموع الموثقين والمضعفين، فلا بد من معرفة هذه النسبة،

(١) أصول علم الرجال: ١٦٤.

(٢) أصول علم الرجال: ١٦٤.

(٣) تفسير القمّي، دراسة علمية على ضوء علم الرجال.

لنطبقها على عدد المجهولين لنرى ما هو العدد المحتمل للثقات، وما هو العدد المحتمل للضعاف.. وعندما قمنا بذلك وجدنا أن مجموع عدد الموثقين والمضعفين هو (١٠٤ + ٢٠) أي ١٢٤، منهم ثقات و٢٠ ضعاف، وعليه تكون النسبة الإحتمالية تقريبا ٨٤ بالمائة من الثقات و١٦ بالمائة من الضعاف.. ثم لا يخفى أن هذه النسبة قد دخلت فيها كل العوامل الكيفية، سواء من جانب الثقات كأمثال زرارة ومحمد بن مسلم، أو من جانب المضعفين كالمفضل بن صالح أبي جميلة، وذلك لتشخص كل الرواة الذين أخذت النسبة منهم.

قال آخر[1]: وهذه النسبة و١٦ بالمائة من الضعاف نسبة لا يهملها الذهن البشري ويطرحها، بل يأخذ بها، وإن كانت قليلة نسبة إلى عدد الثقات، إذ تبعا لهذه النسبة، من المحتمل أن يكون هناك (١٩) راوياً من الضّعاف، مردّدين بين (١١٩) من المجاهيل، ومع هذا العلم الإجمالي بوجود هذا العدد المعتدّ به عقلائياً، كيف نطمئن إلى وثاقة كلّ الرواة الواقعين في الأسانيد المذكورة.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك كله ما ورد فيه من الروايات التي تخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة وما ذكره أئمة الهدى.. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد فيه من الروايات الدالة على عدم عصمة الملائكة، كما في قصة هاروت وماروت المعروفة .. ومثلها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]، فقد أورد فيه عن بعض الأئمة قوله: (إن الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة، فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر)، وساق القصة في كيفية لقائه بإدريس عليه السلام وكيف رضي الله عنه بدعائه له فرد جناحه، ثم طلب إدريس من الملك أن يرفعه إلى السماء لينظر إلى ملك الموت، فرفعه حيث التقى به في السماء الرابعة فحرك

---

(١) تفسير القمّي، دراسة علمية على ضوء علم الرجال.

ملك الموت رأسه تعجبا إذ كان مأمورا بقبض روحه في هذا المكان)[1].. وهذا معارض لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وقوله ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠]، وغيرها من الآيات والأحاديث.. بالإضافة إلى إجماع علمائنا على ذلك، فقد ذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار [2] بابا مفصلا عن عصمة الملائكة، وقال أيضا في موضع آخر: (اعلم أنه أجمعت الفرقة المحقة وأكثر المخالفين على عصمة الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين من صغائر الذنوب وكبائرها) [3]

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك ما ورد فيه من الروايات الدالة على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام، والمخالف لما عليه أئمتنا من عصمتهم؛ ومن الأمثلة على ذلك ما ورد فيه من ذكر قصة داوود وكيف افتتن بامرأة أوريا حين نظر إليها وهي تغتسل، وكيف قدم أوريا بين يدي التابوت ليقتله، فقتله وتزوج بامرأته وولدت له سليمان[4].

وهي رواية تتنافى مع ما ذكره أئمتنا عن عصمة الأنبياء عليهم السلام، وقد ورد في (عيون أخبار الرضا) عن أبي الصلت: أن الإمام الرضا عند سؤاله عن هذه القصة، ضرب على جبهته وقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيا من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل!)

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما روي في التفسير منسوبا للإمام الصادق من قصة ملك سليمان عليهم السلام وخاتمه[5].. وهي قصة تسيء إلى قداسة نبينا سليمان عليه

---

(١) تفسير القمي ٢: ٥١.

(٢) بحار الأنوار ٥٩: ٢٦٥.

(٣) بحار الأنوار ١١: ١٢٤.

(٤) تفسير القمي ٢: ٢٢٩.

(٥) تفسير القمي: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

السلام، ولا تكلف القارئ الكريم كثير عناء في إثبات كونها موضوعة، وقد اعتبرها السيد الطباطبائي وأمثالها في ميزانه (مما لعبت بها أيدي الوضع)[1]

قال آخر: وهكذا نجد موارد في التفسير تتعارض وما اكتشفه العلم من حقائق علمية عن أسرار الطبيعة والكون، كحقيقة البرق والرعد، وكيفية حصول الكسوف والخسوف، وحجم الكواكب بالنسبة إلى الأرض وغير ذلك.. ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في التفسير من رواية طويلة، عن علي بن الحسين أنه قال: (إن من الأوقات التي قدرها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض، وإن الله قدر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ثم قدر ذلك كله على الفلك، ثم وكل بالفلك ملكا معه سبعون ألف ملك، يديرون الفلك، فإذا دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه نزلت في منازلها التي قدرها الله فيها ليومها وليلتها، وإذا كثرت ذنوب العباد وأراد الله أن يستعتبهم بآية من آياته، أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فيأمر الملك أولئك السبعين ألف ملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه، قال: فيزيلون فتصير الشمس في البحر الذي يجري فيه الفلك، فيطمس حرها ويغير لونها، فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يحب الله أن يخوف خلقه بالآية، فذلك عند شدة انكساف الشمس، وكذلك يفعل بالقمر، فإذا أراد الله أن يخرجها ويردهما إلى مجراهما، أمر الملك الموكل بالفلك أن يرد الشمس إلى مجراها، فيرد الملك الفلك إلى مجراه؛ فتخرج من الماء وهي كدرة، والقمر مثل ذلك)[2]

فالظاهر من الرواية أن سبب الكسوف والخسوف هو طمس الشمس أو القمر في البحر الموجود بين السماء والأرض، وهذا الكلام ليس صحيحا، ولا معنى لتأويله.. بل

---

(١) الطباطبائي، الميزان ١٧: ٢٠٧.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٤ـ ١٥.

علينا أن نطبق عليها وعلى أمثالها ما أوصانا به أئمتنا من عرض ما يرد عنهم على القرآن والعقل القطعي، وإلا لم يكن لما أوصوا به من الروايات الصحيحة مصداقا في الخارج؛ إذ يمكننا ـ حتى في البديهيات إذا ورد ما يعارضها ـ أن نؤوله.. وعليه نرجح عدم صدور مثل هذه الرواية.

قال آخر: ومثل ذلك ما رواه الراوي بعد ذلك عن الإمام علي في حديث جاء فيه: (الأرض مسيرة خمسمائة عام، الخراب منها مسيرة أربعمائة عام، والعمران منها مسيرة مائة عام، والشمس ستون فرسخا في ستين فرسخا، والقمر أربعون فرسخا في أربعين فرسخا، بطونهما يضيئان لأهل السماء، وظهورهما يضيئان لأهل الأرض، والكواكب كأعظم جبل على الأرض)[1].. فهي مخالفة لكل ما يذكره العلم القطعي.

قال آخر: ولذلك، فنحن بين أن نذكر بأن أمثال هذه الروايات إما قد دست في التفسير وهذا بعيد؛ إذ ليس هناك مبررات موضوعية للدس ما دامت هي مسألة علمية لا علاقة لها بعقيدة أو خصوصيات مذهب وغير ذلك.. وإما أن نقول بكذب بعض رواتها، وهذا يدل على عدم إمكانية إطلاق التوثيقات العامة لكل الرواة الموجودين في الكتاب.

تفسير العياشي:

قال المدعي: لا بأس.. يمكننا أن نقبل ما ذكرتموه من الأدلة والتصريحات على عدم اعتبار ذلك التفسير اعتبارا مطلقا.. لكن ما تقولون في تفسير محمد بن مسعود العياشي (توفي ٣٢٠ هـ)، والذي يعد من الثقات عندكم.. وقد تلقاه علماؤكم بالقبول من غير أن يُذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف.. مع العلم أنكم تذكرون أن مؤلفه محمد بن مسعود بن العياش التميمي الكوفي السمرقندي، من أعيان علمائكم، وأنه من أساطين الحديث

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٧.

والتفسير بالرواية.. وبذلك؛ فأنتم تتحملون كل ما ورد في الروايات المغالية والمحرفة للمعاني القرآنية.

قال أحد المتهمين[1]: مع كل ما ذكرناه لك سابقا سيدنا من أننا لا نعتبر أي كتاب مهما جل قدره اعتبارا مطلقا؛ بل نأخذ منه ونرد، إلا أن هذا التفسير مع احترامنا لصاحبه، وثقتنا فيه، لأنه جمع فيه المأثور من أئمة أهل البيت في تفسير القرآن، وقد أجاد وأفاد، وذكر الروايات بأسانيدها في دقّة واعتبار، غير أنّ هذا التفسير لم يصل إلينا إلّا مبتورا.. فقد بتره ناسخه؛ حيث أسقط الأسانيد، واقتصر على متون الأحاديث، معتذرا بأنّه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع أو إجازة من المؤلف؛ فلذلك حذف الأسانيد واكتفى بالباقي.. ومن ثم قال المجلسي بشأنه: (إنّ اعتذاره هذا أشنع من فعلته بحذف الأسانيد)

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فهو يسترسل في ذكر الآيات، في ضمن أحاديث مأثورة، عن أهل البيت تفسيرا وتأويلا للآيات الكريمة، ولا يتعرّض لنقدها جرحا أو تعديلا، تاركا ذلك إلى عهدة الإسناد الّتي حذفت مع الأسف.. بالإضافة إلى تعرضه لبعض القراءات الشاذّة المنسوبة إلى أئمة أهل البيت، مما جاءت في سائر الكتب بأسانيد ضعاف، أو مرسلة لا حجيّة فيها، والقرآن لا يثبت بغير التواتر باتّفاق الأمّة.

قال آخر[3]: وهكذا نراه لا يراعي ضوابط الجري والتطبيق التي لا تتعارض مع بلاغة القرآن الكريم أو معانيه، ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير (السبع المثاني) بسورة الحمد، بأن ظاهرها: الحمد، و باطنها: ولد الولد، والسابع منها الإمام المهدي.. ومن ثم فإنه عند ما يرد في التأويل، نراه غير مراع لضوابط التأويل الصحيح، من كونه مفهوما عاما

---

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٣.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٤.

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٥.

منتزعا من الآية بعد إلغاء الخصوصيات ليكون متناسبا مع ظاهر اللفظ، وإن كانت دلالته عليه غير بيّنة.

تفسير الحويزي:

قال المدعي: لا بأس.. يمكننا أن نقبل ما ذكرتموه من الأدلة على عدم اعتبار ذلك التفسير اعتبارا مطلقا.. لكن ما تقولون في تفسير عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، (توفي ١١١٢ هـ)، والمسمى [تفسير الثقلين]؛ فهو قد حوى الكثير من الخرافات والدجل والغلو.

قال أحد المتهمين[١]: إن صاحب هذا التفسير، سيدي من الإخباريين الذين يهتمون بجمع الروايات دون تمحيصها.. ولذلك جمع في كتابه ما عثر عليه من روايات معزوّة إلى أئمة أهل البيت مما يرتبط نحو ارتباط بالقرآن الكريم، تفسيرا أو تأويلا، أو استشهادا أو تأييدا، وفي الأغلب لا علاقة للأحاديث التي يوردها بالآيات الكريمة في صلب مفهومها أو دلالتها، وإنما تعرّض لها بالعرض لغرض الاستشهاد، ونحو ذلك.

قال آخر[٢]: بالإضافة إلى ضعف أسانيد الأحاديث التي يوردها أو إرسالها إلّا القليل المنقول من المجامع الحديثية المعتبرة..

قال آخر[٣]: بالإضافة إلى عدم تعرضه لنقد الروايات و لا علاج معارضاتها، وقد قال في مقدمة تفسيره يذكر ذلك، ويبرئ ذمته من تحمله: (و أما ما نقلت مما ظاهره يخالف لإجماع الطائفة فلم أقصد به بيان اعتقاد ولا عمل، وإنما أوردته ليعلم الناظر المطّلع كيف نقل وعمّن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرجه من ذلك، مع أني لم أخل موضعا من تلك

---

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٨.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٨.

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٨.

المواضع عن نقل ما يضاده، ويكون عليه المعوّل في الكشف والإبداء)[1].. وبذلك توهم أنه تخلّص عن مأزق تبعات ما أورده في كتابه من مناقضات ومخالفات صريحة، مع أسس قواعد الدين، موكلا النظر والتحقيق في ذلك إلى عاتق القارئ.

قال آخر[2]: لذلك نرى أنه قصّر في ذلك؛ إذ كان من وظيفته الإعلام والبيان لمواضع الإبهام والإجمال، كما فعله المجلسي في بحار أنواره؛ إذ ربّ رواية أوهنت من شأن الدين فلا ينبغي السكوت عليها والمرور عليها مرور الكرام، مما فيه إغراء الجاهلين أحيانا، أو ضعضعة عقيدة؛ فلم يكن ينبغي نقل الرواية وتركها على عواهنها، الأمر الّذي أوجب مشاكل في عقائد المسلمين.

قال آخر: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦] حيث ذكر تلك الرواية المشوّهة، والتي نسبها للإمام الصادق، والتي تعتبر ﴿البعوضة﴾ أمير المؤمنين، و﴿ما فوقها﴾ رسول اللهّ[3].. والتي سبق ورددنا عليها.

قال آخر[4]: ومثل ذلك يذكر أخبارا مشتملة على الغلوّ والوهن بشأن الأئمّة، ومثلها من الاسترسال في نقل الإسرائيليات والموضوعات كما في قصّة هاروت وماروت، وأن الزهرة كانت امرأة فمسخت[5].. ونحو ذلك من الأساطير الإسرائيلية والأكاذيب الفاضحة التي ملأ بها كتابه، وشحنه شحنا بلا هوادة.

تفسير البحراني:

قال المدعي: لا بأس.. يمكننا أن نقبل ما ذكرتموه من الأدلة على عدم اعتبار ذلك

---

(١) نور الثقلين: ١/ ٢.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٨.

(٣) نور الثقلين: ١/ ٣٧-٣٨.

(٤) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٢٩.

(٥) نور الثقلين: ١/ ٩١.

التفسير اعتبارا مطلقا.. لكن ما تقولون في تفسير السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينى البحراني الكتكاني (توفّي ١١٠٧ هـ) والمسمى [البرهان في تفسير القرآن] ؛ فهو قد حوى الكثير من الخرافات والدجل والغلو.

قال أحد المتهمين[١]: إن صاحب هذا التفسير ـ سيدي ـ كان من المحدثين الذين يهتمون بجمع الأخبار، من غير أن يتكلّموا فيها بجرح أو تعديل، أو تأويل ما يخالف العقل أو النقل الصريح، كما هو دأب أكثر الأخباريين المتطرّفين.

قال آخر[٢]: بالإضافة إلى أنه في تفسيره هذا يعتمد كتبا لا اعتبار لها أمثال التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ـ الّذي هو من صنع أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن على بن محمد بن سيار، الأسترآباديين ولم يعلم وجه انتسابه إلى الإمام الحسن العسكري ـ ومثله التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي وهو من صنع أبي الفضل العباس بن محمد العلوي، ونسب إلى القمي من غير وجه وجيه.. ومثلهما كتاب (الاحتجاج) المنسوب إلى الطبرسي، ولم يعرف لحدّ الآن، وكتاب (سليم بن قيس الهلالي)، المدسوس فيه، وغيرها من الكتب التي لا اعتبار لها، فضلا عن ضعف الإسناد أو الإرسال في أكثر الأحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.

قال آخر[٣]: بالإضافة إلى أنه يسند القول في التفسير إلى أئمة الهدى، وبكل تأكيد وثقة، ومن غير رعاية للاحتياط.. فضلا عن ضعف الأسانيد وإرسالها.

قال آخر[٤]: وهذا لا يعني طرح الكتاب جميعا؛ فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها، فهو أحق بها..بل إن فيه من الأحاديث الجميلة الصادرة عن أئمة الهدى والتي لا يمكن

---

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٣١.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٣١.

(٣) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٣١.

(٤) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢/ ٣٣٢.

رفضها.. وهو بذلك مثل جميع تراثنا، وفي جميع المجالات، بحاجة إلى تمحيص ونقد وتحقيق، ليمتاز سليمه عن السقيم، والصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.

٣. الغلاة وتحريف التنزيل:

قال المدعي: لا بأس.. قد أوافقكم في كل ما ذكرتم.. ولكن ما تقولون فيما ينسب لكم من القول بتحريف القرآن الكريم؛ فقد اشتهر هذا عنكم، بحيث صار لا يحتاج إلى دليل أو بينة تدل عليه.. فبمجرد أن تذكروا لدى أي عامي، أو حتى صبي إلا ويذكر ذلك عنكم.

قال أحد المتهمين: ما تقول سيدي في الأحاديث المشتهرة التي تجري على كثير من ألسنة عامة الناس.. شيوخهم وصبيانهم.. هل تقر بصحتها عن رسول الله ﷺ بسبب شهرتها؟

قال المدعي: طبعا لا.. فحديث رسول الله ﷺ أعظم من أن نتساهل فيه بهذه الطريقة؛ ولهذا قام العلماء بالتحقيق في تلك الأحاديث، وألفوا فيها الكتب، وميزوا الصحيح من الضعيف من الموضوع، ومن تلك الكتب [المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة] للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وهو كتاب جامع لكثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، مما ليس في غيره ، وتبلغ عدة أحاديثه (١٣٥٦) حديثًا .. وقد اختصره تلميذه أبو الضياء عبد الرحمن بن الديبع الشيباني، وسمى مختصره [تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الحديث].. ومثل ذلك ألف الحافظ جلال الدين السيوطي كتاب [الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة]، وقد لخصه من كتاب [التذكرة في الأحاديث المشتهرة] لبدر الدين الزركشي وزاد عليه .. ومثله الشيخ عز الدين محمد بن أحمد الخليلي صاحب كتاب [تسهيل السبل إلى كشف الالتباس عما دار من

الأحاديث بين الناس].. ومثلهم الحافظ إسماعيل بن محمد العجلوني، صاحب كتاب [كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس]، وهو كتاب كثير الفوائد ، جمع فيه مؤلفه أحاديث كتاب السخاوي مع تلخيص كلامه ، وزاد أحاديث كثيرة جدًا حتى زاد عدد أحاديثه على (٣٢٥٠) حديثًا.. ومثلهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن درويش الحوت البيروتي، صاحب كتاب [أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب].. وغيرها.

قال المتهم: فلم ألفوا كل هذه الكتب؟

قال المدعي: طبعا للنصيحة والتحذير من الخطأ في الرواية عن رسول الله ﷺ، وقد قال أحدهم، وهو بدر الدين الزركشي معبرا عن ذلك في مقدمة كتابه الذي ألفه لهذا الغرض: (إن من النصيحة الواجبة في الدين التنبيه على ما يشتهر بين الناس مما ألفه الطبع، وليس له أصل في الشرع.. وقد صنف الإمام تاج الدين الغزاري كتابا في فقه العوام وإنكار أمور قد اشتهرت بينهم لا أصل لها، أجاد فيها الإنتقاد، وصان الشريعة أن يدخل فيها ما خل بالإعتقاد، شكر الله صنعه، وأثاب جمعه.. وقد رأيت ما هو أهم من ذلك، وهو تبيين الأحاديث المشتهرة على ألسنة العوام، وكثير من الفقهاء الذين لا معرفة لهم بالحديث، وهي: إما أن يكون لها أصل يتعذر الوقوف عليه، لغرابة موضعه، ولذكره في غير مظنه، وربما نفاه بعض أهل الحديث لعدم إطاعته عليه، والنافي له كمن نفى أصلا من الدين، وضل عن طريقه المبين، وإما لا أصل لها البتة، فالناقل لها يدخل تحت قوله ﷺ: (من يقل عني ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار) [1]

قال المتهم: فهل ترى جواز التساهل في أعراض المسلمين، بل اتهامهم بالكفر

---

(١) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (ص٢٥)

والبدعة والضلالة، مستساغا ما دام قد اشتهر عن الألسنة؟

قال المدعي: لا يمكنني طبعا أن أقول ذلك.. ولذلك سألتك عن موقفكم.

شهادات وتصريحات:

قال المتهم: قبل أن أجيبك عن موقفنا.. أعود بك إلى تلك الأحاديث المشتهرة بين الناس، والتي ذكرت لي أنه ألفت فيها المؤلفات التي تحذر المسلمين من الأحاديث المكذوبة المنتشرة بينهم.. ما هي أدلتهم على ذلك؟

قال المدعي: طبعا.. هم يستدلون لذلك بأقوال العلماء في بيان ضعفها أو كذبها.. ومن الأمثلة على ذلك الحديث المشتهر المنسوب لرسول الله ﷺ (ما أفلح صاحب عيال قط)، فقد استدل الزركشي على كذبه بقوله: (قال ابن عدي: هو من كلام ابن عيينة وهو منكر عن النبي ﷺ)[1].. فقد اعتبر شهادة ابن عيينة كافية في الدلالة على كذب الحديث.

قال المتهم: بما أننا أمرنا بالعدالة.. فهل تقبل منا شهادات كبار علمائنا في تبرئتنا من القول بتحريف القرآن الكريم.. أم أن ذلك قاصر فقط على الأحاديث المشتهرة؟

قال المدعي: بل أقبل شهادات علمائكم.. لكن بشرط أن يكون لهم سمعة واحترام ومتبوعية عندكم.. حتى لا تأتيني بالشواذ الذين لا يعرفهم ولا يتبعهم أحد.

قال المتهم: لا بأس.. فكبار علمائنا من الذين نرجع إلى كتبهم وتصانيفهم كلهم صرحوا بذلك.. وقد عبر عن ذلك بعض كبار متأخرينا، فقال ـ في مقدمة ذكره لتصريحاتهم في ذلك ـ: (وإليك الآن تصريحات من ألمع وجوه الطائفة، ممّن دارت عليهم رحى الاعتبار، وكانوا قدوة التحقيق وأسوة النقد والاختيار، فكانت أقوالهم بالذات حجّة وآراؤهم بالخصوص سند القبول.. وقد أجمعوا بلا استثناء على رفض احتمال التحريف في كتاب اللهّ

---

(١) اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (ص١٢٤)

المجيد، حتّى جعله مثل الصدوق ـ وهو المضطلع بآثار الآئمة ـ من أصول معتقدات الشيعة الإمامية.. وصرّح المولى أبو القاسم الجيلاني (ت ١٢٣١) صاحب قوانين الأصول بأنّ جمهور المجتهدين على عدم التحريف.. وهكذا الإمام كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣) قال: عليه إجماع الشيعة الإماميّة) (١)

قال آخر: فمن أعلامنا العدول الصادقين الذين شهدوا بذلك شيخ المحدّثين، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١)، فقد قال ـ في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الشيعة الإمامية حسب ما وصل إليه من النظر والتمحيص ـ: (اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله اللهّ تعالى على نبيّه محمّد ﷺ هو ما بين الدفّتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، وعدد سوره على المعروف (١١٤) سورة، وعندنا تعدّ (و الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحد، وكذا (لإيلاف) و(ألم تر كيف).. ومن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب) (٢)

قال آخر: ومنهم عميد الطائفة، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣)، فقد قال في أجوبة المسائل السروية: (فإن قال قائل: كيف يصحّ القول بأنّ الذي بين الدفّتين هو كلام اللهّ تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان وأنتم تروون عن الأئمّة أنّهم قرأوا: (كنتم خير أئمّة أخرجت للناس).. (وكذلك جعلناكم أئمة وسطا).. وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس؟ قيل له: قد مضى الجواب عن هذا، وهو: أنّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على اللهّ تعالى بصحّتها، فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر، على ما أمرنا به حسب ما بيّناه) (٣)

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص٥٥.

(٢) اعتقادات الإمامية ٩٣ ـ ٩٤.

(٣) الرسالة مطبوعة ضمن رسائل نشرتها مكتبة المفيد بقم. راجع، ص٢٢٦؛ والبحار: ٨٩/ ٧٥.

قال آخر: ومنهم الشريف المرتضى، علي بن الحسين علم الهدى (ت ٤٣٦)، فقد قال ـ في رسالته الجوابية الاولى عن المسائل الطرابلسيات ـ: (إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزة النبوّة ومأخذ العلوم الشرعيّة والأحكام الدينيّة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّرا ومنقوصا، مع العناية الصادقة والضبط الشديد!) [1]

و قال: (إنّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة، ككتاب سيبويه والمزني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، حتّى لو أنّ مدخلا أدخل في كتاب سيبويه بابا في النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز وعلم أنّه ملحق وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء) [2]

وقال: (من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنّوا صحّتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته) [3]

قال آخر: ومنهم شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠)، فقد

---

(١) مجمع البيان: ١/ ١٥.

(٢) مجمع البيان: ١/ ١٥.

(٣) مجمع البيان: ١/ ١٥.

قال في مقدّمة تفسيره (التبيان): (وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فممّا لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن، لأنّ الزيادة منه مجمع على بطلانها والنقصان منه، فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر في الروايات، غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علما ولا عملا، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنّه يمكن تأويلها) (١)

قال آخر: ومنهم أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨)، فقد قال في مقدّمة تفسيره: (والكلام في زيادة القرآن ونقصانه، ممّا لا يليق بالتفسير، أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانه وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أنّ في القرآن تغييرا ونقصانا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء) (٢)

قال آخر: ومنهم جمال الدين، أبو منصور الحسن بن يوسف ابن المطهّر الحلّي (ت ٧٢٦)، فقد قال في أجوبة المسائل المهناوية، عند ما سأله السيد المهنا: (ما يقول سيدنا في الكتاب العزيز هل يصحّ عند أصحابنا أنّه نقص منه شيء أو زيد فيه أو غيّر ترتيبه أم لم يصحّ عندهم شيء من ذلك؟)، فقال العلّامة في الجواب: (الحقّ أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنّه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب التطرّق إلى معجزة الرسول ﷺ المنقولة بالتواتر) (٣)

---

(١) التبيان: ١/ ٣.

(٢) مجمع البيان: ١/ ١٥.

(٣) المسائل المهناوية/ ١٢١.

قال آخر: ومنهم المولى المحقّق الأردبيلي (ت ٩٩٣) ، فقد قال بوجوب (العلم بما يقرأ قرآنا أنّه قرآن، فينبغي تحصيله من التواتر الموجب للعلم، وعدم جواز الاكتفاء بالسماع حتّى من عدل واحد،، وإذ ثبت تواتره فهو مأمون من الاختلال.. مع أنّه مضبوط في الكتب، حتّى أنّه معدود حرفا حرفا وحركة حركة، وكذا الكتابة وغيرها، ممّا يفيد الظنّ الغالب، بل العلم بعدم الزيادة على ذلك والنقص) [١]

قال آخر: ومنهم شيخ الفقهاء، الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨)، فقد قال في (كشف الغطاء): (لا زيادة فيه من سورة ولا آية من بسملة وغيرها لا كلمة ولا حرفا، وجميع ما بين الدفّتين ممّا يتلى كلام الله ّ تعالى، بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين وأخبار النبي ﷺ والأئمّة الطاهرين وإن خالف بعض من لا يعتدّ به.. وكذا لا ريب في أنّه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديّان كما دلّ عليه صريح القرآن وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهية من العمل بظاهرها، ولا سيّما ما فيه من نقص ثلث القرآن أو كثير منه، فإنّه لو كان ذلك لتواتر نقله لتوفّر الدواعي عليه، ولاتّخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله، ثمّ كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه، وخصوصا ما ورد أنّه صرّح فيه بأسماء كثير من المنافقين في بعض السور ومنهم فلان وفلان، وكيف يمكن ذلك وكان من حكم النبي ﷺ الستر على المنافقين ومعاملتهم بمعاملة أهل الدين) [٢]

قال آخر: ومنهم حفيده الفقيه المحقّق، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣)، فقد قال في رسالته التي وضعها في أصول معتقدات الشيعة: (وإنّ الكتاب

---

(١) مجمع الفائدة: ٢/ ٢١٨.

(٢) عن كتابه (الحقّ المبين) / ١١. ونقله القاضي الطباطبائي في هامش الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٥٩.

الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله اللهّ إليه ﷺ للإعجاز والتحدّي ولتعلّم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنّه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم (أي إجماع الشيعة الإمامية)، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نصّ الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].. والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا، فإمّا أن تؤوّل بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار) (١)

قال آخر: ومنهم بهاء الملّة والدين، محمد بن الحسين الحارثي العاملي (ت ١٠٣١)، فقد قال: (والصحيح أنّ القرآن العظيم محفوظ من التحريف، زيادة كانت أو النقصان بنصّ آية الحفظ من الذكر الحكيم، وما اشتهر من الإسقاط في مواضع من الكتاب فهو غير معتبر عند العلماء) (٢)

قال آخر: ومنهم المحدّث الكبير محمد بن المرتضى المشتهر بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠)، فقد قال في المقدّمة السادسة التي وضعها قبل التفسير ـ بعد نقل روايات توهّم وقوع التحريف في كتاب اللهّ ـ: (على هذا لم يبق لنا اعتماد بالنصّ الموجود، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، وأيضا يتنافى مع روايات العرض على القرآن، فما دلّ على وقوع التحريف مخالف لكتاب اللهّ وتكذيب له، فيجب ردّه والحكم بفساده أو تأويله) (٣)

و قال في كتابه الذي وضعه في بيان أصول الدين ـ عند الكلام عن إعجاز القرآن،

---

(١) أصل الشيعة وأصولها، ١٣٣.

(٢) آلاء الرحمان: ١/ ٢٦.

(٣) الصافي في تفسير القرآن: ١/ ٣٣ ـ ٣٤، والوافي: ٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

واستعراض جملة من روايات تسند التحريف إلى كتاب اللهّ ـ: (ويرد على هذا كلّه إشكال، وهو: أنّه على ذلك التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كلّ آية منه أن تكون محرّفة ومغيّرة وتكون على خلاف ما أنزله اللهّ، فلم يبق في القرآن لنا حجّة أصلا، فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتّباعه والوصيّة به، و أيضا، قال اللهّ عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، فكيف تطرّق إليه التحريف والنقصان والتغيير!؟ وأيضا، قال اللهّ عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].. وأيضا قد استفاض عن النبي ﷺ وعن الأئمّة عرض الخبر المرويّ عنهم على كتاب اللهّ، ليعلم صحّته بموافقته له وفساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفا مغيّرا فما فائدة العرض، مع أنّ خبر التحريف مخالف لكتاب اللهّ مكذّب له، فيجب ردّه والحكم بفساده أو تأويله)(١)

وقال: (ويخطر بالبال في دفع الإشكال أنّ مرادهم بالتحريف والتغيير والحذف إنّما هو من حيث المعنى دون اللفظ، أي حرّفوه وغيّروه في تفسيره وتأويله، أي حملوه على خلاف ما هو عليه في نفس الأمر، فمعنى قولهم: كذا أنزلت أنّ المراد به ذلك، لا ما يفهمه الناس من ظاهره، وليس المراد أنّها نزلت كذلك في اللفظ، فحذف ذلك إخفاء للحقّ وإطفاء لنور اللهّ، و ممّا يدلّ على ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر أنّه كتب في رسالته إلى سعد الخير: (وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية)(٢)

قال آخر: ومنهم محمد بن الحسن بن علي المشتهر بالحرّ العاملي، صاحب (وسائل الشيعة) (ت ١١٠٤)، فقد قال في رسالة كتبها بالفارسية، دحضا لسفاسف بعض معاصريه

(١) كتاب علم اليقين في اصول الدين للفيض الكاشاني: ١/ ٥٦٥.

(٢) كتاب علم اليقين في اصول الدين: ١/ ٥٦٥.

ما تعريبه ـ: (إنّ من تتبّع أحاديث أهل البيت وتصفّح التاريخ والآثار علم علما يقينيّا أنّ القرآن قد بلغ أعلى درجات التواتر، قد حفظه الألوف من الصحابة ونقلته الألوف، وكان منذ عهده ﷺ مجموعا مؤلّفا) [1]

قال آخر: ومنهم المحقّق التبريزي (ت ١٣٠٧)، فقد قال في تعليقته على رسائل أستاذه المحقّق الأنصاري: (القول بالتحريف هو مذهب الأخباريين والحشوية، خلافا لأصحاب الأصول الذين رفضوا احتمال التحريف في القرآن رفضا قاطعا، وهو الحقّ، للوجوه التالية: أوّلا: إجماع الطائفة، على ما حكاه الشيخ الطوسي والطبرسي والمرتضى علم الهدى والصدوق وغيرهم من أقطاب الإمامية.. ثانيا: صراحة القرآن بعدم إمكان التغيير فيه، كآية التدبّر (النساء: ٨٢) وآية الحفظ (الحجر: ٩) وآية عدم إتيانه الباطل (فصّلت: ٤٢)، وكذا الروايات الكثيرة الدالّة على وجوب الرجوع إلى القرآن.. ثالثا: دليل العقل، حيث القرآن عماد الدين وأساس الشرع المبين، لكونه معجزا ومصدّقا لمقام النبوّة إلى قيام القيامة، ويؤيّد ذلك عناية الأمّة بحفظه وحراسته على ما كان عليه في العهد الأوّل في رسم الخطّ ونحوه، فلا بدّ من تأويل ما ورد بخلاف ذلك أو طرحه) [2]

قال آخر: ومنهم السيّد محسن الأعرجي (ت ١٢٢٧)، فقد قال في شرح الوافية: (اتّفق الكلّ، لا تمانع بينهم، على عدم الزيادة، ونطقت به الأخبار، وقد حكى الإجماع على ذلك جماعة من أئمّة التفسير والحديث، كشيخ الطائفة في التبيان، وشيخنا أبي علي في مجمع البيان، وإنّما وقع الخلاف في النقيصة، والمعروف ـ بين أصحابنا حتّى حكى عليه الإجماع ـ عدم النقيصة أيضا)[3]

---

(١) نقلا عن: صيانة القرآن من التحريف، ص٦٤.

(٢) أوثق الوسائل بشرح الرسائل/ ٩١.

(٣) نقلا عن: صيانة القرآن من التحريف، ص٦٦.

قال آخر: ومنهم قاضي القضاة المحقّق الكركي، فقد قال السيّد الأعرجي عنه: (ثمّ إنّي رأيت للفاضل المحقّق قاضي القضاة علي بن عبد العالي (ت ٩٤٠) رسالة في نفي النقيصة، صدّرها بكلام الصدوق، ثمّ اعترض بورود ما يدلّ على النقيصة، وأجاب بأنّ الحديث إذا جاء على خلاف الدليل القاطع من الكتاب أو السنّة المتواترة أو الإجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه، ثمّ حكى الإجماع على هذه الضابطة واستفاضة النقل عنهم وروى قطعة من أخبار العرض، ثمّ قال: ولا يجوز أن يكون المراد بالكتاب المعروض عليه غير هذا المتواتر الذي بأيدينا وأيدي الناس، وإلّا لزم التكليف بما لا يطاق، فقد وجب عرض الأخبار على هذا الكتاب، وأخبار النقيصة إذا عرضت عليه كانت مخالفة له، لدلالتها على أنّه ليس هو، وأيّ تكذيب يكون أشدّ من هذا!)[١]

ثمّ ذكر أنّ التأويل الذي يتخلّص من معارضة الحكم ويتحقّق الردّ إليه هو أن ننزل أنّ المراد بقولهم: (إنّ القوم غيّروه وبدّلوه ونقصوا منه) (التغيير في تفسيره وتأويله بأن فسّروه بخلاف ما هو عليه في نفس الأمر.. وأنّ المراد من الكتاب الذي نزل به جبريل وهو عند أهل البيت أو عند القائم من آل محمّد ﷺ أنّ التفسير والتأويل الحقّ هو الّذي عندهم، ثمّ وجّه سؤالا: لماذا لم يطرح الأصحاب تلك الأخبار المخالفة للكتاب؟ وأجاب بأنّها ممّا صحّ طريقها عندهم ومن ثمّ أودعوها في كتبهم مع عدم العمل بظواهرها، وإمكان تأويلها)[٢]

قال آخر: ومنهم السيد شرف الدين العاملي (ت ١٣٨١)، فقد قال ردّا على من حاول إلصاق تهمة القول بالتحريف إلى جماعة الشيعة: (وكلّ من نسب إليهم تحريف القرآن فإنّه مفتر عليهم ظالم لهم، لأنّ قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الإسلامي

---

(١) نقلا عن: صيانة القرآن من التحريف، ص٦٧.

(٢) نقلا عن: صيانة القرآن من التحريف، ص٦٧.

ومذهبهم الإمامي، ومن شكّ فيها من المسلمين فهو مرتدّ بإجماع الإمامية، وظواهر القرآن ـ فضلا عن نصوصه ـ من أبلغ حجج الله تعالى، وأقوى أدلّة أهل الحقّ بحكم البداهة الأوّلية من مذهب الإمامية، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الأحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار، ولا يأبهون بها وإن كانت صحيحة، وتلك كتبهم في الحديث والفقه والأصول صريحة بما نقول، والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنّما هو ما بين الدفّتين وهو ما في أيدي النّاس، لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف، وكلّ حرف من حروفه متواتر في كلّ جيل تواترا قطعيّا إلى عهد الوحي والنبوّة) [1]

و قال في أجوبته لمسائل جار الله: (نعوذ بالله من هذا القول، ونبرأ إلى الله تعالى من هذا الجهل وكلّ من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبنا أو مفتر علينا، فإنّ القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته تواترا قطعيّا عن أئمّة الهدى من أهل البيت، لا يرتاب في ذلك إلّا معتوه، وأئمّة أهل البيت كلّهم أجمعون رفعوه إلى جدّهم الرسول ﷺ عن الله تعالى، وهذا أيضا ممّا لا ريب فيه) [2]

قال آخر: ومنهم السيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١)، فقد قال ـ ردّا على متهمي الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكريم كابن حزم والرافعي وأمثالهم ـ: (لا يقول أحد من الإمامية، لا قديما ولا حديثا أنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير، فضلا عن كلّهم، بل كلّهم متّفقون على عدم الزيادة، ومن يعتدّ بقوله من محقّقيهم متّفقون على أنّه لم ينقص منه.. ومن نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر مجترئ على الله ورسوله) [3]

---

(١) الفصول المهمّة ١٦٥.

(٢) أجوبة مسائل جار الله/ ٢٨.

(٣) أعيان الشيعة: ١/ ٤١.

قال آخر: ومنهم العلّامة الأميني، فقد قال ـ ردّا على متهمي الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكريم ـ: (لكن القارئ إذا فحص ونقّب لا يجد في طليعة الإمامية إلّا نفاة هذه الفرية.. هؤلاء أعلام الإمامية وحملة علومهم الكالئين لنواميسهم وعقائدهم قديما وحديثا يوقفونك على مين الرجل فيما يقول، وهذه فرق الشيعة وفي مقدّمهم الإمامية مجمعة على أنّ ما بين الدفّتين هو ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، وهو المحكوم بإحكامه ليس إلّا، وإن دارت بين شدقي أحد من الشيعة كلمة التحريف فهو يريد التأويل بالباطل بتحريف الكلم عن مواضعه، لا الزيادة والنقيصة، ولا تبديل حرف بحرف، كما يقول التحريف بهذا المعنى هو وقومه ويرمون به الشيعة)(١)

قال آخر: ومنهم العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢)؛ فله بحث واف بإثبات صيانة القرآن عن التحريف في جميع أشكاله وصوره، ذكره في سبعة فصول، في استدلال قويّ وبرهان حكيم، لا يستغني الباحث عن مراجعته، ومن أقواله في ذلك: (إنّ للقرآن في آيه وسوره أوصافا خاصة ونعوتا قد تحدّى بها من أوّل يومه، ونجدها كما هي محفوظة حتّى اليوم، كالإعجاز، وعدم الاختلاف، والهداية، والنورية، والذكرية، والهيمنة، وما شاكل ذلك، فلو كان وقع فيه تحريف لزالت منه بعض تلك السمات.. ويدلّ على عدم التحريف روايات العرض على كتاب اللهّ، والرجوع إليه عند مشتبكات الأمور، وحديث الثقلين، ونحو ذلك.. والوجوه التي تمسّك بها القائل بالتحريف كلّها مخدوشة غير وافية بإثبات مقصوده)

وقد تعرّض لمسألة الجمع الأوّل على عهد أبي بكر، تمّ جمعه وتوحيده على عهد عثمان، وقال: (ما ورد بشأن الجمع الأوّل والثاني يفيد القطع بأنّهم إنّما جمعوا ما كمل في

---

(١) الغدير: ٣/ ١٠١.

حياته ﷺ من آيات وسور، جمعوها بين الدفّتين من غير أن يمسّوها بيد في المتن زيادة أو نقصانا، وهو الباقي إلى اليوم بسلام) [1]

قال آخر: ومنهم الاستاذ الإمام الخميني، فقد قال في ذلك: (إنّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه، قراءة وكتابة، يقف على بطلان تلك المزاعم، وما ورد فيه من أخبار ـ حسبما تمسّكوا ـ إمّا ضعيف لا يصلح للاستدلال به، أو مجعول تلوح عليه أمارات الجعل، أو غريب يقضي بالعجب، أمّا الصحيح منها فيرمي إلى مسألة التأويل والتفسير، وأنّ التحريف إنّما حصل في ذلك لا في لفظه وعباراته، وتفصيل ذلك يحتاج إلى تأليف كتاب حافل ببيان تاريخ القرآن والمراحل التي قضاها طيلة قرون، ويتلخّص في أنّ الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفّتين، لا زيادة فيه ولا نقصان، وأنّ الاختلاف في القراءات أمر حادث، ناشئ عن اختلاف في الاجتهادات، من غير أن يمسّ جانب الوحي الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين) [2]

قال آخر: ومنهم العلامة الخوئي، فقد كتب بحثا تفصيليا بإثبات صيانة القرآن من احتمال كلّ زيادة أو نقصان[3].

الحشوية والإخباريون:

قال المدعي: لا بأس.. قد أوافقكم في كل ما ذكرتم.. لكن عند تأمله نجد أن هناك من الشيعة من يقول بالتحريف.. أليس هذا دليلا كافيا على صدق من اتهمهم به؟

قال أحد المتهمين: العدالة تقتضي أن تنسب الأقوال لأصحابها، لا لغيرهم.. وما ذكرته من اتهام طائفة كبير من المسلمين بسبب بعض أفرادها مناف للعدالة.

---

(1) الميزان: ١٢/ ١٠٦ ـ ١٣٧.

(2) تهذيب الاصول، تقريرا بقلم العلّامة سبحاني: ٢/ ١٦٥.

(3) البيان في تفسير القرآن/ ٢١٥ ـ ٢٥٤.

قال المدعي: أنت وأصحابك لا تزالون موضع تهمة.. فلذلك نرجو ألا تتجاوزوا أقداركم بتحديد معنى العدالة.

قال المتهم: لا بأس.. فإن طبقنا ما ذكرته على مدرستكم؛ فاتهمناها جميعا بالقول بتحريف القرآن الكريم نتيجة ما قاله بعض أتباعها.. هل تقبل ذلك؟

قال المدعي: يستحيل ذلك.. إلا إذا ذكرت لي كلام الحداثيين والتغريبيين الجاهلين بالقرآن الكريم والمعادين له.

قال المتهم: لا.. بل كلام الصحابة والتابعين.. والذين تعتبرونهم مصادر للدين.

قال المدعي: ذلك مستحيل.. إلا إذا كذب الرواة عنهم.

قال المتهم: بل الروايات في ذلك مستفيضة عنهم، وفي المصادر الصحيحة التي تعتمدونها.

قال المدعي: فهات بينتك، وإلا أضفنا لكم جريمة جديدة غير الجرائم التي تتهمون بها.

قال المتهم: مع أننا لا نؤمن بهذه الروايات التي سنوردها لكم، بل نردها بشدة، وقد قام علماؤنا بذلك.. لكن الضرورة اقتضت منا ذكرها، لا لنبرئ أنفسنا، وإنما لنضع تهمة التحريف عندنا وعندكم في فئة محدودة توجد عندنا، وتوجد عندكم.

قال آخر: من تلك الأحاديث ما يروى عن عمر أنّه قال: (القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابرا محتسبا كان له بكلّ حرف زوجة من الحور العين)[1].. فهذا الحديث يشير إلى أنه قد ذهب من القرآن أكثر من ثلثيه، فحروف القرآن ـ كما يروى عن ابن عباس وكما هو متوافق مع الواقع ـ ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون

(١) الإتقان: ١/ ١٩٨، قال الذهبي: تفرّد محمد بن عبيد بهذا الخبر الباطل.

ألف حرف وستمائة وواحد وسبعون حرفا[1].

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن عبد اللهّ بن عمر، أنه قال: (لا يقولنّ أحدكم: قد أخذت القرآن كلّه، ما يدريه ما كلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر!)[2]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن ابن شهاب، قال: (بلغنا أنّه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب)[3]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن عائشة أنها عهدت إلى أبي يونس مولاها أن يكتب لها مصحفا ـ أي يستنسخ على أحد المصاحف المعروفة حينذاك ـ وقالت له: إذا بلغت الآية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِّ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فآذنّي، قال أبو يونس: فلمّا بلغتها آذنتها، فأملت عليّ (حافظوا على الصّلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر)، قالت: سمعتها من رسول اللهّ ﷺ)[4]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن عمرو بن نافع مولى عمر بن الخطاب، فقد قال: كنت أكتب مصحفا لحفصة زوج النبي ﷺ فقالت: إذا بلغت هذه الآية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِّ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فآذنّي، فلمّا بلغتها آذنتها، فأملت عليّ (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) قالت: أشهد أنّي سمعتها من رسول اللهّ ﷺ)[5]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن حميدة بنت أبي يونس، قالت: قرأ عليّ أبي ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ في مصحف عائشة: (إِنَّ اللهَّ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) الإتقان: ١/ ١٩٨.

(٢) الإتقان: ٣/ ٧٢. عن كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، ١٩٠.

(٣) منتخب كنز العمال: ٢/ ٥٠.

(٤) الدرّ المنثور: ١/ ٣٠٢.

(٥) الدرّ المنثور: ١/ ٣٠٢.

صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً، وعلى الّذين يصلون الصفوف الأوّل)، قالت حميدة: (قبل أن يغيّر عثمان المصاحف)[1]، أي كانت هذه الزيادة موجودة إلى ذاك الحين.

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن عمرة بنت عبد الرحمان عن عائشة، قالت: (كانت فيما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرّمن) ثمّ نسخن ب (خمس معلومات) فتوفّي رسول اللهّ ﷺ وهنّ فيما يقرأ من القرآن)[2]

و قال الزيعلي ـ تعليقا على هذه الرواية ـ: (لا حجّة في هذا الحديث، لأنّ عائشة أحالتها على أنّه قرآن، وقالت: ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول اللهّ ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن البيت فأكلها.. وقد ثبت أنّه ليس من القرآن لعدم التواتر، ولا تحلّ القراءة به ولا إثباته في المصحف، ولأنّه لو كان قرآنا لكان متلوّا اليوم، إذ لا نسخ بعد النبي ﷺ)[3]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن مسلمة بن مخلّد الأنصاري ـ وكان لم يتجاوز العاشرة عند وفاة النبي ﷺ ـ أنّه قال يوما: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنّود سعد بن مالك، فقال مسلمة: (إنّ الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل اللهّ بأموالهم وأنفسهم، ألا أبشروا أنتم المفلحون، والّذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الّذين غضب اللهّ عليهم، أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعلمون)[4]

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن أبي الأسود، قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلّام، ١٩٣، والإتقان: ٣/ ٧٣.

(٢) تنوير الحوالك: ٢/ ١١٨.

(٣) بهامش مسلم: ٤/ ١٦٧.

(٤) الإتقان: ٣/ ٧٤.

وقرّاؤهم، فاتلوه ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم.. وإنّا كنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها في الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها، غير أنّي قد حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب)، وكنّا نقرأ سورة كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات فأنسيتها، غير أنّي حفظت منها: (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة) (1)

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن زرّ بن حبيش عن أبيّ بن كعب، قال: كم تقرأون (أو كأيّن تعدّون) سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثا وسبعين آية، قال: قط! لقد رأيتها وإنّها لتعادل سورة البقرة (أي ما يقرب من مائتين وثمانين آية، أربعة أضعاف الموجود!) وفيها آية الرجم.. قال زرّ: قلت وما آية الرجم؟ قال: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من اللهّ واللهّ عزيز حكيم) (2)

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن عروة عن خالته عائشة، قالت: (كانت سورة الأحزاب تقرأ زمن النبي ﷺ مائتي آية، فلمّا كتب عثمان المصاحف، لم نقدر منها إلّا على ما هو الآن) (3)

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن ابن سيرين، قال: كتب أبيّ بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوّذتين واللّهمّ إنّا نستعينك واللّهمّ إيّاك نعبد.. وتركهنّ ابن مسعود، وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوّذتين) (4)

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن مالك بن أنس أنّ سورة براءة كانت تعدل سورة البقرة، وقد أسقط من أوّلها، فاسقطت البسملة فيما اسقط، قال جلال الدين السيوطي:

---

(1) صحيح مسلم: ٣/ ١٠٠.

(2) الإتقان: ٣/ ٧٢.

(3) الإتقان: ٣/ ٧٢.

(4) الإتقان: ١/ ١٨٤.

(قال مالك: إنّ أوّلها لمّا سقط سقط معه البسملة، فقد ثبت أنّها كانت تعدل البقرة لطولها) (١)

قال آخر: ومثل ذلك ما يروى عن حذيفة بن اليمان، أنّه قال: (ما تقرأون ربعها، يعني ربع براءة، وأنّكم تسمّونها سورة التوبة وهي سورة العذاب) (٢).. و في رواية: (التي تسمّون سورة التوبة هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدا إلّا نالت منه، ولا تقرأون إلّا ربعها) (٣)

قال المدعي: لا بأس.. يكفي ما ذكرتم.. وعلماؤنا قد وقفوا بشدة ضد هؤلاء الحشوية الذين يروون مثل هذه الأحاديث.. ولعلكم تعلمون أن الكثير من المحدثين كان همهم الجمع لا التحقيق.. لذلك لا عبرة برواياتهم.

قال المتهم: ومثل ذلك علماؤنا.. وكما يوجد لديكم حشوية، يجمعون ما لا يعون؛ فكذلك يوجد عندنا.. وكما رفض علماؤكم حشويتكم رفض علماؤنا كذلك.. ولذلك كان عليكم أن لا تتهمونا بما قاله حشويتنا ما دمنا لا نتهمكم بما قال حشويتكم.

قال آخر: لقد قال العلامة كاشف الغطاء في الرد على حشويتنا، والذين نطلق عليهم لقب [الأخباريين]: (وصدرت منهم أحكام غريبة وأقوال منكرة عجيبة، منها: قولهم بنقص القرآن، مستندين إلى روايات تقضي البديهة بتأويلها وطرحها، وفي بعضها: نقص ثلث القرآن أو ربعه ونقص أربعين اسما في سورة (تبّت) منها أسماء جماعة من المنافقين، وفي ذلك منافاة لبديهة العقل، لأنّه لو كان ذلك ممّا أبرزه النبي ﷺ وقرأه على المسلمين وكتبوه لافتضح المنافقون، ولم يكن النبي ﷺ مأمورا إلّا بالستر عليهم، ولقامت الحرب على ساق،

---

(١) الإتقان: ١/ ١٨٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.

(٣) الدرّ المنثور: ٣/ ٢٠٨.

وكان في ابتداء الإسلام من الفتن ما كان في الختام، ثمّ لو كان حقّا لتواتر نقله وعرفه جميع الخلق، لأنّهم كانوا يضبطون آياته وحروفه وكلماته تمام الضبط، فكيف يغفلون عن مثل ذلك، ولعرف بين الكفّار، وعدّوه من أعظم مصائب الإسلام والمسلمين، ولكان القارئ لسورة من السور الناقصة مبعّضا في الحقيقة، ولكان القرآن غير محفوظ، وقد أخبر اللهّ بحفظه، ولعرف بين الشيعة، وعدّوه من أعظم الأدلّة على خروج الأوّلين من الدين، لأنّ النقص ـ على تقدير ثبوته ـ إنّما هو منهم.. ويا للعجب من قوم يزعمون سلامة الأحاديث وبقائها محفوظة وهي دائرة على الألسن ومنقولة في الكتب، في مدّة ألف ومائتي سنة، وأنّها لو حدث فيها نقص لظهر واستبان وشاع!! لكنّهم يحكمون بنقص القرآن، وخفي ذلك في جميع الأزمان) (١)

قال آخر: ومثل ذلك قال الحجّة البلاغي (ت ١٣٥٢)، فقد قال ـ بعد نقل كلمات الأعلام كالصدوق والمرتضى والطوسي وكاشف الغطاء والبهائي وأضرابهم ـ: (وقد جهد المحدّث المعاصر في كتابه (فصل الخطاب) في جمع الروايات التي استدلّ بها على النقيصة، وكثّر أعداد مسانيدها بأعداد المراسيل، مع أنّ المتتبّع المحقّق يجزم بأنّ هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد.. وفي جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسّر احتمال صدقها، ومنها ما هو مختلف بما يؤول إلى التنافي والتعارض، مع أنّ القسم الوافر منها ترجع أسانيدها إلى بضعة أنفار، وقد وصف علماء الرجال كلّا منهم إمّا بأنّه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفوّ الرواية، وإمّا بأنّه كذّاب متّهم لا أستحلّ أن أروي من تفسيره حديثا واحدا، وأنّه معروف بالوقف وأشدّ عداوة للرضا عليه السّلام، وإمّا بأنّه فاسد الرواية يرمى بالغلوّ.. ومن الواضح أنّ أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئا.. ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا

---

(١) عن كتابه (الحقّ المبين)، ص ١١. ونقله القاضي الطباطبائي في هامش الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٥٩.

المقام الخطير لوجب من دلالة الروايات المتعدّدة، أن ننزلها على أنّ مضامينها تفسير للآيات أو تأويل أو بيان لما يعلم يقينا شمول عمومها له لأنّه أظهر الأفراد وأحقّها بحكم العام، أو ما كان مرادا بخصوصه عند التنزيل، أو هو مورد النزول، أو ما كان هو المراد من اللفظ المبهم.. وعلى أحد هذه الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ما ورد أنّه تنزيل وأنّه نزل به جبريل كما يحمل التحريف الوارد في الروايات على تحريف المعنى، كما يشهد بذلك مكاتبة سعد إلى أبي جعفر عليه السّلام (و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده)، وكما يحمل ما ورد بشأن مصحف أمير المؤمنين وابن مسعود أنّه من التفسير والتأويل، لقوله: (و لقد جئتهم بالكتاب كملا مشتملا على التنزيل والتأويل) [1]

قال آخر: ومثل ذلك قال العلامة محمد هادي معرفت، فقد أرخ لكيفية تسللهم لمذهبنا، فقال: (كان علماؤنا الأعلام منذ عهد الحضور إلى طول عصر الغيبة على طريقتين في الاتّجاه الأصولي وفي استنباط مباني شريعة الإسلام: أهل نظر وتحقيق، وهم: المجتهدون.. وأهل نقل وتحديث، وهم: المحدّثون)[2]

ثم بين وجوه الاختلاف بين الأصوليين والمحدثين، فقال: (يختلف المحدّثون عن المجتهدين بالاعتماد على النقل أكثر من العقل، ولا سيّما في مسائل الأصول، حيث لا حجّية لأخبار الآحاد هناك عند المجتهدين) [3]

ثم ذكر الفرق بين المحدثين المتقدمين والمتأخرين، وكيف تسلل الإخباريون الذين لا يختلفون عن الحشوية إليهم، فقال: (وقد كان لأهل الحديث أساليب معروفة بالإتقان والإحكام في الأخذ والتلقّي والتحديث، في أسانيد الروايات وفي متونها عرضا ومقابلة مع

(١) من مقدمة تفسيره (آلاء الرحمان) : ١/ ٢٥ ـ ٢٧.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص٩٧.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص٩٧.

الاصول المعتمدة، وعلى هذا الأسلوب الروائي المتقن دوّنت الأصول الأربعة الجامعة لأحاديث أهل البيت، مأخوذة من مشايخ أجلّاء وعن كتب ذوات اعتبار.. وقد سادت طريقة الإتقان في النقل والتحديث حقبا من الزمان، وانتهت بدور خاتمة المحدّثين الشيخ الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤) صاحب الموسوعة الحديثية الكبرى (وسائل الشيعة) وفيها ما يسدّ حاجة الفقيه في استنباط مختلف أحكام الشريعة، (جزاه الله خيرا) وفرغ من تأليفه عام ١٠٨٢، و سار على منهاجه المحدّث الفقيه المولى محسن الفيض (١٠٠٧ ـ ١٠٩١) في تأليفه كتاب (الوافي) الجامع لأحاديث الكتب الأربعة مع الشرح والبيان، وقد فرغ من تأليفه عام ١٠٦٨)[(١)]

ثم ذكر كيف بدأ التساهل في رواية الأحاديث، فقال: (أمّا بعد هذا الدور، فيأتي دور الانحطاط والاسترسال في نقل الحديث وفي رواية الأخبار، وأصبح أهل الحديث مجرّد نقلة آثار وحفظة أخبار، من غير اكتراث لا بالأسانيد ولا بصحّة المتون، فقد زالت الثقة بأحاديث ينقلها هؤلاء (الأخباريون) المسترسلون، بعد انتهاء دور (المحدّثين) المتقنين.. إنّهم اهتمّوا بتضخّم الحجم أكثر من الدقّة في المحتوى، ومن ثمّ لم يأبهوا ممّن يأخذون وعلى أيّ مصدر يعتمدون، إنّما المهمّ حشد الحقائب وملء الدفاتر بنقول وحكايات هي أشبه بقصص القصّاصين وأساطير بني إسرائيل)[(٢)]

ثم ذكر مدى التشابه بينهم وبين حشوية المدرسة السنية، فقال: (ومن ثمّ واكبوا إخوانهم الحشوية الذين سبقوهم في هذا المضمار، وساروا على منهجهم في الابتذال والاسترسال؛ فإن كانت محنة أهل السنّة قد جاءتهم من قبل أهل الحشو في الحديث، فكذلك

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص٩٨.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص٩٨.

جاءتنا البليّة من قبل هؤلاء المسترسلين في نقل الحديث)[1]

قال آخر: ثم ذكر كيف تسرب من هؤلاء الإخباريين القول بتحريف القرآن الكريم مثلما تسرب إلى المدرسة السنية من حشويتهم، فقال: (وقد عرفت أنّ علماءنا المحقّقين أطبقوا على رفض احتمال التحريف في كتاب اللهّ .. وكذلك محدّثونا القدامى من لدن شيخهم ورئيسهم الصدوق، حتى عصر العلمين خاتمتي المحدّثين الحرّ العاملي والفيض الكاشاني، نعم، جاءت فكرة التحريف ـ قصدا إلى رفض حجّية الكتاب ـ من قبل هذه الفئة المتطرّفة التي نبعت على حاشية البلاد في جوّ مظلم بغياهب الجهل والعامّية، مضافا إليه بعض السذاجة وسرعة الاسترسال، وكان من طابع هذه الفئة السذاجة في التفكير، الناجمة عن حياتها البدائية، بعيدة عن معالم الحضارة العلمية التي كان عليها علماؤنا في مراكز العلم المعروفة، وهذا ممّا جعل من كتبهم لا تشبه شيئا من كتب أقطاب الشيعة الإمامية المليئة بالتحقيق والتدقيق في أصول الشريعة وفروعها)[2]

قال آخر: ثم ذكر نماذج عن أعلامهم، فقال: (هذا السيّد نعمة اللهّ الجزائري ـ غفر اللهّ له ـ (١٠٥٠ ـ ١١١٢) علم هذه الفئة الشاخص والمبدع لفكرة التحريف على أساس جمع الشوارد من الأخبار، نراه يعتمد الغرائب والشواذّ في كتبه ويشحنها بأقاصيص أسطوريّة، لا سابقة لها في كتب علمائنا الأعلام)[3]

ثم قارن بين منهجه ومنهج المتقدمين من المحدثين، فقال: (بينما الصدوق عليه الرحمة يقول في مقدّمة كتابه (من لا يحضره الفقيه): (ولم أقصد فيه قصد المصنّفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحّته وأعتقد فيه أنّه حجّة فيما بيني وبين

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص٩٨.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص٩٩.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٠.

ربّي تقدّس ذكره وتعالت قدرته وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعوّل وإليها المرجع)، نرى المحدّث الجزائري يقول: (نحن نروي جميع أحاديث الكتب الأربعة عن المحمّدين الثلاثة، بواسطة رجل مجهول الحال، مجهول الحسب والنسب، مع بعد الطريق بقرون، يحكي من أوثق مشايخه (السيّد البحراني) أنّه نقل عن شيخه (الحرفوشي) إنّه لاقى رجلا في مسجد مهجور من مساجد دمشق، ادّعى أنّه (المعمّر أبو الدنيا) كان يقول: إنّه صحب عليا والأئمّة وسمع حديثهم واحدا واحدا، وسمع مشايخ الحديث وأرباب الكتب وسمع حديثهم، فاستجازه الحرفوشي في الإسناد إليه فأجازه! فكان شيخه يقول: إنّا نروي عن أصحاب الكتب منذ ذلك الوقت بهذا الإسناد القصير.. وهكذا ابتهج السيّد الجزائري بهذه المفاجئة السانحة فجعل يقول: وها نحن أيضا نروي الكتب الأربعة للمحمّدين الثلاثة بنفس هذا الإسناد) [1]) [2]

قال آخر: ثم ذكر نماذج عن بعض كتب الإخباريين، والتي لا تختلف عن كتب إخوانهم من الحشوية، وكيف تسلل القول بالتحريف منها إليهم، فقال: (كتاب السيّد نعمة اللهّ الجزائري الذي أسماه (الأنوار النعمانية) ـ من أشهر تآليفه، وعدّه القوم من جلائل كتبهم ـ مليء بأخبار وقصص خرافية غريبة، ممّا لا نظير لها في كتب أصحابنا الإماميّة، وهذا الكتاب هو المنبع الأصل للقول بالتحريف[3]، والذي اعتمده النوري صاحب (فصل الخطاب)، وكان قدوته في هذا الاختيار[4])[5]

قال آخر: ثم ذكر الإخباري النوري (ت١٣٢٠هـ)، وتأثره بنعمة الله الجزائري في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، وكيف تعامل معه كل علماء الشيعة

---

(١) الأنوار النعمانية: ٢/ ٧.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٠.

(٣) الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٥٧.

(٤) فصل الخطاب،٢٥٠.

(٥) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠١.

وعوامهم، بسبب رأيه الشاذ المنحرف، فقال: (قد أسلفنا تواجد الشيخ النوري نفسه في وحشة العزلة منذ أن سلك هذا الطريق الشائك، إذ وجد من أقطاب الطائفة متّفقة على خلاف رأيه، وكم حاول العثور على رفقة من مشاهير العلماء ولكن من غير جدوى، وقد أحسّ الرجل من أوّل يومه بشنعات ومسبّات سوف تنهال عليه من كلّ صوب ومكان، وبالفعل قد حصل ووقع في الورطة التي كان يخافها) [1]

ثم ذكر بعض الحوادث الدالة على ذلك، فقال: (يحدّثنا السيّد هبة الدين الشهرستاني ـ وهو شابّ من طلبة الحوزة العلميّة بسامراء على عهد الإمام الشيرازي الكبير ـ عن ضجّة ونعرات ثارت حول الكتاب ومؤلّفه وناشره يومذاك، يقول في رسالة بعثها تقريظا على رسالة البرهان التي كتبها الميرزا مهدي البروجردي بقم المقدّسة ١٣٧٣ هـ، يقول فيها: (كم أنت شاكر مولاك إذ أولاك بنعمة هذا التأليف المنيف، لعصمة المصحف الشريف عن وصمة التحريف، تلك العقيدة الصحيحة التي آنست بها منذ الصغر أيّام مكوثي في سامراء، مسقط رأسي، حيث تمركز العلم والدين تحت لواء الإمام الشيرازي الكبير، فكنت أراها تموج ثائرة على نزيلها المحدّث النورى، بشأن تأليفه كتاب (فصل الخطاب) فلا ندخل مجلسا في الحوزة العلمية إلّا ونسمع الضجّة والعجّة ضدّ الكتاب ومؤلّفه وناشره يسلقونه بألسنة حداد) [2].. وهكذا هبّ أرباب القلم يسارعون في الردّ عليه ونقض كتابه بأقسى كلمات وأعنف تعابير لاذعة، لم يدعوا لبثّ آرائه ونشر عقائده مجالا ولا قيد شعرة) [3]

قال آخر[4]: ثم ذكر نماذج عن بعض العلماء المعاصرين الذين ردوا عليه، ومنهم الفقيه المحقّق الشيخ محمود بن أبي القاسم الشهير بالمعرّب الطهراني (ت ١٣١٣) في رسالة

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٢.

(٢) البرهان للبروجردي/ ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٢.

(٤) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٣.

قيّمة أسماها (كشف الارتياب في عدم تحريف الكتاب) ألفها سنة ١٣٠٢ هـ، وهي تقرب من أربعة آلاف بيت في ٣٠٠ صفحة، وفيها من الاستدلالات المتينة والبراهين القاطعة، ما ألجأ الشيخ النوري إلى التراجع عن رأيه، وتأثّر كثيرا بهذا الكتاب، فقام بتأليف رسالة اخرى فارسية بصدد الإجابة وتوجيه ما قصده من التحريف، بأنّه ما أراد من الكتاب المحرّف هذا القرآن الموجود بين الدفّتين، فإنّه باق على حالته الأولى منذ أن توحّدت المصاحف على عهد عثمان، لم يتغيّر ولم يلحقه زيادة ولا نقصان منذ ذلك الزمان إلى الآن، بل المراد الكتاب الإلهي المنزل، فقد سقط منه عند الجمع الأوّل ما ذهب ببعضه، وذلك في غير الأحكام، وأمّا الزيادة فالإجماع قائم من جميع فرق المسلمين كافّة على أنّه لم يزد في القرآن ولو بمقدار أقصر من آية، ولا كلمة واحدة في جميع القرآن، وكان يقول ـ دفاعا عن نفسه، بعد أن وصلته رسالة الردّ ـ: (لا أرضى عن الذي يطالع فصل الخطاب أن يترك النظر في الرسالة الجوابية على كشف الارتياب، وكان يوصي كلّ من كانت عنده نسخة من فصل الخطاب أن يضمّ إليه تلك الرسالة، فإنّها بمنزلة المتمّم لذلك الكتاب والكاشف عن مقصود مؤلّفه)

قال آخر[1]: ومثل ذلك شهد صاحب الذريعة، فقد قال: سمعت شيخي النوري يقول: إنّي حاولت في هذا الكتاب إثبات أنّ هذا الموجود بين الدفّتين كذلك باق على ما كان عليه في أوّل جمعه كذلك في عصر عثمان، ولم يطرأ عليه تغيير وتبديل كما وقع في سائر الكتب[2]، فكان حريّا بأن يسمّى (فصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب)؛ فتسميته بهذا

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٤.

(٢) وقد رد عليه في دعواه هذه الشيخ محمد مهدي معرفت، فقال: (قد سمعت الشيخ النوري تراجعه عن رأيه في التحريف، زاعما أنّه حاول في كتابه (فصل الخطاب) إثبات عدم تحريف الكتاب المودع بأيدي المسلمين منذ الجمع الأوّل فإلى الآن. يا للهّ والتساهل بشأن الكتاب العزيز، وليته اعترف بخطئه صريحا واستغفر ربّه وأناب، وترك هذا الالتواء المفضوح. إنّه حشّد كتابه بأباطيل القول بالتحريف وقاس القرآن بالعهدين فى التلاعب به ـ والعياذ باللهّ ـ ثمّ يقول: إنّي أردت في هذا الكتاب إثبات عدم تحريف القرآن، وأنّه لم يطرأ عليه تغيير وتبديل كما وقع في كتب العهدين. إن هذا إلّا تناقض صريح، والتواء في التعبير، وخداع مكشوف) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٦.

الاسم الذى يحمله الناس على خلاف مرادي، خطأ في التسمية، لكنّي لم أرد ما يحملونه عليه، بل مرادي إسقاط بعض الوحي المنزل الإلهي، وإن شئت فسمّه (القول الفاصل في إسقاط بعض الوحي النازل)[1]

قال آخر[2]: ومن العلماء الذين كتبوا في الردّ عليه معاصره العلّامة السيد محمد حسين الشهرستاني (ت ١٣١٥) في رسالة أسماها (حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف)، وقد أحسن الكلام في الدلالة على صيانة القرآن عن التحريف وردّ شبهات المخالف ببيان واف شاف[3].

قال آخر[4]: وهكذا كتب في الردّ عليه كلّ من كتب في علوم القرآن أو في التفسير، كالحجّة البلاغي (ت ١٣٥٢) في مقدّمة تفسيره (آلاء الرحمن)، فقد قال تشنيعا عليه: (إنّ صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين المجدّين في التتبّع للشواذّ وإنّه ليعدّ هذا المنقول من (دبستان المذاهب) ضالّته المنشودة، مع اعترافه بأنّه لم يجد لهذا المنقول أثرا في كتب الشيعة)[5].. ثمّ ذكر طرفا من روايات تذرّع بها أهل القول بالتحريف، وحكم عليها بالضعف والشذوذ، وأنّ لها محامل غير ظاهرها المريب.

قال آخر: وقد رد عليه الكثيرون، وبرسائل وكتب كثيرة، منها (كشف الارتياب في عدم تحريف كتاب رب الأرباب) للطهراني (ت ١٣١٣هـ).. و(حفظ الكتاب الشريف على شبهة القول بالتحريف) للسيد هبة الدين الشهرستاني (ت ١٣١٥هـ) .. و(الحجة على فصل الخطاب في إبطال القول بتحريف الكتاب) لعبد الرحمن الهيدجي (١٣٧٢هـ) .. و(البرهان على عدم تحريف القرآن) للميرزا البروجردي (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م) .. و(آلاء

---

(١) الذريعة: ١٠/ ٢٢٠ ـ ٢٢١: وج ١٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ وج ١٨/ ٩.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٤.

(٣) البرهان للبروجردي/ ١٣٨ ـ ١٤٢.

(٤) صيانة القرآن من التحريف، ص١٠٤.

(٥) آلاء الرحمان: ١/ ٢٥.

الرحمن في الرد على تحريف القرآن) للميرزا عبد الرحيم المدرس الخياباني (١٣١٨هـ) .. و (بحر الفوائد في شرح الفرائد)، للميرزا الأشتياني (ت ١٣١٩هـ).. وغيرها كثير.

تدليس وتزوير:

قال المدعي: لا بأس.. قد أوافقكم في كل ما ذكرتم.. لكنا مع ذلك لا نستطيع أن نغض الطرف على تلك المصادر والأسانيد الكثيرة التي ذكرها النوري في كتابه الذي صار أشهر من نار على علم.. فكيف تجيبون على ذلك؟

قال أحد المتهمين: أنتم تعلمون سيدي بأن الدس والتدليس والتزوير قد أصاب جميع التراث الإسلامي، وفي جميع المدارس الإسلامية.. ودورنا هو التحذير منه، ورده، لا اتهام أي طائفة من المسلمين بسببه.. وإن شئت أن أذكر لك ما دس من الكتب في مدرستكم، لأبين لكم التشابه بيننا وبينكم فعلت.

قال المدعي: لا.. يكفي أن تذكر لي ما دُس في مدرستكم.. فأنا أعلم بما دس في مدرستي.

قال المتهم: لقد ذكر الحجّة البلاغي ما اعتمده الإخباريون في القول بتحريف القرآن الكريم، فقال: (قد جهد المحدّث النوري في جمع روايات التحريف ـ حسب زعمه ـ في حجم كبير، بتكثير أعداد المسانيد بضمّ المراسيل المأخوذة في الأصل من تلك المسانيد، كمراسيل العياشي وفرات وغيرهما، مع أنّ القسط الوافر من أسانيدها ترجع إلى بضعة أنفار متّهمين في تراجم الرجال، فمنهم الكذّاب الخبيث أو المجفوّ المنبوذ لا يستحلّ الرواية عنه أو شديد العداء لسلالة آل الرسول ﷺ وأمثال ذلك من تعابير تنبئ عن سوء السريرة أو سوء القصد.. ومن الواضح أنّ أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئا) (١)

---

(١) آلاء الرحمان، ص٢٦.

قال آخر[1]: ومن الأمثلة على تلك المصادر التي نقل عنها تلك الروايات، رسالة مجهولة الانتساب، اعتمدها أصحاب القول بالتحريف، نسبت إلى كلّ من سعد بن عبد الله الأشعري (ت ٣٠١) ومحمد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٦٠) والسيّد المرتضى (ت ٤٣٦) لكن مع اختلاف في العنوان؛ فقد نسبت إلى الأشعري باسم [رسالة الناسخ والمنسوخ]، وإلى النعماني باسم [ما ورد في صنوف آيات القرآن]، وإلى المرتضى باسم: [رسالة المحكم والمتشابه].. فرسالة هذا شأنها ـ لا يعرف واضعها ولا ناسخها، ولا صحّ سندها، ولا حظيت بتوثيق أحد من رجالات العلم والحديث، ولا نصّ على اعتبارها وإسنادها أحد من أئمّة النقد والتمحيص ـ لا تصلح مستندا لاختيار ولا مصدرا يرجع إليه، نعم تصلح مرجعا لمثل النوري الغريق الذي يتشبّث بكلّ حشيش، وقد شحن حقيبته الجوفاء (رسالة فصل الخطاب) بمثل هذه الحشائش الهزيلة التي سرعان ما تجتثّ من فوق الأرض ما لها من قرار، و هكذا سائر الكتب التي استند إليها القوم في مسألة التحريف، لم يكن شأنها بأفضل من شأن هذه الرسالة المجهولة.

قال آخر[2]: ومن الأمثلة عنها كتاب السقيفة المنسوب لسليم بن قيس الهلالي (ت ٩٠)، فقد تم استغلال لكونه من خواصّ أصحاب الإمام علي.. وقد شكّك فيها جلّ أهل التحقيق، فقد قال الشيخ المفيد: (هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتديّن أن يتجنّب العمل بكلّ ما فيه ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته، وذلك أنّه لّما طلبه الحجّاج ليهدر دمه هرب وآوى إلى أبان بن أبي عياش (فيروز) فلمّا حضرته الوفاة سلّم الكتاب إلى أبان مكافأة لجزيل فضله.. فلم يرو عن سليم كتابه هذا سوى أبان وعن طريقه، و أبان هذا كان تابعيا صحب الإمامين الباقر

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٢.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٤.

والصادق، وقد ضعّفه الشيخ في رجاله)، وقال ابن الغضائري: (ضعيف لا يلتفت إليه، وقد اتّهم الأصحاب أبانا بأنّه دسّ في كتاب سليم، ومن ثمّ هذا التخليط، حتى أنّهم نسبوا الكتاب إليه رأسا.. وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس الهلالي إليه)

قال آخر[١]: وللشيخ إلى كتاب سليم طريقان، أحدهما: عن طريق حمّاد بن عيسى وعثمان بن عيسى عن أبان عن سليم، والآخر: عن حماد عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان عن سليم، على ما ذكره الطهراني في الذريعة، وقد قال العلامة الخوئي في بيان ضعف هذا الإسناد: (وكيفما كان فطريق الشيخ إلى كتاب سليم بكلا سنديه ضعيف.. والصحيح أنّه لا طريق لنا إلى كتاب سليم بن قيس الهلالي المروي بطريق حماد بن عيسى، وذلك فإنّ في الطريق (محمد بن علي الصيرفي أبا سمينة) وهو ضعيف كذّاب)[٢]

قال آخر[٣]: قد اشتهر هذا الكتاب باختلاف النسخ، ولعلّ طول الزمان وتداول أيدي الكتّاب جعله عرضة للدسّ فيه مع مختلف الآراء والأنظار، شأن كلّ كتاب لم يوفّق المصنّف لنشره بنفسه بل على أيدي الآخرين بعد وفاته، وقد قال المحقّق الطهراني عنه: (رأيت منه نسخا متفاوتة من ثلاث جهات: أولاها: التفاوت في السند في مفتتح النسخ، ثانيتها: التفاوت في كيفيّة الترتيب ونظم أحاديثه، ثالثتها: التفاوت في كمية الأحاديث، وجهة رابعة ذكرها بعض المحقّقين في مقدّمة الكتاب، قال: وهناك أحاديث كثيرة أوردها العلّامة المجلسي في أجزاء البحار المتعدّدة وكذا غيره من الأعلام في كتبهم (كالكليني، والصدوق، والحلّي في مختصر بصائر الدرجات، وابن عبد الوهّاب في عيون المعجزات، والصفّار في البصائر وغيرهم) مرويّة عن سليم، لا توجد فيما بأيدينا من نسخ الكتاب،

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٤.

(٢) تصحيح الاعتقاد، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٥.

وكثيرة منها مرفوعة إليه من غير طريق أبان، الأمر الذي يؤكّد مسألة تصرّف أبان في كتاب سليم، وأخيرا، فإنّ الكتاب وضع على أسلوب التقطيع، فيتكرّر في أثنائه: (وعن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت..)، وعليه فاحتمال كون الكتاب من صنع أبان وأنّه هو الذي وضعه على هذا الأسلوب فزاد فيه ونقص ورتّب حسب تصرّفه الخاص، احتمال قويّ، فاستناد الكتاب في وضعه الحاضر إلى أبان أولى من استناده إلى سليم، وإن كان هو الأصل، فما يوجد فيه من مناكير أو خلاف معروف لم يثبت كونه من سليم، فقد صحّ ما قاله قدوة أهل التحقيق الشيخ المفيد بشأن الكتاب: هذا الكتاب غير موثوق به.. ولا يجوز العمل على أكثره.. فيه تخليط وتدليس.. فينغبي للمتديّن أن يجتنب العمل بكلّ ما فيه.. و لا يعوّل على جملته والتقليد لروايته)[1]

قال آخر[2]: ومن الأمثلة عنها كتاب القراءات لأحمد بن محمد السّياري (ت ٢٦٨)، وقد قال محدثونا عنه: ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفوّ الرواية، كثير المراسيل.. وقال ابن الغضائري: ضعيف متهالك، غال محرّف، وحكى محمد بن علي بن محبوب في كتاب النوادر المصنّفة: إنّه قال بالتناسخ[3]، وكتابه هذا يعرف بكتاب (التنزيل والتحريف) على ما عبّر به الشيخ حسن بن سليمان الحلّي في مختصر البصائر، وهذا العنوان أقرب إلى محتوى الكتاب من عنوان القراءات، وكانت عند المحدّث النوري منه نسخة، ونقل عنها في مستدرك الوسائل[4].

قال آخر [5]: ومن الأمثلة عنها تفسير أبي الجارود زياد بن المنذر السرحوب (ت ١٥٠)، قال الكشي: وكان مكفوفا أعمى القلب، وقد ورد لعنه عن لسان الإمام الصادق،

---

(١) الذريعة: ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٩؛ ومقدمة كتاب سليم/ ١٩ ـ ٣٩.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٦.

(٣) معجم رجال الحديث: ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

(٤) الذريعة: ١٧/ ٥٢.

(٥) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٧.

قال: لعنه اللهّ فإنّه أعمى القلب أعمى البصر، وقال فيه محمّد بن سنان: أبو الجارود، لم يمت حتى شرب المسكر وتولّى الكافرين[1].. أما تفسيره هذا فالذي يرويه عنه هو أبو سهل كثير بن عياش القطان، وإليه ينتهي طريق الشيخ والنجاشي إلى تفسيره، قال الشيخ: وكان ضعيفا.

قال آخر [2]: ومن الأمثلة عنها تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩)، والذي سبق لنا الحديث عنه، وذكرنا أنه منسوب إليه من غير أن يكون من صنعه، وإنّما هو تلفيق من إملاءاته على تلميذه أبي الفضل العباس بن محمد العلوي، وقسط وافر من تفسير أبي الجارود، ضمّه إليها أبو الفضل وأكمله بروايات من عنده، كما وضع له مقدّمة وأورد فيها مختصرا من روايات منسوبة إلى الإمام علي في صنوف آي القرآن، وقد فصّلها وشرحها صاحب التفسير المنسوب إلى النعماني.. فقد أخذ أبو الفضل العلوي عن شيخه القمي ما رواه بإسناده إلى الإمام الصادق من تفسير القرآن، وضمّ إليه من تفسير أبي الجارود ما رواه عن الإمام الباقر وأكمله بما رواه هو عن سائر مشايخه تتميما للفائدة، فجاء هذا التفسير مزيجا من روايات القمي وروايات أبي الجارود وروايات غيرهما ممّا رواه أبو الفضل نفسه.

قال آخر [3]: وهذا التفسير بهذا الشكل، هو صنيع أبي الفضل العلوي، وإنّما نسبه إلى شيخه القمي لأنّه الأصل والأكثر حظّا من روايات هذا التفسير، وقد قال المحقّق الطهراني: وهذا التصرّف وقع منه من أوائل سورة آل عمران حتى نهاية القرآن[4]، ويبتدئ التفسير بقوله: (حدّثني أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر قال حدّثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم..)، فمن ذا يكون القائل في قوله: (حدّثني..)؟..

---

(١) فهرست ابن النديم/ ٢٦٧.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٧.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٧.

(٤) الذريعة: ٤/ ٣٠٢ـ٣٠٣.

ومن هو أبو الفضل العباس العلوي، الذي يحدّث عن شيخه القمي؟.. فهنا مجهولان، الأوّل: الذي يحدّث عن أبي الفضل العلوي، لا يعرف شخصه، لا اسمه ولا وصفه.. والثاني: نفس أبي الفضل، وهذا غير معروف عند أصحاب الحديث، ولا ذكره أحد من أصحاب التراجم، لا بمدح ولا بقدح، نعم إنّما يعرف بأنّه من أعقاب حمزة بن الإمام الكاظم، لا شيء سواه، فالذي يعرف عنه أنّه من العلويين، وربّما كان من تلامذة عليّ بن إبراهيم القمي هذا لا غير، فكما أنّ الأوّل مجهول شخصا ونسبا، فهذا يعدّ من المهملين في علم الرجال، وعليه فالإسناد إلى هذا التفسير مقطوع أو مجهول اصطلاحا، ومثل هذا تأليف ساقط عن درجة الاعتبار عند أرباب الحديث.

قال آخر [١]: ومن الأمثلة عنها كتاب الاستغاثة لعليّ بن أحمد الكوفي (ت ٣٥٢)، فقد قال النجاشي عنه: (كان يقول إنّه من آل أبي طالب، وغلا في آخر عمره وفسد مذهبه، وصنّف كتبا كثيرة أكثرها على الفساد، منها هذا الكتاب)، وقال: (كان إماميا مستقيما، وصنّف كتبا سديدة منها كتاب الأوصياء وكتاب الفقه على ترتيب كتاب المزني، ثم خلط وأظهر مذهب الخمسة[٢]، وصنّف كتبا في الغلوّ والتخليط وله مقالة تنسب إليه)، وقال ابن الغضائري: (كذّاب غال صاحب بدعة ومقالة، رأيت له كتبا كثيرة، لا يلتفت إليه)،

قال آخر[٣]: ومن الأمثلة عنها كتاب الاحتجاج للطبرسي، وهو كتاب مجهول، وقد ذكر السيّد محمّد بحر العلوم في مقدّمة الكتاب ستّة من المعاريف يحتمل انتساب الكتاب إليهم، أولهم أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٦٢٠) والمعروف انتساب الكتاب إليه، نسبه إليه السيّد ابن طاووس في كتاب (كشف المحجّة).. ومنهم أبو عليّ،

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٨.

(٢) معنى التخميس عند الغلاة أنّ سلمان الفارسي والمقداد وعمّارا وأبا ذر وعمرو بن أميّة الضمري هم الموكّلون بمصالح العالم، صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٨.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص١٩٩.

الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨) صاحب تفسير (مجمع البيان)، نسبه إليه صاحب كتاب (الغوالي) والمحدّث الاسترابادي، وابن أبي جمهور الاحسائي في كتاب (المجلّى).. ومنهم أبو نصر، الحسن بن الفضل بن الحسن صاحب كتاب (مكارم الأخلاق) نجل الطبرسي أمين الإسلام صاحب التفسير.. ومنهم أبو الفضل، عليّ بن الحسن بن الفضل، حفيد صاحب التفسير، له كتاب (نثر اللئالي) وكتاب (مشكاة الأنوار) كتبه تتميما لكتاب والده (مكارم الأخلاق) .. ومنهم أبو عليّ، محمد بن الفضل الطبرسي، من تلامذة الشيخ الطوسي .. ومنهم أبو علي، الحسن بن عليّ بن محمّد الطبرسي، المعاصر للخواجا نصير الدين الطوسي.

قال آخر[1]: والكتاب لا يعدو كونه مراسيل لا إسناد لها، وأكثرها تلفيقات من روايات نقلية واحتجاجات عقلية كانت العبرة بذاتها لا بالأسانيد، ومن ثمّ فإنّ العلماء يرفضون الأخذ بها كروايات متعبّد بها، وإنّما هو كلام عقلاني وإلّا فلا اعتبار بكونه منقولا، الأمر الذي يحطّ من شأن الكتاب باعتبار كونه سندا لحوادث تاريخية سالفة.

قال آخر[2]: ولعلّه لأجل ذلك أخفى المؤلّف اسمه في صدر الكتاب، وقد علّل تأليفه له بترغيب أبناء الطائفة في سلوك طريق الحجاج والمجادلة بالتي هي أحسن، فأتى فيه بأنواع الجدل في مختلف شؤون الدين، ناسبا لها إلى عظماء الأمّة كلّا أو بعضا ترويجا لهذه الطريقة الحسنة، وقد قال: (ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده، إمّا لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلّت العقول إليه، أو لاشتهاره في السير والكتب)، ولذلك فهو أشبه بكتاب كلامي من كونه مصدرا حديثيا أو تاريخيا، والعمدة هي الاستدلال بطريقة العقل لا مجرّد النقل.

---

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص٢٠٠.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص٢٠٠.

قال آخر[1]: ومن الأمثلة عنها تفاسير جليلة صنّفها علماء أجلّاء، غير أنّ النسخ الأصل ضاعت، وبقيت منها مختصرات محذوفة الإسناد، وربّما تم اختزال أو تحوير في الأحاديث وفي ترتيبها، بما زالت الثقة بأصالة أكثرها.. ومنها تفسير أبي النضر محمّد بن مسعود، ابن عياش السلمي السمرقندي (ت ٣٢٠) المعروف بتفسير العياشي، فقد حذف منه بعض الناسخين أسانيد الروايات لغرض الاختصار، وقد قال العلّامة المجلسي عنه: (ذكر الحاذف لذلك عذرا هو أشنع من جريمته)، وقال: (نظرت في التفسير بإسناده ورغبت إلى هذا وطلبت من عنده سماع من المصنّف أو غيره فلم أجد في ديارنا من كان عنده سماع أو إجازة من المصنّف، ولذلك حذفت منه الإسناد وكتبت الباقي على وجهه ليكون أسهل على الكاتب والناظر فيه، فإن وجدت بعد ذلك من عنده سماع أو إجازة من المصنّف اتّبعت الأسانيد وكتبتها على ما ذكره المصنّف، ومع ذلك فإنّه لم يبق من هذا التفسير الموتور سوى نصفه إلى آخر سورة الكهف)[2]

قال آخر[3]: ومن الأمثلة عنها تفسير فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (توفي حدود ٣٠٠) المقصور على الروايات المأثورة عن الأئمّة، وقد أكثر الرواية عن الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي نزيل قم والمتوفّى بها، الذي كان من أصحاب الأئمّة: الرضا والجواد والهادي، وكذلك يروي كثيرا عن جعفر بن محمّد الفزاري وعبيد بن كثير العامري وعن سائر مشايخه البالغين إلى نيف ومائة شيخ، كلّهم من رواة أحاديثنا، غير أنّه ليس لأكثرهم ذكر ولا ترجمة في أصولنا الرجالية، كما أنّ فرات أيضا لم يذكر بمدح ولا قدح، قال المحقّق الطهراني: (ولكن من الأسف أنّه عمد بعض إلى إسقاط أكثر تلك الأسانيد واكتفى

(١) صيانة القرآن من التحريف، ص٢٠٢.

(٢) الذريعة: ٤/ ٢٩٥.

(٣) صيانة القرآن من التحريف، ص٢٠٢.

مثلا بقوله: فرات عن حسين بن سعيد معنعنا عن فلان، وهكذا في غالب الأسانيد، فأشار بقوله: (معنعنا) إلى أنّ الرواية كانت مسندة معنعنة وإنّما تركها للاختصار)[1]

قال آخر[2]: ومن الأمثلة عنها تفسير محمّد بن العباس الماهيار المعروف بابن الحجام (توفي حدود ٣٣٠)، وهو ثقة، قال النجاشي عنه: قال جماعة من أصحابنا: (إنّه كتاب لم يصنّف في معناه مثله، وقيل أنّه ألف ورقة)[3]، وطريق الشيخ إليه صحيح، ولكن هذا التفسير لم يوجد ولم يره أحد من أرباب التحقيق المتأخّرين، وظاهر عبارة النجاشي أنّه لم يشاهده، وإنّما نقل عن غيره في مقدار حجمه.. وقد قال الطهراني عنه: وينقل عنه السيّد شرف الدين في كتابه (تأويل الآيات الظاهرة) وهو تلميذ المحقّق الكركي المتوفى سنة ٩٤٠ فيظهر بقاء الكتاب إلى هذا الزمان، والله العالم بما بعده.

٤ ـ الموقف المعتدل:

بعد أن انتهى المتهمون من الدفاع عن أنفسهم، التفت المدعي للقاضي، وقال: ليس لدي ما أضيفه.. وأصدقك القول أني ـ مع كوني كنت أكثر الناس حرصا على إقامة أشد العقوبات على هؤلاء الفتية ـ إلا أني بعد سماعي لحججهم أتنازل عن ذلك، وأستغفر الله من موقفي المتشدد الذي لم يكن وليد البحث والعلم، وإنما كان وليد التعصب والطائفية المقيتة.

قال القاضي: شكرا جزيلا سيادة المدعي على ما ذكرته.. وأنا أشاطرك القول فيه؛ فقد خرجت من بيتي هذا اليوم، وأنا أحمل معي حكم الإعدام لهؤلاء الفتية، لأني كنت لا أعرفهم إلا من خلال تلك الكتب والمنشورات التحريضية التي تسيء إليهم.. والحمد لله

---

(١) الذريعة/ ٢٩٨.

(٢) صيانة القرآن من التحريف، ص٢٠٣.

(٣) معجم رجال الحديث: ١٦/ ١٩٨.

لقد أتاح الله لنا أن نستمع إليهم، ونعرف حقيقة الأمر من أفواههم.

قال أحد المتهمين: نشكركم سيادة القاضي على هذا الموقف الطيب، ويعلم الله أننا ـ مع الأذى الذي كنا نتحمله في السجن ـ لم نكن نقوم سوى بما أمرنا به أئمتنا من الدعوة إلى توحد صف الأمة، وعودتها إلى رشدها.

قال المدعي: صدقت في ذلك.. لقد أخبرني السجناء عنكم، وعن دينكم وورعكم وأدعيتكم الجميلة التي كنتم تترنمون بها كل حين.. لكني كنت أحذرهم من الاستماع لكم، لما كنت أحمله عنكم من الأحكام الجائرة الخاطئة.

قال القاضي: ونحن نعتذر لكم بشدة، ونعدكم أن نعوض كل ما أصابكم من أذى بسببنا.

قال أحد المتهمين: لا نحتاج أي تعويض، يكفينا فقط أن نهتم جميعا بإعادة القرآن الكريم إلى وضعه الحقيقي الطبيعي.. فنحتكم إليه في كل شيء، وحينها ستندثر الطوائف، ولن يبقى إلا الإسلام الواحد.

قال القاضي: أجل.. أنا أعلم أنه لا يمكن تعويضكم.. لكني أعدكم بأن أسعى لدى كل المسؤولين لتشكيل لجنة تهتم بتنقيح التراث التفسيري، لتطهر القرآن الكريم من كل ما يسيء إليه.. فنحن نعلم أن في تراثنا من الخرافات والأباطيل ما لا يقل عما في تراثكم.. وستكونون أنتم أول أعضاء هذه اللجنة؛ فقد أثبتم فهمكم للقرآن الكريم ووعيكم لمقاصده.

التفت القاضي إلى الحاضرين، وقال: من كان لديه اعتراض منكم على ما ورد في الجلسة؛ فيمكنه الحديث.

قام أحد الحاضرين، وقال: شكرا جزيلا لكم على هذه الجلسة التي لم نكن نحلم بأن

نجلس فيها.. وشكرا لمعلم القصد والاعتدال الذي استطاع بنوره وإيمانه أن يزيح عن هؤلاء الفتية التهم التي اتهموا بها زورا وبهتانا.. وأنا ـ باعتباري ـ من الذين كانوا يحرضون عليهم، أعتذر بشدة لهم، وأطلب منهم أن يبرئوا ذمتي، وأن يقبلوني أخا لهم.

قال أحد المتهمين: أنت أخ لنا، ولو لم تطلب ذلك.. فالله تعالى أخبر عن أخوة المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].. ولذلك لا حاجة لك للاعتذار؛ فنحن نعلم ما قام به شياطين الإنس والجن للتفريق بيننا.

قال أحد الحضور: لقد ذكرتم أثناء ردكم للتهم الموجهة إليكم تفاسير جميلة للقرآن الكريم، ونحن نود أن تعرفونا بها، وتدلونا عليها؛ فنحن نرجع في تفسيرنا للقرآن الكريم لما كتبه سلفنا، وهم لا يتناولون القضايا بمثل ما ذكرتموه من الدقة والجمال والاستيعاب.

قال القاضي: أجل.. سنعمل على ذلك.. ونخرج تفاسير موحدة تعبر عن القرآن الكريم بعيدا عن كل تلك الرؤى الطائفية التي مزقت الأمة.

بعد أن قال القاضي هذا.. أذن المؤذن.. فرفع القاضي الجلسة.. ثم قام أولئك الفتية مع الحاضرين يصافح بعضهم بعضا بكل حرارة.. وكان من بينهم أولئك الذين سرت خلفهم للحضور لقاعة المحكمة.

سادسا ـ القرآن.. وتعطيل التنزيل

في صباح اليوم التالي، سمعت صوتا عاليا يردد: هل تريدون أن تسمعوا أكبر مراجعة في التاريخ.. أحفاد قتادة بن دعامة السدوسى، صاحب أقدم كتاب في [الناسخ والمنسوخ] ينتقدون جدهم، وفي كل الروايات والتفاصيل التي أوردها؟.. من أراد منكم الاستماع أو المناقشة؛ فعليه بالذهاب إلى ساحة التفعيل والتعطيل الموجودة في شارع التنزيل والتأويل.

وما هي إلا لحظات حتى اجتمع الكثير من الناس، وراحوا يسيرون إلى الشارع والساحة التي ذكرها.. وقد كان من الكلمات التي سمعتها، وأنا في طريقي سائرا معهم: عجبا لأحفاد قتادة.. لقد صدعوا رؤوسنا فخرا بجدهم.. بل كتبوا الكتب في الثناء عليه، وفي ريادته لعلم الناسخ والمنسوخ.. ثم ها هم أخيرا يتراجعون عن كل ذلك.. ما الذي حصل لهم؟

قال آخر: لا أظن إلا أن السبب في ذلك هو المعلم الجديد.. لقد رأيته البارحة معهم في تلك الساحة، وأظن أنه أقنعهم بالعدول عن فخرهم بآبائهم وأجدادهم، وتبنيهم لأقوالهم.

قال آخر: لست أدري ما أقول لكم.. لكني كنت أشعر أنه سيأتي اليوم الذي سيقرر فيه حفدة قتادة هذا القرار الخطير.. لقد درست عند بعضهم، وكنت أشعر بحرجهم كلما ذكر لنا عن نسخ آية من القرآن الكريم.. كانوا يذكرون ذلك.. ثم يرددون بعدها: والله أعلم.. مرات كثيرة.. ثم يستغفرون بعدها، وكأنهم قاموا بذنب أو جريمة.

ما إن وصلنا إلى ساحة التفعيل والتعطيل، حتى وجدنا منصة جلس عليها بعض

الشيوخ والكهول، ممن كان يطلق عليهم أحفاد قتادة، وكان بجانبهم معلم القصد والاعتدال.

قال المعلم: هؤلاء الشيوخ الأفاضل الذين ترونهم أمامكم مثال على الإيمان والتقوى والصلاح.. فهم على الرغم من شهرتهم بما يُطلق عليه علم الناسخ والمنسوخ، بل مرجعيتهم في ذلك.. إلا أنهم، وبعد اكتشافهم للحق، راحوا يميلون إليه، ويدورون معه حيث دار.. وقد طلبوا مني أن يجتمعوا بكم لتسألوهم عن كل الآيات التي ذكروا لكم أنها منسوخة، ليذكروا لكم ما استجد لهم من رأي حولها.

قال أحد الأحفاد: ونحن نعتذر لكم بسبب استعجالنا في تلك التقريرات التي كنا نبثها لكم.. لقد كان ديننا الذي ورثناه طاغيا علينا، وخاصة بسبب ما أتاحه لنا من جاه ومناصب.. ولذلك نرجو منكم أن تذكروا لنا ما ذكرناه لكم لنصححه؛ فعلامة التوبة الصحيحة البيان، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]

قال المعلم: بما أنكم رضيتم بي حكما؛ فإني أريد ـ أولا ـ من كل من يؤمن بالنسخ، وخاصة من التلاميذ الذين درسوا على حفدة قتادة، أن يطرحوا ما يعرفونه، أو درسوه عليهم، حتى يتسنى لهم بعد ذلك بيان ما ثبتوا عليه، أو رجعوا فيه.

قام أحد الحضور، وقال: نشكر أساتذتنا الأفاضل من آل قتادة على هذه الفرصة التي وفروها لنا، لنناقشهم فيما كنا نود أن نناقشهم فيه أثناء تدريسهم لنا، لكن تشددهم في ذلك الحين، لم يسمح لنا بطرح ما لدينا من إشكالات تتعلق بالنسخ وعلاقته بالتعطيل.

قال آخر: بما أنكم ذكرتم لنا أنكم ستجيبونا عن كل إشكالاتنا من خلال مراجعاتكم لمواقفكم؛ فسنذكر لكم ما ذكرتموه لنا من أنواع النسخ، وأمثلتها، وأدلتها..

وقد ذكرتم لنا أنها يمكن أن تجتمع في قسمين: نسخ التلاوة.. ونسخ الأحكام.

١ ـ نسخ التلاوة:

قال آخر: فلنبدأ بـ [نسخ التلاوة]، والذي كنتم تعتبرونه نوعا صحيحا من أنواع النسخ،

شواهد وإشكالات:

قال آخر: وقد ضربتم لنا عنه المثل بما روي عن عمر أنه خطب الناس على المنبر، فقال: (إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف)[1]

قال آخر: وقد ذكرتم لنا في شرح هذا الحديث ما قاله أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: (هذا نص من عمر على أن هذا كان قرآنا يتلى، وفي آخره ما يدل على أنه نسخ كونها من القرآن، وبقي حكمها معمولا به، وهو الرجم، وقال ذلك عمر بمحضر الصحابة، وفي معدن الوحي، وشاعت هذه الخطبة في المسلمين، وتناقلها الركبان، ولم يسمع في الصحابة ولا فيمن بعدهم من أنكر شيئا مما قاله عمر، ولا راجعه في حياته ولا بعد موته، فكان ذلك إجماعا منهم على صحة هذا النوع من النسخ، وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، ولا يلتفت لخلاف من تأخر زمانه)[2]

قال آخر: وذكرتم لنا كذلك ما ورد في الحديث عن عمر أنه قال في تكملة الحديث

---

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠) ومسلم (١٦٩١)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٨٥)

السابق: (ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم)[1].. وقد كنتم تذكرون لنا تأكيد العلماء لها، ومنهم الحافظ ابن حجر الذي قال: (قوله: (ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله) أي: مما نسخت تلاوته)[2]

قال آخر: ومثل ذلك ما كنتم تروونه لنا بسندكم إلى قتادة عن أنس، أن النبى ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبى ﷺ بسبعين من الأنصار.. قال أنس: كنا نسميهم القراء، يحطبون بالنهار، ويصلون بالليل، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم، فقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبنى لحيان.. قال قتادة: وحدثنا أنس أنهم قرؤوا بهم قرآنا: (ألا بلغوا عنا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا)، ثم رفع ذلك بعد[3].

قال آخر: ومثل ذلك ما كنتم تذكرونه لنا من نسخ تلاوة سورة طويلة، وأن من آياتها: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا)، وتستدلون على ذلك بما روي عن أبي الأسود قال: (بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا

---

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠) ومسلم (١٦٩١)

(٢) فتح الباري (١٢/ ١٤٨)

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٤)

تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة) [1] .. ثم تؤكدون ذلك بما ذكره الحافظ ابن حجر في معرض الحديث عن إحدى الروايات التي تذكر هذا: (وهذا يحتمل أن يكون النبي ﷺ أخبر به عن الله تعالى على أنه من القرآن، ويحتمل أن يكون من الأحاديث القدسية، والله أعلم، وعلى الأول فهو مما نسخت تلاوته جزما، وإن كان حكمه مستمرا، ويؤيد هذا الاحتمال ما أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن من حديث أبي موسى قال: قرأت سورة نحو براءة فغبت وحفظت منها: (ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا) الحديث، ومن حديث جابر: (كنا نقرأ لو أن لابن آدم ملء واد مالا لأحب إليه مثله)[2]

قال آخر: وهكذا ذكرتم لنا عن أبي العباس القرطبي قوله: (كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها)، وهذا ضرب من النسخ، فإن النسخ على مانقله علماؤنا على ثلاثة أضرب: أحدها: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، والثاني: عكسه، وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، والثالث: نسخ الحكم والتلاوة، وهو كرفع هاتين السورتين اللتين ذكرهما أبو موسى، فإنهما رفع حكمهما وتلاوتهما.. وهذا النسخ هو الذي ذكر الله تعالى حيث قال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، على قراءة من قرأها بضم النون، وكسر السين، وكذلك قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦].. وهاتان السورتان مما شاء الله تعالى أن ينسيه بعد أن أنزله، وهذا لأن الله تعالى فعال لما يريد، قادر على ما يشاء ؛ إذ كل ذلك ممكن.. ولا يتوهم متوهم من هذا وشبهه أن القرآن قد ضاع منه شيء، فإن ذلك باطل ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وبأن إجماع الصحابة ومن بعدهم انعقد على أن القرآن الذي تعبدنا

---

(١) رواه مسلم (١٠٥٠)

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٥٨)

بتلاوته وبأحكامه هو ما ثبت بين دفتي المصحف، من غير زيادة ولا نقصان)[1]

قال آخر: ومثله نقلتم لنا عن السيوطي قوله: (هذا من المنسوخ تلاوة الذي أشير إليه بقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، فكان الله ينسيه الناس بعد أن حفظوه، ويمحوه من قلوبهم، وذلك في زمن النبي ﷺ خاصة، إذ لا نسخ بعده)[2]

قال آخر: ومثله نقلتم لنا عن الحافظ ابن حجر قوله: (ثبت عن جماعة من الصحابة من ذكر أشياء نزلت من القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها أو لم يبق، مثل حديث عمر: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، وحديث أنس في قصة القراء الذين قتلوا في بئر معونة، قال: فأنزل الله فيهم قرآنا بلغوا عنا قومنا أنا لقد لقينا ربنا، وحديث أبي بن كعب: (كانت الأحزاب قدر البقرة)، وحديث حذيفة: (ما يقرؤون ربعها) يعني براءة، وكلها أحاديث صحيحة.. وقد أخرج ابن الضريس من حديث ابن عمر أنه كان يكره أن يقول: الرجل قرأت القرآن كله، ويقول: إن منه قرآنا قد رفع.. وليس في شيء من ذلك ما يعارض حديث الباب ؛ لأن جميع ذلك مما نسخت تلاوته في حياة النبي ﷺ)[3]

قال آخر[4]: ونرجو ألا تكرروا علينا الردود على المخالفين التي كنتم تذكرونها لنا، ثم تردون عليها.. ومن أمثلتها الرد على من يقول بأن الآية دليل على الحكم فلونسخت دونه، لأشعر نسخها بارتفاع الحكم، وفي ذلك ما فيه من التلبيس على المكلف والتوريط له في اعتقاد فاسد.. فقد أجبتم على هذه الشبهة بأن تلك اللوازم الباطلة تحصل لو لم ينصب الشارع دليلا على نسخ التلاوة وعلى إبقاء الحكم، أما وقد نصب الدليل على نسخ التلاوة

---

(١) المفهم (٣/ ٩٣ ـ ٩٤)

(٢) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ١٢٩)

(٣) فتح الباري (٩/ ٦٥)

(٤) مناهل العرفان (٢/ ٢١٧)

وحدها وعلى إبقاء الحكم وتقرير استمراره فلا تلبيس من الشارع على عبده ولا توريط.

قال آخر[1]: ومثل ذلك جوابكم لمن يقول بأن نسخ التلاوة مع بقاء الحكم عبث لا يليق بالشارع الحكيم لأنه من التصرفات التي لا تعقل لها فائدة.. فقد أجبتم على ذلك بأن نسخ الآية مع بقاء الحكم ليس مجردا من الحكمة ولا خاليا من الفائدة حتى يكون عبثا، بل فيه فائدة أي فائدة وهي حصر القرآن في دائرة محدودة تيسر على الأمة حفظه واستظهاره، وتسهل على سواد الأمة التحقق فيه وعرفانه، وذلك سور محكم وسياج منيع يحمي القرآن من أيدي المتلاعبين فيه بالزيادة أوالنقص، لأن الكلام إذا شاع وذاع وملأ البقاع ثم حاول أحد تحريفه سرعان ما يعرف وشد ما يقابل بالإنكار وبذلك يبقى الأصل سليما من التغيير والتبديل.. وبذلك؛ فإن حكمة الله قضت أن تنزل بعض الآيات في أحكام شرعية عملية حتى إذا اشتهرت تلك الأحكام نسخ تعالى هذه الآيات في تلاوتها فقط رجوعا بالقرآن إلى سيرته من الإجمال وطردا لعادته في عرض فروع الأحكام من الإقلال تيسيرا لحفظه وضمانا لصونه.

قال آخر[2]: ومثل ذلك أجبتم بأنه على فرض عدم علمنا بحكمة ولا فائدة في هذا النوع من النسخ فإن عدم العلم بالشيء لا يصلح حجة على العلم بعدم ذلك الشيء وإلا فمتى كان الجهل طريقا من طرق العلم، ثم إن الشأن في كل ما يصدر عن العليم الحكيم الرحمن الرحيم أن يصدر لحكمة أولفائدة نؤمن بها وإن كنا لا نعلمها على التعيين وكم في الإسلام من أمور تعبدية استأثر الله بعلم حكمتها أوأطلع عليها بعض خاصته من المقربين منه والمحبوبين لديه ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].. ولا بدع في هذا فرب البيت قد يأمر أطفاله بما لا يدركون فائدته لنقص عقولهم على حين أنه في الواقع مفيد وهم يأتمرون

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٢١٧)

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٢١٨)

بأمره وإن كانوا لا يدركون فائدته والرئيس قد يأمر مرؤوسيه بها يعجزون عن إدراك سره وحكمته على حين أن له في الواقع سرا وحكمة وهم ينفذون أمره وإن كانوا لا يفهمون سره وحكمته.. كذلك شأن الله مع خلقه فيما خفي عليهم من أسرار تشريعه وفيما لم يدركوا من فائدة نسخ التلاوة دون الحكم.

ردود وإجابات:

بعد أن انتهى تلامذة حفدة قتادة من طرح كل ما درسوه حول نسخ التلاوة، قام كبير الحفدة، وقال: بورك فيكم.. وفي حفظكم.. والآن اسمحوا لنا أن نجيبكم بما استقر عليه رأينا بعد مراجعات وأبحاث كثيرة.. فقد رأينا أنه لا يوجد هذا النوع من النسخ في القرآن الكريم.

قامت ضجة كبيرة بين الحضور، أوقفها المعلم بقوله: يحق لكم أن تعترضوا، ولكن لا يحق لكم أن تعترضوا قبل أن تسمعوا.. فالله تعالى سمع لإبليس قبل أن يلعنه.. فاحذروا أن تحكموا قبل أن تتيقنوا وتستمعوا الحجج والبراهين، حتى لا تطففوا في الموازين.

قام بعض حفدة قتادة، وقال: لا نلومكم على إنكاركم علينا، لأنا عند تدريسنا لكم لهذه المعاني، اكتفينا بما اقتنعنا به من آراء، ولم نذكر لكم الآراء التي تتناقض مع ما ذهبنا إليه، ولا أدلتها، بل كنا نكتفي بشجبها واحتقارها والتنفير منها.. والآن ـ ومراعاة للعدالة والشهادة لله ـ اسمحوا لنا أن نذكر لكم تلك الآراء التي كتمناها واحتقرناها، ثم لكم بعد ذلك أن تقتنعوا بها، أو ترفضوها؛ فليس من العلم أن نرد شيئا لم نسمع كل تفاصيله وأدلته.

من المدرسة السنية:

قال آخر: ولنبدأ بعلماء مدرستنا، وقد أشار إلى المتقدمين منهم الجصاص بقوله:

(وقالت طائفة: لا يجوز نسخ القرآن وتلاوته، ولكن يجوز نسخ الحكم مع بقاء التلاوة)[1].. ومثله قال أبوإسحاق الشيرازي: (وقالت طائفة لا يجوز نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، لأن الحكم تابع التلاوة فلا يجوز أن يرتفع الأصل ويبقى التابع)[2].. ومثله قال صاحب شرحه: (وذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز نسخ الرسم مع بقاء الحكم، واحتجوا بأن الحكم تابع للرسم فلا يجوز أن يرتفع الرسم ويبقى الحكم لا يتبعه)[3]

قال آخر: ومثله قال الزركشي: (وجزم شمس الأئمة السّرخسي بامتناع نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، لأن الحكم لا يثبت بدون تلاوة، وقد أورد على أثر عمر السابق كونه مما نسخ رسمه لأن القرآن لا يثبت بمثل هذا فإن من أنكر آية من القرآن كفر، وبمثل هذا لا يكفر فإذا لم يثبت كونه قرآنا، فكيف يُدّعى نسخه؟ .. وكذلك حديث عائشة فإن القرآن لا يثبت بخبر الواحد فلا تثبت به تلاوة ما هومن القرآن وحكمه معا، فإنا لا نعقل كونه منسوخا حتى نعقل كونه قرآناً وكونه من القرآن لا يثبت بخبر الواحد.. ولهذا قال صاحب المصادر: وأما نسخ التلاوة دون الحكم فوجوده غير مقطوع به، لأنه منقول من طريق الآحاد، كذلك نسخهما جميعاً)[4]..ومثله قال الشوكاني: (منع قوم من نسخ اللفظ مع بقاء حكمه، وبه جزم شمس الدين السرخسي، لأن الحكم لا يثبت بدون دليله)[5]

قال آخر: ومثله قال الشيخ الجزيري: (إن المسلمين قد أجمعوا على أن القرآن هو ما تواتر نقله عن رسول الله ﷺ عن ربّ العزة، فكيف يمكن الحكم بكون هذا قرآنا، خصوصاً وقد صرّح بعض أئمة المسلمين بأن لا يجوز الحكم على كتاب الله المتواتر بما ليس بمتواتر، وعلى هذا فمن المشكل الواضح ما يذكره المحدثون من روايات الآحاد المشتملة على أن

---

(١) الفصول في الأُصول ٢: ٢٥٣.

(٢) اللمع في أُصول الفقه ١: ٥٨.

(٣) شرح اللمع ١: ٤٩٧.

(٤) البحر المحيط في أُصول الفقه للزركشي ٤: ١٠٤.

(٥) إرشاد الفحول: ١٩٠.

آية كذا كانت قرآناً ونسخت، على أن مثل هذه الروايات قد مهّدت لأعداء الإسلام إدخال ما يوجب الشك في كتاب الله، فمن ذلك ما روي عن ابن مسعود من أن المعوّذتين ليستا من كتاب الله من الروايات الفاسدة، فإن معنى هذا التشكيك في كتاب الله المتواتر كلمة كلمة وحرفاً حرفا، ولهذا جزم الفخر الرازي بكذب هذه الرواية، ومن ذلك ما قيل: إن آية القنوت كانت موجودة في مصحف أُبيّ ثم سقطت.. فهذا وأمثاله من الروايات التي فيها الحكم على القرآن المتواتر بأخبار الآحاد، فضلاً عن كونه ضاراً بالدين فيه تناقض ظاهر)[1]

ثم قال: (أما رفع اللفظ مع بقاء معناه فإن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا اللفظ لا يناسب وضعه في هذه الجملة، فلما وضع وظهر فساده حُذف، وهذا مستحيل على الله تعالى العليم الخبير، ومع هذا فقد يقال: إن الحكم لا بدل له من لفظ يدل عليه، فإذا رفع اللفظ فما هوالدليل الذي يدل عليه ؟ فإن قلتم: إنه دل عليه قبل رفعه.،قلنا: وقد انتفت الدلالة بعد رفعه فلم يبق للحكم دليل؛ فإن قلتم: إن دليل الحكم اللفظ الذي يبينه به الرسول، قلنا: إن الحكم في هذه الحالة يكون ثابتا بالحديث لا بالقرآن المنسوخ، فالحق أن القول بجواز نسخ اللفظ مع بقاء المعنى واه، ومع ذلك كله فأي دليل يدل على أن اللفظ نسخ وبقي معناه ؟ إنه لا دليل لا في قول عائشة ـ آية الرضاع ـ ولا في غيره)[2]

قال آخر: ومثله قال الشيخ محمد رشيد رضا: (وقالوا: إن المراد بالإنساء إزالة الآية من ذاكرة النبي ﷺ، وقد اختلف في هذا أيكون بعد التبليغ أم قبله ؟ فقيل: بعده، كما ورد في أصحاب بئر معونة، وقيل قبله، حيث إن السيوطي روى في أسباب النزول أن الآية كانت تنزل على النبي ﷺ ليلا فينساها نهاراً فحزن لذلك فنزلت الآية.. قال الأُستاذ الإمام

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ٤: ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ٤: ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

(الشيخ محمد عبده): ولا شك عندي في أن هذه الرواية مكذوبة وإن مثل هذا النسيان محال على الأنبياء عليهم السلام لأنهم معصومون في التبليغ والآيات الكريمة ناطقة بذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقد قال المحدثون والأُصوليون: إن من علامة وضع الحديث مخالفته للدليل القاطع عقليا كان أو نقليا كأُصول الاعتقاد وهذه المسألة منها فإن هذا النسيان ينافي العصمة المجمع عليها)

ثم علّق الشيخ رشيد رضا على ما زُعم أنه نزل في بئر معونة بقوله: (وليس كل وحي قرآناً فإن للقرآن أحكاماً ومزايا مخصوصة، وقد ورد في السنة كثير من الأحكام مستندة إلى الوحي ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه يعدونها قرآنا، بل جميع ما قاله ﷺ على أنه دين هو وحي عند الجمهور واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، وأظهره الأحاديث القدسية، ومن لم يفقه هذه التفرقة من العلماء وقعت لهم أوهام في بعض الأحاديث رواية ودراية وزعموا أنها كانت قرآناً ونسخت) (١)

قال آخر: ومثله قال الشيخ محمد الخضري بك: (أما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فقد خالف فيه بعض المعتزلة وأجازه الجمهور محتجين بأخبار آحاد وردت في ذلك لا يمكن أن تقوم برهاناً على حصوله، وأنا لا أفهم معنى لآية أنزلها الله لتفيد حكماً ثم يرفعها مع بقاء حكمها، لأن القرآن يقصد منه إفادته الحكم بنظمه؛ فما هي المصلحة في رفع آية منه مع بقاء حكمها؟ إن ذلك غير مفهوم وفي رأيي أنه ليس هناك ما يلجئني إلى القول به، وحكى القاضي أبوبكر في (الانتصار) عن قوم إنكار هذا القسم لأنّ الأخبار فيه أخبار آحاد ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها) (٢)

---

(١) تفسير المنار ١: ٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) أُصول الفقه: ٢٥٧.

قال آخر: ومثله قال الشيخ علي حسن العريض: (وذهبت طائفة من العلماء إلى إنكار هذا النوع من النسخ [نسخ التلاوة]، وعدم وقوعه في كتاب الله عز وجل، لأنّه عيب لا يليق بالشارع الحكيم، لأنه من التصرّفات التي لا تعقل لها فائدة، ولا حاجة إليها وتنافي حكمة الحكيم.. والحق يقال: إن هذا النوع من النسخ وإن كان جائزاً عقلا، ولكنّه لم يقع في كتاب الله عزّ وجل، لأنّ هذه الروايات آحاد، والقرآن الكريم لا يثبت بروايات الآحاد مهما كانت مكانة قائلها، ولابد فيه من التواتر، كما أجمع عليه العلماء قديما وحديثا.. ولوأنّه صح ما قالوه لاشتهر بين الصحابة جميعاً ولحفظه كثير منهم أوكتبوه في مصاحفهم، ولكن لم يرد شيء عن غير هؤلاء الرواة؛ فلا يمكن القطع بأنّ هذه الآيات التي ذكروها كانت مسطورة في عهد النبي ﷺ وفي صحف كتّاب الوحي، ثمّ نسخت بعد ذلك ورفعت من المصحف ـ كما رواه بعض الصحابة ـ وبقي حكمها للعمل به.. وأيضاً فإن الحكم لا يثبت إلّا من طريق النصّ، ولم يظهر لزوال النص وحده حكمة من عمل الحكيم لأنّ الحكم ما زال قائماً لم ينسخ، فأي فائدة في نسخ تلاوته؟)(١)

ثم علل ما ورد عن عمر وقوله: (إنا كنّا نقرأ في كتاب الله) بقوله: (الكتب التي كان يحفظها هو وغيره من باب المبالغة في تشبيه الأحكام التي قالها الرسول ﷺ بالآيات القرآنية، لأنّ كلاً من السنّة الصحيحة والقرآن الكريم واجب الطاعة، وقد كان من الصحابة من يكتب الحديث ليحفظه.. وهنا نستطيع أن نقول بأنّ هذه الآية التي قالها عمر كانت أحكاما حفظها عن الرسول بألفاظ الرسول ﷺ، والتعبير بأنّها آية من كتاب الله مجاز)(٢)

قال آخر: ومثله قال صبحي الصالح: (والولوع باكتشاف النسخ في آيات الكتاب أوقع القوم في أخطاء منهجيّة كان خليقاً بهم أن يتجنّبوها لئلّا يحملها الجاهلون حملاً على

(١) فتح المنان في نسخ القرآن: ٢٢٤.

(٢) فتح المنان في نسخ القرآن: ٢٢٤.

كتاب الله، ولم يكن يخفى على أحد منهم أن القرآنية لا تثبت إلّا بالتواتر وأن أخبار الآحاد ظنّية لا قطعيّة، وجعلوا النسخ في القرآن ـ مع ذلك ـ على ثلاثة أضرب: نسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ التلاوة والحكم جميعاً، وليكثروا إن شاءوا من شواهد الضرب الأول، فإنهم فيه لا يمسّون النص القرآني من قريب ولا بعيد، إذ الآية لم تنسخ تلاوتها بل رفع حكمها لأسرار تربويّة وتشريعيّة يعلمها الله، أما الجرأة العجيبة في الضربين الثاني والثالث اللذين نسخت فيهما بزعمهم تلاوة آيات معينة إما مع نسخ أحكامها وإما دون نسخ أحكامها، والناظر في صنيعهم هذا سرعان ما يكتشف فيه خطأً مركّبا: فتقسيم المسائل إلى أضرب إذا كان لكل ضربٍ شواهد كثيرة أوكافية على الأقل ليتيسّر استنباط قاعدة منها، وما لعشّاق النسخ إلّا شاهد أواثنان على كل من هذين الضربين[1]، وجميع ما ذكروه منها أخبار أحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجّة فيها، وبهذا الرأي السديد أخذ ابن ظفر في كتابه الينبوع إذ أنكر عدّ هذا مما نسخت تلاوته، وقال: لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن)[2]

قال آخر: ومثله قال مصطفى صادق الرافعي: (ونحسب أن أكثر ذلك مما افترته المُلْحِدة وتزيّدت به الفئة الغالية، وهم فِرقٌ كثيرة يختلفون فيه بغياً بينهم، وكلهم يرجع إلى القرآن بزعمه ويرى فيه حجّته على مذهبه وبَيّنته على دعواه، ثم أهل الزيغ والعصبية لآرائهم في الحق والباطل، ثم ضعاف الرواة ممن لا يميّزون أوممن تُعارضهم الغفلة في

---

(١) فسر في الهامش ذلك بقوله: وأما الضرب الذي نسخت تلاوته دون حكمه فشاهده المشهور ما قيل من أنه كان في سورة النور: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالاً من الله) ، ومما يدل على اضطراب الرواية أنه جاء في صحيح ابن حبّان ما يفيد أن هذه الآية التي زعموا نسخ تلاوتها ليست من آيات سورة النور، وأما الضرب الذي نسخت تلاوته وحكمه معاً فشاهد المشهور في كتب الناسخ والمنسوخ ما ورد عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، وتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ من القرآن.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٦٥.

التمييز وذلك سواء كله ظلمات بعضها فوق بعض، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، وقد وردت روايات قليلة في أشياء زعموا أنها كانت قرآنا ورفع، على أن رسول الله ﷺ كان يقرر الأحكام عن ربّه إذا لم ينزل بها قرآن، لأن السنة كانت تأتي مأتاه وكذلك قال ﷺ: (أوتيت الكتاب ومثله معه يعني السنن)، وليس كل وحي بقرآن، على أن ما ورد من ذلك ورد معه اضطرابهم فيه وضعف وزنه في الرواية، وأكبر ظننا أنها روايات متأخرة من مُحْدثات الأُمور، وأن في هذه المحدثات لما هو أشد منها وأجدى بشؤمه، ولوكان من ذلك شيء في العهد الأول لرُويت معها أقوال أخرى للأئمة الأثبات الذين كان إليهم المفزعُ من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا يومئذ متوافرين، وكلهم مُقْرِن لذلك قويّ عليه، وكانوا يعلمون أن المِراء في القرآن كفر ورِدّة، وأن إنكار بعضه كإنكاره جملة، وقد أجمعوا على ما في مصحف عثمان وأعطوا بَذْلَ ألسنتهم في الشهادة - أي قوّتها - وما استطاعت من تصديق، ونحن من جهتنا نمنع كل المنع، ولا نعبأ أن يقال إنه ذهب من القرآن شيء، وإن تأوّلوا ذلك وتمحلوا وإن أسندوا الرواية إلى جبريل وميكائيل، ونعدّ ذلك من السَّوْءة الصلْعاء التي لا يرحضها من جاء بها، ولا يغسلها عن رأسه بعد قول الله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، أفتُرى باطلهم جاءه من فوقه إذن؟ ولا يتوهم أحد أن نسبة بعض القول إلى الصحابة نصٌ في أن ذلك المقول صحيح البتة فإن الصحابة غير معصومين، وقد جاءت روايات صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء من القرآن على عهد رسول الله ﷺ وذلك العهد هوما هو، ثم بما وَهِلَ عنه بعضهم مما تحدثوا في أحاديثه الشريفة، فأخطأوا في فهم ما سمعوا) (١)

قال آخر: ومثله قال ابن الخطيب: (ومن أعجب العجاب ادّعاؤهم أنّ بعض الآيات

---

(١) إعجاز القرآن: ٤٣.

قد نسخت تلاوتها وبقي حكمها، وهو قول لا يقول به عاقل إطلاقاً، وذلك لأنّ نسخ أحكام بعض الآيات مع بقاء تلاوتها أمر معقول مقبول، حيث إنّ بعض الأحكام لم تنزل دفعةً واحدةً، بل نزل تدريجيّاً.. أمّا ما يدّعونه من نسخ تلاوة بعض الآيات مع بقاء حكمها فأمر لا يقبله إنسان يحترم نفسه ويقدّر ما وهبه الله تعالى من نعمة العقل، إذن ما هي الحكمة في نسخ تلاوة آية مع بقاء حكمها؟ ما الحكمة من صدور قانون واجب التنفيذ، ورفع ألفاظ هذا القانون مع بقاء العمل بأحكامه؟)[1]

قال آخر: ومثله قال مصطفى زيد: (ولابد من وقفة هنا، عند النوع الثالث للنسخ ذكره الأُصوليون، واعتمدوا فيه على آثار لا تنهض دليلاً له، مع أن الآيتين اللتين تتحدثان عن النسخ في القرآن الكريم لا تسمحان بوجوده إلّا على تكلّف ومع أنه يخالف المعقول والمنطق، ومن أن مدلول النسخ وشروطه لا تتوافر فيه، وهذا النوع هو منسوخ التلاوة باقي الحكم، كما يعبر عنه الأُصوليون، أما الآثار التي يحتجون له بها، وهي تنحصر في آيتي رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا وتحريم الرضعات الخمس، فمعظمها مروي عن عمر وعائشة، ونحن نستبعد صدور مثل هذه الآثار عنهما، بالرغم من وردها في الكتب الصحاح، فإن صحة السند لا تعني في كل الأحوال سلامة المتن.. على أنه قد ورد في الرواية عن عمر قوله بشأن آية حد الرجم فيما زعموا (ولولا أن يقال زاد عمر في المصحف لكتبتها)، وهوكلام يوهم أنه لم ينسخ لفظا أيضا، مع أنهم يقولون إنها منسوخة اللفظ باقية الحكم، وكذلك ورد نص الآية في الروايات التي أوردته، بعبارات مختلفة، فواحدة منها تذكر قيد الزنا بعد ذكر الشيخ والشيخة، وواحدة لا تذكره، وثالثة تذكر عبارة (نكالا من الله)، ورابعة لا تذكرها، وما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية ولونسخ لفظها، وفي بعض

(١) الفرقان لابن الخطيب: ١٥٦.

هذه الروايات جاءت بعض العبارات التي لا تتفق ومكانة عمر ولا عائشة، مما يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسها على المسلمين.. وفي الروايات التي تذكر أنه قال قد نسخ لفظ التحريم بخمس رضعات وبقي حكمها معمولاً به ـ وهي مروية عن عائشة ـ فيها كثير من الاضطراب، يحملنا على رفضها من حيث متنها، ومن ثم يبقى منسوخ التلاوة باقي الحكم مجرد فرض، لم يتحقق في واقعة واحدة ولهذا نرفضه، ونرى أنه غير معقول ولا مقبول)[(١)]

قال آخر: ومثله قال أحمد شلبي ـ بعد أن نقل موقف الأستاذ الخضري من نسخ التلاوة ـ: (وأزيد على ما قاله الأستاذ الخضري أنه بالنظر في هذه العبارة التي زعموا أنها كانت آية من القرآن لا أحس بأن بها نسج القرآن ولا روعته فقد وردت بها كلمة (البتّة) ولا أرى أن هذه الكلمة قرآنية، وهي لم ترد في القرآن أبداً وليس لها جمال ألفاظ القرآن واستعملت فيها كلمة الشيخ والشيخة بقصد الرجل والمرأة المتزوجة، وهواستعمال فيه تكلّف، فالشيخ في اللغة هوالطاعن في السن لا يلزم أن يكون المتزوج شيخاً بل كثيراً ما يكون شاباً، وللقرآن تعبير جميل عن الرجل المتزوج أوالمرأة المتزوجة وهوالمحصن والمحصنة، أما كلمة شيخ فاستعمالها في القرآن محدود بكبر السن وقد وردت في القرآن في ثلاثة مواضع نعرضها لنبيّن اتجاه القرآن في استعمال هذه الكلمة اتجاهاً لم يختلف، وهولا شك متفق مع ذوق اللغة أو هو قدوة للاستعمال العربي السليم، وهذه الآيات هي: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].. ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].. ومن هذا

(١) النسخ في القرآن الكريم د. مصطفى زيد ١: ٢٨٣.

التحليل نميل إلى أنه لم يوجد نسخ للتلاوة مع بقاء الحكم)[1]

قال آخر: ومثله قال عبد الكريم الخطيب: (وقيل لا يقع النسخ بمعنى الرفع في قرآن نُزّل وتُلي، ذلك أن القول بأن من القرآن ما نزّل وتلي ثم رفع بالنسخ فيه تعسّف شديد ومدخل إلى الفتنة والتخرّص؛ فإذا ساغ أن ينزل القرآن ويتلى على المسلمين، ثم يُرفع، ساغ لكل مُبطل أن يقول أي قول، ثم يدّعي له أنه كان قرآنا ثم نسخ.. وهكذا تتداعى على القرآن المفتريات والتلبيسات، ويكون لذلك ما يكون من فتنة وابتلاء. ثم من جهة أخرى، ما حكمة هذا القرآن الذي ينزل لأيام أولشهور، ثم يرفع، فلا يتلى ولا يعرف له وجه بعد هذا؟.. أيكون ذلك الرفع بقرآن يقول للناس: إن آية كذا رفعت تلاوتها، فلا تجعلوها قرآناً يتلى؟.. أم أن هذا النوع من النسخ يقع بمعجزة ترفع من صدور الناس ما قد حفظوا من هذا القرآن المنسوخ؟.. وإذا رفع بتلك المعجزة، فهل تكون معجزة أُخرى يرفع بها ما كتب بأيدي كتاب الوحي بين يدي النّبي؟.. وإذا رفع من الصدور أومن الصحف المكتوبة بمعجزة من المعجزات، فما الذي يدلّ على أن قرآنا كان ثم رفع؟.. إن هذا القول مسرف في البعد عن مجال المنطق والعقل!)[2]

قال آخر: ومثله قال محمد مصطفى شلبي: (وقد حاولوا التمثيل له بما روي أنه كان فيما نزل من القرآن (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) ويريدون بالشيخ المحصن وبالشيخة المحصنة، وبما روي عن عائشة (خمس رضعات يحرمن) وكون ذلك مما نزل من القرآن أولاً في مجال النظر، لأن سند الأول ما روي عن عمر أنه قال: (لولا أن يقول الناس زاد عمر في المصحف لأثبتّ في حاشيته الشيخ والشيخة إذا زنيا)، وهوكما يقول أبوالحسين

---

(١) القرآن نظرة عصرية جديدة: ١٥٤.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ١: ١٢٢.

البصري: (لوكان ذلك قرآنا في الحال أو كان قد نسخ لم يكن ليقول ذلك) [1]، فعلمنا أن ذلك سنة من النبي ﷺ وأراد عمر إن يخبر بتأكيده، والثاني طريقه مضطرب أيضاً لأنه جاء في بعض رواياته (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات يحرمن ثم نسخن بخمس رضعات يحرمن وتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن)، فقبول ذلك يؤدي إلى الطعن في القرآن بأنه ضاع منه شيء، ويرد هذا كفالة الله بحفظه، وإجماع الأُمة على أن القرآن الذي توفي رسول الله ﷺ عنه لم يضع منه حرف واحد، وأبعد من هذا محاولة بعض الأُصوليين التمثيل لهذا النوع بالقراءة غير المتواترة، كقراءة عبد الله بن مسعود في كفارة اليمين (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وقراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أوأُخت من أُم)، لأن القراءة غير المتواترة لم تثبت قرآنيتها حتى يقال: نسخت تلاوتها، لأن التلاوة فرع قرآنيتها وهوغير ثابت بالاتفاق.. وإذا كانت الحكمة واضحة في نسخ الحكم دون التلاوة؛ فأي حكمة في نسخ التلاوة دون الحكم؟ وإذا كانت التلاوة نسخت فأين دليل الحكم بعد نسخ التلاوة؟ فإن قيل إنه سنة رسول الله ﷺ، قلنا: ولِمَ لا يكون الدليل من الأول هوالسنة، وأي فائدة في تكلف القول بأنه نزل قرآن ثم نسخت تلاوته وبقي حكمه؟ وإذا كانت الآية نزلت لبيان الحكم وللإعجاز بلفظها فليس من المعقول نسخ التلاوة وبقاء الحكم!) [2]

قال آخر: ومثله قال محمد عزة دروزة: (أما المنسوخ تلاوة والباقي حكماً فلا يورد الذين يقولون به إلا الآية المسماة بآية الرجم وقد روي لها نصان.. ونحن نتوقف في التسليم بهذا النوع)[3]

قال آخر: ومثله قال محمد سعاد: (لا نستطيع الاقتناع بصحة وجود المنسوخ تلاوة

---

(١) المعتمد ١: ٤٢٩.

(٢) أُصول الفقه الإسلامي: ٥٥٤.

(٣) القرآن والملحدون: ٣٤٠.

الثابت حكما لأن صفة القرآنية لا تثبت لنصّ إلا بدليل قطعي والنسخ الوارد على القطعي لا بد أن يكون قطعياً؛ فلابد لإثبات كون النصوص المذكورة قرآنا منسوخا من دليلين قطعيين، أحدهما: دالّ على ثبوت القرآنية للنّص، وثانيهما: دال على زوال هذه الصفة.. وواحد من الدليلين لم يقم لواحد من تلك النصوص، فلا يتم كونه قرآنا منسوخا فلا يصح عندنا في موضع الخلاف إلا القول بثبوت النسخ في الحكم دون التلاوة)[1]

من المدرسة الشيعية:

قال آخر: وعلى نفس الموقف نجد العلماء من إخواننا الإمامية، حيث نجد أكثرهم ـ إن لم نقل كلهم ـ ينفي هذا النوع من النسخ.. ومنهم الشيخ علي أكبر النهاوندي الخراساني، فقد قال فيه: (قد عدّ جمع من العامة ـ أي من علماء المدرسة السنية ـ من أقسام النسخ نسخ التلاوة، وذكروا لذلك أمثلة من عبارات مرويّة من عمر وابنه عبد الله وعائشة وغيرهم من الصحابة، وهذا من الأغلاط المشهورة بينهم والعبارات المنقولة التي قالوا: إنها من الآيات المنسوخة التلاوة لا تشبه كلمات فصحاء العرب فضلا عن آيات القرآن المجيد.. والمتأمل المنصف يقطع بأنها مما اختلقه المنافقون لتخريب أساس الدين وتوهين الكتاب المبين، ويؤيد ذلك بل يشهد عليه أنّه لم ينقل عن أمير المؤمنين وابن عباس والمعتمدين من أصحاب الرسول ﷺ أمثال هذه الروايات مع كونهم أعرف بآيات القرآن من غيرهم)[2]

ثم ذكر اتفاقهم في ذلك مع بعض علماء سائر المذاهب الإسلامية، الذين (أنكروا هذا القسم من النسخ، ونفوا كون هذه العبارات المنقولة من القرآن، مستدلين بأن الأخبار الواردة أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها، مع أن العبارات الباردة المنقولة التي أكثرها رواية ما سموه آية الرجم من قولهم: (الشيخ

---

(١) صيانة القرآن من التحريف: ٣٠.

(٢) نفحات الرحمان ١/ ٢٧ ـ ٢٨.

والشيخة إذا زنيا فاجلدوهما البتة بما قضيا من اللذة نكالا من الله والله عزيز حكيم) ممّا ينادي عند كل ذي مسكة بأنه ليس من كلام الله المنزل للإعجاز) (١)

قال آخر: ومثل ذلك قال الشيخ المظفر: (إن نسخ التلاوة في الحقيقة يرجع إلى القول بالتحريف لعدم ثبوت نسخ التلاوة بالدليل القطعي سواء كان نسخا لأصل التلاوة أونسخا لها ولما تضمنته من حكم معا، وان كان في القرآن الكريم ما يشعر بوقوع نسخ التلاوة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].. ولكن ليستا صريحتين بوقوع ذلك، ولا ظاهرتين، وإنما أكثر ما تدل الآيتان على إمكان وقوعه) (٢)

قال آخر: ومثل ذلك قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: (وكيف كان فالنسخ لا يوجب زوال نفس الآية من الوجود وبطلان تحققها، بل الحكم حيث علق بالوصف وهوالآية والعلامة مع ما يلحق بها من التعليل في الآية بقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] أفاد ذلك أن المراد بالنسخ هوإذهاب أثر الآية من حيث إنها آية، أعني إذهاب كون الشيء آية وعلامة مع حفظ أصله فبالنسخ يزول آثره من تكليف أوغيره مع بقاء أصله وهذا هوالمستفاد من اقتران قوله: ﴿نُنسِهَا﴾ بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ﴾)(٣)

وقال في محل آخر: (أو أن هذه الآيات ـ وقد دلت هذه الروايات على بلوغها في الكثرة ـ كانت منسوخة التلاوة كما ذكره جمع من المفسرين من أهل السنة حفظاً لما ورد في

(١) نفحات الرحمان ١/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) أُصول الفقه ٢: ٤٨.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ١: ٢٥٠.

بعض رواياتهم أن من القرآن ما أنساه الله ونسخ تلاوته، فما معنى إنساء الآية ونسخ تلاوتها؟ أكان ذلك لنسخ العمل بها؟.. فما هي هذه الآيات المنسوخة الواقعة في القرآن، كآية الصدقة وآية نكاح الزانية والزاني وآية العدة وغيرها؟.. وهم مع ذلك يقسمون منسوخ التلاوة إلى منسوخ التلاوة والعمل معاً، ومنسوخ التلاوة دون العمل كآية الرجم، أم كان ذلك لكونها غير واجدة لبعض صفات كلام الله حتى أبطلها الله بإمحاء ذكرها وإذهاب أثرها، فلم يكن من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟.. ولا منزهاً من الاختلاف؟.. ولا قولاً فصلاً ولا هادياً إلى الحق وإلى طريق مستقيم؟.. ولا معجزاً يتحدى به؟.. ولا؟.. ولا؟.. فما معنى الآيات الكثيرة التي تصف القرآن بأنه في لوح محفوظ، وأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه قول فصل، وأنه هدى، وأنه نور، وأنه فرقان بين الحق والباطل، وأنه آية معجزة، وأنه، وأنه؟.. فهل يسعنا أن نقول: إن هذه الآيات على كثرتها وإباء سياقها عن التقييد مقيدةٌ بالبعض؟.. فبعض الكتاب فقط وهوغير المنسي ومنسوخ التلاوة لا يأتيه الباطل وقول فصل وهدى ونور وفرقان ومعجزة خالدة؟..، وهل جعلُ الكلام منسوخ التلاوة ونسياً منسياً غير إبطاله وإماتته؟.. وهل صيرورة القول النافع بحيث لا ينفع للأبد ولا يصلح شأناً مما فسد غير إلغائه وطرحه وإهماله؟.. وكيف يجامع ذلك كون القرآن ذكراً؟..، فالحق أن روايات التحريف المروية من طرق الفريقين وكذا الروايات المروية في نسخ تلاوة بعض الآيات القرآنية مخالفة للكتاب مخالفة قطعية)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قال الشيخ محمد جواد مُغْنية: (وأما النسخ في القرآن فيمكن تقسيمه إلى أوجه ثلاثة: الأول: أن تنسخ الآية تلاوة وحكما بحيث يرتفع لفظها

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٢: ١١٧.

وحكمها.. الثاني: أن تنسخ تلاوة لا حكما أي يرتفع لفظها ويبقى حكمها.. الثالث: أن تنسخ حكما لا تلاوة أي تتلى ولكن لا يؤخذ بظاهرها بعد النسخ والعمل بعض الوقت.. والقسم الأول والثاني لا وجود لهما لأنهما يستلزمان النقصان وتحريف القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قال السيد محمد باقر الحكيم: (نسخ التلاوة دون الحكم: ويقصد بهذا النسخ أن تكون هناك آية قرآنية نزلت على الرسول ﷺ، ثم نسخت تلاوتها ونصها اللفظي مع الاحتفاظ بما تضمنه من أحكام، وقد مثّلوا لهذا القسم بآية الرجم التي رويت عن عمر بن الخطاب نصها: (إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) حيث قيل إنها كانت آية في القرآن الكريم نسخت تلاوتها مع الاحتفاظ بحكمها.. وهذا القسم وإن كاد يعترف به أكثر الباحثين من علماء الجمهور في علوم القرآن، إلا أنه لا يكاد يعترينا الشك ببطلانه وعدم ثبوته في القرآن الكريم عندما ندرسه بشكل موضوعي، وذلك لأن الاعتراف بهذا اللون من النصوص والروايات التي أوردتها بعض الكتب الصحيحة السنية يؤدي بنا إلى الالتزام بالتحريف لأن منطوق هذه الروايات يصر على ثبوت هذه الآية وغيرها في القرآن الكريم حتى وفاة رسول الله ﷺ، وأنها سقطت منه في المدة المتأخرة من حياته.. كذلك نجد أن هذه الروايات لم تصل إلينا إلا بطريق الآحاد، ولا يجوز لنا أن نلتزم بالنسخ على أساس رواية الآحاد لإجماع المسلمين على ذلك، مضافا إلى طبيعة الأشياء التي تحكم بضرورة شيوع الأُمور المهمة بين الناس ومن هذه الأُمور المهمة نسخ آية من القرآن الكريم، فكيف يقتصر النقل فيه على خبر الآحاد ؟)[2]

وقال موضع آخر: (لعل من أبرز مظاهر عدم الضبط وأبعدها أثرا في القرآن الكريم

---

(١) التفسير الكاشف ١: ١٦٩.

(٢) علوم القرآن: ٢٠٤.

هوما يقال عن نسخ التلاوة، حيث لا يمكن تفسير بعض النصوص التى تتحدث عن هذا النسخ ـ إذا أردنا أن نحسن الظن في الصحابي الذي رواها ـ إلا على أساس أنه كان يسمع من النبي ﷺ الحديث أوالدعاء فيتصوره قرآنا أويختلط عليه الأمر بعد ذلك، وإلا فكيف نفسر ادعاء عمر آية الرجم، أوادعاء عائشة آية الرضاع، مع أنها تصرح أنها مما مات عنه الرسول وهو يقرأ من القرآن ؟.. وهل معنى ذلك إلا القول بتحريف القرآن أوالالتزام بعدم ضبط هؤلاء الصحابة للنص القرآني بشكل كامل)[1]

قال آخر: ومثل ذلك قال العلامة محمد حسين فضل الله: (ونحن لا نوافق على نسخ التلاوة مع نسخ الحكم أوبدونه، لأن ذلك يؤدي إلى الالتزام بتحريف القرآن ونقصانه، كما أنه لم يثبت إلا بخبر الواحد الذي لا يثبت النسخ به على ما هورأي جمهور المحققين مما هومذكور في محله)[2]

قال آخر: ومثل ذلك قال السيد الخوئي: (إن القول بنسخ التلاوة هونفس القول بالتحريف.. ومستند هذا القول أخبار آحاد.. وهي لا أثر لها في أمثال هذا المقام، فقد أجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد، كما أن القرآن لا يثبت به، والوجه في ذلك ـ مضافا إلى الإجماع ـ أن الأُمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس، وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بخبر الواحد، فإن اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أوخطئه، وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم من القرآن، وأنها قد نسخت تلاوتها وبقي حكمها)[3]

وقال في محل آخر: (وغير خفي أن القول بنسخ التلاوة بعينه القول بالتحريف

(١) علوم القرآن: ٢٩١.

(٢) من وحي القرآن ٢: ١٤١.

(٣) البيان: ٣٠٤.

والاسقاط، وبيان ذلك: إن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله ﷺ وإما أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده، فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله ﷺ فهوأمر يحتاج إلى الإثبات، وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرح بذلك جماعة في كتب الأُصول وغيرها، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي ﷺ بأخبار هؤلاء الرواة، مع أن نسبة النسخ إلى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أن الاسقاط قد وقع بعده.. وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف، وعلى ذلك فيمكن أن يُدّعى أن القول بالتحريف هومذهب أكثر علماء أهل السنة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة، سواء أنسخ الحكم أم لم ينسخ)[1]

٢ ـ نسخ الأحكام:

بعد أن انتهى حفدة قتادة من ذكر مقولات المنكرين لنسخ التلاوة، وأدلتهم، قام أحد الحضور، وقال: بورك فيكم.. وفيما ذكرتموه من أقوال العلماء، وهي تتوافق مع قدسية القرآن الكريم وحفظ الله له، وأنا شخصيا اقتنعت بها تماما، لأن القول السابق كان سببا لإشكالات كثيرة، لا يمكن الإجابة عنها إلا بتعسف شديد.

قال آخر: صدقت.. ومن أهمها أن ذلك القول كان مطية لكل من يزعم تحريف القرآن الكريم، وخاصة مع وجود الروايات التي اتخذت مطية لذلك، من أمثال

قال آخر: صدقت.. ومن أهمها أن ذلك القول كان مطية لكل من يزعم تحريف

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٠٥.

القرآن الكريم، وخاصة مع وجود الروايات التي اتخذت مطية لذلك، من أمثال ما يذكر عن جمع القرآن الأول في زمن أبي بكر، حيث تذكر أن ما دعاهم لذلك هو قتل كثير من قرّاء القرآن في يوم اليمامة أثناء محاربة مسيلمة الكذاب؛ فعن ابن شهاب الزهري قال: (بلغنا أنه كان قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب، فلما جمع أبو بكر وعمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم)(1)

قال آخر: ومثله ما روي عن مجاهد قال: (كانت الأحزاب مثل سورة البقرة أوأطول ولقد ذهب يوم مسيلمة قرآن كثير، ولم يذهب منه حلال ولا حرام)(2)

قال آخر: ومثله ما قال سفيان الثوري: (وبلغنا أن أُناسا من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقرأون القرآن أصيبوا يوم مسيلمة فذهبت حروف من القرآن)(3)

قال آخر: ومثله ما روي عن عمر أنه قال ـ نقلا عن رسول الله ﷺ ـ أنه قال: (القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابرا محتسبا فله بكل حرف زوجة من الحور العين)(4)، وهو يؤدي إلى القول بأن أكثر من ثلثي القرآن الكريم ضاع، لأن عدد أحرف القرآن الموجود بين أيدي المسلمين اليوم هو ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون حرفا وستمائة وواحد وسبعون حرفا.

قال آخر: ومثله ما روي عن ابن عمر قال: (لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كلّه، وما يدريه ما كلّه! قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر)(5)

بعد أن انتهى الحضور من ذكر اقتناعهم بما أورده أحفاد قتادة من أدلة حول عدم صحة القول بنسخ التلاوة، قام المعلم، وقال: والآن ننتقل إلى النوع الثاني من أنواع النسخ،

---

(1) المصاحف لأبي بكر بن أبي داود: ٣١.

(2) التمهيد في شرح الموطأ ٤: ٢٧٥.

(3) المصنف للصنعاني ٧: ٣٣٠.

(4) الدر المنثور ٦: ٤٢٢.

(5) الدر المنثور ٢: ٢٩٨.

وهو نسخ الأحكام لنرى ما استجد لحفدة قتادة من القول بشأنه.

المنكرون للنسخ:

قام كبير الحفدة، وقال: كما ذكرنا لكم أقوال وأدلة المنكرين للنوع الأول من النسخ؛ فإن العدل والشهادة لله، تقتضي منا أن نذكر لكم أقوال وأدلة المنكرين للنوع الثاني، وهو نسخ الأحكام، وأنتم بعدها في حل من أمركم؛ إن شئتم اتبعتم أولئك الذين ذكرناهم لكم أثناء تدريسنا لكم، وإن شئتم أن تتبعوا هؤلاء الذين كنا نكتم أقوالهم، أو نشنع عليها من غير ذكرها أو ذكر أدلتها[١].

من المدرسة الشيعية:

قال آخر: ولنبدأ بإخواننا من علماء الإمامية.. وأولهم أبو علي محمد بن أحمد بن جنيد البغدادي ـ وهو من كبار فقهاء الإمامية، ومن مشايخ الشيخ المفيد والنجاشي والطوسي ـ وهو صاحب كتاب (الفسخ على من أجاز النسخ)[٢].. وواضح من عنوانه إنكاره للنسخ، لكن لا يوجد للأسف أثر لكتابه.. ومثله شريف العلماء محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري، صاحب كتاب (النسخ، وهل هو جائز عقلا أم لا؟)[٣]

قال آخر: ومثله ولي الله سرابي، وقد أنكر وقوع النسخ بالكلية؛ وذلك في كتابه (إثبات الآيات، أو نسخ النسخ عن كرامة القرآن)، وقد اعتبر آيات الناسخ والمنسوخ نوعا من التقييد والتخصيص وأمثال ذلك[٤].

قال آخر: ومثله السيد هبة الدين الشهرستاني؛ وهو صاحب كتاب(تنزيه التنزيل)، والذي يدور حول النسخ والتحريف، وقد استدل فيه على أن آية النسخ متحدة مع آية المحو

---

(١) انظر مقالا في هذا بعنوان: إنكار النسخ في القرآن الكريم نظرةٌ تاريخيّة، د. محمد تقي دياري بيدگلي، ود. عزت الله مولائي نيا، وأ. محمد معظمي گودرزي، مجلة نصوص معاصرة.

(٢) معجم رجال الحديث ١٥: ٣٣٥.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٤: ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٤) انظر: ولي الله سرابي، إثبات الآيات: ٣٩ ـ ٤٠.

والإثبات موضوعا؛ وذلك بالاستناد إلى نفس سياق هذه الآيات وآيات أخرى، واعتبر أنها دالة على نسخ أحكام التوراة والإنجيل والشرائع السابقة، والنسخ ـ كما يعتقد ـ هو نسخ الرحمة والنعمة الربانية، أو المعجزات الإلهية.

وقد قال في كتابه ذلك: (ذكر أكثر المفسرين ـ كالسيوطي في (الإتقان) ـ مبحث التحريف في القرآن في ذيل مبحث النسخ، ويحتمل أن يكون ذلك لأجل أن النسخ والتحريف يؤثران على جوهر الوحي والوثوق بالقرآن في حجيته عموما، أي كل من يقول بوجود آيات منسوخة في القرآن فإنه يقول أيضا بوجود آيات محرفة.. وإذا فتحنا الباب في إمكان النسخ والنسيان والتحريف نكون قد شككنا في حجية القرآن الكريم)[1]

وقال في رد النسخ في آية العدة: (نحن نوافق قول أستاذ المفسرين أبي مسلم محمد بن بحر، الذي صححه الإمام الفخر الرازي، ومال إليه الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية، وصححه تلميذه محمد رشيد رضا الحسيني، صاحب (المنار)[2]

قال آخر: ومثله السيد عبد الحجة بلاغي، وهو من مفسري القرن الرابع عشر؛ فقد أنكر وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن وشرائع الإسلام، وذلك في مقدمة تفسيره (حجة التفاسير وبلاغ الإكسير)، مقتديا بذلك بأبي مسلم والسيد هبة الدين الشهرستاني[3]، وقد قال في ذلك: (من العجب أن أبا مسلم الإصفهاني، المتوفى في عام ٣٢٢ للهجرة، ينكر في كتابه وقوع النسخ الكريم في حين كان الإسلام آنذاك من جهة توفر المبلغين المهرة في نهاية المقدرة والتسلط؛ واليوم، والإسلام بحاجة إلى المبلغين في جميع النواحي، يطبع كتاب (الناسخ والمنسوخ)، لابن المتوج، ويوضع في متناول الأيدي، في الوقت الذي قدمنا فيه

---

(١) تنزيه التنزيل: ١٢.

(٢) تنزيه التنزيل: ٣٨.

(٣) حجّة التفاسير وبلاغ الإكسير ١: ٥٣.

الأدلة على أن لا ناسخ ولا منسوخ في القرآن، حتى من باب التمثيل)[١]

قال آخر: ومثله الشيخ محمد هادي معرفت، صاحب كتاب (التمهيد في علوم القرآن)، الذي خصص قسما منه لمبحث النسخ، وخلال استعراضه لسبع آيات وقع فيها النسخ، وبعد مناقشته لآراء المؤيدين والمعارضين، أقر بوقوع النسخ في تلك الآيات، وهي: (آية النجوى)، و(آية عدد المقاتلين)، و(آية الإمتاع إلى الحول)، و(آية التوارث بالإيمان)، و(آية الصفح)، و(آيات المعاهدة)، و(تدريجية تشريع القتال) ولكنّه في السنوات الأخيرة من حياته كان ـ في كلماته الشفهية، وفي مقالاته الجديدة ـ يشكّك حتّى في هذه الموارد، ويحمل الروايات التي تصرح بوجود الناسخ والمنسوخ على تخصيص العمومات وتقييد المطلقات في الكتاب والسنة.. ثم بحث وناقش الآيات الواردة في النسخ، وأوضح عدم التنافي بينها، وكان يستدل في أكثر الموارد بكلام أستاذه السيد الخوئي، وقد قال في نهاية حديثه: (من هنا فنحن ننكر النسخ؛ إذ لا شاهد على وجوده، وكل ما استدل به فهو قابل للخدش، بل قابل للحمل على معنى ثابت ومحكم لا يطاله النسخ أبدا)[٢]

قال آخر: ومثله العلامة مرتضى العسكري، حيث بحث مسألة النسخ في كتابه (القرآن الكريم وروايات المدرستين) بتفصيل، وقد قال في مقدمة بحثه لها: (ونحن نرى أنّ الله لم ينزل على نبيّه سورا وآيات قرآنية ثمّ نسخ تلاوتها بتاتا، سواء ما قيل عنه بمنسوخ الحكم والتلاوة معا أو ما قيل عنه منسوخ التلاوة دون الحكم.. أمّا نسخ الحكم المذكور في القرآن، فنرى فيه أنّ الله سبحانه كان ينزل على رسوله حكما مؤقتا بوحي غير قرآني يعمل به المسلمون، وبعد انتهاء أمده، كان ينسخه الله ـ أيضا ـ بوحي غير قرآني، أي: يعلمهم انتهاء

---

(١) حجّة التفاسير وبلاغ الإكسير ٧: ٩٦.

(٢) نقلا عن: إنكار النسخ في القرآن الكريم نظرةٌ تاريخيّة، د. محمد تقي دياري بيدگلي، وغيره.

أمد الحكم ثمّ ينزل الله وحيا قرآنيا يقصّ فيه خبر الحكم ونسخه، ومن الجائز أن نقول في مورد واحد أو أكثر أنّ الحكم المؤقت بعد أن نزل بوحي غير قرآني وعمل به المسلمون، نزل في الذكر الحكيم بيان أنّ ذلك الحكم المؤقت قد نسخ.. وبناء على هذا، فليس في القرآن آية واحدة منسوخة)[1]

من المدرسة السنية:

قال آخر: وعلى نفس الموقف نجد الكثير من علماء مدرستنا، ولعل أقدمهم ذاك الذي ضاع كتابه في إنكار النسخ، وهو محمد بن بحر الإصفهاني، المتكلم والمفسر والمحدث والنحوي والشاعر، وصاحب تفسير (جامع التأويل لمحكم التنزيل)، وكتاب (الناسخ والمنسوخ)؛ وقد أنكر وقوع النسخ الكريم.. لكن لا يوجد للأسف أثر لكتابيه: الناسخ والمنسوخ؛ والتفسير، سوى ما نقله منتقدو أفكاره[2].

قال آخر: ومثله السيد أحمد خان الهندي، صاحب تفسير (تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان) باللغة الأردية؛ فقد كتب في بداية تفسيره ـ عند ذكر الأصول التي اعتمدها ـ يقول: (لا يوجد ناسخ ومنسوخ في القرآن الكريم، بمعنى عدم نسخ أي من الآيات لآيات أخرى.. والظاهر أن النسخ المذكور في الآية يتعلق بالشرائع السابقة على الإسلام، ولا يتعلق بآيات القرآن)[3]

قال آخر: ومثله الشيخ محمد عبده، وهو مع كونه لم يصرح في كتبه بإنكار النسخ، لكنه قام بتأويل الآيات والأدلة التي تدل عليه، وصرفها عن ظاهرها[4].. وقد فسر الناسخ في شرحه لنهج البلاغة بأنه الآيات المعنية برفع الاعتقادات الباطلة، وأحكام الشرائع

---

(١) انظر: مرتضى العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين ٢: ٢٧٧.

(٢) مناهل العرفان ٢: ٨٢.

(٣) تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان ١: ١٨.

(٤) علي حسن العريض، فتح المنان في نسخ القرآن: ٢٠٨ ـ ٢١٢.

السابقة، والمنسوخ هو الآيات الحاكية عن الناسخ والمنسوخ في الأديان السماوية الماضية[1].

قال آخر: ومثله الشيخ محمد رشيد رضا، وصاحب تفسير (المنار)؛ فقد أنكر النسخ تبعا لأستاذه، وقام بتأويل الآيات الثلاثة الدالة على النسخ، وفسرها بمعجزات وشرائع الأنبياء السالفين [2].

قال آخر: ومثله الأستاذ علي حسب الله، وهو تلميذ الشيخ محمد الخضري، وأستاذ الدكتور عبد المتعال الجبري، وهو مثل أستاذه وتلميذه قد حمل آيات النسخ الثلاث على نسخ الكتب السماوية السابقة، أو نسخ معجزات الرسل، وأقام الأدلة على ذلك[3].. وخلال إشارته إلى رؤية أبي مسلم، وأستاذه محمد الخضري، بحث خمسة موارد قرآنية أقر الدكتور مصطفى زيد في كتابه (النسخ الكريم) بكونها منسوخة، واستدل حسب الله على بطلان النسخ فيها[4].

قال آخر: ومثله الدكتور أحمد حجازي السقا، وهو من الأساتذة والكتاب المشهورين في جامعة مصر والأردن، وقد كتب كتابه (لا نسخ في القرآن) في هذا المجال، وكان يعتقد أن النسخ بالآيات والأحكام العملية للتوراة، وأن الغرض من نزول القرآن الكريم هو التخفيف على الناس[5].. وقد أشار إلى عواقب القول بالنسخ، وخطورته، فقال: (أنا أدعو العلماء والفلاسفة وكل من يعرف دين الله إلى أن يعيروا اهتماما لهذه المسألة الخطيرة، ويجب عليهم إنكار النسخ بالدليل، وأن يكتبوا كثيرا حول هذه المسألة) [6]

قال آخر: ومثله الدكتور عبد المتعال الجبري، وهو من المطرودين من جامعة الأزهر، ومن تلامذة أحمد حجازي السقا وعلي حسب الله؛ فقد كتب في بداية كتابه (النسخ في

---

(١) شرح نهج البلاغه: ٢٥.

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ١: ٣٤٥.

(٣) أصول التشريع الإسلامي: ٣٠٦ـ ٣١٢.

(٤) أصول التشريع الإسلامي: ٣٠٣ـ ٣٠٤.

(٥) أحمد الحجازي السقّا، لا نسخ في القرآن: ٢٢٤.

(٦) لا نسخ في القرآن: ٢٣٣.

الشريعة الإسلامية كما أفهمه) موضوعا تحت عنوان (الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي)، ونفى فيه وقوع النسخ في الشريعة مطلقا، وقد أحدث الكتاب ضجة كبيرة، ألفت إثرها الكتب والمقالات في نقد أفكاره.. ثم كتب كتابا آخر تحت عنوان (لا نسخ في القرآن، لماذا؟..)، وهو تتمة لكتابه الأول في الدفاع عن آرائه وأفكاره؛ فهو يعتقد أن وجود النسخ بمثابة نسبة الجهل إلى الله[1]، وشاهد على التناقض والاختلاف في النصوص، ويلزم منه الحط من قيمة القرآن؛ لأنه يكشف عن اختلاط أفكار صاحبه وتشويشها، ودليل على عدم صدوره من شخص واحد، بل مقطوعات مبعثرة من هنا وهناك.

قال آخر: ومثله جواد موسى محمد عفانه، فقد قال مبينا عواقب القول به: (بالغ الكثير من مدعي النسخ في كثرة وجود النسخ، حتى وصلت دعوى النسخ إلى مئات الآيات، مما ينذر بخطر ذلك، والضرر المترتب على الشريعة والقرآن منه)[2].. وقال مثنيا على أبي مسلم، وإنكاره للنسخ: (فقد نجح في تعليل رأيه، والإجابة على دعاوى النسخ المشهورة، بشكل صحيح ومقنع)[3]

قال آخر: ومثله الدكتور محمد صالح علي مصطفى، فقد قال في كتابه (النسخ في القرآن الكريم، مفهومه وتاريخه ودعاواه) ـ خلال إشارته إلى المنكرين، أمثال أبي مسلم ومحمد الغزالي ومحمد الخضري وعبد المتعال الجبري وأبو زهرة ـ: (إن الاختلاف بين المؤيدين والمعارضين في مسألة النسخ اختلاف صوري، وليس له علاقة بجوهر وحقيقة النسخ، بل الاختلاف في الاسم والمسمى، والاختلاف الحقيقي وقع بين بعض أهل الإفراط والتفريط)[4]، لكنه ختم كلامه بقوله: (أنا أقول بالنسخ في خطبي ومحاضراتي في

---

(١) عبد المتعال الجبري، الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي: ٢٠٢.

(٢) الرأي الصواب في منسوخ الكتاب: ١٢.

(٣) الرأي الصواب في منسوخ الكتاب: ٦٧.

(٤) النسخ في القرآن الكريم: ١٧ ـ ٦٢.

ثلاثة موارد فقط، ولكني عندما أريد نقل ذلك إلى الكتابة فإنني لا أقول بالنسخ، حتى في تلك الموارد الثلاثة)[1]

قال آخر: ومثله عبد الرحمن الوكيل، فقد قال في تعليقه على كتاب (روض الأنف): (لا بد لنا من الحذر من قبول نظرية النسخ، وأن ننكرها إنكارا جديا؛ لأنه يحتمل في فرض قبول هذه النظرية أن نحكم ـ جهلا بالواقع ـ ببطلان آية، ونكون بهذا قد حكمنا ببطلان ما كان حقا)[2]

قال آخر: ومثله محمد أبو زهرة، فقد ذكر من قال بإنكار النسخ، وعلق عليه بقوله: (استطعنا بسهولة الجمع بين جميع الآيات التي ادعي النسخ فيها، عبر التأويل القريب أو التخصيص، بل لم تكن هناك حاجة إلى التأويل والتخصيص في بعض الأحيان)[3]

قال آخر: ومثله الشيخ محمد محمود ندا؛ فقد أنكر النسخ في كتابه (النسخ بين المؤيدين والمعارضين)، حيث قال تحت عنوان (ليس في القرآن آيات معطلة): (لا نجد نصا صريحا من القرآن، أو نصا متواترا، يقول: إن هذا الحكم ناسخ للحكم الفلاني)[4].

قال آخر: ومثله إيهاب حسن عبده؛ فقد أنكر بشدة وجود النسخ، واعتبر منشأه اليهود؛ إذ يقول: (والحق هو أن يد الناس قديما عندما طالت الكتب الإلهية حذفا وإضافة على طبق هواها ظهر التناقض والاختلاف في تلك الكتب، وهو نفس السبب الذي دعا المعاصرين إلى القول بالنسخ)[5]

قال آخر: ومثله الشيخ محمد الغزالي؛ وقد خصص فصلا للنسخ في كتابه (نظرات في القرآن)، استهله بقوله: (هل في القرآن آيات معطلة الأحكام، بقيت في المصحف

---

(١) النسخ في القرآن الكريم: ٤٢.

(٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ٣: ١٢ ـ ١٣.

(٣) أصول الفقه: ١٩٤.

(٤) محمد محمود ندا، قرؤو بين المؤيِّدين والمعارضين: ٦٧.

(٥) إيهاب حسن عبده، استحالة وجود النسخ بالقرآن: ٢٧٢.

للذكرى والتاريخ كما يقولون، تقرأ التماسًا لأجر التلاوة فحسب، وينظر إليها كما ينظر إلى التحف الثمينة في دور الآثار، غاية ما يرجى من المحافظة عليها إثبات المرحلة التي أدتها في الماضي، أما الحاضر والمستقبل فلا شأن لها بهما؟.. من المسلمين من يرون هذا الرأي حين يقولون بالناسخ والمنسوخ على أساس أن الناسخ الأخير أبطل ما صدر قبله من أحكام، وهم يلجأون إلى هذا الفهم إعمالاً للنص الأخير، ودفعًا لما يتوهم من تناقض بين ظواهر الآي)[1]

ثم رد على هذا وبين أن جميع آيات القرآن الكريم يمكن تفعيلها في الحياة مثل الأدوية المختلفة، والتي تتناسب مع كل حالة؛ فقال: (ونحن لا نميل إلى المسير مع هذا الاتجاه، بل لا نرى ضرورة للأخذ به، وسنرى عند تحقيق الموضوع أن التناقض المتوهم لا محل له، وأن التشريعات النازلة في أمر ما مرتبة ترتيبًا دقيقًا بحيث تنفرد كل آية بالعمل في المجال المهيأ لها؛ فإذا ذهب هذا المجال وجاء غيره تلقفته آية أخرى بتوجيه يناسبه وهكذا، فهل هذا التدرج في التشريع يسمى نسخًا؟.. إن الأدوية تبقى ما بقيت الأدواء المرصدة لها، والدواء الذي ينجح في علاج حالة ما ربما لا يذكر في علاج حالة أخرى مخالفة، وهذا لا يعد غضًّا من قيمته.. بل إن المرض الواحد قد يحتاج إلى سلسلة متعاقبة من الأشفية، تستقيم مع مراحل سيره، وضروب مضاعفاته، وأعقاب الخلاص منه! وارتباط كل دور من أدوار العلة بدواء معين شيء طبيعي، ولا معنى لتوهين دواء بعدت الحاجة عنه الآن، فقد يحتاج إليه آخرون، ونصوص القرآن الكريم لا تخرج عن حدود هذا الشبه!)[2]

ثم ذكر الغلو الذي وقع فيه المفسرون وغيرهم في ادعاء النسخ في الكثير من الآيات الواضحة المحكمة، فقال: (وقد عجبنا من استشراء القول بالنسخ عند بعض المفسرين حتى

---

(١) نظرات في القرآن الكريم، ص١٩٤.

(٢) نظرات في القرآن الكريم، ص١٩٤.

رأينا من يجعل المستثنى ناسخًا للمستثنى منه؛ فإذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] قالوا: إن هذه الآية منسوخة بما جاء بعدها، وهو قوله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، وهذا شطط مثير في إبطال الآيات لأوهى شبهة تعلق بالذهن، والذهاب مع هذا الفهم الخطأ هو الذي سوغ لبعض المفسرين إبطال جميع الآيات النازلة في معاملة الكفار بالآية التي نزلت في سورة التوبة، والتي تسمى آية السيف: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، ولا ريب أن تحكيم هدى هذه الآية في كل معاملة مع الكفار، وإلغاء ما سبقها من آيات بينات يعتبر جرأة غريبة على الوحي، وهذا التفسير ـ إلى جانب أنه خطأ ـ هو ظلم للقرآن الكريم، وحيف على أسلوبه المحكم، في معاملة صنوف البشر)[1]

ثم ذكر الفرق بين التفصيل والتخصيص والتقييد والنسخ، فقال: (نعم، قد يقع في القرآن تفصيل بعد إجمال، أو تقييد بعد إطلاق، أو تخصيص بعد تعميم، بيد أن ذلك شيء غير الزعم بأن هناك آيات بطل حكمها، أو وقف تنفيذها.. وإذا فسروا وقوع النسخ في القرآن بالمعنى الأول فلا بأس من قبوله، أما إذا فهم النسخ على أنه إبطال لحكم سبق نزوله والإتيان بحكم جديد أصلح منه للناس، أو أدنى منه إلى الحق، فذلك ما ننفيه نفيًا باتًّا)[2]

ثم ذكر بعض العواقب الخطيرة جراء القول بذلك، فقال: (وتطرق هذا الفهم إلى الأذهان هو الذي سول للأستاذ أحمد أمين أن يطلب إلى المسلمين ترك بعض الأحكام الواردة في كتابهم، وحجته أن الزمان تغير، وأحوال الناس طرأ عليها ما لم يكن في القرون

---

(١) نظرات في القرآن الكريم، ص١٩٥.

(٢) نظرات في القرآن الكريم، ص١٩٥.

الأولى، وإذا كانت أحكام تبدلت في أقل من ربع قرن - كما يزعم - فإن حكمة التبديل أظهر بعد مرور أربعة عشر قرنًا، وهذا كلام متهافت سقيم، أظنه كتب في ساعة غيبوبة! وأين هي الأحكام التي تبدلت في القرآن؟!)(1)

قال آخر: ومثله الشيخ محمد خضري بك، فقد ذكر في كتابه (تاريخ التشريع الإسلامي)، وفي ذيل بحث (حجية القرآن)، أن العمل بجميع نصوص القرآن الكريم واجب، وقال: (هنا مسألة يجب التنبيه لها، وإرخاء العنان للقلم حتى يبلغ الغاية من بيانها، وهي هل من آيات القرآن ما بطل التكليف به لحلول تكليف آخر محله؟! أو بعبارة أخرى هل من آيات القرآن ما هو منسوخ فلا يجب العمل به؟! إن هذه مسألة خطيرة، وعلى المتكلم فيها أن يقدم الحجة القاطعة أمام ما يريد أن يقوله، بعد أن ثبت أن القرآن حجة قاطعة يجب الاستمساك بنصوصه كلها والعمل بها) (2)

ثم شرع بطريق الإحصاء الواقعي، لا بطريق الجدل النظري يثبت أن آيات القرآن جميعًا محكمة، وأنه ما من آية قيل بنسخها إلا كان القول بإعمالها أبين في العين وأرجح لدى الموازنة، والاستقراء دليل لا يتحمل لجاجة؛ فليجتهد من يشاء إثبات إمكان النسخ؛ فالإمكان شيء ووقوعه في الكتاب العزيز شيء آخر يحدث؛ لأن كل آية ظن نسخها يستبين لدى التأمل أنها نافذة الحكم.. وصدق الله العظيم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]

وقال: (النسخ في اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين: الأول: إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق، ومثاله ما ورد في حديث: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها)، فالنص الأول: يطلب الكف عن الزيارة، والنص الثاني: يرفع ذلك النهي ويحل

(1) نظرات في القرآن الكريم، ص195.

(2) محمد خضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي: 19.

محله الإباحة أو الطلب.. الثاني: رفع عموم نص سابق أو تقييد مطلقه، ومثاله قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ثم قال في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فإن النص الأول عام ينتظم المدخول بها وغيرها، والنص الثاني يعطى غير المدخول بها حكمًا خاصًّا بها.. وكذلك قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤] ثم عقب ذلك: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦]؛ فإن النص الأول عام ينتظم جميع القاذفين أزواجًا كانوا أم غير أزواج، والنص الثاني جعل للأزواج حكمًا خاصًّا بهم حيث جعل أيمانهم الخمس قائمة مقام الشهداء الأربعة، وجعل للمرأة حق الخلاص من حد الزنا بأيمانها الخمس.. ومثال تقييد المطلق قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، وقال في آية أخرى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فالنص الأول مطلق للدم المحرم، والثاني مقيد له بالدم المسفوح، وهذا النوع الثاني موجود في القرآن بدون نزاع، سواء كنا نعلم من تاريخ التنزيل أن العام والمطلق سابقان في التنزيل على الخاص، والمقيدان متأخران عنه، وسواء كان المتأخر متصلاً أم متراخيًا، وسواء سرنا مع بعض الفقهاء الذين يطلقون على المتراخي من الخاص والمقيد أنه ناسخ للعام والمطلق، أم سرنا مع من يسميه تخصيصًا وتقييدًا لأن الأسماء لا تهمنا بعد الاتفاق على وجود المسميات، ويكفي أن نقول إن العام والمطلق لم ينلهما الإبطال، فإن العام لا يزال فيما عدا ما دل على خروجه من دائرة

الحكم السابق، ويرجع ذلك إلى الأصل الذي قررناه في التشريع الإسلامي. وهو التدرج في التشريع والتنزيل، بحيث إذا أكمل الدين يؤخذ العام وما خصصه كأنهما نص واحد، عامة كالمستثنى منه وخاصة كالمستثنى)[1]

ثم بين أن النسخ الحقيقي، بمفهومه الذي ذكره الفقهاء، وهو إبطال حكم الآية إبطالا تاما، غير صحيح، وغير موجود في القرآن الكريم، فقال: (أما النوع الأول: وهو وجود نص من القرآن أبطل حكمه، أو بتساهل في العبارة: انتهى أمد حكمه ولم يعد بقاؤه إلا بصفة أنه ذكر يتلى، فهو محل نظر.. إن إبطال نص لاحق لنص سابق موقوف على أحد أمرين: أولهما: أن ينص اللاحق على أنه ناسخ للسابق.. ثانيهما: أن يكون بين النصين تناقض بحيث لا يمكن الجمع بينهما.. فهل في نصوص القرآن شيء من ذلك؟.. أما الأمر الأول فليس في القرآن شيء منه، اللهم إلا في ثلاثة مواضع يمكن أن تؤيد ـ قبيل بحثها ـ رأي الجمهور القائلين بأن في القرآن منسوخًا)[2]، ثم ذكر المواضع الثلاثة، وسنتحدث عنها عند الحديث عن الآيات التي يتوهم نسخها مع كونها ليست كذلك.

قال آخر: ومثله الشيخ عبد الكريم الخطيب، وهو من كبار المفسرين المعاصرين، وهو صاحب (التفسير القرآني للقرآن)، وقد قال في ذلك: (مسألة النسخ فى القرآن الكريم من الأمور التي كانت ولا تزال مثار جدل وخلاف بين علماء المسلمين، كما أنها كانت ولا تزال داعية تخرص وتقول على القرآن من أعداء الإسلام، وبكلمة واحدة نخرس أولئك الذين يتربصون بالقرآن وأهله، ثم نتركهم فى غيظهم وكيدهم، لننظر فى هذا الخلاف الذي بين المسلمين فى أمر النسخ.. والكلمة التي نقولها لأعداء هذا الدين هى قوله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ فهذا التحدى القائم عليهم

---

(١) نقلا عن: نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٧.

(٢) نقلا عن: نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٧.

بحفظ الله تعالى للقرآن، هومقطع القول فيما بينهم وبين القرآن.. فإذا استطاعوا أن يبدلوا حرفا أويغيروا كلمة، أويزيلوا آية من كتاب الله كان لهم أن يقولوا فى هذا الكتاب ما يحلو لهم، من تشنيع عليه، واستهزاء به.. وهيهات هيهات.. فقد ذهبت سدى جميع المحاولات التي بذلها أعداء الإسلام، منذ قام الإسلام إلى اليوم، ليشوهوا وجه هذا الدين، بالتشويش على كتابه، والتشكيك فى صحته!.. أما الخلاف الذي بين المسلمين فى أمر النسخ فقد وقع نتيجة للاختلاف فى فهم الآية الكريمة: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]؛ فالذين قالوا بوجود النسخ فى القرآن، وأخذوا بمنطوق هذه الآية، دارت أعينهم فى كتاب الله، يلتمسون مصداق هذه الآية، ويستخرجون لها الشواهد لآيات منسوخة بآيات ناسخة، وقد وقعت أنظارهم على آيات يمكن أن تفسر عليها تلك الآية الكريمة؛ فكان النسخ عندهم أمرا لا بد من وقوعه فى القرآن، إذ نطقت به آية كريمة من آياته.. والذين لم يفهموا الآية على هذا الوجه، فلم يروا فى القرآن ناسخا ولا منسوخا، جعلوا للآيات التي قيل إنها منسوخة، وجها من التأويل، بحيث يبقى حكمها كما بقيت تلاوتها) [(١)]

ثم فسر مراده من قوله هذا، وأدلته، فقال: (يجيء النسخ بمعنى المحووالإزالة، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهَّ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهَّ آيَاتِهِ وَاللهَّ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب أي نقلت ما فيه إلى كتاب آخر.. قالوا: ولا يقع هذا المعنى من النسخ فى القرآن.. إذ نقل الآية أوالآيات من كتاب إلى كتاب لا يسمى نسخا بالمعنى الذي يفهم منه إزالة حكم الآية أوتلاوتها.. ويأتى

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٠)

بمعنى التبديل، كما فى قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].. هذا هوالنسخ فى لسان الشرع، وهوفى اللغة قريب من هذا، فيقال: تناسخ الشيئان: إذا حل أحدهما محل الآخر، كما يتناسخ الليل والنهار، ويقال تناسخت الأزمنة: أي تبع بعضها بعضا، ومنه تناسخ الأرواح، بمعنى انتقال الروح من بدن إلى بدن، عند من يعتقد هذا المذهب.) [(١)]

وبعد أن رد على القائلين بنسخ التلاوة، كما ذكرنا ذلك سابقا، راح يتساءل: (هل فى القرآن نسخ؟)، ثم أجاب عليه بقوله: (كثر علماء المسلمين على أن فى القرآن نسخا، وأن هناك آيات ناسخة وأخرى منسوخة بها.. ومعرفة الناسخ والمنسوخ ودراستهما، مما اهتم له العلماء والفقهاء، وجعلوه أصلا من أصول الدراسات القرآنية، ومجازا من المجازات التي يدخل بها العالم أوالفقيه فى جماعة العلماء والفقهاء؛ فمن لم يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، فلا مدخل له فى باب العلماء والفقهاء، وقد استند القائلون بالنسخ فى القرآن إلى قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقد أسعفهم النظر فى آيات القرآن الكريم بشواهد تؤيد ما ذهبوا إليه من القول بالنسخ.. وهكذا يعدون الآيات المنسوخة والناسخة فى إحدى وسبعين سورة من القرآن الكريم.. أما الذين يقولون بألا نسخ فى القرآن، فيتأولون هذه الآيات، ويعطونها الحكم الذي تضمنته.. كما سنرى ذلك بعد قليل) [(٢)]

ثم ذكر رأيه في المسألة، فقال: (يرى عدد غير قليل من العلماء أن النسخ فى القرآن ليس نسخا بمعنى إزالة الحكم، كما ذهب إلى ذلك القائلون بالنسخ.. وإنما هو نسأ وتأخير، أو مجمل أخر بيانه، أوخطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره، أومخصوص من عموم،

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢١)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٣)

أوحكم عام لخاص، أولمداخلة معنى فى معنى. وأنواع الخطاب كثيرة، فظنوا ـ أي القائلون بالنسخ ـ أن هذا نسخا، وليس به، وإنه ـ أي القرآن ـ الكتاب المهيمن على غيره، وهونفسه متعاضد.. وبهذا التحقيق يتبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين فى الآيات الآمرة بالتخفيف من أنها منسوخة بآية السيف، والواقع أنها ليست كذلك، بل هي من النسأ، بمعنى أن كل أمر يجب امتثاله فى وقت ما، لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إذ النسخ معناه الإزالة.. وتطبيقا لهذا الرأى، نجد ألا تعارض، ولا تناسخ بين الآيات التي تختلف أحكامها فى الأمر الواحد، إذ أن كل حكم محكوم بحال خاصة به، مقدرة له، وعلة تدور معه وجودا وعدما) [١] ثم طبق هذا على الآيات التي قيل بنسخها كما سنرى عند إجابتكم على ما ذكر من الآيات المنسوخة.

الدليل القرآني للنسخ:

قال أحد الحضور: ما دمتم تزعمون لأنفسكم ذلك؛ فكيف تؤيدون أقوال أولئك المبتدعة الذين خالفوا صريح القرآن الكريم.. ألم تقرؤوا ما قاله العلماء في ذلك.. ومنهم ابن الجوزي، الذي قال في (باب إثبات أن في القرآن منسوخا): (انعقد إجماع العلماء على هذا إلا أنه قد شذ من لا يلتفت إليه، فحكى أبو جعفر النحاس أن قوما قالوا: ليس في القرآن ناسخ ولا منسوخ، وهؤلاء خالفوا نص الكتاب، وإجماع الأمة، فقد قال الله عزوجل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]) [٢]

فالآية الأولى ظاهرة في كون المراد بالنسخ الآيات القرآنية ، بدلالة قوله تعالى بعدها: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٤)

(٢) نواسخ القرآن/ ١٥.

[النحل: ١٠٢]

قال آخر: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]، فقد قال قتادة عنها: (هي كقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]) [١]

وقد قيل في سبب نزولها: إن المشركين من أهل مكة زعموا أن رسول الله ﷺ يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه، فأنزل الله هذه الآية[٢].. والمعنى: (وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حكما آخر، والله أعلم بما ينزل، اعتراض دخل في الكلام، أي: والله أعلم بما ينزل من الناسخ، ربما هو أصلح لخلقه، وبما يغير ويبدل من أحكامه، أي هو أعلم بجميع ذلك من مصالح عباده، ففي الكلام نوع من التوبيخ والتقريع على قولهم للنبي ﷺ: ﴿إنما أنت مفتر ﴾ أي تختلقه من عندك، ثم يسأل الله المشركين: لماذا يختلقه، أو ينسب إلى الافتراء من أجل التبديل والنسخ، وهو ليس إلا مبلغ عن الله، وإنما فائدة ذلك التبديل ترجع إلى مصالح العباد[٣].

قال آخر: وبهذا فسر الآيتين جماهير العلماء، فقد قال ابن جرير الطبري: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ننقل من حكم آية، إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حراما، والحرام حلالا والمباح محظورا، والمحظور مباحا. ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة؛ فأما الأخبار، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ)[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٣)

(٢) أسباب النزول ت الحميدان (ص٣٤)

(٣) نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٢.

(٤) تفسير الطبري (٢ / ٤٧٢)

قام أحد حفدة قتادة، وقال[1]: لقد كنا نقول ما تقولون، وننتصر له.. لكن عند تأملنا في الآيات الكريمة التي كنا نزعم أنها تدل على النسخ، وجدنا أن المقصود منها غير ذلك.. فعند أقل تأمل يرى المنصف أن ما ينسب إلى المشركين من كلام حول النسخ إنما هو مفتعل، ولا يصلح جعله سببًا لنزول هذه الآية الكريمة؛ فسورة النحل مكية وليس فيما نزل قبلها من الوحي الإلهي حكم نسخ بأشق منه أو بأهون، حتى يكون ذلك مثار لغط بين المشركين، أو اعتراض على القرآن بما يقع فيه من تناقض.. فأين الحلال الذي حرم، أو الحرام الذي أحل قبل سورة النحل؟.. إن شيئًا من ذلك لم يحدث، فضلاً عن أن يستفيض، فضلاً عن أن يتندر به المشركون، وينسبوا به محمدًا ﷺ إلى الافتراء.

قال آخر[2]: بل نحن نجزم بأن مشركي مكة لم يدر بخلدهم شيء من هذا الذي جعله بعض المفسرين سببًا لنزول الآية، وإنما هو تنزيل الآيات على آراء الفقهاء والمتكلمين وتحميل القرآن مالا تتحمله آياته ولا ألفاظه من معان ومذاهب.. والتفسير الصحيح للآية هو: أن المشركين لم يقنعوا باعتبار القرآن معجزة تشهد لمحمد ﷺ بصحة النبوة، وتطلعوا إلى خارق كوني من النوع الذي كان يصدر عن الأنبياء قديمًا فهو في نظرهم الآية التي تخضع لها الأعناق، أما هذا القرآن فهو كلام ربما كان محمد ﷺ يجيء به من عند نفسه، وربما كان يتعلمه من بعض أهل الكتاب الذين لهم بالتوراة والإنجيل دراية، وقد رد الله سبحانه وتعالى على هذه الطعون، بأنه أدرى من المشركين بنوع الإعجاز الذي يصلح للعالم حاضره وغده وأن هذه الآية أجدى على البشر وأخلد في إنشاء الإيمان وتثبيته من أي آية أخرى، وأن الزعم بأن محمدًا ﷺ انتفع بعلوم اليهود أو النصارى، ثم ألف هذا الكلام العربي بعد الاتصال بفلان أو فلان من الأعاجم المتنصرين ليس إلا سخفًا يترفع العقلاء العدول عن الخوض

(1) نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٢.

(2) نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٣.

فيه.

قال آخر: اقرؤوا الآية مرة أخرى في تجرد وبساطة، تجدونها لا تتحمل إلا هذا الشرح القريب، وهو الشرح الذي يربط بها ما بعدها في اتساق وإحكام: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٤]

قال آخر[١]: ومثل هذا يقال فيما ورد بشأن النسخ في سورة البقرة.. تدبروا جيدا سياق الآيات المعنية، وستفهمون جيدا المراد منها، قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٥-١٠٨]؛ فالجملة المكونة من فعل الشرط وجزائه هي التي اعتمد عليها القائلون بجواز النسخ بعدما شرحوها على النحو التالي: ﴿ما ننسخ من آية﴾ ما نغير من حكمها مع بقاء لفظها، ﴿أو ننسها﴾ نذهب باللفظ والحكم جميعًا ونحوه من أذهان الحفظة بعدما استوعبوه قراءة وفهمًا وعملاً، ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ في تحقيق مصالح العباد، وذلك بالنسبة لما ذهب حكمه وبقيت تلاوته، ولما نقضت تلاوته وأحكامه جميعًا.. وهذا التفسير في الحقيقة يبتر الجملة الشرطية عما قبلها وعما بعدها، ويعزلها عزلاً لا

---

(١) نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٣.

يغني فيه تمحل ولا تكلف، ثم إن القول بآيات نسخ لفظها وحكمها معًا، وأنسيها الرسول وصحابته جميعًا، كلام لا وزن له، ثم ما معنى التطويح بهذا المنسوخ والإتيان بناسخ مساوٍ له.. وكان تذييل الآية ـ ليستقيم صدرها وختمها على هذا المعنى ـ أن يقال: إن الله عليم حكيم، لا أن يذكر اسم الجلالة موصوفًا بالقدرة على كل شيء.

قال آخر[1]: وهكذا تمضي الآيات في تخويف المعترضين وتهديدهم ليقبلوا القول بالنسخ، أو ليقبلوا وقوعه، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِّ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]، وعند النظر في سيرة الرسول ﷺ لا نجد أي معارضة من المشركين، أو تساؤل من المؤمنين حول أمر النسخ؛ فالمجتمع الإسلامي الأول لم تنزل فيه آية بتحليل ثم أتت بعدها آية بتحريم، لا في مكة ولا في المدينة، وأنه تبعًا لذلك لم تنزل آية بتخويف أحد كي يقول بالنسخ، والتفسير الذي ذكرناه ـ مع تفكيكه واضطرابه ـ يقطع أواصر الآية بما قبلها وما بعدها، بل بجو السورة التي بدأ السياق فيها يناقش أهل الكتاب ويندد بمواقفهم، ويشير إلى تعنتهم في تكذيب رسول الله ﷺ، واقتراح خوارق مما ألفوا مع أنبياء بني إسرائيل.

قال آخر[2]: فالنسخ هنا ليس تبديلاً جزئيًّا في أحكام شريعة واحدة، بل هو تغيير الدلائل التي تحتف بدين ما كي تركزه في النفوس، وقد بدأ الكلام بأن أهل الكتاب لا يودون للإسلام خيرًا، ولا لأهله فضلاً.. ثم أعقبه تساؤل له مغزاه يخاطب اليهود: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]

قال آخر: لقد عبر الشيخ محمد عبده عن ذلك ـ بعد استعراضه لأقوال المفسرين لها

(١) نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٤.

(٢) نظرات في القرآن الكريم، ص٢٠٤.

ـ فقال: (والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق إلى آخره أن الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم، أي ﴿ما ننسخ من آية﴾ نقيمها دليلاً على نبوة نبي من الأنبياء، أي نزيلها، ونترك تأييد نبي آخر، أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها، فإننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الإقناع وإثبات النبوة أو مثلها في ذلك، ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه، فلا يتقيد بآية مخصوصة يمنحها جميع أنبيائه، والآية في أصل اللغة هي: الدليل والحجة والعلامة على صحة الشيء، وسميت جمل القرآن آيات؛ لأنها بإعجازها حجج على صدق النبي، ودلائل على أنه مؤيد فيها بالوحي من الله عز وجل، ومن قبيل تسمية الخاص باسم العام)[1]

قال آخر: ثم ذكر كيف كان اليهود يشككون في رسالته ﷺ بزعمهم أن النبوة محتكرة لشعب إسرائيل، ولهذا تقدمت الآيات في تفنيد زعمهم هذا، وقالوا: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ [القصص: ٤٨]، أي من الآيات، فرد الله تعالى عليهم في مواضع منها قوله عز وجل بعد حكاية قولهم هذا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨]، ومنها هذه الآيات، والخطاب فيها للمؤمنين الذين كان اليهود يريدون تشكيكهم كأنه يقول: إن قدرة الله تعالى ليست محدودة ولا مقيدة بنوع مخصوص من الآيات أو بآحاد منها لا تتناول غيرها، وليست الحجة محصورة في الآيات السابقة لا تتعداها، بل الله قادر على أن يأتي بخير من الآيات التي أعطاها موسى عليه السلام وبمثلها، فإنه لا يعجز قدرته شيء، ولا يخرج عن ملكه شيء، كما أن رحمته ليست محصورة في شعب واحد فيخصه بالنبوة ويحصر فيه هداية الرسالة، كلا إن رحمته وسعت كل شيء، كما أن قدرته تتصرف بكل شيء من ملك السماوات والأرض

---

(١) تفسير المنار (١/ ٣٤٣)

الذي لا يشاركه فيه مشارك، ولا ينازعه فيه منازع، فيكون وليا ونصيرا لمن كفر بنعمه وانحرف عن سننه[1].

قال آخر: ثم علق على هذا بقوله: (انظر كيف أسفرت البلاغة عن وجهها في هذا المقام، فظهر أن ذكر القدرة وسعة الملك إنما يناسب الآيات بمعنى الدلائل دون معنى الأحكام الشرعية والأقوال الدالة عليها، من حيث هي دالة عليها لا من حيث هي دالة على النبوة، ويزيد هذا سفورا ووضوحا قوله عقبه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] فقد كان بنو إسرائيل لم يكتفوا بما أعطى موسى عليه السلام من الآيات وتجرؤوا على طلب غيرها وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وكذلك كان فرعون وقومه كلما رأوا آية طلبوا غيرها حتى رأوا تسع آيات بينات ولم يؤمنوا، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] يشمل كل ذلك)[2]

قال آخر[3]: ولهذا أرشدنا الله تعالى بهذا إلى أن التفنن في طلب الآيات، وعدم الإذعان لما يجيء به النبي منها والاكتفاء به بعد العجز عن معارضته هو دأب المطبوعين على الكفر، الجامدين على المعاندة والمجاحدة، فإنه قال بعد إنكار هذا الطلب: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، ويوضح هذا قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩]

قال آخر[4]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ

---

(١) تفسير المنار (١/ ٣٤٤)

(٢) تفسير المنار (١/ ٣٤٤)

(٣) تفسير المنار (١/ ٣٤٤)

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٨)

مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] جاء مع آيات كثيرة غيرها، دفاعا عن أمر أراده الله للمسلمين، وهوتحويل قبلتهم التي كانوا عليها، من بيت المقدس إلى البيت الحرام.. وهذا التحول كان حدثا كبيرا من أحداث الإسلام فى حينه، كما كان فتنة وابتلاء لكثير من المسلمين، ومدخلا كبيرا للطعن فى الدين، والتشويش على المسلمين، وكان من تدبير الله تعالى لهذا الأمر، أن قدم له هذه الآيات الكريمة، قبل أن يقع، لتكون إرهاصا به من جهة، وقوة يستند إليها المسلمون فى دفع كيد اليهود، ووسوسة الشيطان من جهة أخرى.

قال آخر(١): ويدل لهذا السياق الذي وردت فيه تلك الآيات الكريمات، فقد قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، فهذا الاستفهام الإنكارى، والذي يتوجه به الله تعالى إلى المسلمين فيه تحذير لهم من أن يكونوا مع النبى ﷺ، كما كان اليهود مع موسى عليه السلام، كلما جاء بأمر لم يتلقوه بالامتثال والطاعة، بل قابلوه بالحذر والريب، وواجهوه بالأسئلة الكثيرة، التي تنبىء عن خبث طوية، وفساد سريرة.. وتحويل القبلة إذا كان أمرا وشيك الوقوع، وقد كان المسلمون يصلون إلى بيت المقدس منذ سبعة عشر شهرا، فإذا وقع هذا التحويل، نزعت بهم نوازع كثيرة تدعوهم إلى التساؤل: فيم كنا؟ ولم هذا؟ وهل سنتحول عن القبلة الجديدة فيما بعد أم سنظل عليها؟.. وهكذا.

قال آخر(٢): ثم قال تعالى بعدها: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وهي تشير إلى أن اليهود، كانوا يلقون إلى

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٨)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٩)

المسلمين بها يفتح للشيطان طرقا كثيرة إلى قلوب لم يتوثق فيها الإيمان بعد.. فكان هذا التحذير من قبل أن يقع هذا الأمر الذي من شأنه أن يثير شكا وتساؤلا، وكان تدبيرا حكيما من حكيم، ووقاية للمسلمين من داء أصيب به اليهود من قبل، فعز شفاؤهم منه، وطال شقاؤهم به.

قال آخر[1]: وعلى هذا المنهج من عدم تفسيرها بالنسخ ـ الذي يعني تعطيل القرآن تنزيلا أو أحكاما ـ قال العدول من علماء إخواننا الإمامية، ومنهم العلامة الكبير مرتضى العسكري، حيث ذكر في تفسيرها أن مادّة (الآية) مشتركة بين معناها اللّغوي وعدّة معان اصطلاحية، واللفظ المشترك بين عدّة معان لا يستعمل في الكلام دونما وجود قرينة تشخّص المعنى المقصود من بين تلك المعاني.

قال آخر[2]: ثم ذكر أن التعرف على القرينة على المعنى المقصود من الآية يتحقق من خلال مجموعة الآيات المكتنة بها، والتي يعاتب الله فيها اليهود إن لم يؤمنوا بهذا القرآن وبشريعة خاتم الأنبياء ﷺ ولا بالإنجيل وشريعة المسيح عليه السلام.. وعلى هذا، فإنّ معنى ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾: ما ننسخ من حكم ـ مثل حكم القبلة والعيد في يوم السبت ـ من كتاب موسى عليه السلام [التوراة]، أو كتاب عيسى عليه السلام [الإنجيل]، نأت بخير منه، كحكم استقبال الكعبة في القرآن الكريم والعيد في يوم الجمعة، في الكتاب وسنّة الرسول ﷺ.

قال آخر[3]: ثم ذكر أن معنى ﴿نُنْسِها﴾ إمّا أن يكون من مادّة أنساها ينسيها أو من أنسأها ينسئها.. وإذا كان من مادّة (أنساها) يتضح معناها بعد التنبّه على أنّ الله سبحانه

---

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٢٩٨.

(٢) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٢٩٩.

(٣) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٢٩٩.

أرسل عشرات الألوف من الأنبياء في أمم أبيدت وانقرضت ممّن لم ترد أسماؤهم في القرآن، ولم يذكر الله أخبارهم فيه، وإنّما ذكر الله في القرآن أسماء بعض أنبياء بني إسرائيل والعرب الّذين عاشوا في المنطقة ـ الجزيرة العربية ـ وما حولها، وذكر بعض قصصهم وأنسى قصص سائر الأنبياء أمثال هبة الله شيث بن آدم وعزير الّذي قال اليهود: إنّه ابن الله.. أنسى الله سبحانه قصص بعضهم، وأنسى كتب البعض الآخر وذكر أسماءهم، وبعضهم أنسى أسماءهم مع إنساء قصصهم وكتبهم.. وعلى هذا يكون معنى ﴿أَوْ نُنْسِها﴾ ما ننس ممّا في كتب السابقين، مثل كتاب شيث وغيره، نأت بخير منها وأكمل، مثل ما في القرآن وشريعة خاتم الأنبياء.. وإذا كان من مادّة (ينسئها) وأنسأه ينسئه، أي: أجّله وأخّره؛ وحينها يكون المعنى: والحكم نؤخّر تبليغه بما فيه خير للناس في ذلك الزمان مثل تأخير تبليغ نسخ حكم استقبال بيت المقدس إلى هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.. وهذا المعنى هو المراد من (ننسها) وليس المعنى الأوّل.

قال آخر[1]: ثم انتقد ما ورد في كتب التفسير حولها؛ فذكر أن المفسرين يقتطعون الآية من مكانها في المجموعة الواحدة من الآيات ذات السياق الواحد.. ويجرون على الآية الكريمة أنواع التبديل والتحوير بحسب اجتهادات المفسّرين، مفسرين وقرّاء بعنوان اختلاف القراءات.. ويعتمدون لفهم معنى الآية الأحاديث المروية في باب نسخ التلاوة، والتي لا تتناسب مع إحكام القرآن الكريم، وحفظ الله له.

قال آخر[2]: وهكذا ناقش استدلال القائلين بالنسخ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]؛ فقد ذكر أن هذه الآية ـ أيضا ـ نزلت ضمن مجموعة آيات يتحدّث فيها الله تعالى عن القرآن

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٣٠٠.

(٢) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٣٠٠.

وأدب قراءته، وتشكيك المشركين من أهل مكّة، وإدحاض افترائهم.. وبذلك فإن معنى تبديل الآية: تبديل بعض أحكام القرآن المذكورة في فصل أو فصول منه، ﴿مَكَانَ آيَةٍ﴾ أي: مكان بعض أحكام التوراة أو الإنجيل المذكورة في فصل أو فصول من أحدهما، والله أعلم بما ينزّل، وحكمته، قالوا: أنت مفتر في ما أتيت به من الكتاب المجيد، قل نزّله روح القدس من ربّك، ليثبت به الّذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين، ولقد نعلم أنّهم يقولون: إنّما يعلّمه بشر ـ قيل نصراني كان بمكّة ـ لسان الّذي يلحدون إليه ـ يطعنون به على القرآن ـ أعجميّ وهذا لسان عربيّ مبين.

قال آخر[1]: ثم ذكر أن هذا التفسير يتأكد بأمور.. أولها بدء المجموعة بذكر القرآن.. وثانيها إيراد الضمير المذكور في ﴿نَزَّلَهُ﴾، فإنّه لو كان القصد من ﴿نَزَّلَهُ﴾: الآية من السورة لكان ينبغي أن يقول: ﴿نزّلها﴾، أي نزّل الآية من السورة، ولما أعاد الله سبحانه الضمير إلى المذكّر، ظهر أنّ المقصود من الآية هو القرآن أو حكم في القرآن، ولهذا أعاد الضمير إلى معنى (الآية) وهو القرآن أو الحكم المذكّر.. وثالثها حكايته قولهم بأنّه علّمه بشر، وكان قصد المشركين من تعليم البشر تعليم البشر إيّاه القرآن أو بعض أحكام القرآن ـ معاذ الله ـ ولم يقصدوا تعليمه آية واحدة من القرآن.. ورابعها أمره الرسول ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤]، وهم بنو إسرائيل، ثمّ ختم الآيات بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].. بالإضافة إلى ذلك كله لم نجد في ما ذكروا من التفاسير رواية عن رسول الله ﷺ أنّه فسّر لفظ (آية) في الموردين هنا بالآية الّتي هي جزء

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٣٠١.

من السورة كما قالوا به، وإنّما نقلوا ذلك من المفسّرين.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا كله؛ ومن باب التسليم الجدلي؛ فإنه ليس من الحتم اللازم إذا ورد فى القرآن أسلوب شرطى أن يقع هذا الشرط، وإنما الحتم اللازم هو، أنه إذا وقع الشرط فلا بد أن يقع ويتحقق الجواب المعلق على وقوع هذا الشرط؛ فما أكثر ما وردت أساليب شرطية فى القرآن غير مراد وقوعها، وتحقيق جوابها، ومن ذلك قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، وقوله خطابا له: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فلم يقع شرط أي آية من هذه الآيات، ولم يقع جوابها كذلك.. وعلى هذا، يجوز فى الآية الكريمة ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] ألا يقع شرطها وجوابها، وتكون من قبيل القضايا الفرضية، التي يراد بها العبرة والعظة.. وهذا في حال صحة ما ذكره المخالفون في تفسير الآية يدل على أن النسخ الذي أشارت إليه الآية الكريمة، ليس لازما أن يقع، وإنما وقوعه أمر احتمالي، يشهد له الواقع أولا يشهد، فإن شهد له اعتبر، وإلا فلا.. ولهذا لا يصح أن نستصحب معنا هذا الحكم، الذي تقضى به الآية لو وقع شرطها وجوابها.. لا نستصحب هذا الحكم، ونحن ننظر فى الآيات التي يقال إنها ناسخة أومنسوخة.. بل ننظر فى تلك الآيات نظرا منقطعا عن كل تأثير لهذا المفهوم الذي فهمت الآية الكريمة عليه.

آيات النسخ وتوجيهها

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٧)

بعد أن انتهى حفدة قتادة من ذكر مقولات المنكرين لنسخ الأحكام، أو للنسخ عموما، وأدلتهم، قام أحد الحضور، وقال: بورك فيكم.. لكن كل ما ذكرتموه لا يكفي لرد الآيات المحكمة المصرحة بوجود النسخ في القرآن الكريم، بل وقوعه فيه.. فهل يمكن أن نترك كلام ربنا لأي رجل مهما بلغ من العلم؟

قال أحد حفدة قتادة: بورك فيك وفي حرصك على كلام ربك، ونحن ـ إن شاء الله ـ لا نقل عنك حرصا، وما كان لنا أن نتبع قول أي أحد، ونخالف كلام ربنا، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. قد نسلم لكم بأن سياق الآية لا يسمح بما ذكره المفسرون، لكن الواقع أثبت وجود النسخ.. فهناك آيات كثيرة لا يمكن فهمها مع أخواتها من دون أن يكون أحدهما منسوخا.

قال كبير حفدة قتادة: ولهذا اجتمعنا بكم.. لتذكروا لنا تلك الآيات التي قيل بنسخها، ثم نجيبكم بشأنها.

قال أحد الحضور: هي كثيرة جدا، ولا يمكننا في هذا المجلس عرضها جميعا لكثرتها.. فقد ذكر ابن العربي المعافري أن عددها مائة آية.. وذهب ابن حزم في كتابه معرفة الناسخ والمنسوخ أن آيات النسخ تبلغ مائتين وأربع عشرة آية.. وذهب أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ إلى أنها تبلغ مائة وأربعا وثلاثين آية.. وأوصلها ابن سلامة الضرير إلى مائتين وثلاث عشرة آية.. في حين أوصلها ابن الجوزي إلى مائتين وسبعة وأربعين آية[١].

---

(١) مصطفى زيد، النسخ في القرآن: ١/ ٤٠٥.

قال كبير حفدة قتادة: مهما كان عددها، ومهما طال هذا المجلس؛ فالذي يبحث عن الحق يحتاج إلى الصبر، وعدم الاهتمام بالوقت الذي يوصله إلى الحقيقة، حتى لا يلقى الله، وهو يجهل ما أُمر بعلمه.

آيات الرحمة والشدة:

قام أحد الحضور، وقال: فلنبدأ بآية السيف والقتال، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، فقد قال الحسن بن فضل في فضلها: (نسخت هذه الآية كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء)، وقال ابن حزم في كتابه الناسخ والمنسوخ: (في القرآن مائة وأربع عشرة آية في ثمان وأربعين سورة نسخت الكل بقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥])[1]

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ [البقرة:١٠٩]، فهذه الآية منسوخة.. وقد قال النيسابوري: (نسخ ما فيها من عفو وصفح بقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:٢٩].. لقد أمر المسلمون بهذا في بداية الإسلام عندما كانوا مستضعفين.. أما عندما قووا فلم يبق هناك مجال للعفو أو الصفح.

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُون ﴾ [البقرة:١٣٩].. فهذه الآية أيضا منسوخة، نسختها آية السيف[2].. فما حاجة المسلمين إلى محاجة خصومهم ومجادلتهم وحوارهم بعد أن أمدهم

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص ١٢)

(٢) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص٤٤-٤٥.

الله بقوة السيف؟ فكفى بالسيف شافيا، وكفى بالسيف محاورا.

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ وقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِين ﴾ [البقرة:١٩٠].. فهي مثل أخواتها منسوخة بآية السيف[١]، وقد قال النيسابوري فيها: (قوله ﴿ ولا تعتدوا ﴾، هذا كان في الابتداء، عندما كان الإسلام ضعيفا)

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فهي مثل سابقاتها.. نسختها آية السيف[٢].

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ فإنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد ﴾ [آل عمران:٢٠]، فهذه الآية مثل سابقاتها منسوخة آية السيف[٣].. فلا منطق أفضل من السيف.

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ أولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [النساء:٦٣]، فقد ذكر علماؤنا أن هذا (كان في بدء الإسلام، ثم صار الوعظ والإعراض منسوخاً بآية السيف)[٤]

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين ﴾ [المائدة:١٣]، فقد ذكر علماؤنا أنها (نزلت في اليهود، ثم نسخ العفو والصفح بآية السيف)[٥]

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُون ﴾ [المائدة:٩٩]، فهي مثل سابقاتها منسوخة آية السيف[٦].

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص٦٥-٦٦.
(٢) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص٩٦-٩٧.
(٣) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص١٠٢-١٠٣.
(٤) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص١٣٥.
(٥) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص١٥٠.
(٦) الناسخ والمنسوخ للنيسابوري، ص١٥٢.

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم ﴾ [الأنفال:٦١]، فهي منسوخة بآية السيف [١].. فما حاجة المسلمين للسلام، وقد أعطاهم الله القوة التي يقهرون بها أعداءهم؟

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين ﴾ [النحل:١٢٥]، فلاشك أنها منسوخة نسختها آية السيف[٢].. فما حاجة المسلمين للحكمة والموعظة وقد من الله عليهم بنعمة القوة والعزة والتسلط؟

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُون ﴾ [المؤمنون:٩٦]، فقد نسختها آية السيف[٣].. وذلك واضح لكل عاقل.. فمن أعطاه الله القوة التي يقهر بها أعداءه لا يحتاج إلى أن يدفع بالتي هي أحسن.

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيل ﴾ [يونس:١٠٨]، فقد نسخ معناها لا لفظها بآية السيف[٤].

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِين ﴾ [القصص:٥٥]، فهي الأخرى نسخت بآية السيف[٥].. وهو واضح لمن تأمله.. أليس الإعراض نوعا من الضعف.. والمسلم قوي عزيز لا يحتاج أن يذل نفسه؟

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، فهي مثل سابقاتها منسوخة بآية السيف[٦].. وهي واضحة لا تحتاج إلى شرح

---

(١) قلائد المرجان، ص١٧٦-١٧٧.

(٢) قلائد المرجان، ص٢١٠.

(٣) قلائد المرجان، ص٢٣٥.

(٤) قلائد المرجان، ص٢٥٢.

(٥) قلائد المرجان، ٢٥٣.

(٦) قلائد المرجان، ٢٥٨.

يبين نسخها.

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:٣٤]، فهي منسوخة بآية السيف[١].

قال آخر: ومن أمثلتها قوله تعالى:﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى:١٥]، فهي منسوخة بآية السيف [٢].

بعد أن انتهى الحضور من ذكر ما ذكره العلماء من الآيات المنسوخة بالآية التي يسمونها [آية السيف]، قام كبير حفدة قتادة، وقال: لاشك أنكم معذورون فيما ذكرتموه؛ فنحن الذين لقناكم ذلك، وعطلنا بسببه كل ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة للسلم والصفح والعفو والرحمة.. لكنكم لا تعذرون إن لم تسمعوا لنا، لنشرح لكم ما وصلنا إليه بعد البحث الطويل.. حتى لا تخاصمونا عند الله يوم القيامة، بأننا سبب ما وقع لكم من خطأ وضلال.

قال أحد الحضور: طبعا لكم ذلك.. ونحن مستعدون للتراجع عن كل ما ذكرناه إن تبين لنا الحق في غيره.. فالمؤمن هو الذي يدور مع الحق حيث دار، وهو الذي يسير مع الدليل والحجة حيث توجها.

قال أحد حفدة قتادة: ما دمتم ذكرتم أن الآية التي تسمى [آية السيف والقتال] هي الناسخة لكل تلك الآيات الكريمة؛ فإن العقل يدعونا إلى فهمها وتدبرها، لنعرف المقصود

---

(١) قلائد المرجان، ٢٦٨.

(٢) قلائد المرجان، ٢٧٠.

منها، وهل يتناقض مع ما ذُكر أنه نسخ بها أم لا يتناقض.. ذلك أنه إذا أمكن الجمع بين الآيات كان القول بالنسخ تعطيلا للآيات التي قيل بنسخها.. والأصل في القرآن التحكيم والتفعيل، لا التعطيل.

قال آخر(١): ولنبدأ بالسياق الذي وردت فيه تلك الآيات الكريمة، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهَّ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهَّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، أي أن الغاية من هذه الآية الكريمة الدعوة إلى السلام وتجنب القتال فى الأشهر الحرم، وإن كان حتما على المسلمين أن يمتثلوها، ويحققوها من جانبهم، إلا أنها لا تحمل المسلمين على التهاون فى قتال المشركين، وترك الإعداد لحربهم.. لأن المشركين لا يحترمون هذه الدعوة، ولا يستقيمون عليها، ولا يدعون المسلمين فى أمن وسلام، إذا هم قدروا على قتالهم، ووجدوا الفرصة السانحة لهم فيهم.

قال آخر(٢): وهذا هوالسر فى عطف هذا الأمر: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ على النهى السابق فى قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ إذ أن هذا النهى يقتضى الكف عن القتال فى هذه الأشهر الحرم، خاصة، وفى غيرها، عامة، إذا لم يكن من المشركين عدوان على المؤمنين.. وهذا من شأنه ـ لوأطلق ـ أن يحمل المسلمين على طلب المسالمة والموادعة، وترك الاستعداد للحرب، والانخلاع عن مشاعر القتال، فى حين أن المشركين على غير هذا الموقف، لأنهم أبدا على عداوة مضمرة أوظاهرة للمؤمنين، وأنهم إذا وجدوا فرصة للنيل منهم فلن يمسكهم عن ذلك عهد أوقرابة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]، فكان إتباع هذا النهى بذلك

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦١)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦١)

الأمر: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ كان وضعا للنهى بموضعه الصحيح، فيكون دعوة للسلم، مع الحذر من خطر الحرب، ومع مراقبة العدو، والإعداد لدفع عدوانه إن حدثته نفسه بعدوان.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن قوله تعالى ﴿كافة﴾ أي جميعا، وأصله من الكف عن الشيء.. بمعنى كف نفسه عن الأمر أي دفعها عنه، وكف العدو، أي دفعه ورده.. وهذا لا يكون من الإنسان، إلا بنفس مجتمعة، وعزيمة غير موزعة، كما لا يكون من الجماعة المقاتلة إلا باجتماعها جميعا، واستحضار كل ما لديها من قوى مادية ومعنوية.

قال آخر[2]: وبذلك؛ فإن الآية الكريمة تدعو المسلمين إلى القتال حين تقوم دواعيه، وهى رد عدوان المعتدين، أوالذين يقفون فى وجه الدعوة الإسلامية، ويصدون الناس عنها، أويفتنونهم فيها.. أما فى غير هذا، فلا قتال ولا عدوان، ويدل لذلك الآيات الكثيرة التي تربط القتال بالعدوان، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، وقال: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تربط الإذن بالقتل أو الأمر به برد اعتداء المعتدين.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٢)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٢)

قال آخر[1]: وهي كذلك دعوة للمؤمنين إلى جمع جماعتهم على أمر واحد مع المشركين المعتدين، وهوأن يعدوهم جميعا جبهة معادية، لا فرق بين مشرك ومشرك، فكما أن كل مشرك هو حرب على الإسلام والمؤمنين به، سواء كان ذلك بقلبه، أولسانه، أويده، وسواء أكان فى جماعة أومنفردا، فكذلك ينبغى أن يكون المؤمنون على تلك المشاعر، وهذه المواقف إزاء المشركين.. إن الذي ينبغى أن يكون من المؤمنين هو أن يكونوا قلبا واحدا، ولسانا واحدا، ويدا واحدة.. وهذا من شأنه أن يدعوالمسلمين إلى جمع كلمتهم، ووحدة صفهم، فوق أن ذلك هوواجب المسلمين فى السلم، فكيف وهم فى مواجهة العدوالمتربص بهم.

قال آخر[2]: ولهذا ختمت الآية الكريمة بالأمر بالتقوى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، ففيها دعوة إلى التقوى، وجعلها الميزان الذي يضبط عليه المسلمون موقفهم من المشركين.. فلا بغى ولا عدوان ولا ظلم.. لأن ذلك يخرج المسلمين عن صفة التقوى، ويقيمهم هم والمشركون على مقام واحد.. الأمر الذي من شأنه أن يفوت عليهم أن يكون الله سبحانه معهم، يؤيدهم وينصرهم على عدوهم.. لأنه سبحانه لا يكون إلا مع المتقين.

قال آخر[3]: وبناء على هذا؛ فإن موقف المسلمين مع غير المسلمين، هو أن يكونوا سلما لمن سالمهم، وحربا مع من اعتدى عليهم، وحاربهم.. وتاريخ الدعوة الإسلامية، وأسلوبها الذي قامت عليه منذ اليوم الأول على يد رسول الله ﷺ لم يخرج عن هذا الخط الذي حدد مسيرته قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٢)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٢)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٤)

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد جاء بعدها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]؛ فهي تدعو في حال العدوان إلى المعاقبة بالمثل، وعدم تجاوزه.

قال آخر: ومثل ذلك كل الآيات الكريمة التي تدعو إلى الحوار مع الآخر، والتعامل الحسن معه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهَّ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].. وغيرها من الآيات الكريمة.

قال آخر[1]: وهذه الآيات، وأمثالها من الآيات المحكمات، هي التي قامت على أساسها صلات المسلمين فيما بينهم وبين المجتمعات الإنسانية التي لم تدخل فى الإسلام، سواء ما كان منها فى ذمة المسلمين، أوكان فى دار الحرب، أوخارج هذه الدار.. وكيف يكون من مفاهيم الإسلام أن يكون حربا على الناس من غير أن يبدؤوا أتباعه بحرب؟.. ألا يكون هذا عدوانا مما نهى الله عنه، فى أكثر من آية من آيات الكتاب الكريم؟.. وبأى تأويل يتأول القائلون بالحرب العامة على المجتمع الإنسانى، قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهَّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

قال آخر[2]: ثم، أي دين هذا الدين الذي يدخل فيه الناس قهرا وقسرا، تحت حكم

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٤)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٥)

السيف؟.. وهل مثل هذا الدين يعمر قلبا أويمس وجدانا؟.. وإذا ساغ أن يقبل مثل هذا فى دعوة سياسية أواجتماعية، فلن يقبل فى دين يدعو إليه الله رب العالمين، ورسوله الذي هو رحمة للعالمين.. وإذا قبل هذا في دين خاص بمجتمع من المجتمعات لفترة محدودة، ولمجتمع محدود، فلن يقبل فى الإسلام، دين الحياة الإنسانية كلها، فى امتداد أزمانها، وفى اختلاف أممها وشعوبها، ولذلك قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

قال آخر[1]: وبعد كل هذا، أين هى التقوى التي يدعوإليها الله سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، إذا كان المسلمون حربا على الناس من غير أن يؤذنهم أحد بحرب؟

آيات الرخصة والعزيمة:

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في التعارض الموجود بين قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]،وقوله في الآية التي تليها: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].. فهاتان الآيتان لا يمكن الجمع بينهما إلا بالقول بأن إحداهما منسوخة، وطبعا هي الآية الثانية التي ورد فيها التخفيف.

قال أحد حفدة قتادة[2]: لا تعارض بين هذه الآيات الكريمة حتى نحتاج إلى القول بنسخها، ذلك أن كل حكم محكوم بحال خاصة به، مقدرة له، وعلة تدور معه وجودا

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٧٦٥)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٥)

وعدما.. فالآية الأولى ـ والتي قيل بنسخها ـ تفرض على المؤمنين حكما في حال كانوا أهلا للوفاء به ، لما فيهم من قوة إيمان وثبات يقين.. فإذا كانوا في تلك الحالة كان واجبا عليهم إذا التقوا في ميدان الحرب بأعدائهم من الكافرين ـ أن يثبت العشرون منهم لمئتين من أعدائهم، وأن تثبت المائة للألف.. فلما وقع الضعف في المسلمين، حين كثر عددهم، ودخل فيهم من دخل، وليس فيهم ما في هؤلاء النفر القليل الكرام، الذين سبقوا إلى الإسلام، من كرم المعدن، وصفاء الجوهر، والتعرف على الحق، والبدار إليه، خفف الله عنهم، وجعل أمرهم يسرا، ففرض عليهم ألا تفر المائة من المائتين، ولا الألف من الألفين.

قال آخر: وانظروا كيف كانت أعداد المسلمين في الآية الأولى (عشرون) و(مئة) ثم أصبحت في الآية الثانية (مئة) و(ألفا).. فذلك يكشف عن أن الضعف الذي عرض للمسلمين في هذا الوقت المبكر من الدعوة الإسلامية، وفى عهد النبوة، لم يكن من جهة المسلمين الصادقين السابقين إلى الإسلام، لكن الضعف الذي وقع، كان على مجموع المسلمين، حين كثر عدد الداخلين في الإسلام، ولا شك أن هذه الأعداد الكثيرة التي دخلت في دين الله أفواجا، لم يكن لها جميعها من وثاقة الإيمان، وقوة اليقين ما كان في هذه الصفوة التي سبقت إلى الإسلام.

قال آخر[1]: ولذلك فإن الآية الأولى ليست معطلة، بل إذا عادت حال المسلمين إلى الحال الأولى التي كانوا عليها قبل هذا الضعف، عاد الحكم الأول، فإذا ضعفوا لزمهم حكم الآية الثانية، والذي لا ينبغى أن ينزلوا عنه أبدا، حتى في أضعف أحوالهم.. المائة تغلب المائتين، والألف تغلب الألفين.

قال آخر[2]: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٢٦)

(٢) نظرات في القرآن الكريم، ص٢١١.

مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ١-٧] وقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ فالآية الأولى نص صريح في طلب قيام جزء من الليل قريب من نصفه، وبينت السبب في هذا الإيجاب، والخطاب فيها موجه إلى النبي ﷺ، والثانية دالة على أن الرسول ﷺ كان يقوم بهذا التكليف، وطائفة من الذين معه، ثم ذكر الله تعالى أن هناك سببًا يقتضي التخفيف عن الأصحاب، وهو علم الله بأن سيكون منهم الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم، ومن أجل ذلك كان التكليف مقصورًا على قراءة ما تيسر من القرآن، فإذا كان النص الأول قاصرًا على النبي ﷺ والأصحاب، إنما قاموا بقيام الليل اقتداء به، والتخفيف قاصر عليهم للأسباب المذكورة، لم يكن النص الأول منسوخًا، بل حكمه باق بالنسبة إلى النبي ﷺ، وهذا رأي ابن عباس.

قال آخر: وبذلك فإن الآية الأولى تذكر أن فرض قيام الليل كان في حق رسول الله ﷺ، وليس في حق أمته ، وهو حكم بقي مستمرا لم ينسخ، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فقد روي عن ابن عباس قوله: (﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ ، أي خاصة للنبي ﷺ، أمر بقيام الليل، وكتب عليه[1]..

---

(١) ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه، الدر المنثور ٤/ ١٩٦.

قال آخر[1]: ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، ثم قال في السورة نفسها: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣].. فالأمر في الآية الأولى للندب، لا للوجوب بقرينة قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢].. أما الآية الثانية؛ ففيها تخيير بين التصدق وعدم التصدق.. وبذلك لا يكون بينهما ناسخ ولا منسوخ.

قام أحد الحضور، وقال: لم نفهم.. كيف يكون الأمر كذلك، والآية الثانية تدل على رفع الحكم السابق، وهو يعني أنه منسوخ؟

قال أحد حفدة قتادة[2]: لا بأس.. سنوضح لكم الأمر أكثر لتعرفوا مراد الآيتين، ومن خلال معرفة المراد جيدا يتضح لكم ما ذكرنا من عدم النسخ.. وأول ذلك أن تعرفوا أنه ليس المراد بتقديم الصدقة هنا، أن توضع بين يدى النبي ﷺ، وإنما المراد أن توضع في يد من يستحقها من الفقراء والمساكين وابن السبيل.

قال آخر[3]: وهذه الصدقة التي يقدمها المؤمن الذي يغشى مجلس رسول الله ﷺ، مطهرة لهذا المؤمن، وإعداد له كى يلتقي بالنبي الكريم، وينتفع بهديه، حيث يكون في تلك الحال على قرب نفسى وروحى منه.. فذلك أشبه بالطهارة قبل الصلاة.. فالصلاة مناجاة لله سبحانه وتعالى، ودخول إلى ساحة مغفرته ورضوانه، والطهارة قبل الدخول في الصلاة، هي التي تهيء المؤمن نفسيا وروحيا للاتصال بالله سبحانه، والقرب منه جل وعلا.

---

(١) نظرات في القرآن الكريم، ص٢١١.

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٤)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٤)

قال آخر[1]: إنها أشبه بالاستئذان قبل الدخول.. فكما أنه لا يجوز للمؤمن أن يدخل بيتا غير بيته قبل أن يستأذن، رعاية لحرمة المسكن وأهله؛ فكذلك ينبغى على المؤمن ألا يقتحم مقام الرسول ﷺ، ويغشى حماه الطهور، من غير أن يقف بين يدى هذا الحمى، وأن يقدم صدقة، يدخل منها على مشاعره أنه لن يؤذن له بالدخول إلى هذا الحمى، من غير استئذان، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢]، أي هذا الفعل الذي تفعلونه بتقديم الصدقة قبل مناجاتكم ﷺ هو خير لكم، وأطهر، حيث يرضى الله سبحانه وتعالى عنكم، ويطهركم من ذنوبكم، فيكون لقاؤكم للرسول ﷺ على صفاء نفس، وشفافية روح، فتصيبون كثيرا من الخير الذي بين يديه.

قال آخر[2]: وهي كذلك ترفع الحرج على من لم يجد: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، والله سبحانه يغفر لكم ذنوبكم، ويطهركم، حتى إذا ناجيتم الرسول ﷺ كنتم على حال من الطهر كحال الذين قدموا صدقات بين يدى نجواهم، فالله سبحانه غفور، أي كثير المغفرة، تسع مغفرته الخلق جميعا، وهو رحيم بكم، فلا يحرمكم مغفرته التي قصرت أيديكم عن أن تنالوها بالصدقة.

قال أحد الحضور: وعينا كل هذا، وهو واضح جدا.. الإشكال في الآية التي جاءت بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣]، والتي ذكر أغلب المفسرين أنها ناسخة للآية التي قبلها.. بمعنى أن تقديم الصدقة من المؤمن الذي يود مناجاة الرسول، قبل أن يدخل في مناجاته، والذي دعت إليه الآية السابقة قد جاءت هذه الآية ناسخا له، تخفيفا على الذين يودون مناجاة النبي ﷺ..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٤)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٤)

قال آخر: ويدل لذلك ما روي أنه لما نزلت الآية السابقة شق ذلك على كثير من المؤمنين، وضن كثير من الأغنياء بأموالهم أن يخرجوا منها صدقة عند مناجاة الرسول ﷺ، وبهذا قلت تلك الأعداد الكثيرة التي كانت تسعى إلى مناجاة النبي ﷺ، فنزلت الآية الثانية؛ فنسخت الآية التي قبلها، وأبيح للمؤمنين مناجاة الرسول ﷺ من غير صدقة يقدمونها بين يدى نجواهم.

قال أحد حفدة قتادة[1]: ما ذكروه ليس نسخا.. فالصدقة التي دعي المؤمنون إلى تقديمها بين يدى نجواهم غير محددة المقدار، ومن هنا كانت أى صدقة يقدمها المؤمن في هذا المقام مجزية له، ولوكانت شق تمرة.. وإذن فليس في هذه الصدقة ما يشق على المؤمنين، حتى يجيء الأمر بنسخ تقديم هذه الصدقة.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فليس ما جاءت به الآية من الأمر بتقديم الصدقة أمرا ملزما، يقع موقع الوجوب، بل هوأمر للندب والاستحباب، ولذلك علل له بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢].. ثم جاءت المجاوزة عنه عند عدم وجود الصدقة: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن قوله تعالى في الآية التي يقال إنها ناسخة: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُّ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَاللهُّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣]، ليس معنى كلمة الإشفاق هنا الضن بالمال الذي ينفق في هذا الوجه، وإنما هوالخوف من ألا يجد المؤمنون ما يتصدقون به في كل وقت يلقون فيه رسول الله ﷺ.. وكثير منهم كان يلقى النبي

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٦)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٦)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٦)

ﷺ كل يوم مرات كثيرة؛ فهؤلاء يشق عليهم أن يحجبهم عن الرسول ﷺ حجاب في نهار أوليل، وكثيرا ما تكون الصدقة غير ممكنة لهم في كل حال.. فهم ـ والأمر كذلك ـ بين حالين: إما ألا يلتقوا بالرسول ﷺ حتى يقدموا بين يدى لقائهم صدقة، وفى هذا إعنات شديد لهم، وخاصة أن لقاءهم للنبي ﷺ يتكرر مرات في اليوم، وقد لا يكون بين يدي أحدهم ما يقدمه من صدقة، وإنه ليس بالذي يرضي نفوسهم أن يكون لقاؤهم للنبي ﷺ من غير تقديم صدقة، حيث يدخلون في حكم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢] فإن ذلك ـ وإن كان يبيح لهم لقاء النبي ﷺ ومناجاته من غير صدقة إلا أنه يضعهم في موضع لا يحبونه، ولا يرضونه لأنفسهم، إنهم يطلبون أن يكونوا على أحسن أحوالهم في لقائهم للنبي ﷺ.. ولكي يزول هذا الحرج من صدور الصحابة الذين لا يجدون الصدقة التي يقدمونها بين يدى مناجاتهم الرسول ﷺ جاء قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة: ١٣].. وجاء لفظ الصدقات جمعا، لا مفردا، وفى ذلك دليل على أن المراد بهذا، هم الصحابة الذين كانوا على لقاء دائم بالنبي ﷺ، ذلك اللقاء الذي يدعوهم إلى تقديم صدقات كل يوم، لا صدقة واحدة.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣] يشير إلى أن الذين لم يفعلوا، أي لم يستطيعوا تقديم الصدقة ـ لا ضنا بها، ولكن عجزا عنها ـ هؤلاء قد تاب الله عليهم، أي رحمهم، ورفع عنهم الحرج، وأفسح لهم الطريق إلى مناجاة النبي ﷺ من غير تقديم الصدقة التي عجزوا عنها.. فالتوبة هنا، معناها الرحمة، والقبول، والرضا، فهى توبة من الله سبحانه وتعالى عليهم، أي عود عليهم منه سبحانه وتعالى بفضله ورحمته.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٧)

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن قوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٣] هو جواب (إذ) التي تفيد مع الظرف معنى الشرط.. أي فإذ قد رحمكم الله، وعاد بفضله عليكم، ورفع عنكم الحرج في لقاء النبي من غير تقديم صدقة؛ فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الله ورسوله، فذلك هو شكركم لله سبحانه وتعالى على ما فضل به عليكم.. ففى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، ما يقربكم من الرسول، ويقيمكم أبدا على طهارة دائمة، أشبه بمن يمد يده بصدقات لا تنقطع أبدا.

قال آخر[2]: وبناء على هذا؛ فإنه ليس بين الآيتين نسخ، بل إن كلا الآيتين من المحكم، فكلاهما تتناولان أمرا واحدا، وتعالجان قضية واحدة، لا تتم أركانها إلا بهما معا.

قال أحد الحضور: وعينا كل هذا، وهو واضح جدا.. لكن ما تقولون فيما قيل من نسخ قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٠].. وبناء على ذلك فإنّ الآية الناسخة متقدّمة في الذكر على الآية المنسوخة[3].

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٨)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٤/ ٨٣٨)

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٥١)

قال أحد حفدة قتادة[1]: ما ذكروه ليس نسخا.. بل فيه دلالة على مقصد من مقاصد ذلك التعدد الخاص الذي أبيح لرسول الله ﷺ دون غيره، لأن فيه الكثير من مصالح الإسلام التشريعية والسياسيّة، ومصالح المسلمين الاجتماعية، ومصالح أمّهات الأيامى الفردية، وكذلك مصالح ذوي قرباهنّ.

قال آخر[2]: فقد كانت تلك المصالح السبب في أن يحلّ الله له، بعد هجرته إلى المدينة، تعداد الزوجات وقبول الواهبات أنفسهنّ له، وكيف انتهت تلك المصالح بعد فتح مكّة وكانت في عصمته عندئذ تسع منهن فحبسه الله عليهن، وقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] ، ولم يكن ذلك قصرا له على العدد (التسع منهنّ) كي يحلّ له أن يطلّق بعضهنّ إذا شاء ويستبدل بهنّ غيرهنّ مهما بلغت إحداهنّ من الكهولة والعجز.

قال آخر[3]: وهذه حقيقة واضحة لمن درس أحوال الإسلام التشريعية والسياسية يومذاك، وأحوال المسلمين الاجتماعية وأحوال أمّهات المؤمنين الفردية وأحوال من وهبت له نفسها منهنّ، وما عامل بعضهنّ النبيّ ﷺ حين زوّجها بأحدهم بمهر قدره تعليمها ما حفظ من القرآن، لأنّه كان معدما.

قال آخر[4]: وأمر النبي ﷺ بالوقوف عند هذا الحد من التزوج بالنساء، هو فى الواقع تخفيف عنه، ورفع للحرج الذي يجده من حمل نفسه على التزوج ممن يهبن أنفسهن له، وهن كثيرات، طامعات في رضا الله بالقرب من الرسول ﷺ والعمل على مرضاته.. وكذلك الشأن فيمن هن قريبات له، وتعرض لهن ظروف قاسية، تدعو النبي ﷺ إلى موساتهن

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٣١٣.

(٢) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٣١٣.

(٣) القرآن الكريم وروايات المدرستين: ٢/ ٣١٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٧٤١)

بضمهن إليه، كمن يستشهد أزواجهن فى سبيل الله.. فهذا لا شك تخفيف عن النبي ﷺ، ودفع للحرج، بهذا الأمر الذي لا يجعل له سبيلا إلى التزوج بمن تهب نفسها له، أو بمن تدعو الحال بضمها إليه، وتزوجه منها، من بنات عمه أو بنات عماته، أو بنات خاله أو بنات خالاته..

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآية تحتمل وجها آخر يبعدها عن النسخ، وهو أن المحذوف المضاف إليه ﴿بعد﴾ قيد لتلك الأصناف الأربعة التي أحلها الله للنبى ﷺ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وبذلك يكون المعنى (لا يحل لك التزوج من النساء بعد هذه الأصناف الأربعة)، ويكون المراد بالبعدية البعدية الوصفية لا الزمانية، أي لا يحل لك غير هذه الأصناف الأربعة التي عرفت صفاتها، وهذا من شأنه أن يبيح للنبى ﷺ أن يتزوج غير نسائه التسع اللاتي كن معه، عند نزول هذه الآية، ولكن ذلك التزوج محصور في صنفين من النساء، هما بنات عم النبى ﷺ، وبنات عماته، وبنات خاله، وبنات خالاته، اللاتي هاجرن معه، أي كن من المهاجرات، لا بمعنى أنهن صحبنه في هجرته.. أو أي امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبى ﷺ.. أما غير ذلك من النساء فلا يحل له التزوج منهن.

آيات التدرج واللطف:

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في الآيات التي وردت في الخمر؛ فهي واضحة الدلالة في النسخ.. وهل يمكن لأحد أن يدعي أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] غير منسوخ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١١/ ٧٤٠)

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]

قال أحد حفدة قتادة: نحن نعتقد أن الآية التي قرأتموها غير منسوخة، بل حكمها دائم إلى يوم القيامة.

قاطعه بعض الحضور، وقال: فأنتم إذن تعتقدون أن تحريم الخمر مرتبط بأوقات الصلاة فقط؟

قال أحد حفدة قتادة: معاذ الله أن نعتقد ذلك.. لأننا بذلك سنعطل الآية الثانية التي تحرم الخمر تحريما مطلقا، ومثلها سنعطل الأحاديث الكثيرة التي تتوعد بالعقاب الشديد كل شارب للخمر، ولو لقطرة منها.

قال أحد الحضور: فأنتم إذن تقولون بالنسخ.. فالآية الثانية نسخت الأولى؟

قال أحد حفدة قتادة[١]: اصبر علينا، وسنجيبك؛ فلا يصح أن تتهم أحدا بقول من غير أن تسمع كل تفاصيله وأدلته.. أنتم تعلمون أنه جاء ذكر (الخمر) إشارة أو تصريحا في مواضع متعددة من القرآن، وفى كل آية نرى حديثا يختلف عما تضمنته الآيات الأخرى، وذلك في صدد تحريمها.

قال آخر[٢]: وأنتم تعلمون أن العلماء القائلين بالنسخ بين هذه الآيات يبررون بذلك بأن المقصد هو التلطف في الدخول على النفوس دخولا مترفقا، في تحريم أمور كانت ذات ارتباط وثيق بها، وسلطان قاهر لها.. وفى انخلاع النفس عنها جملة، ما لا يؤمن معه سلامة النفس، أو تقبلها لهذه الأوامر إذا هي حملت عليها دفعة واحدة، على هذا الوجه المفاجئ، فقد تخور كثير من النفوس، وقد تتصدع وتنحل، إذا هي واجهت الأمر مرة واحدة دون إعداد وتمهيد.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٠)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٠)

قال آخر[1]: وهم يذكرون لذلك أن أول إشارة إلى تحريم الخمر تلك التي تضعها وضعا غير كريم بين النعم التي أنعم الله بها على عباده، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]؛ فالرزق الحسن الذي يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب، ليس منه السكر الذي يتخذ من هذه الثمرات.. وإلا لكان قد وصف بأنه سكر حسن، كما وصف الرزق بأنه رزق حسن.. وفى هذا ما يفتح للكثير من ذوى البصائر سبيلا إلى العزوف عن هذا السكر وتجنبه، إذ كان رزقا غير حسن.

قال آخر[2]: وهم يذكرون لذلك أن الآية الثانية بعد هذا، وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] فيها تشنيع على الخمر، وتقبيح لها؛ فقد قرنت الخمر إلى الميسر، وجعلتهما في مقود واحد، إذ كانا من فصيلة الشر والفساد على السواء.. ومن تدبير القرآن الكريم في هذا أنه لم يغفل الوجه الآخر لهذه المنكرات؛ فكل شيء وإن بلغ ما بلغ من السوء، له جانب آخر غير سيىء.. إذ ليس هناك شر خالص، أوخير محض، فيما يدور في دنيا الناس، وفيما يتقلبون فيه؛ فلم ينكر القرآن هذه الحقيقة الواقعة، وهى أن للخمر والميسر منافع من بعض الوجوه، وعند بعض الناس، ولكن هذه المنافع ليست شيئا إذا هي قيست إلى جانب الإثم والشر اللذان ينجمان منهما؛ فإذا ربح إنسان من الميسر مرة، فإن خسائره المحققة آخر الأمر أضعاف ما ربح، وإذا كان للخمر عند شاربها لذة أونشوة في أول عهده بها، فإنها تنتهى به إلى تدمير كامل، لقواه العقلية والجسدية والنفسية، إن لم يكن في جميع الأحوال ففى غير قليل منها.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٠)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥١)

قال آخر[1]: وهم يذكرون لذلك أنه بعد تلك الآيات نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا﴾ [النساء: ٤٣]، وفيها إشارة أوضح وأصرح من سابقتها في التحذير من الخمر.. فقد حرمت هذه الآية على المسلم أن يدخل في الصلاة وهوفى حال سكر، لا يعلم معها ما يقول.. والصلاة تتكرر في اليوم خمس مرات، في أوقات متفاوتة، تكاد تجعل الليل والنهار قسمة بينها، وهيهات أن يشرب شارب الخمر عقب صلاة من الصلوات، ثم تدركه الصلاة التالية، وقد صحا من خماره، أوأفاق من سكره.. ولذلك فهم الكثير من المسلمين منها الدعوة إلى تجنب الخمر، وألا يقربوها بحال، على حين ظل بعضهم يلقاها بين الحين والحين، وفى حذر وإشفاق.

قال آخر[2]: وهم يذكرون لذلك أنه بعد كل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].. وبهذا جاء الحكم القاطع في تحريم الخمر؛ فأصبحت محرمة على كل مسلم، وفي كل الأزمنة.

قال أحد الحضور: وبذلك؛ فإن كل الآيات التي تحدثت عن الخمر سابقا نُسخت بهاتين الآيتين اللتين جاءتا صريحتين قاطعتين بتحريم الخمر.

قال أحد حفدة قتادة: لا.. ليس بالضرورة، لأن القول بالنسخ يجعل جميع الآيات السابقة معطلة، والقرآن الكريم كله محكم لا يصح تعطيله..

قال أحد الحضور: فكيف يمكن التوفيق بين هذه الأحكام المختلفة، في أمر واحد.. فالخمر في آية: رزق غير حسن.. وفي آية أخرى: إثم ونفع، وإثمها أكبر من نفعها.. وفي آية

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٢)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٢)

أخرى: محرمة.. إذا دخل بها شاربها الصلاة وقد سكر منها.. وفي آية أخرى: محرمة حرمة مطلقة من كل قيد.. فأى هذه الآيات، أو أحكام هذه الآيات يلزم المسلمين العمل، والوقوف عنده؟

قال أحد حفدة قتادة[1]: قبل الإجابة على هذا السؤال، نريد أن نسألكم من خلال معرفتكم بالواقع.. هل من شأن النهى القاطع الملزم الذي جاءت به آخر آية في تحريم الخمر أن يحول بين المسلم وبين أن يشرب الخمر؟.. أوبمعنى آخر هل في هذا النهى من القوى الذاتية ما يعصم المسلمين جميعا من شرب الخمر أويحميهم جميعا ـ فردا فردا ـ من الضعف النفسي إزاءها؟

قال أحد الحضور[2]: إن شئت الصدق.. فالواقع يدل على عدم التزام الناس بالأوامر الإلهية وفي جميع الأديان، التزاما كاملا، فما أكثر الذين يخرجون عن تلك الأوامر والنواهي، فلا يأتون منها ما أمر الله به، ولا ينتهون عما نهى الله عنه.. فالأديان تنهى عن الكذب، وكثير من أتباع هذه الأديان يكذبون.. والأديان تنهى عن الظلم، وكثير من أتباع هذه الأديان يظلمون.. والأديان تنهى عن السرقة وكثير من أتباع هذه الأديان يسرقون.. وهكذا الشأن في كل ما تأمر به الأديان أوتنهى عنه، لا يستقيم الناس أبدا على أوامرها ونواهيها استقامة مطلقة، تحتوى الناس جميعا.. والأديان تعلم هذا مقدما، ولهذا تفرض عقوبات دنيوية وأخروية، للمخالفات التي تقع من أتباعها.. ولذلك رصد الشارع العقوبة الرادعة لمن يشرب الخمر، ولا ينتهى عما نهى الله عنه منها.

قال أحد حفدة قتادة: فما حكم من يشرب الخمر.. وهل يخرجه ذلك من الإسلام؟

قال أحد الحضور: لا.. هو آثم، يستحق العقوبة الرادعة في الدنيا.. لكنه مع ذلك

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٣)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٣)

مسلم آثم عاق.

قال أحد حفدة قتادة[1]: إذن، فقد يشرب المسلم الخمر، يشربها ويدمغ بالإثم والعصيان، ولكن على أي حال هومسلم، لا تسقط عنه الواجبات المفروضة على المسلم، ومن بينها الصلاة.. وليس من حائل يحول بينه وبين الصلاة في هذه الحال، إلا أن يكون في حال سكر، لا يدرى معها ما يقول.. وهنا نجد الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] عاملة غير معطلة، فهى تفرض حكمها على من خالف ما نهى الله عنه من أمر الخمر فشربها حتى سكر، وهو ألا يقرب الصلاة حتى يصحومن سكره، ويعلم ما يقول.. وهي بذلك تشير إلى أن إثمه في حال تخلفه عن ذلك يكون قد ارتكب جريمتين، الأولى: عدم اجتنابه للخمر مطلقا.. ثم عدم اجتنابه لها في الصلاة خصوصا.

قال آخر: وبذلك؛ فإن الآية الكريمة التي تنهى عن السكر وقت الصلاة عاملة مطلقا، وهي تشير إلى أن إثم السكر حينها أعظم.

قال آخر: وبذلك فإن التدرج الذي ذكره القائلون بالنسخ غير معطل، وغير مرتبط بزمان النزول فقط.. بل هو شامل لكل الأزمنة.. ذلك أن الذي لم يستطع أن يلبي النهي عن الخمر المطلق، واكتفى بتلبية اجتنابها وقت الصلاة، قد يؤديه ذلك إلى تركها مطلقا، عندما تؤدي فيه الصلاة دورها التربوي، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قال آخر: وبذلك؛ فإن الداعية والناصح المسلم إذا بذل جهده في بيان حرمة الخمر؛ فلم يستجب له بعضهم؛ فإن الحكمة تدعوه إلى استعمال هذا الأسلوب القرآني؛ فيقول لمن

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٤)

أصر على شربها: لا بأس.. ولكن إياك ـ وأنت تخالف الأمر الإلهي بالتحريم المطلق ـ أن تخالفه أيضا في التحريم المقيد، والمرتبط بأوقات الصلاة.. فتجمع بين الإثمين.

قال أحد الحضور: لا بأس.. قد نوافقكم في هذا.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧] وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]

قال أحد حفدة قتادة[1]: هاتان الآيتان تعرضان بالخمر، وتشنعان عليها، وتضعانها موضعا غير كريم، وتزنانها بميزان يقل فيه خيرها ويكثر فيه شرها.. فهى رزق.. ولكنها رزق غير حسن.. وهى نفع.. ولكن إثمها أكبر من نفعها.. وهى رجس.. ولكن بعض الناس يلطخ نفسه بهذا الرجس.. فجميع هذه الأوصاف هي للخمر، وهى أوصاف خسيسة كلها، ولكنها درجات في الخسة من حيث النظرة التي ينظر بها إليها، وهى على جميع مواقع النظر موسومة بسمة القبح والإثم والرجس، وتلك الأوصاف ملازمة لها، لا تنفصل عنها أبدا.

قال آخر: إذن فالآيات الأربع الواردة في شأن الخمر، لا تعارض بينها، ولا نسخ، بل كلها عاملة، تعطى الوصف المناسب لها، كما تعطى الحكم المناسب أيضا.

قال أحد الحضور[2]: لا بأس.. قد نوافقكم في هذا.. لكن ما تقولون في الآيات التي نزلت في شأن الربا، حيث جاءت متدرجة على مراحل، على نحوما جاءت عليه آيات الخمر.. فأول ما نزل في شأن الربا قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].. وفى

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٥)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٦)

هذا تحريم للربا، وتشنيع عليه، وكشف لوجه كريه من وجوهه.. ثم نزل بعد هذا قوله تعالى في شأن اليهود المتعاملين بالربا، المستحلين له: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦١].. وهذه الإشارة والإشارة التي قبلها تدعوان كثيرا من المسلمين إلى أن يحذروا هذا النوع من المعاملات، وأن ينفروا منه، وإن لم يكن قد حرم عليهم بعد.. ثم نزل بعد هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].. والنهى هنا ليس نهيا قاطعا في تحريم الربا تحريما مطلقا، وإنما وقع تحريمه في صورة خاصة، وهى أن يكون أضعافا مضاعفة.. ثم بعد كل هذا جاء الحكم النهائي المرتبط بالربا، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].. وبهذا كان الحسم والقطع في تحريم الربا.

قال أحد حفدة قتادة[١]: القول فيها نفس ما قيل في تحريم الخمر، لأن النسخ هو إزالة حكم شرعي بحكم آخر شرعي.. والخمر والربا لم يكن قد جاء فيهما حكم شرعي بحلهما، ثم جاء حكم شرعي آخر بتحريمهما؛ فيكون الحكم الثاني ناسخا للحكم الأول، وإنما هما مما كانا للعرب في الجاهلية، ثم جاء الإسلام فوجدهما على ما هما عليه فحرمهما.. وقد ظلت الخمر غير محرمة إلى صلح الحديبية، حيث جاء القرآن إذاك بتحريمها.. وكذلك الربا، لم يحرم تحريما قاطعا إلا قبيل وفاة النبي ﷺ.

قال آخر: بالإضافة إلى ذلك؛ فإننا يمكن أن نطبق عليها نفس ما ذكرناه في آيات

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٧)

الخمر؛ فالذي لم يلتزم بالتحريم المطلق للربا، يدعى وينبه إلى عدم المبالغة في الفوائد الربوية.. ذلك أن الذي يفعل ذلك يكون قد عطل آيتين، لا آية واحدة.. آية التحريم المطلق للربا.. وآية تحريم أكل الربا أضعافا مضاعفة.. ذلك أن الجرائم تختلف بحسب شدتها؛ فالذي يأكل ربا محدودا، يختلف جرمه عن الذي أكل الربا مضاعفا، مثل اختلاف من ارتكب جريمة الجرح عن ذاك الذي ارتكب جريمة القتل.

آيات البر والصلة:

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، فعن قتادة عن سعيد بن المسيب، أنه قال: إنها منسوخة كانت قبل الفرائض، كان ما ترك الرجل من مال أعطى منه اليتيم والمسكين وذوي القربى إذا حضروا القسمة، ثم نسخ ذلك بعد ذلك بالمواريث[١].

قال أحد حفدة قتادة: أول ما يدلكم على أنها غير منسوخة قول ابن عباس: (والله ما نسخت هذه الآية، ولكنه مما تهاون به الناس، أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصية، فإن لم تكن وصية وصلوا إليهم من مواريثهم)[٢].. ومثله قال أبو بصير: سألت الإمام الباقر عن هذه الآية: أ منسوخة هي؟ قال: لا، اذا حضروك فأعطهم[٣].

قال آخر[٤]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآية نزلت بعد قانون تقسيم الإرث حتما إذ تقول: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

---

(١) الناسخ والمنسوخ لقتادة (ص٣٨)

(٢) الدر المنثور: ٢/ ١١٣.

(٣) تفسير العياشي: ١/ ٢٢٢.

(٤) الأمثل، (٣/ ١١٦)

مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، وعلى هذا الأساس يتضمن محتواها حكما أخلاقيا استحبابيا في شأن طبقات محجوبة عن الإرث بسبب وجود طبقات أقرب منها إلى المورث، فالآية تقول: إذا حضر مجلس تقسيم الإرث جماعة من الأقرباء من الطبقة الثانية والثالثة، وكذا بعض اليتامى والمساكين فارزقوهم من الإرث، وبهذا تكونون قد منعتم من تحرك شعور الحسد والبغضاء لدى من يمكن أن يثور لديهم ذلك الشعور بسبب حرمانهم من الإرث، ولا شك أن هذا العمل من شأنه أن يقوي أواصر القرابة الإنسانية بينكم.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كلمتي (اليتامى) و(المساكين)، وإن ذكرتا بنحو مطلق في هذه الآية، غير أن الظاهر هو أن المراد منهما هم اليتامى والمساكين من قربى الميت، لأن الأقرب يحجب ـ في قانون الإرث ـ الأبعد من الإرث، وعلى هذا فلو حضر أحد من هذه الطبقات قسمة الميراث فإنه ينبغي أن يعطي الورثة له شيئا من الميراث هدية يتوقف مقدارها على إرادة الوراث على أن يكون ذلك من مال الورثة الكبار دون الصغار.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الظاهر من الآية أنها تتضمن حكما استحبابيا، لأنه لو كان الأمر فيها على نحو الوجوب، لوجب تعيين وتحديد مايلزم أعطاؤه لهاتين الطائفتين، في حين ترك الأمر فيه إلى إرادة الورثة.

قال آخر[3]: بالإضافة إلى ذلك؛ فإن الآية الكريمة ختمت بقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، أي أنه مضافا إلى تقديم مساعدة مادية إلى هؤلاء اشفعوا ذلك بموقف أخلاقي، واستفيدوا من المعين الإنساني لكسب مودتهم، وحتى لا يبقى في قلوبهم أي شعور عدائي تجاهكم، وهذا علامة أخرى على أن الأمر بإعطاء شيء من الميراث إلى

---

(١) الأمثل، (٣/ ١١٧)

(٢) الأمثل، (٣/ ١١٧)

(٣) الأمثل، (٣/ ١١٧)

اليتامى والمساكين إنما هو على نحو الندب لا الوجوب.

قال آخر[1]: وبذلك كله؛ فإنه لا مبرر أبدا لأن يقال أن الحكم المذكور في هذه الآية منسوخ بالآيات التي تعين السهام في الإرث، لعدم وجود أية منافاة وتعارض بين هذه الآية وتلك الآيات المحددة للأسهم.

قال آخر[2]: وبذلك يتبين أن القول ينسخ هذه الآية يسد على الفقراء والمساكين واليتامى بابا من أبواب الرحمة، أراد الله سبحانه أن يفتحه عليهم، كما أنه يقطع آصرة المودة بين ذوى القربى، التي أمر الله بها أن توصل.

قال آخر[3]: كما أن القول بالنسخ يعطل هذا التدبير الإلهي الحكيم.. فالميراث الذي يتركه الميت لورثته هوخير غير مرتقب، قد شمل أعدادا من الناس بحكم قرابتهم لهذا الوارث.. وهناك عيون كثيرة تتطلع إلى هذا الخير، وتتبع مواقعه التي وقع فيها، وخاصة ذوى القربى الذين لا نصيب لهم بين الورثة، وكذلك من يشهد قسمة هذا الميراث من فقراء ومساكين، لهم بالمورث صلة جوار أومعرفة.. إن هؤلاء وأولئك يرون مائدة ممدودة حافلة بأنواع الطعام، وهم جياع يسيل لعابهم إلى القمة مما عليها.. هذا هوالموقف، كما يراه القرآن، وكما تشهده الحياة.. فماذا لوذهب الورثة بكل هذا الميراث؟ ثم لم يكن لذوى قرابتهم المحرومين منه، نصيب؟ ولم يكن للفقراء والمساكين الذين تتلمظ شفاههم إلى نفحة منه شيء؟ ماذا يكون؟.. أحقاد وأضغان، وعداوات، تثير السخط والنقمة، وتذهب بالإخاء والمودة بين الناس.

قال آخر[4]: ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨].. أي إذا كانت

---

(١) الأمثل، (٣/ ١١٧)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٨)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٨)

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٥٩)

القسمة بمحضر منهم، وبمشهد وعلم.. فهذا الحضور شرط في أن يرزق هؤلاء الحاضرون من هذا الخير الذي شهدوه، ورأوا الأيدى تمتد إليه وتنال منه.. وفي هذا دعوة إلى التضامن الاجتماعى، وحراسة المجتمع الإنسانى من أن تدخل عليه آفات التباغض والتحاسد، التي هي أفتك الأدواء في تقويض الجماعات والأمم.

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَّ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، فقد قيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢] [١]

قال أحد حفدة قتادة[٢]: من الغريب أن يقال بنسخ هذه الآية، وهي تهدف إلى إثارة مشاعر العطف والإشفاق لدى الناس بالنسبة إلى اليتامى، وإلى حقيقة يغفل عنها الناس أحيانا، وتلك الحقيقة هي: إن على الإنسان أن يعامل يتامى الآخرين كما يحب أن يعامل الناس يتاماه.

قال آخر[٣]: وكأن الآية الكريمة تقول: تصوروا مشهد أطفال فقدوا آباءهم وأمهاتهم يعيشون تحت كفالة شخص قاسي القلب خائن لا يرعى مشاعرهم، كما لا يراعي جانب العدالة في حقهم.. تصوروا هذا المشهد المؤلم، كم يؤلمكم ويحزنكم ذلك؟ هل تحبون مثل ذلك لأبنائكم الصغار من بعدكم؟.. كلا حتما، فكما تحبون ورثتكم فأحبوا ورثة غيركم ويتاماهم، واحزنوا لما يحزنهم، وعلى هذا يكون مفهوم الآية هو أن الذين يخافون على مستقبل أولادهم الصغار عليهم أن يخافوا مغبة الخيانة في شؤون اليتامى ويخافوا مغبة

---

(١) ناسخ القرآن ومنسوخه (٢/ ٣٥١)

(٢) الأمثل، (٣/ ١١٨)

(٣) الأمثل، (٣/ ١١٨)

إيذائهم.

قال آخر[1]: وفي ذلك إشارة إلى أن القضايا الاجتماعية تنتقل في شكل سنة من السنن، من اليوم إلى الغد، ومن الغد إلى المستقبل البعيد؛ فالذين يروجون في المجامع سنة ظالمة مثل إيذاء اليتامى فإن ذلك سيكون سببا لسريان هذه السنة على أولادهم أيضا، وعلى هذا لا يكون مثل هذا الشخص قد آذى يتامى الآخرين وورثتهم فقط، بل فتح باب الظلم على أولاده ويتاماه أيضا.. لهذا وجب أن يتجنب أولياء اليتامى مخالفة الأحكام الإلهية، ويتقوا الله في اليتامى، ويقولوا لهم قولا عدلا موافقا للشرع والحق، قولا ممزوجا بالعواطف الإنسانية والمشاعر الأخوية، لكي يندمل بذلك ما في قلوب أولئك من الجراح، وينجبر ما في أفئدتهم من الكسر، وإلى هذا يشير قوله سبحانه: ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]).

قال آخر[2]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن في التعليمات الواردة في الآية الكريمة ـ والتي يريد البعض تعطيلها ـ إشارة إلى ناحية نفسية في مجال تربية التيامى ـ جديرة بالإهتمام والرعاية ـ وهي أن حاجة الطفل اليتيم لا تنحصر في الطعام والكساء، بل مراعاة مشاعرهم وأحاسيسهم القلبية هو الأهم، وهو ذو تأثير كبير جدا في بناء مستقبلهم، لأن الطفل اليتيم إنسان كغيره، يجب أن يحصل على غذائه اللازم من الناحية العاطفية، فيجب أن يحظى بالحنو والرعاية كما يحظى بذلك أي طفل آخر في حضن أبيه وأمه.

قال أحد الحضور: ولكن مع ذلك؛ فإن ما ذكرتموه يثير إشكالات أخرى.. لا تقل خطرا.. فكيف يحمل الله تعالى جزاء شخص على شخص آخر؟.. وماذا فعل أبناء العاصي حتى يبتلوا بمن يظلمهم، ويتحملوا وزر ما جناه والدهم؟

---

(١) الأمثل، (٣/ ١١٩)

(٢) الأمثل، (٣/ ١١٩)

قال أحد حفدة قتادة[1]: لقد ذكرني سؤالك هذا بما روي عن بعضهم أنه سأل الإمام الصادق، عن قوله: (من ظلم سلط الله عليه من يظلمه، أو على عقبه، أو على عقب عقبه)، فقرأ قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، وهو يشير إلى أن ما يرتكبه الأشخاص في المجتمع من أعمال تتخذ شكل السنن شيئا فشيئا، ثم تنتقل بعدها إلى الأجيال اللاحقة، وعلى هذا الأساس فإن الذين يظلمون اليتامى في المجتمع، ويرسون قواعد هذا السلوك الظالم سيصاب أبناؤهم بلهيب هذه البدعة يوما ما أيضا، ويعد هذا في الحقيقة أحد الآثار الوضعية التكوينية لمثل هذا العمل، وأما نسبته إلى الله فهي لأجل أن جميع الآثار التكوينية وكل خواص العلة والمعلول منسوبة إلى الله ومستندة إليه تعالى، ولا يظلم ربك أحدا أبدا.

قال أحد الحضور: بوركتم.. ولعل هذا ما يشير إليه قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا)[2]

قال آخر: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]؛ فقد قيل: إن الله عز وجل لما أوجب النار لآكل أموال اليتامى، أحجم المسلمون عن كل شيء من أمرهم حتى مخالطتهم كراهية الحرج فيها؛ فنسخ الله عز وجل ذلك بالإذن في المخالطة والإذن في الإصابة من أموالهم بالمعروف إذا كانت لوالى تلك الأموال الحاجة إليها.. وقد روي عن ابن عباس في ذلك قوله: إن الله لما أنزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا

---

(١) الأمثل، (٣/ ١٢٠)

(٢) رواه مسلم برقم (١٠١٧)

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] كره المسلمون أن يضموا اليتامى إليهم وتحرجوا أن يخالطوهم في شيء، وسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أي لو شاء لأحرجكم وضيق عليكم، ولكنه وسع ويسر، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف[١].

قال أحد حفدة قتادة[٢]: لا تنافي بين تحريم أكل مال اليتيم ظلما وجواز أكله بالمعروف إزاء ما يقوم به من خدمات.. فلا مبرر للقول بالنسخ هنا، بل الآية الأولى باقية على أحكامها كالآية الثانية.

قال آخر[٣]: ولعل من ذكر النسخ، ونسبه إلى ابن عباس، اشتبهت عليه هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، فقد روي أنه لما نزلت كره المسلمون مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا الى رسول اللهّ ﷺ فأنزل اللهّ تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].. و ليس هذا أيضا من النسخ المصطلح عليه، والذي يعني تعطيل الآية، وإنما جاءت الآية الثانية لبيان جوانب الرخصة من مخالطة اليتامى، ليكون النهى فى الأولى موجها إلى أولئك الطامعين في أموال الصغار، أما مريد الإصلاح فهو محسن لا ملامة عليه، ولم يشمله ذلك التحريم أصلا، فهو ترخيص فى مقام توهم الحظر، لا أنها إجازة بعد تحريم.

---

(١) رواه الطبري: ٤ / ٣٥٢، ٣٥٩.

(٢) التمهيد: ٢/ ٣٣٢.

(٣) التمهيد: ٢/ ٣٣٢.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى أن القول بنسخ تلك الآية الكريمة سيعطل الكثير من المعاني العظيمة الواردة فيها.. وأولها أن هذه الآية تشير إلى أن لأعمالنا مضافا إلى وجهها الظاهري وجها واقعيا أيضا، وجها مستورا عنا في هذه الدنيا، لا نراه بعيوننا هنا، ولكنه يظهر في العالم الآخر، وهذا الأمر هو ما يشكل مسألة تجسم الأعمال.. فالقرآن الكريم يصرح في هذه الآية بأن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وجورا، وإن كان الوجه الظاهري لفعلهم هذا هو الأكل من الأطعمة اللذيذة الملونة، ولكن الوجه الواقعي لهذه الأغذية هو النار المحرقة الملتهبة، وهذا الوجه هو الذي يظهر ويتجلى على حقيقته في عالم الآخرة، وبين الوجه الواقعي للعمل والكيفية الظاهرية للعمل تناسبا وتشابها دائما، فكما أن أكل مال اليتيم وغصب حقوقه يحرق فؤاد اليتيم، ويؤذي روحه، فكذا يكون الوجه الواقعي للعمل نارا محرقة.

قال آخر: والانتباه إلى هذا الأمر.. أي الوجه الحقيقي الواقعي لكل عمل.. خير رادع للذين يؤمنون بهذه الحقائق، كي لا يرتكبوا المعاصي، ولا يقترفوا الذنوب، فهل يوجد ثمة من يحب أن يأخذ بيديه قبسات من النار، ويضعها في فمه ويبتلعها؟

قال آخر[2]: بالإضافة إلى هذه الآية وغيرها ـ وخصوصا من هذه السورة ـ نزلت لبناء مجتمع صالح وسليم، ولهذا تسعى كل آية منها إلى تطهير المجتمع من الرواسب الجاهلية، وما تبقى في نفوس المسلمين منها ـ سواء في عهد رسول الله ﷺ أو غيره من العهود؛ فالجاهلية ليست مرتبطة بزمن دون زمن ـ لتتهيأ الأرضية لإقامة ذلك المجتمع الصالح المنشود.. وأية عادة ترى أقبح من أكل أموال اليتامى؟ ولهذا إبتدأت هذه السورة بعبارات شديدة النكير على من يتصرف في أموال اليتامى تصرفا غير مشروع، وغير

(1) الأمثل، (3/ 122)

(2) الأمثل، (3/ 121)

صحيح، والآية التي قيل بنسخها هي أوضح تلك الآيات وأشدها في النهي والزجر.. والقول بنسخها تعطيل للمقاصد الإلهية المرتبطة بها.

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣] ، فعن مجاهد قال: (كان حلف فى الجاهلية فأمروا أن يعطوهم نصيبهم من المشورة والعقل والنصر ولا ميراث) [١]، وقال عبد الله بن الزبير: (نزلت هذه الآية في العصبات كان الرجل يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك فنزلت: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦])[٢]

قال أحد حفدة قتادة[٣]: ليس في القرآن الكريم ما يعارضها حتى نقول بنسخها، وما ورد في الروايات أقل من أن يقوم بذلك، بالإضافة إلى أن من الفقهاء من لا يزال يقول بتفعيل الآية، وقد قال فيها الشيخ محمد أبو زهرة: (وقال الحنفية ومعهم بعض الفقهاء: إن حكمها ما زال باقيا لم ينسخ، وهذا ما نميل إليه، ونحن بهذا نخالف ما نسب إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده (وهو أن المراد الأزواج؛ لأن سبب الميراث هو عقد الزواج والقرابة)، ونخالف من ادعوا النسخ، ووجهتنا في الأول أن القرآن الكريم لم يعبر عن أحد الزوجين بمن عقدت أيمانكم، لأن الحياة الزوجية ليست العلاقة فيها مجرد تعاقد بين الرجل والمرأة، بل هي بعد استقرارها تكون ازدواجا نفسيا.. وأما وجهتنا في عدم نسخ الميراث بالولاء، فهي أنه لا يوجد دليل ناسخ، وما وجد من السنة هو ظني أولا، والظني لا ينسخ القطعي، وقد ورد في نسخ الإخاء، وقد حلت القرابة محل الإخاء، والميراث بالولاء لا يتعارض مع

---

(١) رواه الطبري في تفسير الطبري: ٨ / ٢٧٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (١/ ٢٢٥)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٧٧)

الميراث بالقرابة؛ لأنه يكون إذا لم يكن الشخص أحد من الأقارب قط، وبذلك لا يكون للولاء قوة القرابة، ولكن تكون له قوة الوصية التي تتأخر عن القرابة والزوجية، وإن أقصى ما يدل عليه عقد الولاء أن يقدم على بيت المال، وهو مؤخر عن الوصايا الصريحة إذا كانت لا تزيد على الثلث، وبذلك تكون النصرة الخاصة مقدمة على النصرة العامة؛ إذ عقد الولاء سبب للنصرة الخاصة والأمة هي النصير العام، وإن بيت المال يأخذ المال الضائع، وما دام قد جعل المال لواحد من بعده فإنه لا يعد ضائعا)[1]

قال آخر: وإلى مثله ذهب الشيخ عبد الكريم الخطيب، فقد قال: (بين الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة ما للعامل من حق في أن يجنى ثمرة عمله، وأن ينعم بنصيبه منها، بعد أن يؤدى ما لله وما للعباد عليها من حقوق، وذلك ليستحث الذين لا يعملون على العمل، وعلى ألا ينظروا إلى ما في يد العاملين من ثمرات أعمالهم.. ولم يقف القرآن الكريم عند هذا، من إقرار حق العامل في ثمرة عمله، بل جعل لقرابة هذا العامل، وذوى رحمه، متعلقا بهذه الثمرة، يرثونها بعد موته؛ فهم أولى الناس به، وهوأحرص الناس على نفعهم، وسوق الخير إليهم.. ولهذا جاء قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣] مقررا هذا الحق للورثة في قريبهم الذي ترك خيرا من بعده، والمعنى: ولكل من الرجال والنساء الذين أشار إليهم سبحانه وتعالى موالى ـ أي ورثة ـ يرثونهم، فيما خلفوا وراءهم من مال ومتاع، وهذا ما أشار إليه سبحانه في آيات المواريث.. والمولى يطلق على معان كثيرة، منها: القريب، والناصر، والمعين، والسيد، والعبد.. والمراد به هنا أقارب المرء وعصبته الذين يرثونه)[2]

ثم ذكر معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣] التي قيل بنسخها،

---

(١) زهرة التفاسير (٣/ ١٦٦٥)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٧٨)

فقال: (فيها إشارة إلى من تربطهم بالمرء رابطة غير رابطة القرابة والدم، ممن يتبناهم الإنسان، أويدخلهم في حياته مدخل الأهل والأقارب، إذ شد يمينه بهم، واحتسبهم بعضا منه في خيره وشره ـ هؤلاء قد يرون أن لهم حقا فيما ترك المورث، الذي كانوا منه، وكان منهم، وقد جاء صدر الآية الكريمة قاصرا ما ترك المورث على قرابته، وهم مواليه: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣] وفى هذا ما يصدم مشاعرهم، ويفجعهم في آمالهم، التي كانوا يعيشون بها مع هذا الذي عقدت أيمانهم معه.. ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: ٣٣]) (١)

ثم تساءل عن نوع نصيبهم وقد ذهب الورثة بالميراث كله؟، ثم أجاب بقوله: (إنهم لا بد أن يكون لهم نصيب فيما ترك صاحبهم.. وتقدير هذا النصيب متروك للورثة، يؤدونه لهم، على أي وجه، وعلى أية صورة! ليكن مالا يطيبون به خاطرهم.. أو ليكن مودة، وحبا، ومخالطة.. أو ليكن مناصرة، ومعاونة في الشدائد.. أو غير ذلك مما كان الميت يعاشرهم عليه ويؤثرهم به.. ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: ٣٣] خطابا للموالى، الذي ورثوا مال مورثهم، بأن يعطوا هؤلاء الذين أضافهم مورثهم إليه ـ شيئا مما كان يعود عليهم به هذا المورث، من مال، أومودة، أونحوهذا) (٢)

ثم شبه ما ورد في هذه الآية الكريمة بما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، ففى هذا تطييب لتلك النفوس التي حضرت القسمة.. وهؤلاء الذين خالطهم المورث واختلط بهم، هم ممن حضروا القسمة، فإن لم يحسبوا في حساب الورثة، فليكونوا في حساب ذوى القربى

(١) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٧٨)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٧٨)

ممن لا ميراث لهم)[1]

قال آخر: وإلى مثله ذهب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، فقد قال في تفسيرها: (يعود القرآن مرة أخرى إلى مسألة الإرث إذ يقول: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣] أي لكل رجل أو امرأة جعلنا ورثة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون الذي يجب أن يقسم بينهم طبق برنامج خاص.. إن هذه العبارة هي ـ في الحقيقة ـ خلاصة أحكام الإرث التي مر ذكرها في الآيات السابقة في مجال الأقرباء، وهي مقدمة لحكم سيأتي بيانه في ما بعد.. ثم إن الله تعالى يضيف قائلا: ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي ادفعوا إلى الذين عقدتم معهم عقدا نصيبهم من الإرث.. والتعبير عن الميثاق بعقد اليمين (وهو العقد باليد اليمنى) لأجل أن الإنسان غالبا ما يستفيد من يده اليمنى للقيام بأعماله، كما أن الميثاق يشبه نوعا من العقد (في مقابل الحل)[2]

ثم تساءل عن المراد بالذين عقد معهم الميثاق، والذين لابد أن يعطوا نصيبهم من الإرث، ثم أجاب على ذلك بقوله: (يحتمل بعض المفسرين أن المراد هو الزوج والزوجة لأنهما عقدا في ما بينهما رابطة الزوجية، ولكن هذا الإحتمال يبدو مستبعدا، لأن التعبير عن الزواج بعقد اليمين ونظيره في القرآن الكريم قليل جدا، هذا مضافا إلى أنه يعد تكرارا للمواضيع السابقة.. إن ما هو أقرب إلى مفهوم الآية هو عقد (ضمان الجريرة) الذي كان رائجا قبل الإسلام، وقد عدله الإسلام بعد أن أقره لما فيه من ناحية إيجابية وهو (أن يتعاقد شخصان فيما بينهما على أن يتعاونا فيما بينهما بشكل أخوي أن يعين أحدهما الآخر عند المشكلات، وإذا مات أحدهما قبل الآخر ورثه الباقي)، وقد أقر الإسلام هذا النوع من

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٧٩)

(٢) الأمثل، (٣/ ٢١٤)

التعاقد الأخوي الودي، ولكنه أكد على أن التوارث بسبب هذا الميثاق إنما يمكن إذا لم يكن هناك ورثة من طبقات الأقرباء، يعني إذا لم يبق أحد من الأقرباء ورث ضامن الجريرة الذي وقع بينه وبين الآخر مثل هذا العقد)[1]

قال آخر: وبذلك؛ فإن كل هذه الفهوم، ومن هؤلاء العلماء الكبار، ومن مختلف المدارس الإسلامية، يدل على تفعيل الآية الكريمة، ويغني عن القول بتعطيلها.

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فقد قيل في تفسيرها أن المسلمين كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، فنسخت بقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥][2]

قال أحد حفدة قتادة: ليس في الآية الكريمة ما يشير إلى ذلك، وبذلك فإن التطبيقات المرتبطة بزمن معين، لا تلغي غيرها من المعاني والتطبيقات.

قال آخر: وقد قال بهذا كل من يرى تفعيل جميع القرآن الكريم، ومنهم الشيخ عبد الكريم الخطيب الذي قال فيها: (وقد ذهب أكثر المفسرين أن الولاية هنا هي التوارث بينهم، وقالوا: إن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة، جاعلين نسب الإسلام بينهم، أولى من نسب القرابة.. ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].. وقد كان رأينا على غير هذا، وهوأن المراد بالولاية: التناصر، والتعاطف، وتلاحم المشاعر، في ظل الأخوة الإسلامية.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وفى هذا يقول الرسول الكريم: (مثل في توادهم

---

(١) الأمثل، (٣/ ٢١٤)

(٢) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (ص٣٨)

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوتداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]

قال آخر: ومنهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، فقد قال في تفسيرها: (تبحث هذه الآيات التي تختتم بها سورة الأنفال ـ وتعد آخر فصل من فصولها ـ عن طوائف المهاجرين والأنصار والطوائف الأخرى من المسلمين وبيان قيمة هؤلاء جميعا، فتعطي كل طائفة قيمة، وتستكمل ما تناولته الآيات السابقة في شأن الجهاد والمجاهدين.. وبتعبير آخر: إن هذه الآيات عالجت نظام المجتمع الإسلامي من حيث العلائق المختلفة، لأن خطة الحرب وخطة الصلح كسائر الخطط والمناهج العامة، لا يمكن أن يتم أي منها دون تكوين علاقة إجتماعية صحيحة، وأخذها بنظر الإعتبار.. وقد تناولت هذه الآيات خمس طوائف، أربع منها من المسلمين، وواحدة من غير المسلمين، والطوائف الأربع هي: المهاجرون السابقون.. والأنصار في المدينة.. والمؤمنون الذين لم يهاجروا.. والذين آمنوا من بعد وهاجروا)[2]

ثم ذكر المعاني الواردة في الآية الأولى، والتي قيل بنسخها، فقال: (أشير في هذا القسم من الآية إلى الطائفتين، الأولى والثانية [المهاجرون، والأنصار] أي الذين آمنوا في مكة ثم هاجروا منها إلى المدينة، والذين آمنوا في المدينة ثم آزروا النبيﷺ ونصروه ودافعوا عنه وعن المهاجرين، وقد وصفتهم الآية بأنهم بعضهم أولياء بعض، وبعضهم حماة بعض، والذي يسترعي النظر أن الآية وصفت الطائفة الأولى بأربع صفات هي: الإيمان، والهجرة والجهاد المالي والإقتصادي، وذلك عن طريق الإعراض عن أموالهم في مكة، وما بذلوه من أموال في غزوة بدر، والصفة الرابعة جهادهم بأنفسهم ودمائهم وأرواحهم.. أما الأنصار فقد

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٦٨٤)

(٢) الأمثل، (٥/ ٥٠٣)

وصفتهم الآية بصفتين هما: الإيواء، والنصرة.. وقد جعلت هذه الآية الجميع مسؤولين بعضهم عن بعض، ويتعهد كل بصاحبه بقولها (بعضهم أولياء بعض).. فهاتان الطائفتان ـ في الحقيقة ـ كانتا تمثلان مجموعتين متلازمتين لا يمكن لأحدهما الإستغناء عن الأخرى، إذ منهما يتكون نسيج المجتمع الإسلامي، فهما بمثابة المغزل والخيط) (١)

وبعد أن ذكر التفاصيل المرتبطة بالفئات المختلفة، قال: (تشير الآية في ختامها إلى ولاية الأرحام بعضهم لبعض، وأوليتها فيما جعله الله في عبادة من أحكام، فتقول: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].. وفي الحقيقة فإن الآيات السابقة تتكلم عن ولاية المؤمنين والمسلمين العامة (بعضهم إلى بعض) أما هذه الآية فتؤكد هذا الموضوع في شأن الأرحام والأقارب، فهم إضافة إلى ولاية الإيمان والهجرة يتمتعون بولاية الأرحام أيضا، ومن هنا فهم يرثون ويورثون بعضهم بعضا، إلا أنه لا إرث بين غيرهم من المؤمنين الذين لا علاقة قربى بينهم.. فبناء على ذلك فإن الآية الأخيرة لا تتكلم عن الإرث، بل تتكلم عن موضوع واسع من ضمنه موضوع الإرث) (٢)

ثم رد على ما ورد بشأن نسخها، فقال: (وإذا وجدنا في الروايات الإسلامية، وفي الكتب الفقهية، استدلالا بهذه الآية والآية المشابهة لها في سورة الأحزاب على الإرث، فلا يعني ذلك أن الآي الذي استدل به على الإرث منحصر بهذا الشأن فحسب، بل توضح قانونا كليا، والإرث جزء منه، ولهذا نجد أنه استدل بهذه الآية محل البحث على موضوع خلافة النبي ﷺ مع أنها غير داخلة في موضوع الإرث المالي.. واستدل بها على أولوية غسل الميت، كما صرحت به الروايات الإسلامية.. وبملاحظة ما ذكرناه آنفا يتضح أنه لا دليل على ما أصر عليه جماعة من المفسرين على انحصار هذه الآية بمسألة الإرث، وإذا أردنا أن

---

(١) الأمثل، (٥/ ٥٠٣)

(٢) الأمثل، (٥/ ٥٠٦)

نختار مثل هذا التفسير فإن السبيل الوحيد له أن نعده مستثنيا الإرث من الولاية المطلقة، التي بينتها الآيات السابقة لعامة المهاجرين والأنصار، فنقول: إن الآية الأخيرة تقول بأن ولاية المسلمين العامة بعضهم لبعض لا تشمل الإرث.. وأما الاحتمال بأن الآيات السابقة تشمل الإرث أيضا، ثم نسخت الآية الأخيرة هذا الحكم منها، فيبدو بعيدا جدا، لأن الترابط في المفهوم بين هذه الآيات جميعا من الناحية المعنوية، بل حتى التشابه اللفظي، كل ذلك يدل على أن الآيات نزلت معا في وقت واحد. وبهذا لا يمكن القول بالتناسخ بين هذه الآيات.. وعلى كل حال فإن التفسير الأكثر تناسبا لهذه الآيات هو ما بيناه آنفا)[1]

قال أحد الحضور: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. لكن ما تقولون في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، فقد روي أنها لما نزلت تحرج الرجل أن يأكل عند أحد من الناس، فنسخت بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١][2]

قال أحد حفدة قتادة: ليس هناك أي تعارض بين الآيتين حتى يقال بأن إحداهما منسوخة.. ولهذا قال ابن مسعود: (إنها محكمة ما نسخت ولن تنسخ الى يوم القيامة)

قال آخر[3]: في تلك الآية الكريمة التي يراد تعطيلها بالقول بنسخها إشارة إلى

---

(١) الأمثل، (٥/ ٥٠٧)

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٣)

(٣) الأمثل، (٣/ ٢٠٠)

القاعدة الأساسية للقوانين الإسلامية في مجال المسائل المتعلقة بالمعاملات والمبادلات المالية، ولهذا يستدل بها فقهاء الإسلام في جميع أبواب المعاملات والمبادلات المالية.. فهي تخاطب المؤمنين بقولها: ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، وهذا يعني أن أي تصرف في أموال الغير بدون حق أو بدون أي مبرر منطقي ومعقول، ممنوع ومحرم من وجهة نظر الإسلام، فقد أدرج الإسلام كل هذه الأمور تحت عنوان (الباطل) الذي له مفهوم واسع وكبير.. والباطل كما نعلم يقابل (الحق) وهو شامل لكل ما ليس بحق وكل ما لا هدف له ولا أساس.

قال آخر[١]: وفيها إشارة كذلك إلى أن المال مائدة ممدودة من الله سبحانه لعباده، يأكلون منها، وأن لكل إنسان حظه من هذا المال، وأن من وقع إلى يده قدر منه على حين خلت أيدى الجماعة التي حوله، أو قصرت عن أن تنال شيئا منه، كان واجبا عليه أن يعطى مما فى يده لمن حوله، إذ من غير المستساغ أن يأكل والناس المشتركون معه على المائدة، لا يأكلون.. وفى كلمة ﴿أموالكم﴾ المضافة إلى المؤمنين جميعا، وكلمة ﴿بينكم﴾ ما يشير إلى وحدة الملكية للمال، ووحدة الاجتماع فى المكان.. وفى هذا وذاك ما يجعل الوحدة الشعورية بالتكافل بين هذه الجماعة، أمرا واجبا، إن لم تقض به شريعة السماء، ولم يدع إليه دين الله، قضت به المروءة، ودعت إليه.. ومن تدبير القرآن الكريم فى هذا، أنه لم يجعل هذه المائدة المشاعة بين الناس قائمة على قانون مادى قهرى، إذ لا سبيل إلى قانون يحمى بنصوصه ومواده، العدوان والبغي، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، وإلا كان عليه أن يقيم وازعا من سلطانه على رأس كل إنسان.. يمسك بيده، ويدفع بغيه وعدوانه، وذلك أمر محال، وإنما جعل الإسلام ذلك إلى مشاعر الجماعة ووجدانها، بما أيقظ فيها من نوازع الخير، ودوافع

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٧٦٩)

الإحسان، وبما غذاها به من فضله وإحسانه، وبما وعدها من حسن المثوبة، وعظيم الجزاء، في الدنيا، وفي الآخرة جميعا.

آيات العفاف والتحصين:

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥ ـ ١٦]؛ فالأولى دلت على أن حد الزانية في ابتداء الإسلام الحبس إلى أن تموت، أو يجعل الله لها سبيلا، وهو عام في البكر والثيب.. والثانية أفضت أن حد الزانيين الأذى؛ فظهر من الآيتين أن حد المرأة كان الحبس والأذى جميعا، وحد الرجل كان الأذى فقط، ونسخ الحكمان بقوله ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢][1].

والإجماع يكاد يكون قائما على ذلك، وباتفاق الروايات المفسرة للآية، ولم يشذ فيها إلا أبو مسلم بقوله: (المراد بالفاحشة في الآية الأولى هي المساحقة، وفي الآية الثانية اللواطة)، وقد رد عليه الطبرسي بقوله: (و هذا القول ـ يعني مذهب أبي مسلم ـ مخالف للإجماع، ولما عليه المفسرون، فإنهم أجمعوا على أن المراد بالفاحشة هنا الزنا)[2].. ومثله قال الجصاص: (إن الأمة لم تختلف في نسخ هذين الحكمين عن الزانيين)[3]

قال أحد حفدة قتادة: كيف يزعمون أن الإجماع قائم على تعطيلها، وقد قال بذلك

---

(١) المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (ص٢٤)
(٢) مجمع البيان، للطبرسي: ٣/ ٢٠.
(٣) احكام القرآن: ٢/ ١٠٧.

كبار العلماء من المدرستين، فقد قال السيد الخوئي، وهو مرجع كبير من مراجع الإمامية بعدم نسخها؛ فقد استعرض الأقوال الواردة فيها، وفي نسخها، فقال: (ذهب بعضهم، ومنهم عكرمة وعبادة بن الصامت في رواية الحسن عن الرقاشي عنه أن الآية الأولى منسوخة بالثانية، والثانية منسوخة في البكر من الرجال والنساء إذا زنى بأن يجلد مائة جلدة، وينفى عاما، وفي الثيب منهما أن يجلد مائة، ويرجم حتى يموت، وذهب بعضهم كقتادة ومحمد بن جابر إلى أن الآية الأولى مخصوصة بالثيب والثانية بالبكر، وقد نسخت كلتاهما بحكم الجلد والرجم، وذهب ابن عباس ومجاهد ومن تبعهما، كأبي جعفر النحاس إلى أن الآية الأولى مختصة بزنا النساء من ثيب أو بكر، والآية الثانية مختصة بزنا الرجال ثيبا كان أو بكرا، وقد نسخت كلتاهما بحكم الرجم والجلد.. وكيف كان فقد ذكر أبو بكر الجصاص أن الأمة لم تختلف في نسخ هذين الحكمين عن الزانيين)[1]

ثم عقب على ذلك بقوله: (والحق أنه لا نسخ في الآيتين جميعا، وبيان ذلك: أن المراد من لفظ الفاحشة ما تزايد قبحه وتفاحش، وذلك قد يكون بين امرأتين فيكون مساحقة، وقد يكون بين ذكرين فيكون لواطا، وقد يكون بين ذكر وأنثى فيكون زنى، ولا ظهور للفظ الفاحشة في خصوص الزنا لا وضعا ولا انصرافا، ثم إن الالتزام بالنسخ في الآية الأولى يتوقف أولا: على أن الامساك في البيوت حد لارتكاب الفاحشة.. وثانيا: على أن يكون المراد من جعل السبيل هو ثبوت الرجم والجلد وكلا هذين الأمرين لا يمكن إثباته، فإن الظاهر من الآية المباركة أن إمساك المرأة في البيت إنما هو لتعجيزها عن ارتكاب الفاحشة مرة ثانية، وهذا من قبيل دفع المنكر، وقد ثبت وجوبه بلا إشكال في الأمور المهمة كالأعراض، والنفوس، والأمور الخطيرة، بل في مطلق المنكرات على قول بعض، كما أن

(١) البيان في تفسير القرآن، ص٣١٠.

الظاهر من جعل السبيل للمرأة التي ارتكبت الفاحشة هو جعل طريق لها تتخلص به من العذاب، فكيف يكون منه الجلد والرجم، وهل ترضى المرأة العاقلة الممسكة في البيت مرفهة الحال أن ترجم وتجلد، وكيف يكون الجلد أو الرجم سبيلا لها وإذا كان ذلك سبيلا لها فما هو السبيل عليها؟!)[1]

قال آخر: ثم ذكر نتيجة هذا بقوله: (وعلى ما تقدم، فقد يكون المراد من الفاحشة خصوص المساحقة، كما أن المراد بها في الآية الثانية خصوص اللواط، وقد يكون المراد منها ما هو أعم من المساحقة والزنا، وعلى كلا هذين الاحتمالين يكون الحكم وجوب إمساك المرأة التي ارتكبت الفاحشة في البيت حتى يفرج الله عنها، فيجيز لها الخروج إما للتوبة الصادقة التي يؤمن معها من ارتكاب الفاحشة مرة ثانية، وإما لسقوط المرأة عن قابلية ارتكاب الفاحشة لكبر سنها ونحوه، وإما بميلها إلى الزواج وتزوجها برجل يتحفظ عليها، وإما بغير ذلك من الأسباب التي يؤمن معها من ارتكاب الفاحشة، وهذا الحكم باق مستمر، وأما الجلد أو الرجم فهو حكم آخر شرع لتأديب مرتكبي الفاحشة، وهو أجنبي عن الحكم الأول، فلا معنى لكونه ناسخا له)[2]

قال آخر: ثم ذكر الحكم الشرعية المرتبطة بتفعيل هاتين الآيتين الكريمتين، وعدم تعطيلهما، فقال: (إن الحكم الأول شرع للتحفظ عن الوقوع في الفاحشة مرة أخرى، والحكم الثاني شرع للتأديب على الجريمة الاولى، وصونا لباقي النساء عن ارتكاب مثلها؛ فلا تنافي بين الحكمين لينسخ الأول بالثاني)[3]

قال آخر: ثم ذكر ما في الآيتين الكريمتين مما يدل على عدم النسخ، فقال: (إن المتأمل

---

(١) البيان في تفسير القرآن، ص٣١٠.

(٢) البيان في تفسير القرآن، ص٣١١.

(٣) البيان في تفسير القرآن، ص٣١٢.

في معنى الآية لا يجد فيها ما يوهم النسخ، سواء في ذلك تأخر آية الجلد عنها وتقدمها عليها.. وأما القول بالنسخ في الآية الثانية فهو أيضا يتوقف: أولا: على أن يراد من الضمير في قوله تعالى ﴿يأتيانها﴾ أي الزنا.. وثانيا: على أن يراد بالايذاء الشتم والسب والتعيير ونحو ذلك، وكلا هذين الأمرين ـ مع أنه لا دليل عليه ـ مناف لظهور الآية.. وبيان ذلك: أن ضمير الجمع المخاطب قد ذكر في الآيتين ثلاث مرات، ولا ريب أن المراد بالثالث منها هو المراد بالأولين، ومن البين أن المراد بهما خصوص الرجال، وعلى هذا فيكون المراد من الموصول رجلين من الرجال، ولا يراد منه ما يعم رجلا وامرأة، على أن تثنية الضمير لو لم يرد منه الرجلان فليس لها وجه صحيح، وكان الأولى أن يعبر عنه بصيغة الجمع، كما كان التعبير في الآية السابقة كذلك، وفي هذا دلالة قوية على أن المراد من الفاحشة في الآية الثانية هو خصوص اللواط، لاخصوص الزنا، ولا ما هو أعم منه ومن اللواط، وإذا تم ذلك كان موضوع الآية أجنبيا عن موضوع آية الجلد)(١)

قال آخر: ثم رد على الروايات التي استدل بها القائلون بالنسخ، فقال: (إذا سلمنا دخول الزاني في موضوع الحكم في الآية، فلا دليل على إرادة نوع خاص من الإيذاء الذي أمر به في الآية، عدا ما روي عن ابن عباس أنه التعيير وضرب النعال، وهو ليس بحجة ليثبت به النسخ، فالظاهر حمل اللفظ على ظاهره، ثم تقييده بآية الجلد، أو بحكم الرجم الذي ثبت بالسنة القطعية)(٢)

قال آخر: ثم ختم هذا الشرح المستفيض بقوله: (وجملة القول: أنه لا موجب للالتزام بالنسخ في الآيتين، غير التقليد المحض، أو الاعتماد على أخبار الآحاد التي لا تفيد

(١) البيان في تفسير القرآن، ص٣١٢.
(٢) البيان في تفسير القرآن، ص٣١٢.

علما ولا عملا)[1]

قال آخر: ومثل ذلك نجد الشيخ عبد الكريم الخطيب، من المدرسة السنية، يدافع عن عدم نسخها، وبحجج لا تختلف كثيرا عما ذكره أخوه الإمامي، فقد قدم للآية بقوله: (يجمع المفسرون على أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية الثانية من سورة النور.. وأن حد الزنا كان في أول الإسلام ـ كما يقولون ـ هوالإمساك للمرأة الزانية وحبسها في البيت، على حين أن الرجل يعنف ويؤنب باللسان، أوينال بالأيدى أوالنعال، حسب تقدير ولى الأمر.. ونحن ـ على رأينا بألا نسخ في القرآن ـ نرى أن هاتين الآيتين محكمتين وأنهما تنشئان أحكاما لمن يأتون الفاحشة ـ من الرجال والنساء ـ غير ما تضمنته آية النور من حكم الزانية والزاني)[2]

قال آخر: ثم تحدث عن الحكم الذي تضمنته الآية الأولى، فقال: (إن هذه الآية خاصة بالنساء، إذ كان النص فيها صريحا بهن، وذلك بالإشارة إليهن باسم الاشارة المؤنث ﴿اللاتي﴾ وبإضافتهن إلى الرجال ﴿من نسائكم﴾ وبالحديث عنهن بضمير النسوة ﴿فاستشهدوا عليهن﴾.. ﴿فأمسكوهن﴾.. ﴿يتوفاهن﴾.. ﴿لهن﴾.. وهذا ما يقطع بأن الآية هنا خاصة بالنساء)[3]

قال آخر: ثم تحدث عن الحكم الذي تضمنته الآية الثانية، فقال: (أما الآية الثانية فهى خاصة بالرجال إذ كانت الإشارة فيها إلى المذكر، ﴿اللذان﴾ والضمير في ﴿يأتيانها﴾ وكذلك الضمير في ﴿منكم﴾.. هذا كله نص صريح في أن المشار إليهما هما من جنس الرجال، الذين يوجه إليهم الخطاب في الآية))[4]

---

(١) البيان في تفسير القرآن، ص٣١٣.
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧١٧)
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧١٨)
(٤) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧١٨)

قال آخر: ثم شرع يتحدث عن أدلة عدم نسخ الآيتين، فقال: (واضح إذن أن الآية الأولى في شأن النساء، كما أن الآية الثانية في شأن الرجال.. وهذا ما يكاد يجمع عليه المفسرون، إذ لاخلاف بينهم في هذا، ولكنهم فرقوا بين العقوبة التي تؤخذ بها المرأة الزانية، والعقوبة التي تجرى على الرجل إذا زنا.. الأمر الذي لم يقع في آية سورة النور، التي سوت بين الرجل والمرأة في هذه الجريمة، وفى العقوبة المفروضة على كل منهما.. وإذ كان كذلك فإن لنا أن نتوقف عند هذه المفارقة بين الناسخ والمنسوخ، في أمر يوزن بميزانين بالنسبة للرجل والمرأة، ثم يعاد هذا الأمر فيوزن بميزان واحد، تتعادل فيه كفة الرجل والمرأة على السواء.. ففى آية النور جاء حكم الزاني والزانية مائة جلدة لكل منهما، أما في هاتين الآيتين؛ فقد كان للنساء حكم، وللرجال حكم، في العقوبة المفروضة على الزاني من الرجال، أوالزانية من النساء)[1]

قال آخر: ثم دعا القائلين بالنسخ إلى تحكيم القاعدة المعروفة في تقديم القول بالجمع بين الآيات على القول بنسخها، فقال: (فإذا كان هناك وجه يمكن أن تحمل عليه الآيتان، بحيث ترتفع هذه المفارقة التي تقوم بينهما وبين آية النور، وبحيث تكون بينهما تلك العلاقة التي بين المنسوخ والناسخ له، إذا كان هناك وجه لرفع هذه المفارقة، أفلا نلتمسه، ونذهب إليه، ونأخذ به؟ فكيف وهناك أكثر من وجه؟)[2]

قال آخر: ثم ذكر أول تلك الوجوه، فقال: ([الزنا] في صورته العامة الشائعة، التي يتعامل أهل العربية بها في لسان اللغة، وفى لسان الشريعة، هو تلك الجريمة التي تقع بين الرجل والمرأة على غير فراش الزوجية.. وقد جاءت آية (النور) صريحة في حكم هذه الجريمة، فقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]..

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧١٨)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧١٩)

وهناك ـ بالإضافة لها ـ جريمتان هما من قبيل (الزنا)، ولكنهما ليستا بالزنا المعروف في لسان اللغة، أو لسان الشرع.. ولهذا فقد كان لكل منهما اسم خاص به، في اللغة وفى الشرع أيضا، وهما: (السحاق)، وهو عملية جنسية، بين المرأة والمرأة.. و(اللواط)، وهو عملية جنسية، بين الرجل والرجل.. وفى هذه الصور الثلاث تكتمل العملية (الجنسية) في أصلها، وفيما يتفرع عنها)[1]

قال آخر: وبناء على ذلك، قال: (إذا قيل إن الآيتين السابقتين متعلقان بأحكام (الزنا) الأصلى الذي يكون بين المرأة والرجل، وأن ذلك كان في بدء الإسلام، ثم نسختا بآية (النور) كان معناه أن كل ما ورد في القرآن الكريم متعلقا بالزنا جاء خاصا بهذا الزنا الصريح، دون أن يكون فيه شيء عن الجريمتين الأخريين: اللواط، والسحاق، وهذا أمر ما كان للقرآن أن يتركه، بحجة أنه عمل شاذ، خارج على مألوف الفطرة.. لأن الشريعة الإسلامية ما جاءت إلا لعلاج الشذوذ الإنسانى عن الفطرة السليمة، وإلا لتحيد به عن شروده وانحرافه عنها.. وهذا يعنى أنه لا بد ـ لكمال التشريع ـ من أن يشرع القرآن لهاتين الجريمتين، ويفرض عقوبة مناسبة لهما)[2]

قال آخر: ثم ذكر كيفية تفعيل الآيتين، فقال: (وعلى هذا، فإننا ـ إذ خالفنا ما كاد ينعقد إجماع الفقهاء والمفسرين ـ نرى أن الآية الأولى لبيان الحكم في جريمة (السحاق) التي تكون بين المرأة والمرأة.. وأن هذا الحكم هو ما بينه الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥] أي يؤذين بالحبس في البيوت، بعد أن تثبت عليهن الجريمة بشهادة أربعة من الرجال، دون النساء، كما يتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧١٩)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٠)

مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، أي أربعة منكم أيها الرجال.. وأما الآية الثانية فهي خاصة بجريمة اللواط، بين الرجل والرجل.. والحكم هنا هوأخذهما بالأذى الجسدى، أوالنفسي، وذلك بعد أن يشهد عليهما أربع شهود، على نحوما في (السحاق)[١]

قام بعض الحضور، وقال: ما دمتم تتحدثون عن العقل، وتفسرون به القرآن الكريم؛ فما الوجه في التفرقة في العقوبة بين (السحاق) و(اللواط).. ولماذا لم يسوبينهما؟ ولماذا يكون للنساء حكم، وللرجال حكم مع أنهما أخذوا جميعا بحكم واحد في الزنا؟

قال أحد حفدة قتادة[٢]: الجواب على ذلك يسير، ويدل عليه الواقع، ذلك أن كلا من السحاق واللواط، وإن كانا من باب الزنا، إلا أن لكل منهما موردا غير مورد صاحبه، فكان من الحكمة ـ وقد اختلف المورد ـ أن يختلف الحكم؛ فالمرأة قد تستطيب هذا المنكر فيحملها ذلك على أن تزهد في الرجل، وعلى ألا تسكن إليه في بيت، وأن تتحمل أثقال الحمل، والولادة، وتبعة الرضاع والتربية، وهذا من شأنه ـ إذا شاع وكثر ـ أن يحول النساء إلى رجال، وأن ينقطع النسل، وألا يعمر بيت، أوتقوم أسرة.. ولهذا كانت عقوبة المرأة على هذه الجريمة أن تحبس في البيت، الذي كان من شأنه أن يعمر بها، وأن تقيم فيه دعائم أسرة، لوأنها اتصلت بالرجل اتصالا شرعيا بالزواج.

قال بعض الحضور: وهل حبس المرأة في البيت يمنع وقوع هذه الجريمة منها؟

قال أحد حفدة قتادة[٣]: أجل.. فإن فرصتها في البيت، مع الوجوه التي تعرفها لا تتيح لها ما يتيحه الانطلاق إلى هنا وإلى هناك خارج البيت، حيث تلقى من النساء من لا ترى حرجا، ولا استحياء من أن ترتكب هذا المنكر معها، الأمر الذي لا تجده في البيت

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٠)
(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢١)
(٣) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢١)

الذي تعيش فيه مع أهلها؛ فالحبس في البيت لمرتكبة هذا المنكر، هوأنجح علاج يصرفها عن هذه العادة، بقطع وسائلها إليها.

قال آخر[1]: ونفس الأمر مع الرجل والرجل؛ فإن عقوبتهما من جنس فعلتهما، لما فيها من تحقير لهما وإذلال لرجولتهما، ومروءتهما، وذلك بأخذهما بالأذى المادي، أوالنفسي.

قال بعض الحضور: فكيف يطبق في هذه الحالة قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].. ما هي تلك السبيل؟.. وهل جعل الله لهن فيها مخرجا؟

قال أحد حفدة قتادة[2]: الذين قالوا بالنسخ في الآيتين، وهم جمهور الفقهاء والمفسرين، يقولون إن السبيل التي جعلها الله لهن هي الخروج بهن من هذا الحكم الذي قضى عليهن بالإمساك في البيوت، وذلك بنسخ هذا الحكم وإحالته إلى الحكم الذي تضمنته آية (النور).. والسؤال هنا: هل من السبيل التي تنتظر منها هؤلاء المكروبات بابا من أبواب الطمع في رحمة الله أن ينقلن من الحبس إلى الرجم أوالجلد؟.. إن في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ إشارة إلى رحمة تمتد إلى أولئك البائسات الشقيات، في أمل يدفىء الصدور، ويثلج العيون! فكيف يخلفهن هذا الوعد الكريم من رب كريم؟ وحاش لله أن يخلف وعده.. ولذلك فإن السبيل التي جعلها الله لهؤلاء المذنبات ـ كما يراه الذين لا يقولون بالنسخ لهاتين الآيتين ـ هو أن يفتح الله لهن بابا للخروج من هذا السجن، على يد من يتزوج بهن.. فالزواج هنا ينتقل بهن إلى بيت الزوجية الذي يعشن فيه عيشة غيرهن من المتزوجات، حيث يسقط عنهن هذا الحكم الذي وقع عليهن، وهذه الرحمة التي يمسح الله بها دموع هؤلاء المذنبات من عباده، ويرد بها إليهن اعتبارهن، بعد الذي نالهن من عذاب جسدى، ونفسى.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٢)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٣)

قال آخر[1]:وهذه الرحمة هي في مقابل تلك الرحمة التي أفاضها الله على قرنائهن من الرجال، الذين اقترفوا جريمة اللواط.. فقد جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ قوله: ﴿ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَّ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]، فهذا الأمر بالإعراض عن أهل (اللواط) بعد أن يتوبا ويصلحا، وهذه السبيل التي جعلها الله لمرتكبات (السحاق) إن صلح حالهن ورغب الأزواج فيهن، هذا وتلك، هما رحمة من رحمة الله، ولطف من ألطافه، يصحب المقدور، ويخفف البلاء، ويهونه.

قال آخر[2]: ومما يؤيد هذا، ما جاء بعدهما من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهَّ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُّ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُّ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]، فذكر التوبة هنا، وأثرها في محوالسيئات، هوتوكيد لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَّ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]، أي إن اللذين يأتيان الفاحشة (اللواط) من الرجال لهما مدخل إلى التوبة التي بها يتطهران من هذا الإثم، أما الزنا فلا يطهر منه مقترفه إلا بإقامة الحد عليه.

آيات الزواج وأحكامه:

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، فقد قال ابن حزم: نسخها الاستثناء: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[3] .. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]

قال أحد حفدة قتادة[4]: ليس في ذلك أي نسخ.. فقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٤)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٤)

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٣)

(٤) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٣٣)

استثناء وارد على ما وقع فى الجاهلية من رجال دخلوا فى الإسلام، ووقعوا فى هذا المنكر.. فإنه لا إثم عليهم بعد أن صححوا وضعهم، وأخذوا بما جاء الإسلام به.. وهو ينطبق على كل من وقع في ذلك ممن لم يسلم أو يعرف الحكم، وفي كل العصور.

قال أحد الحضور: فما تقولون في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩]، فقد قال ابن حزم: نسخها الاستثناء بعدها: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾[1]

قال أحد حفدة قتادة: ليس في ذلك أي نسخ.. فقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ استثناء، والاستثناء تخصيص فى عموم العام، وهو ليس نسخا ولا تعطيلا للآية، وإلا لأصبح أكثر القرآن الكريم منسوخا.

قال أحد الحضور: فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤]، فقد قال فيها ابن حزم: (نسخت بقوله ﷺ: (إني كنت أحللت هذه المتعة ألا وإن الله ورسوله قد حرماها ألا فليبلغ الشاهد الغائب)، ووقع ناسخها من القرآن موضع ذكر ميراث الزوجة الثمن والربع فلم يكن لها في ذلك نصيب، وقال محمد بن إدريس الشافعي: موضع تحريمها في سورة المؤمن وناسخها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]، وأجمعوا على أنها ليست بزوجة ولا ملك يمين فنسخها الله بهذه الآية)[2]

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٣)

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٣)

قال أحد حفدة قتادة[1]: لقد بحثنا في هذه الآية خصوصا طويلا.. ووجدنا أن القول بنسخها، يعطل مقصدا من المقاصد المهمة التي أرادها الله تعالى، والتي لا يتحقق العفاف الشامل في المجتمع إلا بها.

قال أحد الحضور: نراك تشير إلى الزواج المؤقت.. أو زواج المتعة.. والذي هو عين الزنا والفاحشة.

قال أحد حفدة قتادة: أراك تتهم رسول الله ﷺ بالإذن بالفاحشة.. وتتهم أصحابه بالقيام بها، والفتوى بجوازها؟

قال أحد الحضور: لم يقل بذلك إلا جهلة الشيعة.. ولا عبرة بخلافهم.. ونحن ننزه رسول الله ﷺ وصحابته وفقهاء المسلمين عن ذلك.

قال أحد حفدة قتادة: إن ما تقوله ناتج عن التسرع، وإلا فإنك لو رجعت إلى المصادر الإسلامية، ومن المدرسة السنية، لا الشيعية، لوجدت الخلاف الوارد فيها، فقد قال الزيلعي في تبيين الحقائق: (وقال مالك: هو جائز، لأنه كان مشروعا فيبقى إلى أن يظهر ناسخه، واشتهر عن ابن عباس تحليلها، وتبعه على ذلك أكثر أصحابه من أهل اليمن ومكة، وكان يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤]، وعن عطاء أنه قال سمعت جابرا يقول تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ونصفا من خلافة عمر ثم نهى الناس عنه، وهو محكي عن أبي سعيد الخدري)[2]

قال آخر: وقد نص على هذا الخلاف كذلك ابن قدامة، فقد قال في المغني بعد تعريفه لزواج المتعة: (هذا نكاح باطل، نص عليه أحمد، فقال: نكاح المتعة حرام، وقال أبو بكر: فيها رواية أخرى، أنها مكروهة غير حرام، لأن ابن منصور سأل أحمد عنها، فقال: يجتنبها

---

(١) الأمثل/٣/ ١٧٨.

(٢) تبين الحقائق:٢/ ١١٥.

أحب إلى، وقال: فظاهر هذا الكراهة دون التحريم.. وقال زفر: يصح النكاح، ويبطل الشرط، وحكي عن ابن عباس، أنها جائزة، وعليه أكثر أصحاب عطاء وطاوس، وبه قال ابن جريج وحكي ذلك عن أبي سعيد الخدري، وجابر)[١]

قال آخر: ونص على هذا الخلاف المرداوي بقوله: (نكاح المتعة، وهو أن يتزوجها إلي مدة، الصحيح من المذهب أن نكاح المتعة لا يصح، وعليه الإمام أحمد رحمه الله والأصحاب، وعنه يكره ويصح، ذكرها أبو بكر في الخلاف وأبو الخطاب وابن عقيل، وقال رجع عنها الإمام أحمد رحمه الله، قال الشيخ تقي الدين رحمه الله توقف الإمام أحمد رحمه الله عن لفظ الحرام ولم ينفه، قال المصنف والشارح وغير أبي بكر يمنع هذا ويقول المسألة رواية واحدة، وقال في المحرر ويتخرج أن يصح ويلغو التوقيت)[٢]

قال آخر: ونقل القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي قوله: (ولم يرخص في نكاح المتعة إلا عمران بن حصين وابن عباس وبعض الصحابة وطائفة من أهل البيت)[٣]

قال آخر: وهذا الترخيص يدل على عدم صحة نقل الإجماع في المسألة، لأن الكثير من المسائل التي لم يخالف فيها إلا أفراد الصحابة بل أفراد التابعين أو من بعدهم تعد من المسائل الخلافية، فكيف بهذه المسألة التي ذكر فيها هذا الخلاف؟.. قال ابن عبد البر: (أما الصحابة فإنهم اختلفوا في نكاح المتعة فذهب ابن عباس إلى إجازتها فتحليلها لا خلاف عنه في ذلك وعليه أكثر أصحابه منهم عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير وطاووس وروي تحليلها أيضا وإجازتها إبراهيم)[٤]

قال آخر: وقد بقي الخلاف بعد ذلك في زمن التابعين، ومن المشهورين بإباحتها في

---

(١) المغني: ٧/ ١٣٦.

(٢) الإنصاف:٨/ ١٦٣.

(٣) تفسير القرطبي:٥/ ١٣٣.

(٤) التمهيد: ١١٣.

عهدهم ابن جريج فقيه مكة، ولهذا قال الأوزاعي: يترك من قول أهل الحجاز خمس، فذكر منها متعة النساء من قول أهل مكة، وقال ابن المنذر: جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحدا يجيزها إلا بعض الرافضة[1].

قال آخر: وقد بقي هذا الخلاف في المدرسة السنية بعد ذلك ـ خلافا لما قال ابن المنذر ـ وإن كان للتعصب في الخلاف بين السنة والإمامية ما جعل من ذلك الخلاف شذوذا في الرأي قد يحذر من القول به، وقد أشار إلى هذا الخلاف الشوكاني بقوله: (وقد أتعب نفسه بعض المتأخرين بتكثير الكلام على هذه المسألة وتقوية ما قاله المجوزون لها، وليس هذا المقام مقام بيان بطلان كلامه)[2]

قال آخر: وفوق ذلك كله؛ فقد نص الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم على صحة زواج المتعة الذي يتفق عليه الطرفان قبل العقد، أو كان في نية أحدهما أو كلاهما أنه زواج متعة بشرط واحد هو عدم التصريح بذلك في العقد.. وقد نقل الإمام النووي الإجماع على أن من نكح نكاحا مطلقا، ونيته أن لا يمكث معها الا مدة نواها فنكاحه صحيح حلال، وليس نكاح متعة، وإنما نكاح المتعة ما وقع بالشرط المذكور، قال: (ولكن قال مالك: ليس هذا من أخلاق الناس، وشذ الأوزاعي فقال هو نكاح متعة ولا خير فيه)[3]

قال آخر: ومثله قال الشافعي: (لو أن رجلا شريفا نكح دنية أعجمية، أو شريفة نكحت دنيا أعجميا فتصادقا في الوجهين على أن لم ينو واحد منهما أن يثبتا على النكاح أكثر من ليلة، لم يحرم النكاح بهذه النية، لأن ظاهر عقدته كانت صحيحة، إن شاء الزوج حبسها، وإن شاء طلقها، فإذا دل الكتاب ثم السنة ثم عامة حكم الإسلام على أن العقود إنما يثبت

---

(1) نيل الأوطار:٦/ ٢٧١.

(2) فتح القدير:١/ ٤٥٠.

(3) النووي على مسلم: ٩/ ١٨١.

بالظاهر عقدها، ولا يفسدها نية العاقدين، كانت العقود إذا عقدت في الظاهر صحيحة، أولى أن لا تفسد بتوهم غير عاقدها على عاقدها ثم، سيما إذا كان توهما ضعيفا والله تعالى أعلم)[1]

وقال في موضع آخر: (ولو كانت بينهما مراوضة، فوعدها إن نكحها أن لا يمسكها إلا أياما، أو إلا مقامه بالبلد، أو إلا قدر ما يصيبها، كان ذلك بيمين أو غير يمين فسواء، وأكره له المراوضة على هذا، ونظرت إلى العقد فإن كان العقد مطلقا، لا شرط فيه فهو ثابت، لأنه انعقد لكل واحد منهما على صاحبه ما للزوجين، وإن انعقد على ذلك الشرط فسد، وكان كزواج المتعة)[2]

قال آخر: ومثله قال ابن تيمية مرجحا القول بإباحة هذا النوع من المتعة: (وأما نكاح المتعة إذا قصد أن يستمتع بها إلى مدة، ثم يفارقها مثل المسافر الذي يسافر إلى بلد يقيم به مدة، فيتزوج، وفي نيته إذا عاد إلى وطنه أن يطلقها، ولكن الزواج عقده عقدا مطلقا، فهذا فيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد، قيل: هو زواج جائز، وهو اختيار أبي محمد المقدسي، وهو قول الجمهور، وقيل: إنه زواج تحليل لا يجوز، وروي عن الأوزاعي، وهو الذي نصره القاضي وأصحابه في الخلاف، وقيل: هو مكروه وليس بمحرم)[3]

ثم بين الراجح الذي يراه وعلته بقوله: (والصحيح أن هذا ليس بزواج متعة، ولا يحرم، وذلك أنه قاصد للزواج وراغب فيه، بخلاف المحلل، لكن لا يريد دوام المرأة معه، وهذا ليس بشرط فإن دوام المرأة معه ليس بواجب، بل له أن يطلقها، فإذا قصد أن يطلقها بعد مدة، فقد قصد أمرا جائزا بخلاف زواج المتعة، فإنه مثل الإجارة تنقضي فيه بانقضاء

---

(١) الأم:٧/ ٣١٣.

(٢) الأم:٥/ ٨٦.

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية:٣٢/ ١٤٧.

المدة، ولا ملك له عليها بعد انقضاء الأجل، وأما هذا فملكه ثابت مطلق، وقد تتغير نيته فيمسكها دائما، وذلك جائز له، كما أنه لو تزوج بنية إمساكها دائما، ثم بدا له طلاقها، جاز ذلك)

قال آخر: ولهذا ألزم علماء الإمامية المنكرين من أهل السنة بهذا، فقد قال السبحاني: (ونسأل المانعين الذين يتلقّون نكاح المتعة، مخالفاً للحكمة الّتي من أجلها شرّع النكاح، نسألهم عن الزوجين الذين يتزوّجان نكاح دوام، ولكن ينويان الفراق بالطلاق بعد شهرين فهل هذا نكاح صحيح أو لا؟ لا أظن أنّ فقيهاً من فقهاء الإسلام يمنع ذلك، وإلاّ فقد أفتى بغير دليل ولا برهان فيتعيّن الأوّل. فأي فرق يكون حينئذ بين المتعة وهذا النكاح الدائم سوى انّ المدّة مذكورة في الأول دون الثاني؟)

قال آخر: ولهذا اعتبر صاحب المنار القول بالمتعة خير من غش المرأة بتزوجها مدة بنية التطليق، قال: (إنّ تشديد علماء السلف والخلف في منع المتعة يقتضي منع النكاح بنيّة الطلاق، وإن كان الفقهاء يقولون انّ عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، ولم يشترطه في صيغة العقد، ولكن كتمانه إيّاه يعدّ خداعاً وغشّاً وهو أجدر بالبطلان من العقد الّذي يشترط فيه التوقيت)[1]

قال أحد الحضور: مع احترامنا للفقهاء.. لكن.. ألستم تفسرون الدين بالعقل.. فهل ترضون لأنفسكم أن تزوجوا بناتكم هذا النوع من الزواج؟

قال أحد حفدة قتادة: هذا السؤال يدل على عدم فهمكم لمقصد هذا النوع من الزواج.. ذلك أنكم تنطلقون من أنفسكم، وما وهبهم الله بفضله ورحمته من هداية، فتتصورون أن الناس كلهم كذلك، وأن الأحكام ينبغي أن تطبق جميعا بصورتها المثالية التي

---

(١) المنار ٥ / ١٧.

جاء بها الشرع، وغاب عنكم أن في الشريعة جانبين.. جانب مثالي قصده الشرع ابتداء، ولكنه قد لا يطيقه جميع الناس.. وجانب واقعي، وهو الحد الأدنى الذي تطبق به الشريعة.. ولذلك فإن الصورة المثالية للزواج ـ كما أرادته الشريعة ـ أن يكون دائما مستقرا تتحقق فيه القوامة للرجل بالإنفاق على زوجته، وإن كان هناك تعدد، فيشترط فيه العدل التام بين الزوجات.. وغيرها من المواصفات والشروط.

قال آخر: لكن هذه الصورة قد لا تتحقق مع جميع الناس، فقد تكون المرأة صاحبة مال أو وظيفة ومع ذلك لم يتقدم لها من يخطبها، فرضيت بأن تتنازل عن حقها في النفقة والعدالة لمن يتزوج بها ـ وهو ما يسمى بزواج المسيار ـ فهل نمنعها من ذلك بحجة أن الشرع فرض لها النفقة، وأعطاها الحق في العدالة بين الزوجات؟

قال آخر: ومثل ذلك زواج المتعة.. فالشرع يتعامل مع كل الناس، ومع كل الظروف.. فهناك الأرملة والمطلقة والعانس.. وهناك من يعيش في بلاد تلتهب فيها الغرائز، وهو يخاف على نفسه الحرام، ولذلك يبحث عن الحلول الشرعية لحالته.. وأعظم ما يقع فيه المشاغبون من الانحرافات بسبب هذا الموقف هو قولهم بأن هذا النوع من الزواج زنا وفاحشة.. وفي نفس الوقت يذكرون أن رسول الله ﷺأباحه لأصحابه.. فهل كان رسول الله ﷺ يبيح الزنا لأصحابه.. وهل كان الصحابة بممارستهم لهذا النوع من الزواج يرتكبون الفاحشة؟

قال أحد الحضور: لا بأس.. قد نسلم لكم بهذا.. لكنا لا نسلم لكم بأن الآية ترتبط بهذا النوع من الزواج.

قال أحد حفدة قتادة[1]: أدلة ذلك كثيرة، منها أن كلمة المتعة التي اشتق منها لفظة

---

(١) الأمثل ٣/ ١٧٩.

﴿استمتعتم﴾ تعني الزواج المؤقت، وبعبارة أخرى المتعة حقيقة شرعية في هذا النوع من الزواج، ويدل على ذلك أن هذه الكلمة استعملت في هذا المعنى نفسه في روايات النّبي الأكرم ﷺ وكلمات الصحابة مرارا وتكرارا.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن هذه اللفظة إذا لم تكن بالمعنى المذكور يجب أن تفسّر حتما بمعناها اللغوي وهو (الانتفاع) فيكون معنى هذا المقطع من الآية هكذا: (إذا انتفعتم بالنساء الدائمات فادفعوا إليهنّ أجورهنّ) في حين أننا نعلم إن دفع الصداق والمهر غير مقيد ولا مشروط بالانتفاع بالزوجات الدائمات بل يجب دفع تمام المهر ـ بناء على ما هو المشهور بين الفقهاء ـ أو نصفه على الأقل إلى المرأة بمجرد العقد للزواج الدائم عليها.

قال آخر[2]: بالإضافة إلى أنّ كبار الصحابة والتابعين، مثل ابن عباس العالم المفسّر الكبير، وأبي بن كعب، وجابر بن عبد اللهّ الأنصاري، وعمران بن الحصين، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة والسدي، وجماعة كبيرة من مفسّري أهل السنة، وجميع مفسّري أهل البيت، فهموا من الآية الحاضرة حكم الزواج المؤقت إلى درجة أن الفخر الرازي ـ رغم ما عهد عنه من التشكيك الكثير في القضايا المرتبطة بالشيعة وعقائدهم ـ قال بعد بحث مفصل: (والذي يجب أن يعتمد عليه في هذا الباب أن نقول أنّها منسوخة وعلى هذا التقدير فلو كانت هذه الآية دالة على أنها مشروعة لم يكن ذلك قادحا في غرضنا، وهذا هو الجواب أيضا عن تمسكهم بقراءة أبي وابن عباس فإن تلك القراءة بتقدير ثبوتها لا تدل إلّا على أن المتعة كانت مشروعة، ونحن لا ننازع فيه، إنّما الذي نقوله أن النسخ طرأ عليه)[3]

قال أحد الحضور: لا بأس.. قد نسلم لكم بهذا.. لكن ما المانع من القول بنسخها،

---

(١) الأمثل٣/ ١٧٩.

(٢) الأمثل٣/ ١٧٩.

(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ٤٤)

وقد ذهب إلى ذلك كما تذكرون جماهير العلماء؟

قال أحد حفدة قتادة: المانع هو تعطيلها.. فكيف نرضى لآية قرآنية أن يعطل حكمها في نفس الوقت الذي يمكن تفعيلها فيه؟

قال آخر[1]: بالإضافة إلى ذلك؛ فقد اتفق عامّة علماء المسلمين، على أنّ الزواج المؤقت كان أمرا مشروعا في صدر الإسلام، بل كان المسلمون في صدر الإسلام يعملوا بهذا الحكم، والعبارة المعروفة المروية عن عمر: (متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا محرمهما ومعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحج)[2] دليل واضح على وجود هذا الحكم في عصر النّبي ﷺ، غاية ما في الأمر أن من خالف هذا الحكم ادعى أنّه قد نسخ في ما بعد، وحرم هذا النوع من الزواج.

قال آخر[3]: والملفت للنظر هو أنّ الروايات الناسخة لهذا الحكم التي ادعوها مضطربة اضطرابا كبيرا، فبعضها يقول: إنّ النّبي ﷺ نفسه هو الذي نسخ هذا الحكم، وعلى هذا يكون الناسخ لهذا الحكم القرآني هو السنة النبوية، وبعضها يقول: إنّ ناسخه هو آية الطلاق إذ يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] في حين أنّ هذه الآية تبحث في الطلاق، في حين أن الزواج المؤقت (أو المتعة) لا طلاق فيه، والافتراق بين الطرفين في هذا الزواج يتمّ بانتهاء المدّة المقررة.

قال آخر[4]: إنّ القدر المتيقن في المقام هو أن أصل مشروعية هذا النوع من الزواج في زمن النّبي ﷺ أمر قطعي ومفروغ عنه، وليس ثمّة أي دليل يمكن الاطمئنان إليه ويثبت نسخ هذا الحكم، ولهذا فلا بدّ من أن نحكم ببقاء هذا الحكم، بناء على ما هو مقرر وثابت

---

(١) الأمثل٣/ ١٨١.

(٢) رواه مسلم (١٢٤٩)

(٣) الأمثل٣/ ١٨١.

(٤) الأمثل٣/ ١٨١.

في علم الأصول.. والعبارة المشهورة المروية عن عمر خير شاهد على هذه الحقيقة، وهي أنّ هذا الحكم لم ينسخ في زمن رسول اللهّ ﷺ.

قال آخر[1]: بالإضافة إلى هذا؛ فإن من البديهي أنّه لا يحق لأحد إلّا النّبي ﷺ أن ينسخ الأحكام، فهو وحده يحق له ـ وبأمر من اللهّ سبحانه وإذنه ـ أن ينسخ بعض الأحكام، وقد سد باب نسخ الأحكام بعد وفاة النّبي ﷺ تماما، وإلّا لاستطاع كل واحد أن ينسخ شيئا من الأحكام الإلهية حسب اجتهاده ومزاجه، وحينئذ لا يبقى شيء من الشريعة الخالدة الأبدية، وهذا مضافا إلى أنّ الاجتهاد في مقابل النص النّبوي لا ينطوي على أية قيمة أبدا.

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]؛ فهي منسوخة باتفاق العلماء بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].. وقد روي أن عدة المتوفى عنها زوجها كانت في الجاهلية سنة كاملة، وكان اذا مات الرجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئا، فتقول: البعل (تريد المتجدد) أهون علي من هذه؛ فلا تكتحل ولا تتمشط ولا تتطيب ولا تتزوج الى سنة، وكان ورثة الميت لا يخرجونها من بيتها، وكانوا يجرون عليها من تركة زوجها طول تلك السنة، فكان ذلك هو إرثها من مال زوجها المتوفى[2].

قال أحد حفدة قتادة[3]: لا نسخ في هذه الآية الكريمة، ولا تعطيل لحكمها،

---

(١) الأمثل٣/ ١٨١.

(٢) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (١/ ١٢٩)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١/ ٢٨٧)

وحكمتها.. فلماذا يحمل القرآن الكريم آية كريمة، متلوة، متعبدا بها، وتحمل حكما صريحا مؤكدا موثقا، ثم تجيء آية أخرى بحكم آخر يعطل هذا الحكم، ويبقيه هكذا، يعلن في وجه المرأة سلب حكم كان فيه خيرا لها وبرا بها؟.. أهذا مما تقتضيه حكمة الحكيم العليم، في حال كحال تلك المرأة التي ذهب عنها زوجها، وتركها تعانى الوحدة والوحشة، وربما الفاقة من بعده؟.. وإذا كان من تقدير الله ألا يكون للمرأة مثل هذا الحق، أفكان من التدبير الحكيم أن يلوح لها بهذا البر وتلك المواساة في آية كريمة، ثم تحرم منه وتذاد عنه بآية أخرى من آيات الكتاب الكريم؟

قال آخر[1]: إذا أقمنا الآية الكريمة على تلك الموازين التي يزن بها القائلون بالنسخ ضوابط الناسخ والمنسوخ، نجد أن أهم الاعتبارات التي جاء من أجلها النسخ عندهم هي التدرج في الأحكام، رحمة بالناس، وتخفيفا عليهم، كما حدث ذلك في تحريم الخمر والربا.. أو التخفيف على الناس، مراعاة لتغير الظروف.. أو تغليظ الحكم لا تخفيفه، وذلك لتغير الظروف أيضا.. فلم يكن على المسلمين قتال في أول الدعوة الإسلامية، ثم لما دخل في الإسلام الأنصار واجتمع إليهم المهاجرون أذن الله لهم في قتال من قاتلهم.. تلك هي أهم الضوابط التي رآها علماء التفسير داعية إلى نسخ ما نسخ من آيات الكتاب الكريم.

قال آخر[2]: وإذا أقمنا الآية الكريمة على تلك الضوابط لم نجدها تستقيم عليها، أوتستجيب لها.. فما جاءت الشريعة السمحاء في كتابها الكريم ولا في السنة المطهرة، بمباح ثم حظرته، ولا حملت إلى الناس خيرا ثم عادت فسلبته، ولا بسطت يدها الكريمة بإحسان ثم قبضتها.. بل العكس هوالصحيح، وهوالواقع.. ولا حاجة لذكر الشواهد لهذا.. فأمر الشريعة كله قائم على اليسر والخير والرحمة.. فما كان على غير هذه السبيل فهو مدخول على

---

(1) التفسير القرآني للقرآن (1/ 288)

(2) التفسير القرآني للقرآن (1/ 289)

الشريعة، مفترى عليها.

قال آخر[1]: وبناء على هذا؛ فإن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠] تتيح للمرأة الموصى لها ـ بأمر الله ـ بهذه الوصية أن تظل في بيت الزوجية مكفولة النفقة عاما كاملا بعد وفاة الزوج، لا يعرض لها أحد بإزعاج من بيت الزوجية، مادامت راغبة في السكن إليه.. وفي قوله تعالى: ﴿ وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ إشارة إلى أن هذه الوصية مفروضة بأمر الله، سواء أوصى بها الزوج قبل وفاته أم لم يوص، وعلى هذا نصب لفظ الوصية بهذا الأمر.

قال آخر[2]: وحكمة ذلك واضحة.. فقد كان من تدبير الشريعة الحكيم أن قدمت للمرأة في هذا الحدث الأليم، جميل العزاء، ووضعت في يدها حق القرار في بيت الزوجية عاما كاملا، وكفلت لها من مال زوجها نفقة هذا العام على نحو ما كانت تعيش فيه مع زوجها، إن كان فيما ترك الزوج ما يسع تلك النفقة، فذلك هوالذي يمسك المرأة في محنتها تلك. وذلك هوالبر من جهة الورثة بمورثهم، إذ حفظوا أهله، وصانوا عرضه! وأكثر من هذا.. فإنه إذا لم يكن فيما ترك المتوفى ما يقوم بنفقة المرأة خلال هذا العام فإن ورثة الزوج، ورحمهم الماسة به توجب على الموسر منهم أن يكفل للزوجة حاجتها من ماله.

قال آخر[3]: وهذا يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي توصي بالنساء في كل دور من أدوار حياتهن، وفي كل موقف من موقفهن في الحياة: أوصت بهن متزوجات، وأمهات، ورعتهن يتيمات، ومطلقات، وأيامى، وأعطتهن من الحقوق مثل ما

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١/ ٢٨٩)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١/ ٢٩٠)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١/ ٢٩١)

عليهن من الواجبات كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وكانت آخر وصية للرسول ﷺ، قوله: (اتقوا الله في الضعيفين: المرأة والمملوك)

قال آخر: وقد أشار إلى هذا المعنى باحتشام بعض علماء إخواننا الإمامية، فقال: (لولا إجماع العلماء والروايات المتعددة في هذا المجال لأمكن القول بعدم وجود التعارض بين هذه الآيات، فإن الحكم بأربعة أشهر وعشرة أيام للعدة هو حكم إلهي، وأما المحافظة على العدة لمدة سنة كاملة والبقاء في بيت الزوج والإستفادة من النفقة فإنه حق لها، أي أنه قد اعطي الحق للمرأة أن تبقى في بيت زوجها المتوفى سنة كاملة إن أرادت ذلك وتستفيد من النفقة طبقا لوصية زوجها في جميع هذه المدة، وإن رفضت ذلك ولم ترغب في البقاء، فيجوز لها الخروج من البيت بعد أربعة أشهر وعشرة أيام، ويمكنها كذلك إختيار زوج آخر، وحينئذ سوف تقطع عنها بطبيعة الحال النفقة من مال زوجها السابق) [(١)]

قال آخر: ونحن مع احترامنا للعلماء إلا أنا نرى أن احترام القرآن الكريم وتعظيمه وعدم تعطيل آياته أو أي حكم من أحكامه أكثر وجوبا من احترام أي شخص أو جهة.

قال آخر: بالإضافة إلى ما ورد من الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ وأئمة الهدى، والتي تدعو إلى عرض كل شيء على القرآن الكريم.. ولذلك لا نرى صحة أي حديث يرتبط بهذا.

آيات العفو والتوبة:

قام أحد الحضور، وقال: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، فقد قال ابن حزم: هى منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

---

(١) الأمثل، (٢/ ٢٠١)

بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وبآيات قبول التوبة[١].

قال أحد حفدة قتادة[٢]: ليس في ذلك أي نسخ.. فالنسخ لا يدخل الأخبار ـ كما يذكرون ـ بالإضافة إلى أنه قد يكون المراد بقتل المؤمن ـ الوارد في الآية موضوع البحث ـ هو القتل بسبب إيمان الشخص، أي استباحة دم المؤمن، وواضح من هذا أن الذي يعمد إلى ارتكاب جريمة قتل كهذه إنما هو كافر عديم الإيمان، وإلا كيف يمكن لمؤمن أن يستبيح دم أخيه المؤمن، وبناء على هذا يستحق القاتل الخلود في النار، ويستحق العذاب والعقاب المؤبد.

قال آخر[٣]: بالإضافة إلى أن مرتكب جريمة القتل العمد قد يموت مسلوب الإيمان بسبب تعمده قتل إنسان مؤمن بريء، فلا يحظى بفرصة للتوبة عن جريمته، فينال في الآخرة العذاب العظيم المؤبد.

قال آخر[٤]: بالإضافة إلى أن المراد بـ (الخلود) قد يكون العذاب الذي يستمر لآماد طويلة وليس العذاب المؤبد.

قال آخر[٥]: بالإضافة إلى أن تعمّد قتل المؤمن يدل على نفسية خبيثة حاقدة، لا تحترم الحياة ولا تحترم الإيمان، وقد ورد في السنّة ما يدل على أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة سبعين مرة، مما يوحي بأنّ قيمة حياة المؤمن عند الله في المستوى الكبير من الأهمية والاحترام.

قال آخر[٦]: لكن هذا الوعيد الشديد لا يمنع من قبول توبة القاتل إذا تاب لله وندم

(١) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٥)
(٢) الأمثل، (٣/ ٣٨٧)
(٣) الأمثل، (٣/ ٣٨٧)
(٤) الأمثل، (٣/ ٣٨٧)
(٥) من وحي القرآن (٧/ ٤٠٣)
(٦) من وحي القرآن (٧/ ٤٠٣)

على فعله، مع الاحتفاظ بحق أولياء الدم في القصاص أو الدية، فإن الله يغفر الذنوب جميعا ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء ويقبل التوبة عن عباده، حتى أن الشرك يمكن أن يغفره الله لمن تاب عنه ودخل في الإسلام.

قال آخر(١): أما الخلود في النار للقاتل، فإنه يتصل بالاستحقاق كأية معصية كبيرة، ولا يتصل بالفعلية، كأيّ ذنب من الذنوب التي يستحق الإنسان عليها العقاب، ولكن يمكن للعفو الإلهي أن ينال المذنبين إذا تابوا وإذا انفتحت عليهم رحمة الله.

قال أحد الحضور: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فقد روي أنها لما نزلت على رسول الله ﷺ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب، وقالوا: يا رسول الله، كُلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير)، فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] (٢)

---

(١) من وحي القرآن (٧/ ٤٠٣)

(٢) مسلم برقم (١٢٥)

قال أحد حفدة قتادة: ليس بين الآيتين أي نسخ.. فلكل آية محلها الخاص بها، وقد قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في بيان عدم كونها منسوخة: (قد يتصور أن هذه الآية مخالفة للأحاديث الكثيرة التي تؤكد على النية المجردة، ولكن الجواب واضح، حيث إن تلك الأحاديث تتعلق بالذنوب التي لها تطبيقات خارجية وعملية بحيث تكون النية مقدمة لها من قبيل الظلم والكذب وغصب حقوق الآخرين وأمثال ذلك، لا من قبيل الذنوب التي لها جنبة نفسية ذاتا وتعتبر من الأعمال القلبية مثل الشرك والرياء وكتمان الشهادة)[1]

ثم ذكر تفسيرا آخر للآية، فقال: (يمكن أن يكون لعمل واحد صور مختلفة، مثلا الإنفاق تارة يكون في سبيل الله، وأخرى يكون للرياء وطلب الشهرة، فالآية تقول: إنكم إذا أعلنتم نيتكم أو أخفيتموها فإن الله تعالى أعلم بها وسيجازيكم عليها، فهي في الحقيقة إشارة إلى مضمون الحديث الشريف (لا عمل إلا بنية)[2]

قال آخر: ومثله قال عبد الكريم الخطيب، بعدم نسخها، وربطها بما ورد في السياق، فقال: (في الآية خطاب للشهود، وتحذير لهم من أن يكتموا الشهادة، فإن أبدوا ما في أنفسهم مما استشهدوا عليه، أوأخفوه وكتموه، فإن الله بهم عليم، وهومحاسبهم على خيانتهم الأمانة، وكتمانهم الشهادة) [3]

قال آخر: ومثله قال محمد حسين فضل الله: (أثارت هذه الآية كثيرا من الجدل بين المفسرين، وذلك من خلال دلالتها على أن اللهّ يحاسب الإنسان على ما في نفسه مما يبديه أو مما يخفيه، وهذا ما قد لا يرتضيه الكثيرون، على أساس أن الجزاء بالعقاب على الأعمال لا على النيات.. فلذلك ذهب البعض إلي أنها منسوخة، لأن ظاهرها المحاسبة، على كل ما يرد

(١) الأمثل، (٢/ ٣٦٢)

(٢) الأمثل، (٢/ ٣٦٢)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٣٨٥)

في القلب، وهو تكليف بما لا يطاق، مرفوع بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].. ومنهم من ذهب الي ارتباطها بآية كتمان الشهادة، أو اختصاصها بالكفار، ومنهم من فسر المحاسبة بمعني الإخبار لا العقاب.. و كل هذه الوجوه بعيدة، لأن النسخ يتوقف علي إمكانية التكليف بما لا يطاق مما لا يقدر عليه الإنسان مطلقا، وهو مستحيل عقلا، فكيف يمكن أن يشرعه اللهّ ثم ينسخه، ولأن ارتباطها بآية كتمان الشهادة أو اختصاصها بالكفار مما لا دليل عليه من اللفظ، أما تفسير المحاسبة بالإخبار لا بالعقاب، فهو خلاف الظاهر)[1]

ثم ذكر خلاصة ما ذهب إليه، فقال: (الآية تتعرض للمحاسبة على ما في النفس كمبدإ من دون الدخول في شروط ذلك، فلا مانع من ورود دليل آخر يدل على اشتراط الحساب بالعمل.. وهذا قريب إلى الصواب، ولكن الظاهر أن هذه الآيات واردة في سياق الحديث عن الحساب علة العمل من خلال نوع النيّة الدافعة إليه، بعد أن قرر القرآن الكريم في أكثر من آية ورود الحساب عليه تماما كما هو الحديث المشهور: (إنّما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[2]

قال أحد الحضور: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، فقد روي عن ابن عباس أنه قرأ الآية، ثم قال: (ثم أنزل بعد ذلك: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فحرم الله عز وجل المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل

(١) تفسير من وحي القرآن (٥/ ١٨٠)

(٢) تفسير من وحي القرآن (٥/ ١٨٠)

التوحيد إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة)[1]

قال أحد حفدة قتادة: ليس بين الآيتين أي نسخ.. فلكل آية محلها الخاص بها، وقد قال ناصر مكارم الشيرازي في معناها، وتوافقه مع كل ما ورد في القرآن الكريم: (في الآية إشارة إلى من لا تقبل توبته، وعلة عدم قبول هذا النوع من التوبة واضحة، لأن الإنسان عند الاحتضار في رحاب الموت تنكشف له الأستار، فيرى ما لم يكن يراه من قبل، فهو يرى بعد انكشاف الغطاء عن عينيه بعض الحقائق المتعلقة بالعالم الآخر، ويشاهد بعينيه نتائج أعماله التي ارتكبها في الدنيا، وتتخذ القضايا التي كان يسمع بها صفة محسوسة، وفي هذه الحالة من الطبيعي أن يندم كل مجرم على جرمه وأفعاله السيئة، ويفر منها فرار الذي يرى إقتراب ألسنة اللهب من جسمه)[2]

ثم ذكر القواعد الشرعية المرتطبة بهذا، والتي دل عليها القرآن الكريم، فقال: (من المسلم أن التكليف الإلهي والاختيار الرباني للبشر لايقوم على أساس هذا النوع من المشاهدات والمكاشفات، بل يقوم على أساس الإيمان بالغيب، والمشاهدة بعيني العقل والقلب، ولهذا نقرأ في الكتاب العزيز أن أبواب التوبة كانت تُغلق في وجه بعض الأقوام العاصية عند ظهور طلائع العذاب الدنيوي والنقمة العاجلة، وللمثال نقرأ قول الله سبحانه عن فرعون إذ يقول: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١].. كما يستفاد من بعض الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] أن العصاة يندمون عندما يشاهدون العذاب الإلهي في الآخرة، ولكن لات حين مندم، فلا فائدة

---

(١) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (١/ ٢٦٢)

(٢) الأمثل، (٣/ ١٥٥)

لندمهم في ذلك الوقت، إن هؤلاء أشبه ما يكونون بالمجرمين الذين إذا شاهدوا أعواد المشنقة وأحسوا بالحبل على رقابهم ندموا على جرائمهم وأفعالهم القبيحة، فمن الواضح أن مثل هذه التوبه وهذا الندم لا يعد فضيلة، ولا مفخرة ولا تكاملا، ولهذا لا يكون أي تأثير) (١)

قال آخر: ومثل ذلك قال عبد الكريم الخطيب، فقد قال: (في الآية رد وردع لأولئك الذين يستخفون بمحارم الله، فيهجمون عليها فى غير تحرج ولا تأثم، ويبيتون معها، ويصبحون عليها، دون أن يكون لهم مع أنفسهم حساب أو مراجعة.. وهكذا يقطعون العمر، فى صحبة الفواحش، ظاهرها وباطنها، حتى إذا بلغوا آخر الشوط من الحياة، وأطل عليهم الموت، فزعوا وكربوا، وألقوا بهذا الزاد الخبيث من أيديهم، وقالوا: تبنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا من ركوب هذه المنكرات.. إنها توبة لم تجىء من قلب مطمئن، وعقل مدرك، يحاسب ويراجع، ويأخذ ويدع، ولكنها توبة اليائس الذي لا يجد أمامه طريقا غير هذا الطريق.. إنه لم يتب وهو فى خيرة من أمره.. فيمسك المنكر أو يدعه، ويقيم على المعصية أو يهجرها.. وإنما هو إذ يتوب فى ساعة الموت، أشبه بالمكره على تلك التوبة، إذ لا وجه أمامه للنجاة غير هذا الوجه)(٢)

ثم ذكر ما يدل لهذا من القرآن الكريم، فقال: (وقد فعلها فرعون من قبل حين أدركه الغرق، فرده الله سبحانه، ولم يقبل منه صرفا ولا عدلا.. إن إيمان فرعون هنا لم يكن عن اختيار بين الإيمان والكفر.. بل كان لا بد له من أن يؤمن حتى ينجو من الغرق، إن الكفر بالله هو الذي أورده هذا المورد، وإن الإيمان بالله الذي كفر به من قبل هو الذي يرده عن هذا المورد ويدفعه عنه.. هكذا فكر وقدر.. وشبيه بهؤلاء الذين لا يرجعون إلى الله، ولا

---

(١) الأمثل، (٣/ ١٥٥)

(٢) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٧)

يذكرونه إلا عند حشرجة الموت، أولئك الذين يغرقون أنفسهم فى الآثام مادامت تواتيهم الظروف، وتسعفهم الأحوال، حتى إذا سدت فى وجوههم منافذ الطريق إلى مقارفة الإثم، بسبب أو بأكثر من سبب، تعففوا وتابوا.. وتلك توبة العاجز المقهور، ورجعة المهزوم المغلوب على أمره، لا يخالطها شيء من الندم، ولا يقوم عليها سلطان من إرادة ومغالبة.. إنها توبة غير مقبولة)[1]

قال أحد الحضور: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، فقد قال ابن حزم: منسوخة وناسخها قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠][2]

قال أحد حفدة قتادة: ليس في الآية أي نسخ.. فالأولى تعنى النادمين المستغفرين.. والثانية تعنى المعاندين المصرين على الاستهزاء بالمؤمنين، ولذلك عقبت بقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]

قال آخر[3]: ففي الآية الأولى التفات إلى المعاندين، الذين ركبوا مركب الضلال، ليكون لهم رجعة إلى الله، ولينتهوا عما هم فيه قبل أن يهلكوا، إنهم إن راجعوا أنفسهم، وأقبلوا على الله، واستغفروه، واستجابوا لرسوله، لوجدوا ربا غفورا، يتقبل توبتهم، ويقبلهم فيمن قبل من عباده المؤمنين.. فما أوسع رحمة الله بعباده، وما أعظم فضله عليهم، يدعوهم إليه وهم شاردون، ويمد إليهم يده وهم معرضون.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٢/ ٧٢٨)

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص٣٤)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (٣/ ٨٢٦)

قال آخر[1]: وفي الآية الثانية تيئيس للمنافقين المكابرين من رحمة الله، وقطع لطريق النجاة من العذاب الذي أعده الله لهم.. فلن ينقذهم من الله منقذ، ولن يشفع لهم شفيع.. حتى أن رسول الله ﷺ ـ وهو من هو عند الله ـ لن تقبل شفاعته فيهم، ولن يستجاب استغفاره لهم، ولو حرص النبى على هذا الاستغفار وبالغ فيه.. وذلك لأنهم كفروا بالله ورسوله، وحادوا الله ورسوله، ومن كان هذا موقفه مع الله ومع رسول الله، فلن يقبل الله فيه شفاعة، ولن يصرف عنه العذاب الذي رصده له.. وليس حصر الاستغفار بسبعين مرة، مرادا به أن النبي ﷺ لو جاوز هذا العدد، جاز أن يغفر الله لهم.. كلا، فإن المراد بهذا العدد هو الدلالة على أن استغفار النبى لهم، لن يقبل من الله فيهم على أية حال، كثر العدد أو قل.

قال أحد الحضور: لا بأس.. فلنسلم لكم بذلك.. فما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، فقد قيل بأنها منسوخة بالآية بعدها: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]

قال أحد حفدة قتادة[2]: هذا استثناء وليس بنسخ.. ومعنى الاستثناء هنا: أن المنافقين بصورة عامة محكومون باللعنة الأبدية، ويستمر عليهم هذا الحكم ما استمروا على النفاق، اللهم الا اذا انقطعوا وتابوا واصلحوا فإن هذا الحكم ينقطع ويرتفع بطبعه، نظرا لتبدل الموضوع.

٣ ـ الموقف المعتدل:

بعد أن انتهى حفدة قتادة من الرد على كل الأسئلة التي طرحت عليهم، قام أحد الحضور، وقد كان من أكثر القوم تشبثا بالقول بالنسخ، وأكثرهم لوما لمنكريه، وقال: بورك

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٥/ ٨٥٤)

(٢) التمهيد: ٢/ ٣٣٩.

فيكم وفي صدقكم وإخلاصكم وعلمكم.. لقد كشفتم عن عقلي حجابا كان يجثم عليه، ويمنعه من تقدير كلام ربه.. وهل يمكن تقدير الله حق قدره دون تقدير كلامه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]؟.. وهل يمكن تقدير كلام الله، ونحن ننتقي ما نشاء منه؛ فنقبله، وما نشاء فنرفضه ونعطله؟

قال آخر: صدقت.. فقد كان أمرنا غريبا مع كلام ربنا.. فنحن نقبل من علمائنا ما كتبوه من عشرات المجلدات، لا نرد حرفا واحدا، ولا ندعي تعطيله، بل نستند إليه، ونستدل به، بل نجعله دستورا لحياتنا.. ثم إذا أتينا إلى كلمات ربنا المقدسة، رحنا نقول بتعطيلها، والاكتفاء بالتبرك والتعبد بتلاوتها.

قال آخر: صدقتم.. لقد كنت أحتار في إجابة من يسألني عن سر النسخ.. وكنت أتملص منه بكل الأعذار الواهية التي جعلت من أجيبهم يشك في كلام ربه، وفي مصداقية الأحكام الواردة فيه.

قال آخر: لقد قال لي بعضهم، وأنا أحاوره في بعض الأحكام الشرعية: وما أدراك أنه نسخ.. ما دمتم تذكرون أن أجمل آيات الرحمة والصفح والحلم منسوخة؛ فكيف لا ينسخ هذا الحكم؟.. وعندما طالبته بالآية الدالة على النسخ، قال: لا يشترط ورود الآية الناسخة؛ فيكفي في رده أي حديث.. ألستم تنسخون القرآن بالأحاديث.. بل بالروايات عن الصحابة والتابعين؟

قال آخر: والأمر الأخطر من ذلك أني حاورت بعض الحداثيين الذين راحوا يدعون عدم صلاحية تطبيق أحكام القرآن الكريم على كل الأزمنة، فقال لي: إذا كانت أحكام القرآن قد تغيرت في تلك السنين المعدودات التي لا تتجاوز العشر؛ فكيف تريد منها أن تثبت كل هذه القرون الطويلة؟

قال آخر: وقد رأيت بعضهم ينسخ آيات الميراث، وخصوصا الفوارق التي جعلها الله بين ميراث الذكر والأنثى، بنفس الحجج التي نستدل بها على الحكمة من النسخ، من أن الظروف تغيرت، والأحوال تبدلت.

قال آخر: وهكذا كان القول بالنسخ ذريعة للعلمانيين الذين زعموا أن أحكام القرآن الكريم السياسية لا تتناسب مع هذا العصر.

قال آخر: وكان القول بالنسخ ذريعة للمستشرقين والمبشرين للتشكيك في القرآن الكريم وبث سمومهم للعوام والمستضعفين.

وهكذا تكلم آخرون يثنون على حفدة قتادة، وكيف استطاعوا بحكمتهم وعلمهم أن يردوا على كل تلك الشبهات، لا بالتبرير والتماس الذرائع، وإنما باستئصال المشكلة من جذورها، وبكل جرأة.

سابعا ـ القرآن.. وعقبات التأويل

في صباح اليوم الأخير من زيارتي لتلك المدينة العجيبة، نهضت على أصوات ضجة تملأ الشارع الذي كنت أقيم فيه، لم تكن تختلف كثيرا عن الضجة التي كنت أسمعها صباح كل يوم، لكنها كانت أكثر هدوءا.

سمعت أحدهم يقول لصاحبه: هيا بنا إلى المعهد العالي للتفسير؛ فقد سمعت أن هناك لقاء كبيرا سيحصل بين علماء هذه المدينة المتنازعين في كل شيء.

قال آخر: أجل.. وقد وصل الخلاف بينهم إلى حد التنابز بالألقاب.. بل أحيانا إلى حد التكفير والتضليل والتبديع.

قال آخر: وقد سمعت أن الجميع رضي بالتحاكم إلى معلم القصد والاعتدال، خاصة بعد أن رأوا آثاره في الأيام المباركة السابقة، والتي تجاوزنا فيها أكثر المشاكل التي كانت تعيق فهمنا للقرآن الكريم، وتفعيلنا له في الحياة.

قال آخر: صدقت.. لقد كان لقدوم معلم القصد والاعتدال بركات كثيرة على مدينتنا.. لقد صرت أشعر بأننا كنا مغالين في أشياء كثيرة حجبتنا عن معاني القرآن الكريم الجميلة.

قال آخر: صدقت.. لقد قضيت كل عمري أفتخر بإتقاني للرسم القرآني.. وكأن القرآن تنزل من عند الله لنكتبه بتلك الصيغة، لا لنعيش معانيه.

قال آخر: وأنا كذلك عشت طول عمري أهتم فقط بمخارج الحروف لا أتجاوزها.

قال آخر: وأنا مثلكم كان كل همي التعرف على الأحداث التي نزل بسببها القرآن الكريم لا بتفعيله في واقع كل الأزمنة والأمكنة..

بعد أن قالوا هذا غيره.. سرت خلفهم، وأنا متعجب من قدرة معلم القصد والاعتدال على التأثير في سكان تلك المدينة المملوءة بالغلو.. لكني عندما تذكرت الحكمة القائلة: (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم؛ فحيث صار التنوير وصل التعبير)، والأخرى التي تقول: (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز)، عرفت أن اللسان ليس سوى ترجمان للقلب، ولذلك بقدر تطهر القلب وصفائه ونورانيته يكون للكلام تأثيره.

وقد جربت ذلك مع أهل المدينة؛ فقد كنت أردد بينهم نفس كلام معلم القصد والاعتدال، لكن لم يعيروني أي اهتمام، بسبب افتقادي لما يملكه المعلمون، وهو كونهم (النقطة تحت الباء)، والتي تعني العبودية المحضة.. فمن صار نقطة تحت الباء جعله الله باء يفعل بها ما يشاء.

ما هي إلا لحظات حتى وصلت إلى ذلك المعهد العالي الذي تحدثوا عنه، وقد رأيت الكثير من سكان المدينة من العامة والعلماء يدخلون من بابه العريض.

في منصة القاعة الكبيرة، وقف المعلم بأنواره الساطعة، وهو يقول: لقد اتصل بي بعد انتهاء محاكمة البارحة، كبار علمائكم المحترمين.. وطلبوا مني أن أكون موجها لجلسة حول العقبات التي تحول بين التأويل والتوافق مع التنزيل.. وقد رضيت بذلك.. فهل أنتم معشر الحضور راضون أيضا؟

قالوا جميعا بصوت واحد: نعم.. وكيف لا نرضى، ولم نر منك إلا الخير والبركة.

قال المعلم: لقد رأيت من خلال اطلاعي على واقع مدينتكم، وجميع المدن التي تعظم القرآن الكريم لكنها تحرم نفسها من بركاته سبع عقبات لا يمكن فهم القرآن الكريم إلا وتأويله التأويل الصحيح إلا بعد تجاوزها.

قالوا: فما أولها؟

قال: الفضول والتكلف والبحث فيما لا حاجة إليه، كما قال تعالى محذرا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]

قالوا: فما الثانية؟

قال: الخرافة.. فالتأويل الذي لا يستند للعقل والحكمة، سيجعل من القرآن الكريم مصدرا من مصادر الخرافة، لا مصدرا للعقل والحكمة.. وبذلك يشوه كلمات الله أعظم تشويه.. بل يجعل منه حجابا يحول بين الخلق والإيمان به، أو الانفعال لما فيه.

قالوا: فما الثالثة؟

قال: الوهم والخيال.. فمن حكم وهمه وخياله في كلام ربه، تربصت به الشياطين، وزخرفت له من القول ما يحجبه عن كلام ربه، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]

قالوا: فما الرابعة؟

قال: المحدودية.. فالذي يتوهم محدودية القرآن الكريم وانحصاره في تأويلات السلف والخلف، لم يستوعب قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].. ولن يستطيع أن يحيا بالقرآن، أو يتحول إلى قرآن ناطق.

قالوا: فما الخامسة؟

قال: الحرفية والسطحية والسذاجة؛ فالذي يقرأ القرآن الكريم مستغرقا في حروفه وألفاظه، دون حقائقه ومعانيه، قد يجعل من المتشابه محكما، ومن المحكم متشابها؛ فيضل

عن سواء السبيل.

قالوا: فما السادسة؟

قال: الأهواء.. فالذي يحكّم هواه المتمثل في طائفته ومذهبه وحزبه وفريقه أو فيما ابتدعه لنفسه لتأويل كلام ربه لا يختلف عن أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣]

قالوا: فما السابعة؟

قال: الدجل والشعوذة، واستخدام القرآن الكريم في غير ما أنزل لأجله.. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]

قالوا: وعينا هذا.. فكيف تريد منا أن نتجاوز هذه العقبات؟

١ ـ عقبة الفضول:

قال المعلم: فلنبدأ بأول عقبة.. وهي عقبة الفضول، وهي العقبة التي تتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى عدم التكلف في البحث فيما لا فائدة فيه، أو لا جدوى منه، أو لا طاقة للعقل بفهمه.

قال أحدهم: صدقت، وقد ورد النهي عن ذلك صريحا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢].. فالبحث الذي لا مبرر له، ولا حاجة إليه، لن يجر إلا إلى السوء.

قال آخر: ولهذا ضرب الله تعالى المثل ببني إسرائيل وتكلفهم، حين لم يكتفوا بتحقيق الأمر الإلهي بذبح البقرة، بل راحوا يتكلفون؛ فيسألون عن أشياء لم يؤمروا بها؛ فشدد الله

عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١]

قال آخر: ولهذا نهى الله تعالى عن الخوض في التفاصيل المرتبطة بأهل الكهف، لأن العبرة في القصة ليست في عدد أهل الكهف، ولا أسمائهم، وإنما في دينهم وثباتهم، وقد قال تعالى يشير إلى ذلك التخبط والفضول: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٥-٢٦]

قال آخر: بورك فيك معلمنا.. للأسف قضيت كل عمري، وأنا أخالف هذه الأوامر القرآنية، فبدل أن أهتم باللباب والتدبر، كنت أبحث في تفاصيل لا معنى لها، ولا جدوى منها، ولا دليل عليها.. ومن الأمثلة على ذلك أني كنت أذكر في تفسير قصة أصحاب الكهف الكثير من الغرائب التي لا دليل عليها سوى تلك الروايات التي لا أدري مصدرها..

وكنت أتفنن في ذكر الخلاف الوارد فيها؛ فأذكر لهم ما روي عن مجاهد، وأنه قال:

اسم كلبهم قطمور.. وعن الحسن قال: اسم كلب أصحاب الكهف قطمير.. وعن ابن جريج قال: قلت لرجل من أهل العلم: زعموا أن كلبهم كان أسدا قال: لعمر الله ما كان أسدا ولكنه كان كلبا أحمر خرجوا به من بيوتهم يقال له قطمور.. وعن كثير النواء قال: كان كلب أصحاب الكهف أصفر.. وعن سفيان قال: قال رجل بالكوفة يقال له: عبيد وكان لا يتهم بكذب: رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنه كساء انبجاني.. وعن عبيد السواق قال: رأيت كلب أصحاب الكهف صغيرا باسطا ذراعيه بفناء باب الكهف وهو يقول: هكذا يضرب بأذنيه.. وعن عبد الله بن حميد المكي في قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] قال: جعل رزقه في لحس ذراعيه.. وغيرها من التفاصيل الكثيرة التي لا دليل عليها، ولا داعي لها(١).

قال آخر(٢): ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].. وبدل أن أدعوهم إلى التدبر في المعاني الواردة في الآية الكريمة أخوض معهم في تفاصيل كثيرة، لا دليل عليها.. كنت أنقلها لهم عن الأزرقي، وأمثاله من المؤرخين والمفسرين الذين هم كحاطبي ليل، ولا يميزون بين الغث والسمين، والمقبول، والمردود، في بناء البيت، ومن بناه قبل إبراهيم: أهم الملائكة أم آدم؟.. والحجر الأسود ومن أين جاء؟ وما ورد في فضلهما.. وقد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الإسرائيليات التي أخذت عن أهل الكتاب بضع عشرة صحيفة(٣)، لا يزيد ما صح منها أو ثبت عن عشر هذا المقدار.

ومن تلك الغرائب التي كنت أرويها لهم ما حكاه عطاء بن أبي رباح، قال: (لما أهبط

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٣٧٣)

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ١٦٨.

(٣) الدر المنثور ج١ من/ ١٢٥ - ١٣٧.

الله آدم من الجنة: كان رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء.. يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم، ويأنس إليهم فهابته الملائكة، حتى شكت إلى الله في دعائها، وفي صلاتها، فوجه إلى مكة، فكان موضع قدمه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به، حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة، حتى بعث الله إبراهيم، فبناه، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]) [١].. إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بني إسرائيل وخرافاتهم، ولم يصح في ذلك خبر عن رسول الله ﷺ.

قال آخر: ومثلكم أنا فقد كنت أفسر لهم قوله تعالى ـ في قصة طالوت، وتنصيبه ملكا على بني إسرائيل، واعتراض بني إسرائيل عليه، وإخبار نبيهم لهم بالآية الدالة على ملكه، وهي التابوت ـ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] من الفضول والتكلف ما يصرفهم عن التأمل في هذه الآية الكريمة.

ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه لهم نقلا عن تفاسير ابن جرير، والثعلبي، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، من الأخبار عن الصحابة والتابعين، وعن وهب بن منبه، وغيره من مسلمة أهل الكتاب في وصف التابوت، وكيف جاء، وعلام يشتمل، وعن السكينة وكيف صفتها.

وكنت أذكر لهم أن التابوت كان من خشب الشمشاد، نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين، كان عند آدم إلى أن مات، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاده، إلى إبراهيم عليه

---

(١) تفسير ابن جرير ج١/ ٤٢٨، ٤٢٩.

السلام، ثم كان عند إسماعيل عليه السلام ، ثم يعقوب عليه السلام ، ثم كان في بني إسرائيل، إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه، فكان عنده إلى أن مات، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل، وكان عندهم حتى عصوا، فغلبوا عليه؛ غلبهم عليه العمالقة[1].

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر لهم أن السكينة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] عبارة عن (ريح خجوج حفّافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان).. وأن (لها رأس كرأس الهرّة وذنب كذنب الهرّة وجناحان) [2].. أو أنها (هرّة ميّتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح) [3].. أو أنها (طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيها قلوب الأنبياء) .. أو أنها (روح من الله عزّ وجلّ يتكلم، إذا اختلفوا في شيء تكلّم فأخبرهم ببيان ما يريدون)

مع أني لو رجعت إلى القرآن الكريم، وبحثت عن معنى السكينة، لوجدت ذلك بكل سهولة؛ فالسكينة[4] هي تلك الطمأنينية، والسكون الذي يحل بالقلب، وبذلك فإن تقديم التابوت أمام الجيش، سيكون من أسباب السكون، والطمأنينة، فتقوى نفوسهم، وتشتد معنوياتهم فيكون ذلك من أسباب النصر، وهو بذلك مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] أي طمأنينته، وما ثبت به قلبه، ومثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ١٣١)

(٢) تفسير الثعلبي (٢/ ٢١٣)

(٣) تاريخ الطبري: ١/ ٣٢٧.

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ١٧١.

اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].. وقوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]

قال آخر: ومثلكم. أنا.. فقد كنت أذكر لهم في تفسير مجيئ الملائكة بالتابوت قصصا كثيرة مملوءة بالغرابة، مع أن القرآن الكريم اكتفى بذكر ذلك.. ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه لهم من أن (التابوت كان بأريحاء، وكان الذين استولوا عليه وضعوه في بيت آلهتهم تحت صنمهم الأكبر، فأصبح التابوت على رأس الصنم، فأنزلوه، فوضعوه تحته، فأصبح كذلك، فسمروه تحته، فأصبح الصنم مكسور القوائم، ملقى بعيدا، فعلموا أن هذا أمر من الله لا قبل لهم به، فأخرجوا التابوت من بلدهم فوضعوه في بعض القرى، فأصاب أهلها أمراض في رقابهم.. فتحيروا في الأمر، فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل، من أولاد الأنبياء: لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم، فأخرجوه عنكم، فأتوا بعجلة، بإشارة تلك المرأة، وحملوا عليها التابوت، ثم علقوها على ثورين، وضربوا جنوبهما، فأقبل الثوران يسيران، ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما، فأقبلا حتى وقفا على أرض بني إسرائيل، فكسرا نيريهما، وقطعا حبالهما، ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل، ورجعا إلى أرضهما، فلم يرع بني إسرائيل إلا التابوت، فكبروا، وحمدوا الله تعالى)[1]

قال آخر: ومثلكم. أنا.. فقد كنت أذكر لهم التفاصيل الكثيرة المرتبطة بالبقية الباقية مما ترك آل موسى وآل هارون عليهما السلام ، والتي كانت محفوظة في التابوت، كما قال تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]ومن غير أي دليل سوى تلك الروايات الكثيرة التي لا تستند إلا لخرافات بني إسرائيل.. ومن الأمثلة على ذلك أني كنت

(١) تفسير الثعلبي (٢/ ٢١٤)

أذكر لهم أنها كانت عبارة عن (عصا موسى عليه السلام ورضاض الألواح؛ لأنها انكسرت لما ألقاها موسى عليه السلام حين عاد، فوجدهم يعبدون العجل.. أو أنها عصا موسى عليه السلام وعصا هارون عليه السلام، ولوحين من التوراة، وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في التيه.. أو أنها عصا موسى، ونعلاه، وعصا هارون وعمامته، وثياب موسى، وثياب هارون، ورضاض الألواح)[1].. وكنت أجتهد في الترجيح بين هذه الأقوال، وكأنها مسألة ترتبط بقضايا الدين الكبرى، التي لا يتم إلا بها.

مع أني لو اكتفيت بما ورد في القرآن الكريم لعلمت أنه كان في التابوت مخلفات من مخلفات موسى، وهارون عليهما السلام، وأن هذا التابوت كان مصدر سكينة، وطمأنينة لبني إسرائيل، ولا سيما عند قتال عدوهم، وأنه عاد إلى بني إسرائيل، تحمله الملائكة، من غير بحث في الطريق التي حملته بها الملائكة، وبذلك كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكا عليهم، وما وراء ذلك من الأخبار التي سمعتها لم يقم عليها دليل، ولا فائدة علمية ولا عملية لها.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، وبدل الحث على التدبر فيما تحمله الآية الكريمة من المعاني المرتبطة بالمجتمعات وبسنن نصر الله لها، رحت أشحن عقول المستمعين لي بالكثير من التفاصيل الخرافية التي لا تختلف عن حكايات ألف ليلة وليلة.

ومن الأمثلة على ذلك أني كنت أذكر الأوصاف الكثيرة الغريبة لهؤلاء الجبارين، وعظم أجسادهم، مما لا يدل عليه الواقع والعلم.. ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه عن

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٣١)

بعضهم أنه قال: (استظل سبعون رجلا من قوم موسى في خف رجل من العماليق).. وعن بعضهم أنه قال: (بلغني أنه رؤيت ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل من العماليق).. وعن بعضهم أنه قال: (أمر موسى عليه السلام أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريبا من المدينة، وهي أريحاء؛ فبعث إليهم اثني عشر نقيبا، من كل سبط منهم عين؛ ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة، فرأوا أمرا عظيما من هيبتهم، وجسمهم، وعظمهم، فدخلوا حائطا أي: بستانا لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار، فنظر إلى آثارهم فتبعهم، فكلما أصاب واحدا منهم أخذه، فجعله في كمه مع الفاكهة وذهب إلى ملكهم، فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم؛ فرجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه بما عاينوه من أمرهم، فقال: اكتموا عنا، فجعل الرجل يخبر أخاه وصديقه، ويقول: اكتم عني، فأشيع في عسكرهم، ولم يكتم منهم إلا رجلان: يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا.. وعن بعضهم: أن عنقود عنبهم لا يحمله إلا خمسة أنفس، بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس وأربعة[1].

قال آخر: ومثلكم أنا؛ فقد كنت مولعا بما ذكره المفسرون والمحدثون عند ذكر الجبارين في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢] من قصة عوج بن عوق، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وأنه كان يمسك الحوت، فيشويه في عين الشمس، وأن طوفان نوح لم يصل إلى ركبتيه، وأنه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح، وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع، ووثب في الهواء عشرة أذرع، فأصاب كعب عوج فقتله، فكان جسرا لأهل النيل سنة.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٤٨)

وكنت أحكي للمستمعين لي ما رواه ابن جرير من أمر موسى وبني إسرائيل وبعث موسى النقباء الاثني عشر، وفيها: فلقيهم رجل من الجبارين يقال له: عوج، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حجزته، وعلى رأسه حملة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: بل خل عنهم، حتى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك[1].

وكل ذلك معارض لما صرح به لما يدل عليه العلم من أطوال البشر.. بل معارض لقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

بل معارض لما ذكره العلماء الذين كنت أتجنب ذكر أقوالهم في المسألة خشية الإفساد على نفسي أو على غيري نشوة الاستغراب والتعجب.. ومن ذلك قول بعضهم: (أما المراد من عبارة (قوما جبارين) فهم كما تدل عليه التواريخ قوم (العمالقة) الذين كانوا يمتلكون أجساما ضخمة، وكانت لهم أطوال خارقة، بحيث ذهب الكثير إلى المبالغة في طول أجسام هؤلاء وصنعوا الأساطير الخرافية من ذلك، وكتبوا فيهم مواضيع تثير السخرية لا يسندها أي دليل علمي، وبالأخص فيما كتبوه عن المدعو بـ(عوج) في التواريخ المصطنعة المشوبة بالخرافات والأساطير.. ويبدو أن مثل هذه الخرافات التي تسربت حتى إلى بعض الكتب الإسلامية، وإنما هي من صنع بني إسرائيل، والتي تسمى عادة بـ (الإسرائيليات) والدليل على هذا القول هو ما ورد نصا في التوراة المتداولة من أساطير خرافية تشبه أساطير العمالقة، حيث نقرأ في سفر الأعداد في أواخر الفصل الثالث عشر (إن الأرض التي ذهب بنو إسرائيل إليها لإستقصاء أخبارها هي أرض تبيد ساكنيها وإن جميع من فيها هم أناس طوال

(١) تفسير الثعلبي (٤/ ٣٦)

وفيهم العمالقة من أبناء (عناق) بشكل كان بنو إسرائيل الذين ذهبوا للتجسس هناك أشبه بالجراد قياسا بأحجام العمالقة الموجودين في تلك الأرض!)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] أذكر الكثير من القصص الغريبة التي تحول دون تدبر الآيات الكريمة، والاستفادة منها في الواقع.

ومن الأمثلة على ذلك[2] ما كنت أحدث به ـ نقلا عن المفسرين ـ من أنه لما قال قوم موسى عليه السلام له ما قالوا، ودعا موسى عليه السلام عليهم، أوحى الله إليه أنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون في الأرض، وأنهم كانوا هم يومئذ ستمائة ألف مقاتل فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ ستة، أو دون ذلك، يسيرون كل يوم جادين، لكي يخرجوا منها، حتى يمسوا، وينزلوا، فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا، وأنهم اشتكوا إلى موسى عليه السلام ما فعل بهم فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته، وسأل موسى ربه أن يسقيهم، فأتى بحجر الطور، وهو حجر أبيض، إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم.. وكنت أذكر لهم أن ثيابهم ما كانت تبلى، ولا تتسخ.. وكل ذلك من التكلف والفضول الذي لا دليل عليه، بل هو من العقبات التي تحول بيننا وبين تدبر القرآن الكريم.

وقد كنت ـ مراعاة لنشوة تلك القصص والتفاصيل المرتبطة بها ـ أرغب عن كل ما يدعوني إلى تحكيم عقلي بشأنها، ولذلك كنت أرد بشدة على من يورد لي قول بعض المؤرخين في رده على ذلك: (كثيرا ما وقع للمؤرخين، والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في

---

(١) الأمثل، (٣/ ٦٦٤)

(٢) تفسير الثعلبي (٤/ ٤٤)

الحكايات، والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا، أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر، والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم، والغلط، سيما في إحصاء الأعداد من الأموال، والعساكر إذا عرضت في الحكايات؛ إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول، وعرضها على القواعد، وهذا ـ كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين ـ في جيوش بني إسرائيل، وأن موسى أحصاهم في التيه، بعد أن أجاز من كان يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين، فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام، واتساعها لمثل هذا العدد من الجيوش، لكل مملكة حصة من الحامية تتسع لها، وتقوم بوظائفها، وتضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة، والأحوال المألوفة.. ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك: ما كان من غلبة بختنصر لهم، والتهامه بلادهم، واستيلائه على أمرهم، وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم، وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس، وكانت ممالكهم بالعراقين، وخراسان، وما وراء النهر، والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه، وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفا، كلهم متبوع.. وأيضا: فالذي بين موسى، وإسرائيل إن هو إلا أربعة آباء، على ما ذكره المحققون، فإن موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بفتح الهاء وكسرها بن لاوي بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو إسرائيل الله، هكذا نسبه في التوراة، والمدة بينهما على ما نقله المسعودي، قال: دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط، وأولادهم، حين أتوا إلى يوسف سبعين نفسا، وكان مقامهم بمصر، إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه مائتين وعشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من

الفراعنة، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد، وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده، فبعيد أيضا؛ إذ ليس بين سليمان، وإسرائيل إلا أحد عشر أبا.. ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلا المئين والآلاف، فربما يكون، وأما أن يتجاوز هذا إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد، واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا، ونقلهم كاذبا.. والذي ثبت في الإسرائيليات: أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة، وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه، هذا هو الصحيح من أخبارهم، ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم، وفي أيام سليمان عليه السلام، وملكه كان عنفوان دولتهم، واتساع ملكهم)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَّ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللهَّ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥] أذكر الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، والتي تحجب عن المراد من الآيات الكريمة، والتدبر فيها.

ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أذكره لهم من أنها خوان عليه خبز وسمك، يأكلون منه أينما نزلوا، إذا شاءوا.. أو أن المائدة كانت سمكة، وأريغفة.

وكنت أذكر لهم أنها نزلت تطير بها الملائكة بين السماء والأرض، عليها كل الطعام إلا اللحم.. وأذكر لهم أن الله أنزلها من السماء على بني إسرائيل، فكان ينزل عليهم في كل

---

(١) مقدمة ابن خلدون من/ ٧ ـ ٩.

يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة، فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى، فكان يقعد عليها أربعة ألاف، وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء الله عز وجل.

وكنت أذكر لهم أنه نزل عليهم أقرصة من شعير، وأحوات، وحشا الله بين أضعافهن البركة، فكان قوم يأكلونن ثم يخرجون، ثم يجيء آخرون فيأكلون، ثم يخرجون، حتى أكل جميعهم، وأفضلوا..

وكنت أذكر لهم أن الحواريين لما سألوا المسيح عليه السلام المائدة كره ذلك؛ خشية أن تنزل عليهم، فلا يؤمنوا بها، فيكون فيها هلاكهم، فلما أبوا إلا أن يدعو لهم الله لكي تنزل، دعا الله، فاستجاب له، فأنزل الله تعالى سفرة حمراء بين غمامتين؛ غمامة فوقها وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من السماء، تهوي إليهم، والمسيح عليه السلام يبكي خوفا من الشرط الذي اتخذ عليهم فيها فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه، والحواريون حوله يجدون رائحة طيبة، لم يجدوا رائحة مثلها قط، وخر المسيح عليه السلام والحواريون سجدا، شكرا لله تعالى وأقبل اليهود ينظرون إليهم، فرأوا ما يغمهم، ثم انصرفوا، فأقبل عيسى عليه السلام ومن معه ينظرونها فإذا هي مغطاة بمنديل، فقال المسيح عليه السلام: من أجرؤنا على كشفه، وأوثقنا بنفسه، وأحسننا بلاء عند ربه، حتى نراها، ونحمد ربنا سبحانه وتعالى ونأكل من رزقه الذي رزقنا؟ فقالوا: يا روح الله وكلمته، أنت أولى بذلك، فقام واستأنف وضوءا جديدا، ثم دخل مصلاه، فصلى ركعات، ثم بكى طويلا، ودعا الله تعالى أن يأن له في الكشف عنها، ويجعل له ولقومه فيها بركة، ورزقا، ثم انصرف، وجلس حول السفرة وتناول المنديل، وقال: بسم الله خير الرازقين، وكشف عنها، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير، وليس في جوفها شوك، يسيل السمن منها، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل، وعند ذنبها ملح،

وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات.. وفي رواية: على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى: يا روح الله وكلمته، أمن طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات، وتنتهوا عن تنقير المسائل؟! ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الآية، فقال له شمعون: لا وإله إسرائيل ما أردت بهذا سؤالا يا ابن الصديقة، فقال عيسى عليه السلام ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا، ولا من طعام الجنة، إنما هو شيء ابتدعه الله في الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة.. فقالوا: يا روح الله وكلمته، إنا نحب أن يرينا الله آية في هذه الآية، فقال: سبحان الله تعالى أما اكتفيتم؟! ثم قال: يا سمكة عودي بإذن الله تعالى حية كما كنت، فأحياها الله، وعادت حية طرية، يا سمكة عودي بإذن الله تعالى كما كنت مشوية، فعادت، ثم دعاهم إلى الأكل فامتنعوا، حتى يكون هو البادئ، فأبى، ثم دعا لها الفقراء والزمنى، وقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم، واحمدوا الله تعالى الذي أنزلها لكم، فيكون مهنئوها لكم وعقوبتها على غيركم، وافتتحوا أكلكم باسم الله تعالى، واختتموه بحمد الله، ففعلوا، فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة، يصدرون عنها، كل واحد منهم شبعان يتجشأ، ونظر عيسى والحواريون، فإذا ما عليها كهيئته، إذ نزلت من السماء، لم ينقص منها شيء، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون، فاستغنى كل فقير أكل منها وبرئ كل زمن أكل منها، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم، وبقيت حسرتها في قلوبهم، إلى يوم الممات[1].

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير ما ورد في القرآن الكريم عن سفينة نوح

---

(١) القصة في تفسير الثعلبي (٤/ ١٢٧)، وغيره.

عليه السلام أورد الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا حاجة لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه ـ كذبا وبهتانا ـ على رسول الله ﷺ أنه قال: (كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان).. وكنت أذكر لهم أن طول السفينة كان ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا.. وكنت أذكر لهم أن نوحا عليه السلام لما أمر أن يصنع الفلك، قال: يا رب، وأين الخشب؟ قال: اغرس الشجر، فغرس الساج عشرين سنة.. فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، وستين ذراعا في الأرض يعني عمقها، وعرضها ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون وأمر أن يطليها بالقار، ولم يكن في الأرض قار، ففجر الله له عين القار، حيث تنحت السفينة، تغلي غليانا، حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب، وأطباقها، وحمل فيها السباع، والدواب، فألقى الله على الأسد الحمى، وشغله بنفسه عن الدواب وجعل الوحش والطير في الباب الثاني، ثم أطبق عليهما.. وكنت أذكر لهم أن طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع[1].

وكنت أروي لهم عن ابن عباس أنه قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم عليهما السلام: لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها، فانطلق بهم، حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، فضرب الكثيب بعصاه، قال: قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب على رأسه، قد شاب، قال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟! قال: لا؛ مت وأنا شاب، ولكنني ظننت أنها الساعة قامت، فمن ثم شبت قال: حدثنا عن سفينة نوح قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، كانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب، والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب: أوحى

---

(١) انظر هذه الروايات وغيرها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/٤٢٥)

الله إلى نوح: أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه، فوقع منه خنزير وخنزيرة؛ فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر يخرب السفينة بقرضه أوحى الله إلى نوح: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور، وسنورة، فأقبلا على الفأر فأكلاه.

وكنت أذكر لهم أن الأسد عطس، فخرج من منخره سنوران: ذكر وأنثى، فأكلا الفأر، وأن الفيل عطس، فخرج من منخره خنزيران ذكر وأنثى فأكلا أذى السفينة وأنه لما أراد الحمار أن يدخل السفينة أخذ نوح بأذني الحمار، وأخذ إبليس بذنبه، فجعل نوح عليه السلام يجذبه، وجعل إبليس يجذبه، فقال نوح: ادخل يا شيطان. ـ ويريد به الحمار ـ فدخل الحمار، ودخل معه إبليس، فلما سارت السفينة جلس إبليس في أذنابها يتغنى، فقال له نوح عليه السلام: ويلك من أذن لك؟ قال: أنت. قال: متى؟ قال: أن قلت للحمار ادخل يا شيطان، فدخلت بإذنك[1].

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها.. ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه ـ زورا وبهتانا ـ على رسول الله ﷺ أن أسماءها (حرثان، والطارق والذيال وذو الكفتان، وقابس، ودنان، وهودان، والفيلق، والمصبح، والضروح، والفريخ، والضياء، والنور)[2]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها.. ومن الأمثلة على ذلك ما كان يحدث به وهب، وقوله: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرتها رياط، وورقها برود،

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٤٢٥)

(٢) الدر المنثور: ٤/ ٤.

وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر، واللبن، والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة، فبينما هم في مجلسهم؛ إذ أتتهم ملائكة من ربهم، يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح حسنا، ووبرها كخز المرعزي من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس، وإستبرق، فيفتحونها، يقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه، وتسلموا عليه.. فيركبونها فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نجبا من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه، وهو يكلمه، ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى ولا برك راحلة برك الأخرى، حتى أن الشجرة لتتنحى عن طريقهم؛ لئلا تفرق بين الرجل وأخيه.. فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم، حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام.. فيقول تعالى عند ذلك: أنا السلام، ومني السلام، وعليكم السلام، حقت رحمتي ومحبتي، مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيب، وأطاعوا أمري.. فيقولون: ربنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا في السجود قدامك.. فيقول الله: إنها ليست بدار نصب، ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنية، فيسألونه، حتى أن أقصرهم أمنية ليقول: ربي تنافس أهل الدنيا في دنياهم، فتضايقوا فيها، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: لقد قصرت بك أمنيتك.. ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني؛ لأنه ليس في عطائي نكد، ولا قصر يد.. ثم يقول: أعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال؛ فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب،

مفرغة، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة، متظاهرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح ولا طيب إلا قد عبق بهما، ضوء وجوههما غلظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك، ويدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه، ويتعلقان به، ويقولان له: والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة، حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له[1].

قال آخر[2]: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قصة ذي القرنين الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه عن وهب بن منبه أنه قال: ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عز وجل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك.. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك.. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل.. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل، فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها، بأي قوة أكابرهم؟

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوي: ٤/ ٤١٤، ٤١٥.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٠)

وبأي جمع أكاثرهم؟ وبأي حيلة أكايدهم؟ وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لغاتهم؟ وبأي سمع أعي قولهم؟ وبأي بصر أنفذهم؟ وبأي حجة أخاصمهم؟ وبأي قلب أعقل عنهم؟ وبأي حكمة أدبر أمرهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأي حلم أصابرهم؟ وبأي معرفة أفصل بينهم؟ وبأي علم أتقن أمورهم؟ وبأي يد أسطو عليهم؟ وبأي رجل أطؤهم، وبأي طاقة أخصمهم، وبأي جند أقاتلهم؟ وبأي رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم، وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها وترحمها.. قال الله عز وجل: إني سأطوقك ما حملتك، أشرح لك صدرك، فيسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء، وأمد لك بصرك، فتنفذ كل شيء، وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشد لك ظهرك، فلا يهدك شيء، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كل شيء، وأشد لك وطأتك، فتهد كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء.. ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرقة، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كل مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صد، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم

الظلمة، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كل جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه؛ فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كل إنسان لوحا، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك.. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله، فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق ما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا

يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شك أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٤-٩٥] أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم، ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم الفحل المسن، أو الفرس القوي، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورئي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا،

وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم، فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك ما يلي مشرق الشمس، فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبون، ولا يقتتلون، ولا يقحطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظ، ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه وقال: أخبروني أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم، قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا

إلا أمين مؤتمن، قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر، قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا، قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا، قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحت صدورنا، فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا، قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية، قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع، قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل، قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تحردون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم، قال: حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويوفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قصة يأجوج ومأجوج الكثير من

التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرفعه إلى رسول الله ﷺ كذبا وبهتانا اعتمادا على ما جاء في تفسير ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار عن حذيفة أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج، ومأجوج، فقال: يأجوج ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل حمل السلاح، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز، قلت: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، قال رسول الله ﷺ: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، ولا حديد، وصنف منهم، يفترش إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل، ولا وحش، ولا جمل، ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية[1].

ومع أن الكثير من العلماء نصوا على كذب الحديث كابن الجوزي في موضوعاته، والسيوطي في اللآلئ، وغيرهما، إلا أني لم أكن أبالي بذلك.

ولم أكن أبالي أيضا بالتناقض الذي ورد في تلك الروايات، فبينما كنت أذكر هول وعظم خلقهم رافعا ذلك كذبا وزورا إلى رسول الله ﷺ إذا بي أروي عن ابن عباس أنه قال: (إن يأجوج ومأجوج شبر، وشبران، وأطولهم ثلاثة أشبار، وهم من ولد آدم)[2]

قال آخر[3]: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير ما ورد في القرآن الكريم حول قصة ملكة سبأ الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه في تفسير قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً

(١) الدر المنثور في التفسير بالماثور (١٠/ ٣٦٦)

(٢) الدر المنثور في التفسير بالماثور (١٠/ ٣٦٦)

(٣) الدر المنثور في التفسير بالماثور (١١/ ٣٧٥)

وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، نقلا عن تفاسير ابن جرير، والثعلبي والبغوي، والخازن، وغيرهم: أن سليمان عليه السلام أراد أن يتزوجها، فقيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين، فأمرهم، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة، فلما رأته حسبته لجة، وكشفت عن ساقيها لتخوضه، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدما وساقا، إلا أنها كانت شعراء الساقين، فكره ذلك، فسأل الإنس ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسي، فقالت بلقيس: لم تمسني حديدة قط، وكره سليمان ذلك، خشية أن تقطع ساقيها، فسأل الجن: فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين؟ فقالوا: إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء، فاتخذوا لها النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ.

وكنت أذكر لهم أنها سألت سليمان عليه السلام عن أمرين، حيث قالت له: أريد ماء ليس من أرض ولا من سماء؛ فسأل سليمان الإنس، ثم الجن، ثم الشياطين، فقالت الشياطين: هذا هين، أجر الخيل، ثم خذ عرقها، ثم املأ منه الآنية، فأمر بالخيل فأجريت، ثم أخذ العرق فملأ من الآنية.. وأنها سألته عن لون الله عز وجل فوثب سليمان عن سريره، وفزع من السؤال، وقال: لقد سألتني ـ يا رب ـ عن أمر، إنه ليتعاظم في قلبي أن أذكره لك، ولكن الله أنساه، وأنساهم ما سألته عنه، وأن الشياطين خافوا لو تزوجها سليمان، وجاءت بولد، أن يبقوا في عبوديته، فصنعوا له هذا الصرح الممرد، فظنته ماء، فكشفت عن ساقيها لتعبره، فإذا هي شعراء، فاستشارهم سليمان: ما يذهبه؟. فجعلت له الشياطين النورة.

وغيرها من الروايات الكثيرة التي تشوه المعاني القرآنية الجليلة، وتشوه معها سليمان عليه السلام، بل تشوه النبوة نفسها.

قال آخر[1]: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك: أنها أهدت إليه وصفاء ووصائف.. ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف الذكر من الأنثى.. أو ألبس الغلمان لباس الجواري، وألبس الجواري لبسة الغلمان.

وكنت أذكر الخلاف في عددهم، وأن ابن عباس قال: مائة وصيف، ومائة وصيفة، وأن مجاهدا ومقاتل قالا: مائتا غلام، ومائتا جارية.

وكنت أحكي لهم ما قال وهب وغيره من أنها عمدت إلى خمسمائة غلام، وخمسمائة جارية، فألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقا من ذهب، وفي آذانهم أقراطا، وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر، وألبست الجواري لباس الغلمان: الأقبية والمناطق، وحملت الجواري على خمسمائة رمكة، والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر، وغواشيها من الديباج الملون، وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة، وتاجا مكللا بالدر، والياقوت، وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود وعمدت إلى حقة، فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، وأرسلت مع الهدية رجالا من عقلاء قومها، وكتبت معهم كتابا إلى سليمان بالهدية، وقالت: إن كنت نبيا فميز لي بين الوصائف والوصفاء، وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدر ثقبا مستويا، وأدخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جن.

وكنت أحكي لهم أن سليمان عليه السلام أمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١١/ ٣٦٤)

الفضة، ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة، وأن يعدوا في الميدان أعجب دواب البر والبحر، فأعدوها، ثم قعد على سريره، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ، وأمر الوحوش، والسباع والهوام، والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه، وعن يساره، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة، تقاصرت أنفسهم، ورموا بما معهم من الهدايا.

قال آخر[1]: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣-١٣١] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أذكره لهم من أن الله تعالى بعث إلياس إلى بعلبك، وكانوا قوما يعبدون الأصنام، وكانت ملوك بني إسرائيل متفرقة على العامة، كل ملك على ناحية يأكلها، وكان الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره، ويقتدي برأيه، وهو على هدى من بين أصحابه، حتى وقع إليهم قوم من عبدة الأصنام، فقالوا: ما يدعون إلا إلى الضلالة، والباطل، وجعلوا يقولون له: اعبد هذه الأوثان التي تعبد الملوك، وهم على ما نحن عليه، يأكلون، ويشربون وهم في ملكهم يتقلبون، وما تنقص دنياهم من ربهم الذي تزعم أنه باطل، وما لنا عليهم من فضل، فاسترجع إلياس، فقام شعر رأسه، وجلده، فخرج عليه إلياس.

وكنت أذكر لهم أن الذي زين لذلك الملك امرأته، وكانت قبله تحت ملك جبار،

---

(١) الدر المنثور ج٥/ ٢٨٠، ٢٨١، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٥٨) وغيرهما.

وكان من الكنعانيين في طول، وجسم، وحسن، فمات زوجها فاتخذت تمثالا على صورة بعلها من الذهب، وجعلت له حدقتين من ياقوتتين، وتوجته بتاج مكلل بالدر والجوهر، ثم أقعدته على سرير، تدخل عليه، فتدخنه، وتطيبه، وتسجد له، ثم تخرج عنه، فتزوجت بعد ذلك هذا الملك الذي كان إلياس معه، وكانت فاجرة قد قهرت زوجها، ووضعت البعل في ذلك البيت، وجعلت سبعين سادنا فعبدوا البعل، فدعاهم إلياس إلى الله فلم يزدهم ذلك إلا بعدا، فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك، وعبادة غيرك، فغير ما بهم من نعمتك، فأوحى الله إليه: إني قد جعلت أرزاقهم بيدك، فقال: اللهم أمسك عنهم القطر ثلاث سنين، فأمسك الله عنهم القطر، وأرسل إلى الملك فتاه اليسع، فقال: قل له: إن إلياس يقول لك: إنك اخترت عبادة البعل على عبادة الله، واتبعت هوى امرأتك؛ فاستعد للعذاب والبلاء، فانطلق اليسع، فبلغ رسالته للملك، فعصمه الله تعالى من شرك الملك، وأمسك الله عنهم القطر، حتى هلكت الماشية والدواب، وجهد الناس جهدا شديدا وخرج إلياس إلى ذروة جبل، فكان الله يأتيه برزق، وفجر له عينا معينا لشرابه وطهوره، حتى أصاب الناس الجهد، فأرسل الملك إلى السبعين، فقال لهم: سلو البعل أن يفرج ما بنا، فأخرجوا أصنامهم، فقربوا لها الذبائح، وعطفوا عليها، وجعلوا يدعون، حتى طال ذلك بهم، فقال لهم الملك: إن إله إلياس كان أسرع إجابة من هؤلاء، فبعثوا في طلب إلياس، فأتى، فقال: أتحبون أن يفرج عنكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخرجوا أوثانكم، فدعا إلياس عليه السلام ربه أن يفرج عنه، فارتفعت سحابة مثل الترس، وهم ينظرون، ثم أرسل الله عليهم المطر، فتابوا ورجعوا.

وكنت أروي لهم أن إلياس دعا ربه، أن يريحه من قومه، فقيل له: انظر يوم كذا وكذا، فإذا رأيت دابة لونها مثل لون النار فاركبها؛ فجعل يتوقع ذلك اليوم، فإذا هو بشيء قد أقبل

على صورة فرس، لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فكان آخر العهد به، فكساه الله الريش، وكساه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فصار في الملائكة عليهم السلام.

وكنت أذكر لهم أن إلياس عليه السلام موكل بالفيافي، والخضر عليه السلام بالجبال، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى، وأنهما يجتمعان كل عام بالموسم.

وكنت أذكر لهم أن إلياس صاحب جبال وبرية يخلو فيها يعبد ربه عز وجل وكان ضخم الرأس، خميص البطن، دقيق الساقين، في صدره شامة حمراء، وإنما رفعه الله إلى أرض الشام، لم يصعد به إلى السماء، وهو الذي سماه الله ذا النون.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢١-٢٥] الكثير من الخرافات التي تخل بمقام الأنبياء، وتنافي عصمتهم، ومنها أن داود عليه السلام قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال الله: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به، وأعطيتك كما أعطيتهم، قال: نعم، قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك؛ فكان ما شاء الله أن يكون، وطال ذلك عليه، فكاد أن ينساه؛ فبينا هو في محرابه، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها، فطار إلى كوة المحراب، فذهب ليأخذها،

فطارت، فاطلع من الكوة، فرأى امرأة تغتسل، فنزل نبي الله من المحراب، فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها، ففعل، فكان يصاب أصحابه وينجو، وربما نصروا، وإن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود، أراد أن يستنقذه؛ فبينما داود ذات يوم في محرابه، إذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه؛ فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت، وقال: لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يستورون علي محرابي، قالا له: (لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض)ولم يكن لنا بد من أن نأتيك، فاسمع منا؛ قال أحدهما: (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة)أنثى (ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها)يريد أن يتمم بها مئة، ويتركني ليس لي شيء (وعزني في الخطاب)قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشد مني، فذلك قوله (وعزني في الخطاب)قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه).. إلى قوله (وقليل ما هم)ونسي نفسه، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسم أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظن أنما فتن (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب)أربعين ليلة، حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه، ثم شدد الله له ملكه)[١]

بل إني كنت أرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ زورا وبهتانا، فقد كنت أروي عن أنس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إن داود النبي حين نظر إلى المرأة فأهم، قطع على بني إسرائيل، فأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حضر العدو، فقرب فلانا بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨١)

فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه)[1]

وقد كان في إمكاني أن أفسر الآية الكريمة بما يدل عليه ظاهرها؛ فهي تشير إلى أن داود عليه السلام بمجرد أن تسور الرجلان عليه المحراب، وأخبره أولهما بالظلم الذي لحق به، سارع فانتصر له، مثلما فعل قبل ذلك أخوه موسى عليه السلام حين سارع لنصرة المستضعف.. وهنا عاتبه الله لأنه لم يستمع للثاني من الخصمين.. ولكونه أوابا وصاحب روحانية عالية، فقد تأثر لذلك العتاب تأثرا شديدا، وهوى ساجدا لله بكل رقة وعبودية وخضوع.

قال آخر[2]: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك أني كنت أذكر لهم أن المراد منها الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوما.. وأذكر لهم أنه كان لسليمان عليه السلام امرأة يقال لها جرادة، وكانت أحب نسائه إليه، وأنه أراد أن يدخل الخلاء، فأعطاها خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن، والإنس، والشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء، قال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدا يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك: عرف أنه من أمر الله عز وجل، وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه ألقى الله في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان.. فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له، وظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبا فيها سحر، ومكر، فدفنوها

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨٧)

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ١٧٨)

تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها، وقرأوه على الناس، قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس، ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة، فأخذته، وكان سليمان عليه السلام يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل، فاشترى سمكا؛ فيه تلك السمكة في بطنها الخاتم، فدعا سليمان عليه السلام، فقال له: تحمل لي هذا السمك، ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان عليه السلام، فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلبسه، فلما لبسه دانت له الإنس، والجن، والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه، وكان شيطانا مريدا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما، فجاؤوا فبنوا عليه بنايا من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أن دار معه الرصاص، فأخذوه وأوثقوه، وجاءوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به، فنقب له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سد بالنحاس، ثم أمر به، فطرح في البحر.

وقد كنت أذكر لهم أن هذا الشيطان كان يسمى صخرا.. أو أن اسمه آصف.. وأن سليمان سأله: كيف تفتنون الناس؟! فقال الشيطان: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان، وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، حتى كان ما كان من أمر السمكة، والعثور على الخاتم، ورجوع ملك سليمان إليه.

بل إني كنت أتجرأ فأروي في تفسير تلك الآية الكريمة أحاديث مكذوبة عن رسول الله ﷺ، محتجا في ذلك بأنها رويت في المصادر الحديثية، ومن الأمثلة على ذلك ذلك الحديث الذي كنت أرويه عن أبي هريرة مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (ولد لسليمان ولد، فقال الشيطان تواريه من الموت، قالوا: نذهب به إلى المشرق، فقال: يصل إليه الموت، قالوا: فإلى

المغرب قال: يصل إليه الموت، قالوا: إلى البحار، قال: يصل إليه الموت، قالوا: نضعه بين السماء والأرض، قال: نعم، ونزل عليه ملك الموت، فقال: إني أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار، وطلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها، فبينا أنا قاعد أصبتها، فقبضتها وجاء جسده، حتى وقع على كرسي سليمان، فهو قول الله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] (١)

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أذكر لهم من أن الشيطان عرج إلى السماء فقال: يا رب سلطني على أيوب، قال الله: قد سلطتك على ماله، وولده، ولم أسلطك على جسده، فنزل: فجمع جنوده فقال لهم: قد سلطت على أيوب؛ فأروني سلطانكم فصاروا نيرانا، ثم صاروا ماء، فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق، فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره، وطائفة إلى غنمه، وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف؛ فأتوه بالمصائب بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك، أرسل على زرعك عدوا، فذهب به، وجاء صاحب الإبل، وقال: ألم تر إلى ربك أرسل على إبلك عدوا، فذهب بها، ثم جاء صاحب البقر، فقال: ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدوا، فذهب بها، وتفرد هو ببنيه جمعهم في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام، فقال: يا أيوب، ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون؛ إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وابن مردويه، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ١٨١)

فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم، ولحومهم بطعامهم، وشرابهم، فقال له أيوب: أنت الشيطان، ثم قال له: أنا اليوم كيوم ولدتني أمي، فقام، فحلق رأسه، وقام يصلي، فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء، فقال: أي رب، إنه قد اعتصم، فلسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه، فنزل، فنفخ تحت قدمه نفخة، قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقي على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى إليه، حتى قالت له: أما ترى يا أيوب، قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف، فأطعمك، فادع الله أن يشفيك، ويريحك، قال: ويحك؛ كنا في النعيم سبعين عاما، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاما، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يوما فأخذ بيده، ثم قال: قم: فقام، فنحاه عن مكانه، وقال: اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضا، فقال: اركض برجلك فنبعت عين أخرى، فقال له: اشرب منها، وهو قوله: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، وألبسه الله حلة من الجنة؛ فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله، أين المبتلى الذي كان هنا، لعل الكلاب ذهبت به، أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك، أنا أيوب، قد رد الله علي جسدي، ورد الله عليه ماله، وولده عيانا ومثلهم معهم[1].

ومثل ذلك كنت أذكر لهم أن أيوب عليه السلام ابتلي بماله، وولده، وجسده، وطرح في المزبلة، فجاءت امرأته تخرج، فتكتسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان بذلك، فكان يأتي أصحاب الخير والغنى، فيقول: اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم، فإنها تعالج صاحبها،

---

(١) أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساكر. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ١٩٢)

وتلمسه بيدها، فالناس يتقذرون طعامكم من أجلها، فجعلوا لا يدنونها منهم، ويقولون تباعدي ونحن نطعمك، ولا تقربينا[1].

وغيرها من القصص التي كنت أرفع بعضها إلى رسول الله ﷺ زورا وبهتانا، ومنها أنه قال: (إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب، والبعيد، إلا رجلين من إخوانه له، كانا يغدوان إليه، ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب عليه السلام: ما أدرى ما تقول، غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكرا الله إلا في حق، قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده، حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه،: أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)[2]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٦-٨] الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد، فقال: (كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أي حي أرد فيهلكهم) [3]

وكنت أذكر لهم أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد، فملكا وقهرا، ثم مات شديد

---

(١) أحمد في الزهد. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ١٩٤)

(٢) ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٦٥٩)

(٣) ابن أبي حاتم وابن مردويه، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٥٠٥)

وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبني مثلها، فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، وسورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، ولما تم بناؤها سار إليها بأهب مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء، فهلكوا.

وكنت أحكي لهم عن عبد الله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها يعني مدينة إرم، فحمل منها ما قدر عليه، وبلغ خبره معاوية، فاستحضره، وقص عليه فبعث إلى كعب الأحبار، فسأله عنها فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانه أحمر، أشقر، قصير، على حاجبه خال، ثم التفت، فأبصر ابن قلابة، فقال: هذا والله ذاك الرجل(١).

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت بارعا في كل التفاصيل المرتبطة بقصة هاروت وماروت الغريبة، والتي كنت أفسر بها قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]

وقد كنت أبالغ في نقل أسانيدها المرتبطة بكبار الصحابة والتابعين من أمثال ابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وكعب، والربيع، والسدي، وغيرهم.. بالإضافة إلى توثيقها من المصادر الكبرى للتفسير والحديث كابن جرير الطبري في تفسيره، وابن مردويه، والحاكم، وابن المنذر، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، والخطيب وغيرهم(٢).

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٦) -٣٦٧.

(٢) الدر المنثور: ١ من ص٢ ٩٧ - ١٠٣، تفسير ابن جرير ج١/ ٣٦٢

بل إني كنت أنسب لهم تلك الروايات العجيبة إلى رسول الله ﷺ مستندا في ذلك إلى ما رواه ابن جرير، والخطيب في التاريخ، وغيرهما عن نافع، عن ابن عمر.. وكنت ـ حرصا على التسلية والمتعة والغرابة ـ أغض الطرف عن كل من حكم بوضعها من أمثال ابن الجوزي[1].. والشهاب العراقي، والذي نص على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما: فهو كافر بالله[2].. ومثلها القاضي عياض الذي قال: وما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت: لم يرد فيه شيء لا سقيم، ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئا يؤخذ بالقياس.. وغيرهم.. ومثلهم المحققون من المفسرين الذين مهروا في معرفة أصول الدين، وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات: كالإمام الرازي، وأبي حيان، وأبي السعود، والآلوسي، وغيرهم كثير.

وفوق ذلك كله، قد كنت أثناء قصي لها أغفل عما تحمله من مخالفات لكل الحقائق والقيم القرآنية النبيلة، وأهمها أن الملائكة عليهم السلام معصومون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت ـ بدل البحث في أسباب النصر في قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهَّ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهَّ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهَّ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَّ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] كنت أهتم بكل القصص والخرافات التي شينت تفاسيرنا بها.

ومن الأمثلة على ذلك أني كنت أذكر للمستمعين لها في تفسيرها ما أورده الثعلبي، والبغوي، والخازن، والسيوطي، وغيرهم في تفاسيرهم[3] من أنه (عبر النهر فيمن عبر مع

---

(١) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج١/ ٨٢.

(٢) روح المعاني ج١/ ٣٤١.

(٣) انظر القصة بطولها تفسير الثعلبي (٢/ ٢١٦)

طالوت ملك بني إسرائيل إيشا: أبو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم، وكان يرمي بالقذافة؛ فلا يخطئ، وأنه ذكر لأبيه أمر قذافته تلك، وأنه دخل بين الجبال، فوجد أسدا فأخذ بأذنيه، فلم يهجه، وأنه مشى بين الجبال، فسبح، فما بقي جبل حتى سبح معه، فقال له أبوه: أبشر؛ فإن هذا خير أعطاك الله تعالى إياه.. فأرسل جالوت إلى طالوت: أن ابرز إلي، أو أبرز إلي من يقاتلني، فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم، فشق ذلك على طالوت، فنادى في عسكره: من قتل جالوت زوجته ابنتي، وناصفته ملكي، فهاب الناس جالوت، فلم يجبه أحد.. فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس، وتنور من حديد، فقيل: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه، فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه، ولا يسيل على وجهه، بل يكون على رأسه كالإكليل، ويدخل هذا التنور فيملؤه، ولا يتقلقل فيه.. فدعا طالوت بني إسرائيل، فجربهم، فلم يوافقه منهم أحد، فأوحى الله إلى نبيهم: إن في ولد إيشا من يقتل الله به جالوت، فدعا طالوت إيشا، فقال: اعرض هذا على بنيك، فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السواري، فجعل يعرضهم على القرن، فلا يرى شيئا فقال لإيشا: هل بقي لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال نبي هذا الزمان: يا رب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال الله: كذب، فقال هذا النبي لإيشا: إن الله كذبك، فقال إيشا: صدق الله، يا نبي الله، إن لي ابنا صغيرا، يقال له: داود، استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها، وهو في شعب كذا وكذا، وكان داود رجلا قصيرا، مسقاما، مصغارا، أزرق أمعر، فدعاه طالوت، فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح إليها، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل، ولا يخوض بهما الماء، فلما رآه قال: هذا هو لا شك فيه، هذا يرحم البهائم، فهو بالناس أرحم، فدعاه، ووضع القرن على رأسه، ففاض يعني من غير أن يسيل

على وجهه فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت، وأزوجك ابنتي، وأجري خاتمك في ملكي؟ قال: نعم، قال: وهل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، وذكر بعض ذلك.. فأخذ طالوت داود، ورده إلى عسكره، وفي الطريق مر داود بحجر، فناداه: يا داود احملني؛ فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا، فحمله في مخلاته، ثم مر بآخر، فناداه قائلا: إنه حجر موسى الذي قتل به ملك كذا، فأخذه في مخلاته، ثم مر بحجر ثالث، فناداه قائلا له: احملني؛ فإني حجرك الذي تقتل بي جالوت، فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال، وبرز جالوت، وسال المبارزة، انتدب له داود، فأعطاه طالوت فرسا، ودرعا، وسلاحا، فلبس السلاح، وركب الفرس، وسار قريبا، ثم لم يلبث أن نزع ذلك، وقال لطالوت: إن لم ينصرني الله لم يغن عني هذا السلاح شيئا، فدعني أقاتل جالوت كما أريد، قال: فافعل ما شئت، قال: نعم.. فأخذ داود مخلاته، فتقلدها، وأخذ المقلاع، ومضى نحو جالوت، وكان جالوت من أشد الرجال، وأقواهم، وكان يهزم الجيش وحده، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديدا؛ فلما نظر إلى داود ألقى الله في قلبه الرعب، وبعد مقاومة بينهما، وتوعد كل منهما الآخر، أخرج داود حجرا من مخلاته، ووضعه في مقلاعه وقال: باسم إله إبراهيم، ثم أخرج الآخر وقال: باسم إله إسحاق، ووضعه في مقلاعه، ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب، ووضعه في مقلاعه، فصارت كلها حجرا واحدا، ودور داود المقلاع، ورمى به، فسخر له الله الريح، حتى أصاب الحجر أنف البيضة، فخلص إلى دماغه، وخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلا، وهزم الله تعالى الجيش، وخر جالوت قتيلا، فأخذه يجره، حتى ألقاه بين يدي طالوت، ففرح جيش طالوت فرحا شديدا، وانصرفوا إلى مدينتهم، والناس يذكرون بالخير داود.

وليت القصة اكتفت بذلك.. بل إني كنت من خلال تتمتها أشوه ما ورد القرآن

الكريم من بيان أسباب اختيار الله تعالى لطالوت ليكون ملكا على بني إسرائيل.. فقد كنت أنتصر لبني إسرائيل في رفضهم لملك طالوت من حيث لا أشعر .. فقد كنت أذكر لهم أن داود جاء طالوت، وقال له: أنجز لي ما وعدتني، فقال: وأين الصداق؟، فقال له داود: ما شرطت على صداقا غير قتل جالوت، ثم اقترح عليه طالوت أن يقتل مائتي رجل من أعدائهم، ويأتيه بغلفهم، ففعل، فزوجه طالوت ابنته، وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود، وأحبوه، وأكثروه ذكره، فحسده طالوت، وعزم على قتله، فأخبر ابنة طالوت رجل من أتباعه، فحذرت داود، وأخبرته بما عزم أبوها عليه، وبعد مغامرة من طالوت لقتل داود، ومكيدة وحيلة من داود، أنجى الله داود منه، فلما أصبح الصباح، وتيقن طالوت أن داود لم يقتل، خاف منه، وتوجس خيفة، واحتاط لنفسه، ولكن الله أمكن داود منه ثلاث مرات، ولكن لم يقتله، ثم كان أن فر داود من طالوت في البرية، فرآه طالوت ذات يوم فيها، فأراد قتله، ولكن داود دخل غارا، وأمر الله العنكبوت، فنسجت عليه من خيوطها، وبذلك نجا من طالوت، ولجأ إلى الجبل، وتعبد مع المتعبدين؛ فطعن الناس في طالوت بسبب داود، واختفائه، فأسرف طالوت في قتل العلماء والعباد، ثم كان أن وقعت التوبة في قلبه، وندم على ما فعل، وحزن حزنا طويلا، وصار يطلب من يفتيه أن له توبة فلم يجد حتى دل على امرأة عندها اسم الله الأعظم، فذهب إليها، وأمن روعها، فانطلقت به إلى قبر شمويل، فخرج من قبره وأرشده إلى طريق التوبة، وهو أن يقدم ولده ونفسه في سبيل الله حتى يقتلوا، ففعل، وجاء قاتل طالوت إلى داود لخيبره بقتله، فكانت مكافأته على ذلك: أن قتله، وأتى بنو إسرائيل إلى داود، وأعطوه خزائن طالوت، وملكوه على أنفسهم.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى

حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] الكثير من الخرافات والتفاصيل التي لا سند لها سوى أولئك الذين تحولوا بين عشية وضحاها من يهود منبوذين إلى علماء وأساتذة يجلس بين أيدهم الصحابة والتابعون.

ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه لهم نقلا عن وهب بن منبه، أنه قال: (لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكان للحية أربع قوائم، كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله تعالى، فلما دخلت الحيه الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت: أنظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم، أين أنت؟ قال: أنا هذا يا رب، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكا! قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر.. ثم قال: يا حواء، أنت التي غررت عبدي، فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا، وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك) [1]

---

(١) تاريخ الطبري (١/١٠٨)

هل رأيتم الخرافات والمخالفات العقدية التي كنت أنشرها من خلال هذه القصة.. لقد كنت أتهم الله بالتجسيم.. وأصف الملائكة بالأكل.. وأتهم حواء بأنها سبب ماحصل لآدم عليه السلام؟

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] الكثير من الخرافات والأساطير التي تحول دون تدبر الآية الكريمة.. لقد كنت أذكر لهم أن الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم، وأن الأرض نشفت دم ابن آدم فلعن ابن آدم الأرض، فمن أجل ذلك لا تنشف الأرض دما بعد دم هابيل إلى يوم القيامة(١).

وكنت في تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣٠-٣١] أذكر لهم أن قابيل حمل هابيل سنة في جراب على عنقه، حتى أنتن وتغير؛ فبعث الله الغرابين قتل أحدهما الآخر، فحفر له، ودفنه، برجليه ومنقاره، فعلم كيف يصنع بأخيه، مع أن القرآن عبر بالفاء، التي تدل على الترتيب والتعقيب من غير تراخ.. وأذكر لهم أنه لما قتله اسود جسده، وكان أبيض، فسأله آدم عن أخيه، فقال: ما كنت عليه وكيلا، قال: بل قتلته فلذلك اسود جسدك.. وأن آدم لما قتل أحد ابنيه الآخر، مكث مائة عام لا يضحك حزنا عليه، فأتى على رأس المائة، فقيل له: حياك الله وبياك، وبشر بغلام، فعند ذلك ضحك(٢).

وكنت أنشد بين أيدي المستمعين لي أشعار آدم وإبليس؛ فأذكر لهم أنه لما قتل ابن آدم

---

(١) الدر المنثور ج١/ ٢٧٠.

(٢) الدر المنثور ج١/ ٢٧٦، ٢٧٧.

أخاه بكى آدم، فقال:

تغيرت البلاد ومن عليها — فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم — وقل بشاشة الوجه المليح

وأذكر لهم أن إبليس أجابه بقوله:

تنح عن البلاد وساكنيها — فبي في الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء — وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما انفكت مكايدتي ومكري — إلى أن فاتك الثمن الربيح

وكنت ـ حتى لا أشوش على المستمعين لي ـ نشوة الاستماع لا أذكر لهم ما قال المحققون من العلماء فيها، كقول الزمخشري: (روي أن آدم عليه السلام مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك، وأنه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر) [1] .. بل روي عن ابن عباس أنه قال: (من قال: إن آدم عليه السلام قد قال شعرا فقد كذب، إن محمدا ﷺ والأنبياء كلهم في النهى عن الشعر سواء) [2]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أذكر الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، وكلها كانت تحجب عن المراد من الآيات الكريمة، والتدبر فيها.

---

(١) تفسير الكشاف ج١/ ٤٣١.

(٢) روح المعاني: ٦/ ١١٥.

ومن الأمثلة على ذلك[1] ما كنت أذكره لهم من أنه لما سأل موسى عليه السلام ربه الرؤية أرسل الله الضباب، والصواعق، والظلمة، والرعد، والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر، ينبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد.. ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية: أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فهبطوا عليه أمثال الأسود، لهم لجب بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى، وسمع، واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتي، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه؟ فقال له حبر الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر ملائكة السماء الثالثة: أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال النسور، لهم قصف ورجف، ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح، والتقديس كجلب الجيش العظيم، ألوانهم كلهب النار، ففزع موسى، واشتد فزعه، وأيس من الحياة، فقال له حبر الملائكة ورأسهم: مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة: أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران، فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتقديس، والتسبيح، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم، فاصطكت ركبتاه، وارتعد قلبه، واشتد بكاؤه، فقال له حبر الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران: اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.. ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة: أن اهبطوا، فاعترضوا على موسى، فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم، فامتلأ جوفه

(١) تفسير الثعلبي (٤/ ٢٧٦)

خوفا، واشتد حزنه، وكثر بكاؤه، فقال له حبر الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك، حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.. ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة: أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوءا من الشمس، ولباسهم كلهب النار، إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم، يقولون بشدة أصواتهم: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، رب العزة أبدا لا يموت، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته، يسبح معهم حين سبحوا، وهو يبكي ويقول: رب اذكرني ولا تنس عبدك، لا أدري أأنفلت مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت احترقت، وإن مكثت مت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك، وينخلع قلبك، فاصبر للذي سألت.. ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة، فلما بدا نور العرش، انفرج الجبل من عظمة الرب جلا جلاله، ورفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعا، يقولون: سبحان الملك القدوس، رب العزة أبدا لا يموت، بشدة أصواتهم، فارتج الجبل، واندكت كل شجرة كانت فيه، وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح، فتغشاه، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، وجعله كهيئة القبة؛ لئلا يحترق موسى فأقام موسى يسبح الله، ويقول: آمنت بك ربي، وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك وأعظم ملائكتك، أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، ولا يعدلك شيء، ولا يقوم لك شيء، رب تبت إليك، الحمد لله لا شريك لك، ما أعظمك، وما أجلك رب العالمين.

وأمثال هذه القصص والخرافات التي تشوه العقيدة في الله وملائكته ورسله.. بالإضافة إلى تشويهها للدين جميعا.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أذكر الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها، ومن الأمثلة على ذلك[1] ما كنت أنقله لهم من تفسير الثعلبي والبغوي والزمخشري والقرطبي والآلوسي وغيرهم، حول الألواح، وتركيبها وعددها ومصدرها ونحو ذلك..فأذكر لهم أنها كانت من سدر الجنة، وطول اللوح اثنا عشر ذراعا.. أو أنها كانت من زبرجدة خضراء.. أو من ياقوت أحمر، أو من برد.. أو من زمد، أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن، وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، واستمد من نهر النور.. أو أن الله أمر بقطع الألواح من صخرة صماء، فقطعها بيده، ثم شققها بيده، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر، وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة، وكانت الألواح عشرة أذرع، على طول موسى.

وكنت أذكر لهم أن التوراة نزلت وهي سبعون وقر بعير، يقرأ الجزء منه في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى.

مع أن كل ذلك من التكلف الممقوت.. وفهم الآية ليس متوقفا عليه، (والذي يجب أن نؤمن به، أن الله أنزل الألواح على موسى، وفيها التوراة، أما هذه الألواح مم صنعت؟ وما طولها وما عرضها؟ وكيف كتبت؟ فهذا لا يجب علينا الإيمان به، والأولى عدم البحث فيه؛ لأن البحث فيه لا يؤدي إلى فائدة، ولا يوصل إلى غاية)[2]

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] أذكر لهم أن التوراة مشتملة على كل ما كان وكل ما

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٤٨)

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ٢٠٢.

يكون.. وقد أروي لهم في ذلك ما ذكره الطبراني، والبيهقي عن محمد بن يزيد الثقفي، قال: اصطحب قيس بن خرشة، وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين، وقف كعب، ثم نظر ساعة، ثم قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يراق ببقعة من الأرض مثله.. فقال قيس: ما يدريك؟ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله تعالى به؟.. فقال كعب: ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى، ما يكون منه، وما يخرج منه إلى يوم القيامة[1].

قال آخر[2]: ومثلك أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] أذكر لهم ما روي عن قتادة أنه قال: نظر موسى في التوراة، فقال: رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم، يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا، ولم يعرفوه، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم، قال: رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول، وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فصول الضلالة، حتى ليقاتلون الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها، وكان من قبلهم إذا

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٥٨)

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٥٢)

تصدق بصدقة، فقبلت منه بعث الله نارا فأكلتها وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير، وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم، قال: رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة، إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون، والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد.. قال قتادة: فذكر لنا أن نبي الله موسى نبذ الألواح، وقال: اللهم اجعلني من أمة محمد.

لقد كنت أروي لهم هذا لنتيه بأنفسنا ونفخر، ولم نكن نعلم أننا بذلك نحارب عدالة الله التي شملت العالمين جميعا، ولم تقتصر على أي طائفة أو أمة دون غيرها.

بل إني كنت أضيف لهم إلى تلك الرواية ما يزيد الشاكين شكا في رسالة رسول الله ﷺ نفسها.. لقد كنت أذكر لهم أنه لما عجب موسى عليه السلام من الخير الذي أعطى الله محمدا ﷺ وأمته قال: يا ليتني من أصحاب محمد، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤-١٤٥]، وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]؛ فرضي موسى كل الرضى.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] أذكر الكثير من التفاصيل التي لا دليل عليها، ولا داعي لها.. ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أذكره لهم من أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم، وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطا، تبرأ سبط منهم مما صنعوا، واعتذروا وسألوا الله عز وجل

أن يفرق بينهم، وبينهم، ففتح الله لهم نفقا في الأرض، فساروا، حتى خرجوا من وراء الصين، فهم هنالك حنفاء مسلمون، يستقبلون قبلتنا(١).

وكنت أروي لهم ما رواه أبو الشيخ عن مقاتل أنه قال: إن مما فضل الله به محمدا ﷺ أنه عاين ليلة المعراج قوم موسى الذين من وراء الصين، وذلك أن بني إسرائيل حين عملوا بالمعاصي وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس دعوا ربهم وهم بالأرض المقدسة فقالوا: اللهم أخرجنا من بين أظهرهم؛ فاستجاب لهم فجعل لهم سربا في الأرض؛ فدخلوا فيه، وجعل معهم نهرا يجري وجعل لهم مصباحا من نور بين أيديهم فساروا فيه سنة ونصفا، وذلك من بيت المقدس إلى مجلسهم الذي هم فيه؛ فأخرجهم الله إلى أرض تجتمع فيها الهوام والبهائم والسباع مختلطين بها ليس فيها ذنوب ولا معاص؛ فأتاهم النبي ﷺ تلك الليلة، ومعه جبريل، فآمنوا به وصدقوه وعلمهم الصلاة، وقالوا: إن موسى قد بشرهم به(٢).

قال آخر: ومثلك أنا، فقد كنت أذكر لهم ما رواه البغوي في تفسيره عن الكلبي، والضحاك، والربيع أنهم قالوا: هم قوم خلف الصين، بأقصى الشرق، على نهر مجرى الرمل، يسمى: نهر أرداف، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل، ويصحون بالنهار، ويزرعون لا يصل إليهم منا أحد، وهم على دين الحق، وذكر أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي ﷺ ليلة أسري به إليهم، فكلمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا، فقال لهم: هذا محمد؛ النبي الأمي، فآمنوا به، فقالوا: يا رسول الله، إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه مني السلام، فرد النبي ﷺ على موسى وعليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، وأمرهم بالصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم،

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٨٥)

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٥٨٦)

وكانوا يسبتون، فأمرهم أن يجمعوا، ويتركوا السبت[1].

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]الكثير من الخرافات المسيئة للنبوة، وليوسف عليه السلام، والتي لا يمكن ذكرها في هذا المجلس المحترم.

٢ ـ عقبة الخرافة:

قال المعلم: بورك فيكم، والأمثلة التي ذكرتموها كافية للدلالة على التحريف الذي حصل للمعاني القرآنية بسببها، ونحن نحتاج إلى التحذير منها، والتنبيه إلى عدم صلتها بالقرآن الكريم، وأنها مجرد أساطير وخرافات وتفاصيل دعا إليها الفضول، لا التدبر الذي أُمرنا به.

قال أحدهم: أجل.. فحدثنا عن العقبة الثانية.

قال المعلم: العقبة الثانية وليدة العقبة الأولى.. فالفضول هو الذي يجعل صاحبه يقع في الخرافة كما رأينا ذلك في الأمثلة التي ذكرتموها.. فلو أن المحدثين والمفسرين اقتصروا على ما ورد في القرآن الكريم من المعاني، واهتموا بأعماقها، لما احتاجوا إلى كل تلك التفاصيل التي زجت بهم في الخرافة.

قال أحدهم: ما دام الأمر كذلك؛ فلم فصلت الخرافة عن الفضول؟

قال المعلم: لأن خطر الخرافة أعظم؛ فهي ليست مجرد أساطير وقصص للتسلية، بل لكونها تخالف العقل والعلم، صارت أعظم مشوه للقرآن الكريم، وهي لذلك تتناقض مع كل ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى العلم وتحكيم العقل، والاستفادة منه في الحكم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

على الأشياء.

قال أحدهم: صدقت.. فكل القرآن الكريم تمجيد للعقل، ودعوة إليه.. وقد قال تعالى يصف خلاصة عباده الصالحين: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم ذكر دور عقلهم وتفكيرهم في توجيههم إلى ربهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

قال آخر: وهكذا ذكر أن آيات الله لا ينتفع بها إلا أصحاب العقول، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

قال المعلم: بورك فيكم فهل ترون في التأويلات الواردة في التفاسير المصنفة من وقع فيما تأباه العقول السليمة ؟

قال أحدهم: إن شئت الصراحة.. فأنا وأمام هذا الجمع المبارك، والذي يعرفني الكثير منهم، بسبب دروسي الكثيرة التي يحرصون على الحضور إليها، لا لأنها تدعوهم إلى تدبر القرآن الكريم وتفعيله في الحياة، وإنما بما كنت أحشوه فيها من العلوم الغريبة التي لا دليل عليها، بل إنها كانت تتناقض مع كل ما تدل عليه الحقائق العلمية.

لقد كنت أحكي لهم كل ما ورد في تلك الأساطير التي فسر بها القرآن الكريم ابتداء مما روي في بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وتعليل بعض الظواهر الكونية، مثل: الرعد،

والبرق، والخسوف والكسوف، وبرودة مياه الآبار في الصيف، وحرارتها في الشتاء.. ومثل: ما روي في تفسير: ﴿ق﴾ وأنه الجبل المحيط بالأرض.. وتفسير ﴿ن﴾ وأنه الحوت الذي على ظهره الأرض، وما روي في قصص الأنبياء والمرسلين من إسرائيليات باطلة لا تليق بمقام الأنبياء، وعصمتم إلى نحو ذلك، وما أكثره في كتب التفاسير[1].

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت بارعا في كل التفاصيل المرتبطة بالخرافات المرتبطة بخلق بعض أنواع الحيوانات التي كنت أزعم لهم أنها مسخت، ولا أنسب ذلك إلى كعب الأحبار وأمثاله، أو إلى بعض الصحابة، والتابعين فقط.. وإنما إلى رسول الله ﷺ نفسه، لأشوهه بذلك كما أشوه كلمات ربي المقدسة.

ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أنقله عن الزبير بن بكار في الموفقيات، وابن مردويه، والديلمي، أن النبي ﷺ سئل عن المسوخ، فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل، والدب، والخنزير، والقرد، والجريث، والضب، والوطواط، والعقرب، والدعموص، والعنكبوت، والأرنب، وسهيل، والزهر، فقيل: يا رسول الله وما سبب مسخهن؟.. فقال: (أما الفيل: فكان رجلا جبارا لوطيا، لا يدع رطبا، ولا يابسا، وأما الدب: فكان مؤنثا يدعو الناس إلى نفسه، وأما الخنزير: فكان من النصارى الذين سألوا المائدة، فلما نزلت كفروا، وأما القردة: فيهود اعتدوا في السبت، وأما الجريث: فكان ديوثا، يدعو الرجال إلى حليلته، وأما الضب: فكان أعرابيا يسرق الحاج بمحجنه، وأما الوطواط: فكان رجلا يسرق الثمار من رؤوس النخل، وأما العقرب: فكان رجلا لا يسلم أحد من لسانه، وأما الدعموص: فكان نماما يفرق بين الأحبة، وأما العنكبوت: فامرأة سحرت زوجها، وأما الأرنب: فامرأة كانت لا تطهر من حيضها، وأما سهيل: فكان عشارا باليمن، وأما الزهرة: فكانت بنتا لبعض ملوك بني

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص٤.

إسرائيل افتتن بها هاروت، وماروت)[1]

لقد كانت تلك القصص سببا في انصراف الكثير من الطلبة الذين أعرفهم عن دراسة العلوم المرتبطة بالحيوانات، بعد أن عافتها أنفسهم بسبب ما كنت أذكره عنها.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] الكثير من الخرافات التي تصطدم مع الحقائق العلمية، ومن الأمثلة على ذلك ما كنت أرويه مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله لما أبرم خلقه، فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام خلق شمسا من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمسا، فإنه خلقها مثل الدنيا، ما بين مشارقها ومغاربها، وأما ما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمرا، فإنه خلقها مثل الشمس في الضوء، وإنما يرى الناس صغرهما؛ لشدة ارتفاعهما، ولو تركهما الله كما خلقهما في بدء الأمر لم يعرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل، ولكان الأجير ليس له وقت يستريح فيه، ولكان الصائم لا يدري إلى متى يصوم، ومتى يفطر، إلى أن قال: فأرسل جبريل، فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات، وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء، وبقي فيه النور، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]﴾ فالسواد الذي ترونه في القمر هو: أثر ذلك المحو)[2]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم

---

(١) الدر المنثور ج١/ ١٠٢، ١٠٣. (٢٤٧/٥)

(٢) ابن أبي حاتم وابن مردويه، الدر المنثور في التفسير بالمأثور

الكثير من الغرائب التي تتنافى مع ما يقوله العلم، ومن الأمثلة على ذلك أني كنت أروي لهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: (وكل بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج كل يوم، لولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته) [1]

وكنت أذكر لهم أن كعبا سئل فقيل له: ما تحت هذه الأرض؟ فقال: الماء.. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض.. قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء.. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء.. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال الماء.. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: صخرة.. قيل: وما تحت الصخرة؟ قال: ملك.. قيل: وما تحت الملك؟ قال: حوت معلق طرفاه بالعرش، قيل: وما تحت الحوت؟ قال: الهواء والظلمة وانقطع العلم[2].

بل كنت أروي لهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، والعليا منها على ظهر حوت، قد التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة، والصخرة بيد الملك، والثانية سجن الريح، والثالثة فيها حجارة جهنم، والرابعة فيها كبريت جهنم، والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم، والسابعة فيها سقر، وفيها إبليس مصفد بالحديد، يد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه) [3]

وكنت أذكر لهم أن سائلا سأل رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أسألك عن خصال، لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان، فقال رسول الله ﷺ: سل عما شئت، فقال: يا محمد، أينام النبي؟ فقال رسول الله ﷺ: تنام عيناه ولا ينام قلبه، قال: صدقت، ثم

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٤/ ٤٨٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٣)

قال: يا محمد، من أين يشبه الولد أباه وأمه؟ قال: ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأي الماءين غلب على الآخر نزع الولد، فقال: صدقت، فقال: ما للرجل من الولد وما للمرأة منه؟ فقال: للرجل العظام والعروق والعصب، وللمرأة اللحم والدم والشعر، قال: صدقت، ثم قال: يا محمد، ما تحت هذه، يعني الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: خلق.. فقال: فما تحتهم؟ قال: أرض.. قال: فما تحت الأرض؟ قال الماء، قال: فما تحت الماء؟ قال: ظلمة.. قال: فما تحت الظلمة؟ قال: الهواء.. قال: فما تحت الهواء؟ قال: الثرى.. قال: فما تحت الثرى؟ ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، وقال: انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق، أيها السائل، ما المسئول عنها بأعلم من السائل.. فقال: صدقت، أشهد أنك رسول الله.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، هل تدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.. قال: هذا جبريل[1].

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر لهم الكثير من الغرائب المخالفة للعلم، وأنسبها لرسول الله ﷺ بناء على ما ورد في التفاسير، ومن الأمثلة على ذلك ما أرويه أن رسول الله ﷺ سئل عن ضوء النهار، وظلمة الليل، وعن حر الماء في الشتاء، وعن برده في الصيف، وعن البلد الأمين، وعن منشأ السحاب وعن مخرج الجراد، وعن الرعد والبرق؟ فقال: أما ظلمة الليل، وضوء النهار، فإن الشمس إذا سقطت تحت الأرض، فأظلم الليل لذلك، وإذا أضاء الصبح ابتدرها سبعون ألف ملك، وهي تقاعس كراهية أن تعبد من دون الله، حتى تطلع، فتضيء، فيطول الليل بطول مكثها، فيسخن الماء لذلك، وإذا كان الصيف: قل مكثها، فبرد الماء لذلك، وأما الجراد: فإنه نثرة حوت في البحر، يقال له: الأبوات، وفيه يهلك، وأما منشأ السحاب: فإنه ينشأ من قبل الخافقين، ومن بين الخافقين تلجمه الصبا

---

(١) رواه ابن مردويه، الدر المنثور (٥/ ٥٥٢) وتفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٤)

والجنوب، ويستدبره الشمال والدبور، وأما الرعد: فإنه ملك بيده مخراق يدني القاصية: ويؤخر الدانية، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت[1].

قال آخر: ومثلكم أنا؛ فقد كنت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢] وغيرها من الآيات التي تتحدث عن الرياح أذكر لهم ما أرويه كذبا وزورا عن رسول الله ﷺ وأنه قال: (إن الله تبارك وتعالى خلق ريحا وأسكنها بيتا وأغلق عليها بابا، فلو فتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء والأرض، وما يأتيكم فإنما يأتيكم من خلل ذلك الباب، وأنتم تسمونها الجنوب، وهي عند الله الأذيب)[2]

قال آخر: ومثلكم أنا؛ فقد كنت عند تفسير الآيات الكريمة الواردة في خلق السماء والأرض، أروي لهم كذبا وزورا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبه، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون).. و(المجرة التي في السماء هي عرق حية تحت العرش).. و(يا معاذ إني مرسلك إلى قوم أهل كتاب، فإذا سئلت عن المجرة التي في السماء، فقل: هي لعاب حية تحت العرش)[3]

قال آخر: ومثلكم أنا فقد كنت أرد على النظريات العلمية الحديثة التي يذكرها لي طلبتي بما كنت أتبناه من الخرافات الواردة في كتب التفسير والحديث.. ولذلك كنت أضع خارطة للكون تختلف تماما عن كل خرائط العالم.. ومن الأمثلة على ذلك أني كنت أذكر لهم أن أعلى قمة على سطح الأرض ليست قمة إفرست، وإنما هي قمة جبل قاف، والذي رويت

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ٨/ ١٣٢.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٣٥)

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٣٥)

فيه الروايات الكثيرة التي توضح طوله وعرضه ووظائفه على هذه الأرض.. ومنها ما كنت أرويه عن ابن عباس أنه قال: (خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له ﴿ق﴾ السماء الدنيا مترفرفة عليه، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له ق السماء الثانية مترفرفة عليه، حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات.. وذلك قوله: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧])(١)

بل كنت أذكر لهم أسباب الزلازل، وكيف حدث جبل قاف عنها، وكنت لهم ما روي عن وهب بن منبه أنه قال: إنّ ذا القرنين أتى على جبل قاف، فرأى حوله جبالا صغارا، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف، قال: وما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وليست مدينة من المدائن إلّا وفيها عرق منها، فإذا أراد الله أن يزلزل تلك الأرض أمرني، فحرّكت عرقي ذلك، فتزلزلت تلك الأرض، فقال له: يا قاف، فأخبرني بشيء من عظمة الله، قال: إنّ شأن ربّنا لعظيم، تقصر عنه الصفات، وتنقضي دونه الأوهام، قال: فأخبرني بأدنى ما يوصف منها.. قال: إنّ ورائي لأرضا مسيرة خمسمائة عام في عرض خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضه بعضا، لولا ذاك الثلج لاحترقت من حرّ جهنّم.. قال: زدني، قال: إنّ جبريل عليه السّلام واقف بين يدي الله سبحانه ترعد فرائصه، يخلق الله من كلّ رعدة مائة ألف ملك، وأولئك الملائكة صفوف بين يدي الله سبحانه، منكّسو رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام، قالوا: لا إِلهَ إِلَّا الله)(٢) .. وقد كنت أذكر هذا كلما قرأت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٥٨٩)

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٩٣)

[النبأ: ٣٨]

قال آخر: أما أنا، والكثير من أصحابي، فقد كان شأننا وتحريفنا أخطر، ذلك أنا كنا نقف بشدة في وجه كل من يدعو إلى العلم وحقائقه وما كشف منه.. ولذلك كنا ندافع بشدة عن دوران الشمس بالأرض، ونطوع كل الآيات القرآنية لذلك، وقد كنت أذكر لهم ما كان يقوله لنا شيخنا ابن العثيمين كل حين: (لكن الشيء الذي أرى أنه لا بد منه هو أن نعتقد أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وهي التي يكون بها اختلاف الليل والنهار، لأن الله تعالى أضاف الطلوع والغروب إلى الشمس، فقال عز وجل: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]، فهذه أربعة أفعال أضيفت كلها إلى الشمس إذا طلعت، وإذا غربت، تزاور، تقرض، كلها أفعال أضيفت إلى الشمس، والأصل أن الفعل لا يضاف إلا إلى فاعله، أو من قام به، أي من قام به هذا الفعل فلا يقال: مات زيدٌ، ويراد مات عمرو.. فإذا قال الله ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ﴾ ليس المعنى أن الأرض دارت حتى رأينا الشمس لأنه لو كانت الأرض هي التي تدور، وطلوع الشمس يختلف باختلاف الدوران ما قيل: إن الشمس طلعت، بل يقال نحن طلعنا على الشمس، أو الأرض طلعت على الشمس وكذلك قال الله تبارك وتعالى في قصة سليمان ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي الشمس، ولم يقل حتى توارى عنها بالحجاب، وقال النبي ﷺ لأبي ذر: (أتدري أين تذهب هذه الشمس؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (تذهب تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها)[1]، فأضاف الذهاب إلى الشمس)[2]

(١) البخاري ٨/ ٤١٦، ومسلم رقم (١٥٩)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٧١)

وهكذا، وبعد أن طوع ما شاء من النصوص القرآنية لقوته الوهمية، قال: (فظاهر القرآن والسنة أن اختلاف الليل والنهار يكون بدوران الشمس على الأرض، وهذا هو الذي يجب أن نعتقده ما لم يوجد دليلٌ حسيٌ قاطع يسوغ لنا أن نصرف النصوص عن ظواهرها إلى ما يوافق هذا النص القاطع، وذلك لأن الأصل في أخبار الله ورسوله أن تكون على ظاهرها حتى يقوم دليل قاطع على صرفها عن ظاهرها، لأننا يوم القيامة سنسأل عما تقتضيه هذه النصوص بحسب الظاهر، والواجب علينا أن نعتقد ظاهرها إلا إذا وجد دليلٌ قاطع يسوغ لنا أن نصرفها عن هذا الظاهر) [1]

قال آخر: ومثل ذلك أنا؛ فقد كنت أردد ما لقننا إياه شيخنا ابن العثيمين، الذي قال في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] عند ذكره لفوائد هذه الآية الكريمة: (وفي قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ دليلٌ على أنهما هما اللذان يجريان حول الأرض يسِيرَان حول الأرض خلافًا لِمَن قال: إنَّهما لا يسيرَان على الأرض وأنَّ هذا ـ اختلاف الليل والنهار ـ بسبب دَوَران الأرض نفسِها وهذا لا شكَ أنَّ الذي لا يعتقد أنهما يدوران على الأرض أنَّه على خطر عظِيم ربما يصل به ذلك إلى الكفر لأنّ الذي نؤمن به ونعتقِدُه ما أخبرَنا الله عنه مِن أنَّ الشمس هي التي تدور على الأرض وكذلك القمر) [2]

قال آخر: ومثل ذلك أنا؛ فقد كنت أردد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] ما قاله القحطاني في نونيته وكأنها وحي إلهي مفسر للقرآن الكريم[3]:

كذب المهندس والمنجم مثله   فهما لعلم الله مدعيان

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٧١)

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٧٢)

(٣) نونية القحطاني (ص ٣٢)

الأرض عند كليهما كروية	وهما بهذا القول مقترنان
والأرض عند أولي النهى لسطيحة	بدليل صدق واضح القرآن
والله صيرها فراشا للورى	وبنى السماء بأحسن البنيان
والله أخبر أنها مسطوحة	وأبان ذلك أيما تبيان

٣ـ عقبة الوهم:

قال المعلم: بورك فيكم، والأمثلة التي ذكرتموها كافية للدلالة على ضرورة تطهير تفسير القرآن الكريم من كل ما يتناقض مع العلم والحقائق العلمية؛ ذلك أنها أكبر حجاب دون التعرف على الله وكلماته المقدسة.. فيستحيل على العاقل أن يؤمن بأن مصمم هذا الكون البديع يحمل كتابه المقدس تلك الخرافات المتناقضة مع علمه.

قال أحدهم: أجل.. فحدثنا عن العقبة الثالثة.

قال المعلم: العقبة الثالثة هي أيضا وليدة العقبة الأولى.. فالفضول الذي جر المسلمين إلى سؤال اليهود والنصارى عن تفسير كتابهم هو الذي جرهم إلى استعمال الكشف والإلهام والحدس وغيرها وسيلة للتعرف على ما لم يأذن الله لعقولهم بعلمه لعدم حاجتهم إليه.

قال أحدهم: أرى أنك تقصد تلك التفسيرات التي وردت في كتب الصوفية.

قال المعلم: معاذ الله أن أعمم أحكامي.. فقد يكون فيها من الإشارات النافعة الصالحة ما لا يمكن رده، بل يمكن اعتباره من المصاديق الصحيحة، أو من الأعماق التي لا حرج على المتدبر أن يفهمها.. لكني أقصد تلك الأوهام المتسربة عبر الكشف والإلهام، والتي توهم أصحابهم أنهم أدركوا حقائق الأكوان والموجودات، وهم في حقيقتها لم يزيدوا جهلهم بها إلا رسوخا.

قال أحدهم: صدقت.. فمع أني كنت لا أؤمن بتلك الخرافات المروية عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما إلا أني ـ ونتيجة تعلقي بالسلوك الروحي ـ وقعت بين يدي من أدخلني في خرافات جديدة لا تقل عن تلك الخرافات التي ذكرها كعب وأصحابه.

ومن الأمثلة عنها ما ورد في تفسير قوله تعالى في شأن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، حيث قرأت فيها قول المفسر الصوفي: (إن كان بمعنى المكانة فهو قربه من الله ورتبته في مقام الولاية من عين الجمع، وإن كان بمعنى المكان فهو الفلك الرابع الذي هو مقرّ عيسى عليه السلام لما ذكر من كونه مركز روحه في الأصل والمبدأ الأول لفيضانه إذا فاض عن محرك فلك الشمس ومعشوقه)[(١)].. وبذلك لم أخرج من الخرافات الإسرائيلية إلى اليقين القرآني، وإنما إلى خرافات جديدة، لا تقل عنها، بل قد تفوقها.

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد كنت في تفسير الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر السماء أذكر لهم ما قاله أصحاب الكشف عنها، ومنها قول بعضهم ـ متحدثا عن كشوفه المرتبطة بالسماء ـ: (اعلم أن الله تعالى قد خلق جميع الأرزاق والأقوات المتنوّعة في أربعة أيام، وجعلها بين السماء والأرض مخزونة في قلب أربعة أفلاك: الفلك الأول فلك الحرارة، الفلك الثاني فلك اليبوسة، الفلك الثالث فلك البرودة، الفلك الرابع فلك الرطوبة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يعني بحكم التسوية على قدر السؤال الذاتي، لأن الحقائق تسأل بذاتها ما تقتضيه كلما اقتضت حقيقة من حقائق المخلوقات شيئا نزل لها من تلك الخزائن على قدر سؤالها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، ثم جعل ملائكة الإنزال الموكلة بإيصال كل رزق إلى مرزوقه في السبع السموات، ثم جعل في كل سماء ملكا

---

(١) تفسير ابن عربي (تأويلات عبد الرزاق) ٢/ ١١.

يحكم على من فيها من ملائكة الأرزاق يسمى ملك الحوادث، وجعل لذلك الملك روحانية الكواكب الموجودة في تلك السماء، فلا ينزل من السماء ملك من ملائكة الأرزاق إلا بإذن ذلك الملك المخلوق على روحانية كوكب تلك السماء، فكوكب سماء الدنيا القمر، وكوكب السماء الثانية عطارد، وكوكب السماء الثالثة الزهرة، وكوكب السماء الرابعة الشمس، وكوكب السماء الخامسة المريخ، وكوكب السماء السادسة المشتري، وكوكب السماء السابعة زحل)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]، والتي لا تحتاج أي تأويل لوضوحها، لكنهم يغربون في تأويلها، حيث يقول أحدهم: (يا محمّد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ستروا محبتهم فيّ عنهم ﴿سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ﴾ بوعيدك الذي أرسلتك به ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بكلامك فإنّهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم، فلم أجعل فيها متّسعا لغيري. وعلى سمعهم، فلا يسمعون، كلاما في العالم إلّا منّي، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي، فلا يبصرون سواي، ولهم عذاب عندي، أردّهم بعد هذا المشهد السنيّ إلى إنذارك، وأحجبهم عنّي كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا، أنزلتك إلى من يكذّبك ويردّ ما جئت به إليه منّي في وجهك، وتسمع في ما يضيق له صدرك، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائك.. فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم، فلا أسخط عليهم أبدا) [2]

---

(١) الإنسان الكامل، ص٢٣١.

(٢) انظر: الفتوحات المكية ١: ١١٥ ـ ١١٧.

ثم علق على هذا بقوله: (انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه، وذلك لما أبدع الأمناء من اسمه اللطيف، وتجلّى لهم في اسمه الجميل فأحبوه، والغيرة من صفات المحبّة في المحبوب والمحبّ، فستروا محبّته غيرة منهم عليه.. و سترهم بهذه الغيرة عن أن يعرفوا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ستروا ما بدا لهم في مشاهدتهم من أسرار الوصلة، فقال: لا بدّ أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي، فتأهّبوا لذلك فما استعدّوا، فأنذرتهم على ألسنة أنبيائي الرسل في ذلك العالم فما عرفوا، لأنّهم في عين الجمع، وخاطبهم من عين التفرقة، وهم ما عرفوا عالم التفصيل فلم يستعدّوا، وكان الحبّ قد استولى على قلوبهم سلطانه؛ غيرة من الحقّ عليهم في ذلك الوقت، فأخبر نبيّه بالسبب الذي أصمّهم على إجابة ما دعاهم إليه، فقال: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ فلم يسعها غيره ﴿وعَلى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون سوى كلامه ﴿وعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾ من سناه إذ هو النور، وبهائه إذ له الجلال والهيبة، فأبقاهم غرقى في بحور اللذّات بمشاهدة الذات، فقال لهم: لا بدّ لكم من عذاب عظيم، فما فهموا ما العذاب؛ لاتّحاد الصفة عندهم، فأوجد لهم عالم الكون والفساد، وحينئذ علّمهم جميع الأسماء، وأنزلهم على العرش الرحمانيّ، وفيه عذابهم، وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه، فلمّا أبصرتهم الملائكة خرّت سجودا لهم، فعلّموهم الأسماء.. فأمّا أبو زيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب، فصعق من حينه، فقال تعالى: ردّوا عليّ حبيبي، فإنّه لا صبر له عنيّ، فحجب بالشوق والمخاطبة، وبقي الكفّار، فنزلوا من العرش إلى الكرسي، فبدت لهم القدمان، فنزلوا عليهما في الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسميّة إلى سماء الدنيا النفسي، فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على العروج: هل من داع فيستجاب له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتّى ينصدع الفجر،

فإذا انصدع ظهر الروح العقلي النوري، فرجعوا من حيث جاءوا)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أورد في تفسير ما ورد في القرآن الكريم من قصة نوح عليه السلام ما ذكره ابن عربي في تفسيرها، فقد قال: (لو أن نوحاً عليه السلام جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه: فدعاهم جهاراً ثم دعاهم إسراراً، ثم قال لهم: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، وقال: ﴿ دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥-٦]، وذكر عن قومه أنهم تصامموا عن دعوته لعلمهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته؛ فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن لا فرقان، ومن أقيم في القرآن لا يصغي إلى الفرقان وإن كان فيه؛ فإن القرآن يتضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس؛ فـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] يجمع الأمرين في أمرواحد؛ فلو أن نوحاً يأتي بمثل هذه الآية لفظاً أجابوه، فإنه شبَّهَ ونزَّهَ في آية واحدة، بل في نصف آية)[2]

وهكذا أصبح ـ بحسب هذا التفسير ـ المعاتب هو نوح عليه السلام، بل الله تعالى لأنه لم ينزل على نوح تلك الآية الكريمة، ولو أنه أنزلها لما تعنت قوم نوح، ولما نزل عليهم العذاب.

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد كنت على الرغم من تعجبي مما طرحه في تفسيره للآيات الكريمة إلا أني كنت ـ وبسبب اعتقادي لكونه ختم الأولياء ولسانهم ـ أستقبل كل ما يذكره مهما كان غريبا ومنفصلا عن ظاهر القرآن الكريم.. اسمعوا ما يقوله معاتبا نوحا عليه السلام، ومنهجه في دعوة قومه: (ونوح دعا قومه (لَيْلًا) من حيث عقولهم وروحانيتهم

---

(١) انظر: الفتوحات المكية ١: ١١٥ ـ ١١٧.

(٢) فصوص الحكم١/ ٧١.

فإنها غيب، (وَنَهاراً) دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحِسِّهم، وما جمع في الدعوة مثل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء) فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان فزادهم فراراً، ثم قال عن نفسه إنه دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشف لهم، وفهموا ذلك منه ﷺ لذلك (جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ) وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك؛ ففي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء) إثبات المثل ونفيه، وبهذا قال عن نفسه ﷺ إنه أوتي جوامع الكلم؛ فما دعا محمد ﷺ قومه ليلًا ونهاراً، بل دعاهم ليلًا في نهار ونهاراً في ليل. فقال نوح في حكمته لقومه: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح: ١١] وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ [نوح: ١٢]) أي بما يميل بكم إليه فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه؛ فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف؛ فلهذا انقسم الناس إلى عالِمٍ وغير عالِمٍ، (وَوَلَدُهُ) وهو ما أنتجه لهم نظرهم الفكري، والأمر موقوف علمه على المشاهدة بعيد عن نتائج الفكر (إِلَّا خَساراً، فما ربحت تجارتهم) فزال عنهم ما كان في أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم: وهو في المحمديِّين ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧]، وفي نوح (﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]) فأثبت المُلْكَ لهم والوكالة للهَّ فيهم. فهم مستخلفون فيه؛ فالملك للهَّ وهو وكيلهم، فالملك لهم وذلك ملك الاستخلاف، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أورد في تفسير ما ورد في القرآن الكريم من قصة موسى وهارون عليهما السلام ما ذكره ابن عربي في تفسيرها، فقد قال: (اعلم أن وجود هارون عليه السلام كان من حضرة الرحموت بقوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ [مريم: ٥٣] يعني لموسى (أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا)، فكانت نبوته من حضرة الرحموت فإنه أكبر من موسى

(١) فصوص الحكم١/ ٧٢.

سِنّا، وكان موسى أكبر منه نبوَّة، ولما كانت نبوَّة هارون من حضرة الرحمة، لذلك قال لأخيه موسى عليهما السلام (يَا بْنَ أُمَّ) فناداه بأمه لا بأبيه إذ كانت الرحمة للأم دون الأب أوفر في الحكم، ولولا تلك الرحمة ما صبرت على مباشرة التربية، ثم قال ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤] و﴿لَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠])، فهذا كله نَفَسٌ من أنفاس الرحمة، وسبب ذلك عدم التثبت في النظر فيما كان في يديه من الألواح التي ألقاها من يديه، فلو نظر فيها نظر تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة، فالهدى بيان ما وقع من الأمر الذي أغضبه مما هو هارون بريء منه، والرحمة بأخيه، فكان لا يأخذ بلحيته بمرأى من قومه مع كبره وأنه أسن منه، فكان ذلك من هارون شفقة على موسى لأن نبوة هارون من رحمة اللهَّ، فلا يصدر منه إلا مثل هذا، ثم قال هارون لموسى عليهما السلام: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]؛ فتجعلني سبباً في تفريقهم؛ فإن عبادة العجل فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى إليهم فيسألونه في ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن اللهَّ قد قضى ألَّا يُعْبَد إلا إياه: وما حكم اللهَّ بشيء إلا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لِمَا وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه كل شيء، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن، ولذا لما قال له هارون ما قال، رجع إلى السامري فقال له (فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ) يعني فيما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص، وصنعك هذا الشبح من حلي القوم حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم، فإن عيسى يقول لبني إسرائيل (يا بني إسرائيل قلب كل إنسان حيث ماله، فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء، وما سمي المال مالًا

إلا لكونه بالذات تميل القلوب إليه بالعبادة، فهو المقصود الأعظم المعظم في القلوب لما فيها من الافتقار إليه، وليس للصور بقاء، فلا بد من ذهاب صورة العجل لو لم يستعجل موسى بحرقه، فغلبت عليه الغيرة فحرقه ثم نسف رماد تلك الصورة في اليمِّ نسفاً، وقال له (انْظُرْ إِلى إِلهِكَ) فسماه إلهاً بطريق التنبيه للتعليم، لما علم أنه بعض المجالي الإلهية: (لَنُحَرِّقَنَّهُ) فإن حيوانية الإنسان لها التصرف في حيوانية الحيوان لكون اللهَّ سخرها للإنسان، ولا سيما وأصله ليس من حيوان، فكان أعظم في التسخير لأن غير الحيوان ما له إرادة بل هو بحكم من يتصرف فيه من غير إبائه، وأما الحيوان فهو ذو إرادة وغرض فقد يقع منه الإباءة في بعض التصريف: فإن كان فيه قوة إظهار ذلك ظهر منه الجموح لما يريده منه الإنسان وإن لم يكن له هذه القوة أو يصادف غرضَ الحيوان انقاد مذلَّلًا لما يريده منه، كما ينقاد مثلُهُ لأمر فيما رفعه اللهَّ به من أجل المال الذي يرجوه منه المعبَّر عنه في بعض الأحوال بالأجْرة في قوله (وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا)، فما يسخر له من هو مثله إلا من حيوانيته لا من إنسانيته: فإن المثلين ضدان، فيسخره الأرفع في المنزلة بالمال أو بالجاه بإنسانيته ويتسخر له ذلك الآخر إما خوفاً أو طمعاً من حيوانيته لا من إنسانيته: فما تسخر له مَنْ هو مثله أ لا ترى ما بين البهائم من التحريش لأنها أمثال؟ فالمثلان ضدان، ولذلك قال ورفع بعضكم فوق بعض درجات: فما هو معه في درجته، فوقع التسخير من أجل الدرجات)[1]

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد كنت أذكر قوله في سبب عدم قيام هارون عليه السلام بحرق عجل السامري: (فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سُلِّط موسى عليه، حكمةً من اللهَّ تعالى ظاهرة في الوجود ليُعْبَد في

(١) فصوص الحكم١/ ١٩٢.

كل صورة، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعبد إما عبادة تأله وإما عبادة تسخير، فلا بد من ذلك لمن عقل، وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات، ولم يقل رفيع الدرجة، فكثَّر الدرجات في عين واحدة، فإنه قضى ألَّا يعبد إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهياً عُبِدَ فيها، وأعظم مجلى عُبِدَ فيه وأعلاه (الهوى) كما قال ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وهو أعظم معبود، فإنه لا يعبد شيء إلا به، ولا يعبد هو إلا بذاته)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر التبريرات المختلفة التي ذكرها لعبدة العجل وغيره، فقد قال: (ألا ترى علم اللهَّ بالأشياء ما أكمله، كيف تمم في حق من عبد هواه واتخذه إلهاً فقال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللهَّ عَلى عِلْمٍ﴾.. والضلالة الحيرة: وذلك أنه لما رأى هذا العابِدَ ما عَبَدَ إلا هواه بانقياده لطاعته فيما يأمره به من عبادة من عبده من الأشخاص، حتى إن عبادته لله كانت عن هوى أيضا، لأنه لو لم يقع له في ذلك الجناب المقدس هوى ـ وهو الإرادة بمحبة ـ ما عبد الله ولا آثره على غيره، وكذلك كل من عبد صورة ما من صور العالم واتخذها إلها ما اتخذها إلا بالهوى، فالعابد لا يزال تحت سلطان هواه، ثم رأى المعبودات تتنوع في العابدين، فكل عابدٍ أمراً ما يكفِّر من يعبد سواه، والذي عنده أدنى تنبه يحار لاتحاد الهوى، بل لأحدية الهوى، فإنه عين واحدة في كل عابد، (وَأَضَلَّهُ اللهَّ) أي حيّره (عَلى عِلْمٍ) بأن كل عابد ما عبد إلا هواه ولا استعبده إلا هواه سواء صادف الأمر المشروع أو لم يصادف، والعارف المكمَّل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سمَّوه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك، هذا اسم الشخصية فيه،

---

(١) فصوص الحكم١/ ١٩٤.

والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبوده، وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص، ولهذا قال بعض من عرف مقالة جهالة (﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] مع تسميتهم إياهم آلهة حتى قالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فما أنكروه بل تعجبوا من ذلك، فإنهم وقفوا مع كثرة الصور ونسبة الألوهية لها، فجاء الرسول ودعاهم إلى إله واحد يعرَفُ ولا يُشْهَد، بشهادتهم أنهم أثبتوه عندهم واعتقدوه في قولهم (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى) لعلمهم بأن تلك الصور حجارة، ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله (قُلْ سَمُّوهُمْ)؛ فما يسمونهم إلا بما يعلمون أن تلك الأسماء لهم حقيقة، وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه فيظهرون بصورة الإنكار لما عبد من الصور لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم أن يكونوا بحكم الوقت لحكم الرسول الذي آمنوا به عليهم الذي به سموا مؤمنين، فهم عبَّاد الوقت مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها، وإنما عبدوا اللهَ فيها لحكم سلطان التجلي الذي عرفوه منهم، وجَهِلَه المنكِرُ الذي لا علم له بما تجلى، ويستره العارف المكمل من نبي ورسول ووارث عنهم، فأمرهم بالانتزاح عن تلك الصور لما انتزح عنها رسول الوقت اتباعاً للرسول طمعاً في محبة اللهَ إياهم بقوله (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ)، فدعا إلى إله يُصْمَد إليه ويُعْلَم من حيث الجملة، ولا يشهد (ولا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ)، بل (هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ) لِلُطفه وسريانه في أعيان الأشياء، فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحَهَا المدبرةَ أشباحَهَا وصورَها الظاهرة، (وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) والخبرة ذوق، والذوق تجل، والتجلي في الصور، فلا بد منها ولابد منه، فلا بد أن يعبده من رآه بهواه إن فهمت، وعلى اللهَ قصد السبيل)[1]

---

(١) فصوص الحكم١/ ١٩٥.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أورد في تفسير ما ورد في القرآن الكريم من قصة موسى وهارون عليهما السلام ما ذكره عبد الكريم الجيلي في كتابه [الإنسان الكامل] في تفسير الآيات التي تحدثت عن إبليس ورفضه السجود لآدم عليه السلام، وقد قدم لذلك بقوله: (اعلم أن اللهّ تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ﷺ كما سبق بيانه، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ، وكان اسمه عزازيل، قد عبد اللهّ تعالى قبل أن يخلق الخلق بكذا كذا ألف سنة، وكان الحق قد قال له: يا عزازيل لا تعبد غيري، فلما خلق اللهّ آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له، التبس الأمر على إبليس، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابدا لغير اللهّ، ولم يعلم أن من سجد بأمر فقد سجد للهّ، فلهذا امتنع، وما سمي إبليس إلا لنكتة هذا التلبيس الذي وقع فيه فافهم، وإلا فاسمه قبل ذلك عزازيل وكنيته أبو مرّة؛ فلما قال له الحق تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، والعالون هم الملائكة المخلوقون من النور الإلهي كالملك المسمى بالنون وأمثاله، وباقي الملائكة مخلوقون من العناصر، وهم المأمورون بالسجود لآدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال وما يقتضيه من الجواب، لأن الحق لم يسأله عن سبب المانع، ولو كان كذلك لكان صيغة: لما امتنعت أن تسجد لما خلقت بيدي، ولكن سأله عن ماهية المانع، فتكلم على سرّ الأمر فقال: لأني خير منه، يعني لأن الحقيقة النارية وهي الظلمة الطبيعية التي خلقتني منها خير من الحقيقة الطينية التي خلقته منها، فلهذا السبب اقتضى الأمر أن لا أسجد، لأن النار لا تقتضي بحقيقتها إلا العلوّ، والطين لا يقتضى بحقيقته إلا السفل؛ ألا

تراك إذا أخذت الشمعة فنكست رأسها إلى تحت لا ترجع اللهبة إلا إلى فوق، بخلاف الطين فإنك لو أخذت كفا من تراب ورميت به إلى فوق رجع هابطا أسرع من صعوده لما تقتضيه الحقائق، فلذلك قال إبليس: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، ولم يزد على ذلك، لعلمه أن اللهّ مطلع على سرّه، ولعلمه أن المقام مقام قبض لا مقام بسط، فلو كان مقام بسط لقال بعد ذلك: واعتمدت على ما أمرتني أن لا أعبد غيرك، ولكن لما رأى المحلّ محلّ عتاب تأدّب وعلم من ذلك العتاب أن الأمر قد التبس عليه في الأصل، لأن الحق دعاه بإبليس وهو مشتقّ من الالتباس، ولم يكن يدعى قبل ذلك بهذا الاسم، فتحقق أن الأمر مفروغ عنه، ولم يجزع ولم يندم ولم يتب ولم يطلب المغفرة، لعلمه أن اللهّ لا يفعل إلا ما يريد، وأن ما يريده اللهّ تعالى هو الذي تقتضيه الحقائق، فلا سبيل إلى تغييرها ولا إلى تبديلها، فطرده الحق من حضرة القرب إلى حضيض البعد الطبيعي، وقال: ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٧٧] أي من الحضرة العليا إلى المراكز السفلى، إذ الرجم: طرح الشيء من العلوّ إلى السفل ﴿وإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ اللعنة: هي الإيحاش والطرد، يعني الرجل الموحش، وهو مثال ينصبونه في الزرع يشبه الرجل ليستوحش منه الوحش وينفر منه الطير فينطرد بذلك ويسلم الزرع والثمر، وقوله تعالى لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨] أي لا على غيرك، لأن الحروف الجارة والناصبة إذا تقدمت أفادت الحصر، كقولهم على زيد الدرهم؛ أي لا على غيره.. فلم يلعن الحق أحدا إلا إبليس، وما ورد من اللعنة على الظالمين والفاسقين وغيرهم، فكل ذلك بطريق الاتباع له، فاللعنة بطريق الأصالة على إبليس وبطريق التفريع على غيره، وقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ حصر، فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة عليه، لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية في يوم الدين، وقد مضى تفسير يوم الدين في الباب الموفى أربعين من الكتاب، فلا يلعن إبليس أي لا يطرده عن الحضرة إلا قبل

يوم الدين لأجل ما يقتضيه أصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقيق بالحقائق الإلهية. وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات، فلا لعنة بل قرب محض، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند اللهّ من القرب الإلهي وذلك بعد زوال جهنم، لأن كل شيء خلقه اللهّ لا بد أن يرجع إلى ما كان عليه، هذا أصل مقطوع به فافهم..

قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له: أتصنع هكذا وقد طردت من الحضرة؟ فقال: هي خلعة أفردني الحبيب بها لا يلبسها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل؛ ثم إنه نادى الحق كما أخبر عنه سبحانه وتعالى قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩] لعلمه أن ذلك ممكن، فإن الظلمة الطبيعية التي هي ممتدة باقية في الوجود إلى أن يبعث اللهّ تعالى أهلها، فيتخلصون من الظلمة الطبيعية إلى أنوار الربوبية، فأجابه الحق وأكد بأن قال له: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨٠-٨١] وذلك رجوع أمر الوجود إلى حضرة الملك المعبود، وقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] لأنه يعلم أن الكل تحت حكم الطبيعة وأن الاقتضاءات الظلمانية تمنع من الصعود إلى الحضرات النورانية: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣] يعني الذين خلصوا من ظلمة الطبائع إقامة الناموس الإلهي في الوجود الآدمي، فإن كان المخلص بصيغة المفعول كان الأمر بالنسبة إلى الحقيقة الإلهية، يعني أخلصهم اللهّ بجذبهم إليه، وإن كان بصيغة الفاعل كان بالنسبة إلى الحقيقة العبدية، يعني تخلصوا بالأعمال الزكية كالمجاهدات، والرياضات، والمخالفات، وأمثال ذلك. فلما تكلم بهذا الكلام أجابه الحق فقال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]؛ فلما تكلم إبليس عليه اللعنة من حيث ما تقتضيه الحقائق أجابه الحق تعالى من حيث ما تكلم به إبليس حكمة إلهية، وذلك أن الظلمة الطبيعية التي تسلط بها إبليس عليهم وأقسم أنه يغويهم هي عينهم القائدة لهم إلى النار، بل هي عين

النار، لأن الطبيعة المظلمة هي النار التي يسلطها الله تعالى على قلوب المفسدين، فلا يتبع إبليس أحد إلا من دخلها، ومن دخلها فقد دخل النار، فانظر إلى هذه الحكمة الإلهية كيف أبرزها الله تعالى برقيق إشارة ودقيق عبارة، ليفهمه من يستمع القول فيتبع أحسنه، فافهم إن كنت ممن يفهم، فديت من يعقل ما رمزت إليه، وفديت من يعلم)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في تفسير قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] ما ذكره عبد الرزاق الكاشاني في التفسير المنسوب لابن عربي، فقد قال: (﴿ولَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ﴾ الروح ﴿رُشْدَهُ﴾ المخصوص به الذي يليق بمثله وهو الاهتداء إلى التوحيد الذاتي ومقام المشاهدة والخلة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل مرتبة القلب والعقل متقدّما عليهما في الشرف والعزّ ﴿وكُنَّا بِهِ عالِمِينَ﴾ أي: لا يعلم بكماله وفضيلته غيرنا لعلوّ شأنه)[2]

وقال: (﴿إِذْ قالَ لِأَبِيهِ﴾ النفس الكلية ﴿وقَوْمِهِ﴾ من النفوس الناطقة السماوية وغيرها ﴿ما هذِهِ التَّماثِيلُ﴾ أي: الصور المعقولة من حقائق العقول والأشياء وماهيات الموجودات المنتقشة فيها ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ﴾ مقيمون على تمثلها وتصوّرها وذلك عند عروجه من مقام الروح المقدّسة وبروزه عن الحجب النورية إلى فضاء التوحيد الذاتي، كما قال عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ والْأَرْضَ حَنِيفاً﴾، ومن هذا المقام قوله لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا.. ﴿وَجَدْنا آباءَنا﴾ عللنا من العوالم السابقة على النفوس كلها من أهل الجبروت﴿ لَها عابِدِينَ﴾ باستحضارهم إياها في ذواتهم لا يذهلون عنها ﴿فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ في حجاب عن الحق نوريّ، غير واصلين إلى عين الذات عاكفين في برازخ الصفات لا تهتدون إلى حقيقة الأحدية

---

(١) الإنسان الكامل(الجيلي) / ١٩٨.

(٢) تفسير ابن عربى(تأويلات عبد الرزاق) ٢/ ٤٣.

والغرق في بحر الهوية ﴿أَجِئْتَنا بِالْحَقِ﴾ أي: أحدث مجيئك إيانا من هذا الوجه بالحق فيكون القائل هو الحق عزّ سلطانه أم استمر بنفسك كما كان فتكون أنت القائل فيكون قولك لعبا لا حقيقة له؛ فإن كنت قائما بالحق، سائرا بسيره، قائلا به، صدقت وقولك الجدّ وتفوّقت علينا، وتخلفنا عنك، وإن كنت بنفسك فبالعكس ﴿بَلْ رَبُّكُمْ﴾ الجائي والقائل ربكم الذي يربكم بالإيجاد والتقويم والإحياء والتجريد والإنباء والتعليم ربّ الكل الذي أوجده و﴿أَنَا عَلَى ذلِكُمْ﴾ الحكم بأن القائل هو الحق الموصوف بربوبية الكل ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وهذا الشهود هو شهود الربوبية والإيجاد وإلا لم يقل أنا وعلى إذ الشهود الذاتي هو الفناء المحض الذي لا أنائية فيه ولا اثنينية، وتلك الاثنينية بعد الإفصاح بأن الجائي والقائل هو الحق الذي أوجد الكل مشعرة بمقام الكل المتخلف عن مقام ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ﴾ لأمحونّ صور الأشياء وأعيان الموجودات التي عكفتم على إيجادها وحفظها وتدبيرها، وأقبلتم على إثباتها بعد أن تعرضوا عن عين الأحدية الذاتية بالإقبال إلى الكثرة الصفاتية بنور التوحيد فَجَعَلَهُمْ بفأس القهر الذاتي والشهود العيني جُذاذاً قطعا متلاشية فانية إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ هو عينه الباقي على اليقين الأول الذي به سمى الخليل خليلا لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ يقبلون منه الفيض ويستفيضون منه النور والعلم كما استفاض هو منه أولا) [1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أذكر لجلسائي ما قاله أصحاب الكشف والإلهام، ومنها قولهم في التعريف بـ [الملك المسمى بالروح]: (اعلم أن هذا الملك هو المسمى في اصطلاح الصوفية بالحق المخلوق به والحقيقة المحمدية نظر اللهّ تعالى إلى هذا

---

(١) المرجع السابق٢/ ٤٣.

الملك بما نظر به إلى نفسه، فخلقه من نوره وخلق العالم منه، وجعله محل نظره من العالم، ومن أسمائه أمر الله وهو أشرف الموجودات وأعلاها مكانة وأسماها منزلة ليس فوقه ملك، وهو سيد المقرّبين وأفضل المكرّمين، أدار الله عليه رحا الموجودات وجعله قطب فلك المخلوقات، له مع كل شيء خلقه الله تعالى وجه خاص به يلحقه، وفي المرتبة التي أوجده الله تعالى فيها يحفظه)[1]

ولا أكتفي بهذه التفاصيل التي قد تجد من يتكلف لها ما شاء من الأدلة، بل إني أضيف إليها تفاصيل أكثر، فأنقل عنهم قولهم: (له ثمانية صور هم حملة العرش، منه خلق الملائكة جميعها عليها وعنصريها، فنسبة الملائكة إليه نسبة القطرات إلى البحر، ونسبة الثمانية الذين يحملون العرش منه نسبة الثمانية التي قام الوجود الإنساني بها من روح الإنسان، وهي العقل والوهم والفكر والخيال والمصورة والحافظة والمدركة والنفس.. ولهذا الملك في العالم الأفقي والعالم الجبروتي والعالم العلى والعالم الملكوتي هيمنة إلهية خلقها الله في هذا الملك وقد ظهر بكماله في الحقيقة المحمدية، ولهذا كان ﷺ أفضل البشر وبه امتنّ الله تعالى عليه وأمده من أجلّ النعم التي أسداها الله تعالى إليه)[2]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أذكر في كل آية ما قاله من اعتبرهم مكاشفين عنها، مما لا علاقة له بظاهر الألفاظ، ولا بأي باطن من بواطنها.. فإذا ما جادلني أحدهم ذكرت له أقوال العلماء في تأييدها والانتصار لها.. وكنت إذا ما سألوني عن مصدر هذه المعارف، أذكر لهم أنها الكشف والإلهام الإلهي.. فإذا سألوني عني، وهل عاينت ذلك، أو كشف لي، أكتفي بأن أخفض رأسي متواضعا، وأقول: أنا أقل من أن أكاشف بهذه الحقائق العظمى.. بل هي كشف لكبار الأولياء الذي فتحت لهم خزائن الغيب.

---

(١) الإنسان الكامل، ص١٥٣.

(٢) الإنسان الكامل، ص١٥٣.

قال آخر: ومثلك أنا.. وقد كنت خوفا من جدالهم، وزيادة في ترغيبهم فيما أذكره لهم كنت أنقل لهم عن بعضهم قوله: (إذا ثبت أن علم العقل قابل للشبه، وأن علم الأحوال كذلك، تبين لك أن العلم الصحيح لا يعطيه الفكر، ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم، ولهذا اختلفت مقالاتهم، فإن كان العلم قد حصل عن نظر في دليل عقلي، فإن مثل ذلك ليس عندنا بعلم، لتطرق الشبهة على صاحبه وإن وافق العلم، وإنما العلم من لا يقبل صاحبه شبهة، وذلك ليس إلا علم الأذواق، فذلك الذي نقول فيه إنه علم، فإن الأذواق بمنزلة الأدلة لأصحاب النظر في العلوم؛ فالعلم الصحيح إنما هو ما يقذفه الله في قلب العالم، وهو نور إلهي يختص به من يشاء من عباده، من ملك ورسول ونبي وولي ومؤمن، ومن لا كشف له لا علم له، فكل علم لا يكون عن ذوق ليس بعلم أهل الله.. فإن أهل الله ما علموا الذي علموه إلا ذوقا، ما هو عن فكر ولا عن تدبر)[1]

وكنت أذكر لهم أن (صاحب الكشف يرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف والكلمات، وما يتضمنه من صور ما يصورها الكاتب أو الرسام، وكل ذلك كتاب، فيقول في هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة، فإذا جاء الكاتب والرسام، أو الرسام دون الكاتب، أو الكاتب دون الرسام، بحسب ما يذكره صاحب الكشف، فيكتب بذلك المداد ويرسم ما ذكره هذا المكاشف، بحيث لا يزيد على ذلك ولا ينقص)[2]

وكنت أذكر لهم عدم حاجة صاحب الكشف للمحدث والفقيه وغيرهما، ذلك أن كشفه يغنيه عن كل العلماء، فأقول نقلا عنهم: (وأهل الكشف، النبي عندهم موجود، فلا يأخذون الحكم إلا عنه، فإنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ﷺ موجودا،

---

(١) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦.

(٢) الفتوحات المكية (٣/ ٤٥٦)

ولهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب، إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له)[1]

قال آخر: ومثلكما أنا.. وقد كنت إذا ما ألحوا علي في ذكر تجاربي في ذلك، وما حصل لي من الكشف والإلهام، أقول لهم ما قاله بعضهم حين دعا إلى مطالعة كتب ابن عربي وغيره من الصوفية المتأخرين، فقال: (هذا كلامهم ـ رضي اللهّ عنهم ـ للتلامذه والإخوان إنما هو لتقريب المسافة البعيدة إليهم وتسهيل الطريق الصعب عليهم، لأن المريد قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة، وذلك لأن السالك إنما ينال ثمرة سلوكه وعلمه، والعلوم التي وصفها الكمل من أهل اللهّ تعالى هي ثمرة سلوكهم وأعمالهم الخالصة، فكم بين ثمرة عمل معلول إلى ثمرة عمل مخلص، بل علومهم من وراء ثمرات الأعمال؛ لأنها بالفيض الإلهي الوارد عليهم على قدر وسع قوابلهم، فكم بين قابلية الكامل من أهل اللهّ وبين قابلية المريد الطالب، فإذا فهم المريد الطالب ما قصده من وضع المسألة في الكتاب وعلمه، استوى هو ومصنفه في معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف، وصارت له ملكا مثل ما كانت للمصنف، وهكذا كل مسألة من مسائل العلوم الموضوعة في الكتب فإن الأخذ لها من المعدن الذي أخذ منه مصنفها)[2]

قال آخر: ومثلكم أنا.. وقد كنت أرد بشدة على من ينهاني عن تفسير القرآن الكريم بتلك الكتب التي تعتمد على الكشف المجرد عن أي براهين عقلية أو علمية، بقول بعضهم: (وما ورد عن بعض أهل اللهّ من منع بعض التلامذة عن مطالعة كتب الحقيقة، لأن قاصر الفهم لا يخلو إما أن يتناول كلامهم على خلاف ما أرادوه فيستعمله فيهلك أو يضيع العمر في تصفح الكتب بلا فائدة، فنهي الشيخ لمثل هذا عن مطالعة هذه الكتب واجب ليشتغل بغيرها مما فيه نفعه، وأما من كان ذا عقل ذكي وفهم عليّ، وإيمان قوي، يأخذ من كتبنا كل

---

(1) الفتوحات المكية (٣/ ٣٣٥)

(2) مراتب الوجود وحقيقة كل موجود(الكهف والرقيم) ، ٣٩.

ما يأخذه وينال منها كل مقصده، ولقد رأيت في زماننا هذا طائفة كثيرة من كل جنس من أجناس العرب والفرس والهند والترك، وغير ذلك من الأجناس كلهم بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبالغ الرجال، ونالوا منها مقاصد الآمال؛ فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه وفضله سلوكا واجتهادا صار من الكمل، ومن وقف بعد علمه كان من العارفين)[1]

ثم أذكر لهم ما قاله عن سبب ذلك، وهو (أن المسائل الموضوعة في كتب أهل الحقيقة إنما تفيدك بالوضع علم التوحيد تصريحا، وبالعبارة والإشارة عين التوحيد كناية وتلويحا، وبضرب الأمثال حق التوحيد رمزا وتسنيحا، فقد يكون بعض الكتب مسبوكا على هذه الهيئات كلها، فيدخل بك إلى علم اليقين فإن عملت بمقتضاه، ولازمت مطالعة ذلك الكتاب على حكم ذلك العلم فإنه ينتقل بك إلى عين اليقين، ثم يرقيك إلى حق اليقين إن أعطيت نفسك لذلك العين على حكم ما ذكره المؤلف، وإلا فهو مهلك وانتهاك؛ فإذا بلغت إلى حق اليقين انقطعت فائدة الكتب عنك، وهذا منتهى ما تبلغ بك الكتب إليه إن كنت شهما، وحويت تمييزا وفهما)[2]

٤ ـ عقبة المحدودية:

قال المعلم: بورك فيكم.. والأمثلة التي ذكرتموها كافية للدلالة على الوهم الخطير الذي وقع فيه أولئك الذين لم يكتفوا بما جاءت به النبوة المعصومة؛ فراحوا يزاحمونها وينافسونها بما يلوح لخواطرهم من صواب وخطأ، وإلهام الملائكة وتزيين الشياطين.

قال أحدهم: أجل.. فحدثنا عن العقبة الرابعة.

قال المعلم: العقبة الرابعة هي تلك التي تعطل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].. لأنها تجعل التدبر محصورا في فئة محدودة من السلف أو

---

(١) مراتب الوجود، ص٣٩.

(٢) مراتب الوجود، ص٣٩.

الخلف، أما من عداهم؛ فليس له سوى الاقتباس والنقل عنهم.

قال أحدهم: صدقت.. وقد ذكرني هذا بالطائفة التي كنت مستغرقا في اتباعها وتقليدها، والتي كانت تعتبر كل فهم أو تدبر للقرآن الكريم تفسيرا بالرأي المذموم، وتعتبر صاحبه ضالا منحرفا.. ولذلك كانت تعتمد تفاسير محددة منقولة عن رجال تعتبرهم الممثلين الوحيدين للإسلام، والمفسرين الوحيدين للقرآن، وتعتبر من عداهم أو عاداهم من أهل الضلالة.

وقد عبر شيخهم الأكبر ابن تيمية عن التفاسير التي حوت مقولاتهم، فقال: (من أئمة أهل التفسير، الذين ينقلونها بالأسانيد المعروفة، كتفسير ابن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأحمد، وإسحاق وتفسير بقي بن مخلد وابن جرير الطبري، ومحمد بن أسلم الطوسي، وابن أبي حاتم، وأبي بكر بن المنذر، وغيرهم من العلماء الأكابر، الذين لهم في الإسلام لسان صدق، وتفاسيرهم متضمنة للمنقولات التي يعتمد عليها في التفسير)[1]

بل إنه قال مدافعا عما في تلك الكتب من أساطير مسيئة للأنبياء عليهم السلام، والتي ذكر إخواني نماذج عنها عند ذكر عقبة الفضول والخرافة: (ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين متفقين على ما دل عليه الكتاب والسنة من أحوال الأنبياء، لا يعرف عن أحد منهم القول بما أحدثته المعتزلة والرافضة ومن تبعهم في هذا الباب، بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونة عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن، وليس فيهم من حرف الآيات كتحريف هؤلاء، ولا من كذب بها في الأحاديث كتكذيب هؤلاء، ولا من قال هذا يمنع الوثوق، أو

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ١٧٩)

يوجب التنفير ونحو ذلك كما قال هؤلاء، بل أقوال هؤلاء الذين غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام)[1]

قال آخر: لقد كان لتلك الكلمات، وخصوصا موقفه من تفسير الطبري هو الذي جعلني أدرسه لعوام الناس، وأنهاهم أن يفكروا في أي تأويل غير ذلك التأويل.. وإذا ما طالبوني بالدليل كنت أقول لهم: ألا يكفي أن يعتبره شيخ الإسلام من (أهل العلم والسنة)[2].. ثم أذكر لهم أنه ذكر في (مجموع الفتاوى) أنه سئل عن أحسن التفاسير، فقال: (أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير، والكلبي)[3] .. وقال عنه: (تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير المأثورة، وأعظمها قدراً)[4]

وقد كنت لأجل هذا أذكر كل ما ذكره الطبري في تفسيره من روايات يرويها عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه أو عبد الله بن سلام أو عبد الملك ابن جريج وغيرهم.. والتي أحصاها بعضهم؛ فوجدها قد بلغت ما يقرب من ألفين وخمسمائة رواية في تفسيره من الإسرائيليات والخرافات والأساطير اليهودية الأولى[5].

وأنتم تعلمون جميعا أنه مع سرده لها لا يميز صحيحها أو ضعيفها.. بل يترك ذلك كله للقارئ ليتلقى منه كل أنواع التشويهات والتحريفات سواء المتعلقة بالله وتجسيمه وتشبيهه، أو المتعلقة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورميهم بالموبقات.

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد كنت متعلقا بتفسير أثنى عليه ابن تيمية كثيرا، واعتبره

---

(1) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٣٤)

(2) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٢)

(3) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٥)

(4) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١)

(5) انظر: مقال للباحثة هدى بنت فهد المعجل، بعنوان: بلا تردد الإسرائيليات.

من تفاسير السنة، وهو تفسير ابن أبي حاتم، فقد عده في مجموع الفتاوى (من أهل العلم والسنة)[1]، وعده في منهاج السنة من (أئمة التفسير)[2]، و(من أهل العلم الكبار)[3].. وقال عنه في مجموع الفتاوى: (وابن أبي حاتم قد ذكر في أول كتابه في التفسير أنه طلب منه إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصح الأسانيد، وأنه تحرى إخراجه بأصح الأخبار إسناداً، وأشبعها متناً، وذكر إسناده عن كل من نقل عنه شيئاً)[4] .. ولذلك كنت أروي كل ما فيه، وبيقين تام، وأعتبره معصوما مثل عصمة القرآن الكريم نفسه.. بل أحذر كل مخالف لذلك، بأنه مخالف للسنة، بل عدو لها.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت متعلقا بتفسير أثنى عليه ابن تيمية كثيرا، واعتبره من تفاسير السنة، وهو تفسير ابن عطية؛ فقد قال عنه في مجموع الفتاوى:(وتفسير ابن عطية وأمثاله: أتبع للسنة والجماعة، واسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيراً ما ينقل تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير المأثورة، وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف، ولا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة، من أهل الكلام، الذين قرروا اصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطي كل ذي حق حقه، ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب فإن الصحابة، والتابعين، والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة، والتابعين لهم بإحسان صاروا مشاركين للمعتزلة،

---

(1) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٢)

(2) منهاج السنة (٧/ ٢١٢)

(3) منهاج السنة (٧/ ١٣)

(4) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٠١).

وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا)[1]

انظروا كيف أنه لا يرد على ما فيه من إسرائيليات وخرافات، بل يرد على ما فيه من كلام عقلي ومنطقي استفاده من المتكلمين.. بل هو يدعوه إلى أن يكون كابن جرير الطبري يأخذ الغث والسمين من غير تحقيق ولا بيان.

وهكذا قال في مجموع الفتاوى عندما سئل عن مجموعة من التفاسير: (وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها)[2].. والبدع المشار إليها ليس تشويه الأنبياء، وإنما ما فيه من رؤى علمية منطقية تستند إلى أقوال المتكلمين.

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت متعلقا بتفسير أثنى عليه ابن تيمية كثيرا، واعتبره من تفاسير السنة، وهو تفسير البغوي، فقد سئل عنه في مجموع الفتاوى السؤال التالي: أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة الزمخشري، أم القرطبي أم البغوي، أم غير هؤلاء؟ فأجاب بقوله: (أما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة، والأحاديث الضعيفة البغوي، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي، وحدث منه الأسانيد، والأحاديث الموضوعة، والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك)[3]

وقال عنه في (منهاج السنة): (ولهذا لما اختصره أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، وكان أعلم بالحديث والفقه منه: والثعلبي أعلم بأقوال المفسرين، والنحاة، وقصص الأنبياء، فهذه الأمور نقلها البغوي عن الثعلبي، وأما الأحاديث فلم يذكر في تفسيره شيئاً

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦١)

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٥)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٦)

من الموضوعات التي رواها الثعلبي، بل يذكر الصحيح منها، ويعزوه إلى البخاري وغيره، فإنه مصنف كتاب (شرح السنة)، وكتاب (المصابيح)، وذكر ما في الصحيحين والسنن، ولم يذكر الأحاديث التي تظهر لعلماء الحديث أنها موضوعة كما يفعله غيره من المفسرين كالواحدي صاحب الثعلبي، وهو أعلم بالعربية منه، وكالزمخشري وغيرهم من المفسرين الذين يذكرون من الأحاديث ما يعلم أهل الحديث أنه موضوع)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا.. فقد كنت أبادر كل من يذكر لي أي إشارة أو فهم فهمه من القرآن الكريم بقولي: من قال بهذا من أهل العلم.. فإن أجابني وإلا اعتبرته ضالا مضلا مبتدعا.. وكنت أحذره من أن يخالف سلف الأمة الذين هم أكثر فهما للدين.

قال آخر: ومثلك أنا.. وقد كنت أذكر لكل من يطبق ما ورد في القرآن الكريم من الدعوة للتدبر ما ورد فيه من فضل السابقين من الصحابة، ثم أذكر لهم علل ذلك من علمهم باللغة العربية وبموارد نزول الوحي، وغيرها.. وأنا أعلم أن كتب التفسير التي ضمت فهوم السلف، لا تحوي سوى تفاسير محدودة لهؤلاء الصحابة، حتى أن السيوطي قال: (لا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة)[2]

بل إنهم يروون عنه أنه سئل عن آية، فقال: (أي أرض تسعني؟ أو أي سماء تظلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله؟)[3]

وروي أن عمر قرأ على المنبر قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧-٣١]، ثم قال: كل هذا قد عرفناه فما الأب؟ ثم رفع عصا كانت في يده فقال: (هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لا تدري ما الأب،

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧/ ٩١)

(٢) الإتقان(٢/ ٤٩٣)

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ٢٩.

اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب، فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه)[1]

قال آخر: ومثلكم أنا .. فقد بحثت في التفاسير التي تدعي رجوعها للسلف فلم أجد بلالا ولا عمارا ولا المقداد.. ولا أكثر المهاجرين والأنصار الذين كنت أوهم من يستمع لي أنهم أعرف بالقرآن الكريم من غيرهم.. وقد كان حالي في ذلك حال رجل أشاد بأطباء بلدة وقدراتهم وخبراتهم.. لكنه عندما أرسل مريضه إليها ليعالجوه، لم يرسله لأطبائها وإنما أرسله لبوابيها وكناسيها وحجاميها.

قال آخر: وهكذا كنا نتاجر بلقب الصحابة، بينما نحن نقصيهم، بل نحارب كبارهم والسابقين منهم.. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن هذا الإقصاء الذي حرم الصحابة من أداء دورهم التبليغي، وقد روي أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري فقال: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار فما منعكم أن تلقوني؟ قال: لم تكن لنا دواب، قال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله ﷺ قال لنا إنا لنرى بعده أثرة، قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه، قال: (فاصبروا حتى تلقوه!)[2].. فهذا الحديث لا يشير فقط إلى الأثرة المادية التي مارسها معاوية، وإنما يشير إلى ما هو أخطر من ذلك، وهو تقريبه لأبي هريرة وكعب الأحبار وغيرهما في نفس الوقت الذي أبعد فيه خيرة المهاجرين والأنصار، وقد كان لذلك التقريب دوره الكبير في كثرة تلاميذ أولئك اليهود أو المتتلمذين عليهم، وبذلك صارت الرواية عنهم لا عن كبار الصحابة الذين كنا نتاجر بأسمائهم، ولا نجد لهم أي أثر في الواقع.

---

(١) رواه سعيد بن منصور وابن جرير وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب والحاكم وصححه، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٤٢١)

(٢) مصنف عبد الرزاق.(ج ١١ / ص ٦٠)

قال آخر: صدقت.. ولعل أحسن مثال على ذلك الإمام علي؛ فمع كونه أكثر الصحابة صحبة لرسول الله ﷺ، بل لم يفارقه طيلة حياته، بل كان يسكن معه في بيته مذ كان رضيعا، إلا أنا لم نكن نرى له إلا روايات محدودة معدودة، وأكثرها من روايات أعدائه.. وقد أشار الإمام علي إلى ذلك التهميش بقوله: (هاه إن ههنا لعلما جما ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حمله، بل أصيب لَقِنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا، ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة، ألا لا ذا ولا ذلك، أو منهوما باللذة سلس القيادة للشهوة، أو مغرما بالجمع شيء شبها بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه)[1]

وروي عن أبي الطفيل، قال: (شهدت عليا يخطب وهو يقول: (سلوني؛ فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله؛ فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم: أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟)[2]

وروي عنه قوله: (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت؟ وأين نزلت؟ إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا سئولا)

لكنا للأسف نتيجة الأحقاد الطائفية ـ وبتأثير من السلطة السياسية التي تحكمت بعد ذلك في الأمور حرمنا من وصول علم هذا الصحابي الجليل إلى الأمة، والحيلة التي احتالها أسلافنا لذلك بسيطة، وهي أن كل من يفضل عليا على غيره من الصحابة يعتبر شيعيا، وكل شيعي مبتدع، وما دام كذلك، فإنه لا تحل الرواية عنه.

قال آخر: صدقت.. فكيف تصل الأمة إلى علمه، وقد وضعنا آلاف الحجب بيننا

(١) نهج البلاغة (٤/ ٣٦)

(٢) الإصابة: ٢/ ٥٠٩.

وبينه.. ومنها ما عبر عنه ابن حجر العسقلاني بقوله: (والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويُطلق عليه رافضي، فإنْ انضاف إلى ذلك السب والتصريح بالبغض فغال في الرفض، وإنْ اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو)[1]

وقال: (وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالبا، وتوهينهم الشيعة مطلقا، ولا سيما أن عليا ورد في حقه: (لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)، ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي ﷺ، لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بالعكس، وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبا والخير في حب علي وبغضه ليس على العموم، فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو إله، تعالى الله عن أفكهم والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاق وبالعكس. فكذا يقال في حق علي. وأيضا فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة، بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار، والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن عليا قتل عثمان أو كان عليه فكان بغضهم له ديانة بزعمهم. ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربه في حروب علي)[2]

وهكذا استطاع سلفنا وخلفنا أن يقصي الإمام علي الذي وردت النصوص الكثيرة تبين مرجعيته ومرجعية أهل بيته في الدين، كما قال ﷺ في الحديث المتواتر: (إنّي تركت فيكم ما إنْ تمسّكتم به لنْ تضلّوا بعدي : كتاب اللهّ حبلٌ ممدودٌ مِن السماء إلى الأرض، وعترتي

---

(١) هدي الساري/ ٦٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٨)

أهل بيتي، ولنْ يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1]

فذكر رسول الله ﷺ للقرآن الكريم مع العترة الطاهرة يدل على كون كليهما مرجعا للدين، وهو ما يفسره قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي حرفه العقل السلفي ليتناسب مع مزاجه، وهو قوله ﷺ: (فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[2] .. فالخلفاء الراشدون بالمفهوم النبوي، يختلف عن المفهوم الذي وضعه الناس، واصطلحوا عليه بعد ذلك، وراحوا يفسرون كل شيء على أساسه.

قال آخر: ونتيجة لهذا التحريف ألغينا ذلك الضابط الذي اعتبره رسول الله ﷺ وهو ضابط اعتبار مبغض الإمام علي منافقا لا تحل الرواية عنه، ولا يحل أخذ الدين منه.. ولهذا نجد في رواتنا أمثال حريز بن عثمان الناصبي الذي وثقه يحيى القطان ومعاذ بن معاذ وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ودحيم وغيرهم، مع أنهم يروون أنه سئل بعضهم عن سر عدم الرواية عنه، فقال: (كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليا سبعين لعنة كل يوم)[3]

بل إن البخاري الذي ترك الرواية عن الإمام الصادق يعتبر عمران بن حطّان السدوسي البصري (ت ٨٤) من الثقاة الذين يروي عنهم في صحيحه، وله باتفاق المؤرخين له شعر في مدح عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل أمير المؤمنين علي، منه قوله:

لله در المرادي الّذي سفكت ... كفّاه مهجة شر الخلق إنسانا

---

(١) الحديث متواتر، وقد ورد بصيغ كثيرة رواه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم، وقد نص الألباني على صحته انظر حديث رقم: ٢٤٥٨ في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود (السنة ٥/ ١٣/ ٥/رقم ٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذي (العلم ١٦/ رقم ٢٦٧٦)

(٣) تاريخ بغداد ج٨/ ص٢٦٩.

أمسى عشية غشاه بضربته	معطى مناه من الآثام عريانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها	إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه	أوفى البريّة عند الله ميزانا[1]

قال آخر: وليس هذا خاصا بفرد أو فردين، بل كان هذا منهجهم الذي اعتمدوا عليه في الجرح والتعديل، وقد كتب المحدث المعروف (محمد بن عقيل العلوي) كتابه في (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) في الرد على هذا المنهج الذي يضاد ما أمر به رسول الله ﷺ من اعتبار مولاة الإمام علي علامة للإيمان، وبغضه علامة للنفاق.

وقد قال في مقدمة كتابه، بعد نقله لكلام ابن حجر السابق في سبب توثيق المحدثين للنواصب وتوهينهم للمحبين للإمام علي: (ولا يخفى أن معنى كلامه هذا أن جميع محبي علي المقدمين له على الشيخين روافض، وأن محبيه المقدمين له على من سوى الشيخين شيعة، وكلا الطائفتين مجروح العدالة. وعلى هذا فجملة كبيرة من الصحابة الكرام كالمقداد وزيد بن أرقم وسلمان وأبي ذر وخباب وجابر وعثمان بن حنيف وأبي الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وقيس بن سعد وأبي ذر وخباب وجابر وعثمان بن حنيف وأبي الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وقيس بن سعد وأبي الطفيل عامر بن واثلة والعباس بن عبد المطلب وبنيه وبني هاشم كافة وبني المطلب كافة وكثير غيرهم كلهم روافض لتفضيلهم عليا على الشيخين ومحبتهم له ويلحق بهؤلاء من التابعين وتابعي التابعين من أكابر الأئمة وصفوة الأمة من لا يحصى عددهم وفيهم قرناء الكتاب، وجرح عدالة هؤلاء هو والله قاصمة الظهر)[2]

---

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ٨ / ١١٣ ـ ١١٤ برقم ٢٢٣. الاصابة ٣ / ١٧٨.

(٢) العتب الجميل، ص١٥.

وقد ضرب الأمثلة الكثيرة عن جرح المحدثين للرواة بسبب حبهم للإمام علي، ومن ذلك ما نقله عن ابن حجر في (تهذيب التهذيب) في ترجمة مصدع المعرقب ما لفظه: (قلت إنما قيل له (المعرقب) لأن الحجاج أو بشر بن مروان عرض عليه سب علي فأبى فقطع عرقويه. قال ابن المديني قلت لسفيان: في أي شيء عرقب؟ قال: في التشيع انتهى. ثم قال ذكره الجوزجاني في الضعفاء ـ يعني المعرقب ـ فقال زائغ جائر عن الطريق، يريد بذلك ما نسب إليه من التشيع. والجوزجاني مشهور بالنصب والانحراف فلا يقدح فيه قوله انتهى. ومن هذا تعرف أن التشيع الذي يعرقب المتصف به ويكون زائغا جائزا عن الطريق عند أمثال الجوزجاني هو الامتناع عن سب مولى المؤمنين عليه السلام)[1]

قال آخر: وفي مقابل ذلك.. وبعد إقصائنا للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وأمثالهم من آل بيت النبوة، بأمثال تلك الحجج الواهية رحنا نقرب رجال الدين من اليهود، ومن تتلمذ على أيديهم من الصحابة والتابعين، حتى أصبحنا نجد هؤلاء في كل مصدر من مصادر التلقي ابتداء من تفسير القرآن الكريم، وانتهاء بكتب العقائد والحديث ونحوها، حيث لا نكاد نجد مصدرا من هذه المصادر ـ وخاصة كتب التفسير التي منها تؤخذ تصورات الدين وعقائده المختلفة ـ إلا وهو مملوء بأمثال إسماعيل بن أبي كريمة السدي، ومحمد بن إسحاق، وعبد الملك بن جريج، وعبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وابن وهب، وغيرهم من رواة الأحاديث الإسرائيلية التي سربت إلى الإسلام، وفسر بها القرآن.

قال آخر: صدقت.. وللأسف لا نجد المبالغات التي وجدناها في علم الجرح والتعديل ـ والتي مست خيار الأمة بسبب مواقفهم الطيبة من السابقين الأولين من

---

(١) العتب الجميل، ص١٩.

المهاجرين والأنصار، وخاصة بيت النبوة ـ هنا .. بل نجد تساهلا كبيرا إلى الدرجة التي يعتبر فيها علماء الجرح والتعديل رجلا مثل كعب الأحبار علما من أعلام الأمة، وإماما من أئمتها.

قال آخر: والمشكلة لا تكمن في كعب وحده، فقد يمكن تلافي رواياته، وإنما تكمن في أولئك الذين تتلمذوا عليه، ثم رووا رواياته، من غير أن يسندوها إليه، وبذلك اختلط الأمر اختلاطا شديدا؛ فمن الذين ذكر المزي في (تهذيب الكمال) جلوسهم بين يدي كعب الأحبار، وروايتهم عنه، سواء أسندوا أو لم يسندوا ـ هذه الأسماء التي لها حضورها القوي في كتب التفسير والعقائد: (الأخنس بن خليفة الضبى، وأسلم مولى عمر بن الخطاب، وتبيع الحميرى (ابن امرأته)، وجرير بن جابر الخثعمى، وخالد بن معدان، وروح بن زنباع، وأبو المخارق زهير بن سالم السلولى، وسعيد بن المسيب، وشريح بن عُبيد، وعبد الله بن رباح الأنصارى، وعبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الله بن ضمرة السلولى، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن غيلان، وعبد الرحمن بن مغيث، وعطاء بن أبى رباح، ومالك بن أبى عامر الأصبحى، ومحمد بن عبد الله بن صيفى، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، ومعاوية بن أبى سفيان، ومغيث بن سمى، وممطور أبو سلام الأسود، وهمام (شيخ لعبد الغفور الواسطى)، ويزيد بن خمير اليزنى، ويزيد بن قوذر، وأبو إبراهيم الردمانى، وأبو رافع الصائغ، وأبو سعيد الحبرانى، وأبو مروان الأسلمى (والد عطاء بن أبى مروان)، وأبو هريرة، وابن مواهن)[1]

قال آخر: صدقت.. فلكل واحد من هذه الأسماء الروايات الكثيرة في كتب التفسير والحديث والعقيدة، بل إن الكثير منهم روى له البخاري ومسلم وغيرهما.. حتى أن بعض

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٤/ ١٨٩)

الأحاديث صارت مختلطة لا يكاد يميز بينها، هل قالها رسول الله ﷺ أم قالها كعب الأحبار؟

ومن الأمثلة على ذلك الحديث المشهور الذي تجرؤوا فذكروا أنه من روايات كعب الأحبار التي رفعها أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ على الرغم من أبا هريرة قال في الحديث: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي،فقال: خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس،وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)[(١)]، فمع كون الحديث مرويا في صحيح مسلم إلا أن ابن كثير تجرأ فقال بكذبه، فقد قال في تفسيره تعليقا عليه: (فقد رواه مسلم بن الحجاج في صحيحه، والنسائي من غير وجه عن حجاج وهو ابن محمد الأعور عن ابن جريج به وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال في ستة أيام، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعا)[(٢)]

بل إن ابن تيمية نفسه رد الحديث، فقال في (مجموع الفتاوى): (.. خلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فإن هذا طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخارى وغيرهما وذكر البخارى أن هذا من كلام كعب الأحبار)[(٣)]

قال آخر: صدقت.. فمع اعترافنا بأن أحاديث أبي هريرة مختلطة مع أحاديث كعب الأحبار إلا أنا كنا لا نبالي في أخذ أكثر عقائد الدين منه، وقد روى ابن كثير عن مسلم صاحب الصحيح بسنده عن بكير بن الأشج، قال: قال لنا بشر بن سعيد: (اتقوا الله

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٩)

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٩٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج١٨ص١٨.

وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ، ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن رسول الله ﷺ)[1]

قال آخر: صدقت.. ومن هذا الباب دخلت اليهودية في الإسلام إلى الدرجة التي تحول فيها الذبيح بدل كونه إسماعيل عليه السلام ـ كما هو واضح من القرآن الكريم ـ إلى كونه إسحق كما يقول اليهود، وذلك لأن أبا هريرة روى عن كعب الأحبار أن الذي أمر إبراهيم بذبحه من ابنيه إسحاق، وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه، قال الله لإسحاق: إني قد أعطيتك بصبرك لأمري دعوة أعطيك فيها ما سألت، فسلني، قال: رب أسألك أن لا تعذب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك، فكانت تلك مسألته التي سأل[2].

وقد حكى الطبري وغيره هذا القول عن أعلام السلف كابن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، بالإضافة لأكثر من عشرة من سادات التابعين[3].

وبعد أن حكى الأقوال المختلفة في هذا عقب عليها مرجحا بقوله: (وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق)[4]

٥ ـ عقبة الحرفية:

قال المعلم: بورك فيكم، وفي كشفكم للخدع التي وقعت فيها الأمة لصرفها عن

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٠٩.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٨٢)

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٧٩)

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٨٦)

تدبر كتاب ربها، وتفعيله في واقع حياتها، وهي نفس الخدع التي وقع فيها أهل الأمم السابقة حين احتكر كتبهم من راح يفسرها ويحرفها كما يشاء، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]

قال أحدهم: أجل.. فحدثنا عن العقبة الخامسة.

قال المعلم: العقبة الخامسة ناشئة عن العقبة السابقة.. وهي الاكتفاء بالظواهر القرآنية، وعدم الغوص في أعماقها، أو تحكيم المتشابه على المحكم، وبذلك يحصل الزيغ الذي حذر الله تعالى منه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

قال أحدهم: صدقت.. فالله تعالى أخبر في هذه الآية الكريمة أن في القرآن الكريم نوعين من الآيات، آيات محكمات واضحات هي الأصل والمرجع وأم الكتاب الذي يصار إليه عند التنازع، ومنه متشابهات، وهي أن يشتبه اللفظ فيها في الظاهر مع اختلاف المعاني[1].

قال آخر: وقد ذكرت الآية الكريمة أن من أغراض وجود المتشابه في القرآن الكريم هو الفتنة والابتلاء ليميز الراسخون في العلم من الذين في قلوبهم مرض، والذين يتركون المحكم، ويقعون في المتشابه، نتيجة إعراضهم عن الراسخين في العلم.

قال آخر: ولذلك وقع المنحرفون عن أئمة الهدى في التجسيم والتشبيه الذي زينه

---

(١) البرهان: ٢/ ٦٩.

لهم سلفهم نتيجة فهمهم الحرفي لما ورد في القرآن الكريم من المجاز والاستعارة والكناية ونحوها، حيث حملوها على الحقيقة؛ فضلوا وتاهوا.

قال آخر: صدقت.. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد من النصوص القرآنية في ذكر اليد مضافة لله تعالى، لأن العرب عندما تضيف اليد لأي كان قد تريد بذلك اليد التي هي الجارحة، وتريد بها أيضا معاني أخرى مثل: القوة والنعمة والعطاء والثواب والهداية والنصرة والحفظ وغيرها.. وبما أن الأمر كذلك، فاليد المنسوبة لله، تعتبر من المتشابهات، والتي لا يمكن القطع بمعناها إلا للراسخين في العلم، ولهذا أولوها بما يتناسب مع كلام العرب، وقد قال الزركشي عند حديثه عن المحكم والمتشابه: (وممن نقل عنه التأويل علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، وهو اختيار ابن برهان من الأشعرية.. وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة المتشابه والجسمية في حق البارئ تعالى، والخوض في كل هذه الأمور خطر عظيم)[1].

قال آخر: ومثل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فبدل أن يفسرها الحرفيون بما تدل عليه اللغة مما يليق بتنزيه الله تعالى عن الجسمية وعوارضها، راحوا يختارون من معانيها ما يعمق التشبيه والتجسيم.. حيث فسروا الاستواء بالقعود والجلوس، وجعلوا المتشابه فيها هو عدم معرفتهم لكيفية القعود والجلوس، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن تيمية ـ زعيم المجسمة والمجادل عنهم ـ: (المعنى الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز أن ثم يكون نظيره ثابتا لله، فلهذا صار متشابها، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فإنه قد قال: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]،

---

(١) أنظر: الزركشي البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٧٨-٨٠.

وقال: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوي إلى المستوى عليه، وأنه لو عدم من تحته لخر، والله تعالى غني عن العرش وعن كل شيء، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش وحملة العرش.. فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه الله عنها، فنحن نعلم معناه وأنه العلو والاعتدال، لكن لا نعلم الكيفية التي اختص بها الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه إلى العرش، بل مع حاجة العرش وكل شيء محتاج إليه من كل وجه، وأنا لم نعهد في الموجودات ما يستوي على غيره مع غناه عنه وحاجة ذلك المستوى عليه إلى المستوي، فصار متشابها من هذا الوجه، فإن بين اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا، وبينهما قدرا فارقا هو مراد في كل منهما، ونحن لا نعرف الفارق الذي امتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه ونجهله من وجه، وذلك هو تأويله، والأول هو تفسيره)[(١)]

قال آخر: وهكذا صار المتشابه عنده وعند أصحابه ليس كونه مجهولا غير معلوم بسبب الاحتمالات الكثيرة الواردة على اللفظ، وإنما هو متشابه من حيثية واحدة وهي عدم معرفة الكيفية.. مع أن للاستواء في اللغة دلالات كثيرة بإقرارهم وإقرار مفسريهم المعتبرين مثل الطبري، الذي قال في شرحه للاستواء: (الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه: منها انتهاء شباب الرجل وقوّته، فيقال إذا صار كذلك: قد استوى الرجل، ومنها: استقامة ما كان فيه أَوَدٌ من الأمور والأسباب، يقال منه: استوى لفلان أمره: إذا استقام له بعد أود. ومنها: الإقبال على الشيء بالفعل، كما يقال: استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه. ومنها: الاحتياز والاستيلاء كقولهم: استوى فلان على

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٧٨)

الـمـملكة، بـمعنى احتوى علـيها وحازها. ومنها: العلوّ والارتفـاع، كقول القائل: استوى فلان علـى سريره، يعنـي به علوّه علـيه)[1]

قال آخر: ومن هذا الباب أولوا كل الآيات التي تذكر استغناء الله عن المكان، كما قال أبو نصر السجزي: (فأئمتنا كسفيان الثوري ومالك وسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي متفقـون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وأن علمه بكل مكان وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء)[2]

قال آخر: وهكذا اعتبر ابن عبد البر كل تلك الإضافات المتشابهة محكمة يؤول كل القرآن لأجلها، فقال: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا انهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله) [3]

قال آخر: وهكذا كان الأمر مع سائر ما ورد في القرآن الكريم من المعاني، والتي لم يرد منها إلا الحقائق التي انطويت عليها.. لكن الفهم القاصر جعل أصحابها لا يرون منها إلا ظواهرها وحروفها دون أعماقها.

---

(١) الطبري:١/ ١٩٢.

(٢) درء التعارض ٦/ ٢٥٠ ونقل الذهبي كلامه هذا في السير ١٧/ ٦٥٦.

(٣) فتح البر بترتيب التمهيد ٢/ ٧ –٤٨.

قال آخر: وهكذا كان الأمر مع سائر ما ورد في القرآن الكريم من المعاني، والتي لم يرد منها إلا الحقائق التي انطويت عليها.. لكن الفهم القاصر جعل أصحابها لا يرون منها إلا ظواهرها وحروفها دون أعماقها.

قال آخر: ولذلك كان الصالحون الذين قضوا حياتهم بصحبة القرآن الكريم يشيرون إلى عظم الحقائق التي يذكرها، وكثرتها، ووفائها بكل الحاجات، وقد قال الإمام عليّ: (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب)

قال آخر: ولهذا ورد في الأحاديث الدعوة إلى تدبر القرآن الكريم والبحث عن حقائقه، كما قال رسول الله ﷺ: (اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[1] .. وأخبر أن المعاني القرآنية لا تقتصر على الظواهر فقط، فقال في وصف القرآن الكريم: (وهو كتاب تفصيل وبيان تحصيل، هو الفصل ليس بالهزل، وله ظهرٌ وبطن، وظاهره حكم الله وباطنه علم الله تعالى، فظاهره وثيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف النصفة.. فليرع رجلٌ بصره، وليبلغ النصفة نظره ينجو من عطب، ويتخلّص من نشب، فإنّ التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات، والنور يُحسن التخلّص ويُقلّ التربّص)[2]

وقد فسر الإمام الباقر هذا الحديث بقوله: (ظاهره تنزيله، وباطنه تأويله، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] نحن نعلمه)[3]

---

(١) بحار الأنوار (٩٢/ ١٠٦)

(٢) نوادر الراوندي ص٢١.

(٣) بصائر الدرجات/ ١٩٦.

وقال: (ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات اولئك القوم ماتت الاية، لما بقي من القرآن شئ ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والارض، ولكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر)[1]

٦ ـ عقبة الأهواء:

قال المعلم: بورك فيكم.. فالقرآن الكريم أعظم من أن يحصر في حروفه وألفاظه، وإلا كان محدودا لا يفي بكل الحاجات، مع أن الله تعالى قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

قال أحدهم: أجل.. فحدثنا عن العقبة السادسة.

قال المعلم: العقبة السادسة أم كل العقبات السابقة وأساسها ومنبعها.. فكل الانحرافات التي وقعت في التأويل سببها اتباع الهوى، فهو الحجاب الذي يحول بين القلوب والعقول وفهم كلمات ربها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، ولذلك فإن من تخلص منه، وجلس بين يدي القرآن الكريم كالتلميذ بين يدي الأستاذ علمه الله، ولو من غير معلم.

قال أحدهم: صدقت.. وقد قال بعض الصالحين يشير إلى ذلك: (لا يكون المريد مريدا حتّى يجد في القرآن كلّ ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد)

قال آخر: بل ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو لا أنّ الشياطين يحومون على أعين بنى آدم أن لا يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا

(١) تفسير العياشي: ١/ ١٠.

العجائب)[1]

قال آخر: ولذلك لا يمكن تدبر القرآن الكريم ما لم تزل تلك الحجب التي تحول دون فهمه، ومنها ـ كما قال بعضهم ـ أن يكون القارئ (مقلّدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصّب له بمجرّد الاتّباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيّده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني الّتي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة، وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله.. وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكّن والاستقرار، فإن خطر له مثلا في القدّوس أنّه المقدّس عن كلّ ما يجوز على خلقه لم يمكّنه تقليده من أن يستقرّ ذلك في نفسه، ولو استقرّ ذلك في نفسه لانجرّ إلى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل، وقد يكون حقّا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأنّ الحقّ الّذي كلّف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه من الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد)[2]

قال آخر: ومنها أن يكون القارئ للقرآن الكريم (مصرّا على ذنب أو متّصفا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدّنيا مطاع فإنّ ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جليّة الحقّ من أن يتجلّى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلّما كانت الشهوات أشدّ تراكما كانت معاني الكلام أشدّ احتجابا وكلّما خفّ عن القلب

---

(١) أحمد (٢/ ٣٥٣، رقم ٨٦٢٥)

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٤)

أثقال الدّنيا قرب تجلّى المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدء ومعاني القرآن مثل الصور الّتي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة)

قال آخر: ولذلك شرط الله تعالى الإنابة في الفهم والتذكّر، فقال: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٨]، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]

قال آخر: ومنها التعلق بتلك التفاسير التي راحت تطبق فهومها على القرآن الكريم وتفرضه عليها.. وللأسف فقد كنت ضحية لذلك.. لقد كنت من قوم ينظرون إلى أقوال علمائهم كما ينظرون إلى القرآن الكريم، (فوقفوا جهدهم العلمى على نصرة مذاهبهم وترويجها، وبذلوا كل ما فى وسعهم لإبطال مذهب المخالف وتفنيده، وكان من أثر ذلك أن نظر هذا البعض إلى آيات الأحكام فأولها حسبما يشهد لمذهبه إن أمكنه التأويل، وإلا فلا أقل من أن يؤولها تأويلا يجعلها به لا تصلح أن تكون فى جانب مخالفيه، وأحيانا يلجأ إلى القول بالنسخ أو التخصيص، وذلك إن سدت عليه كل مسالك التأويل.. كما قال عبد الله الكرخى، وهو أحد المتعصبين لمذهب أبى حنيفة: (كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ)[1]

قال آخر: وقد كان لهؤلاء أثر ظاهر فى التفسير الفقهى، حيث أصبح كل مذهب يفسر القرآن الكريم بما يتناسب مع مذهبه.. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الكيا الهراسى، الفقيه الشافعى في مقدمة تفسيره، فقد قال: (إني لما تأملت مذاهب القدماء المعتبرين،

---

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي: ٢/ ٣١٩.

والعلماء المتقدمين والمتأخرين واختبرت مذاهبهم وآراءهم، ولحظت مطالبهم وأبحاثهم، رأيت مذهب الشافعي أسدها وأقومها، وأرشدها وأحكمها، حتى كان نظره في كبر آرائه، ومعظم أبحاثه، يترقى عن حد الظن والتخمين، إلى درجة الحق واليقين.. ولم أجد لذلك سببا أقوى، وأوضح وأوفى، من تطبيقه مذهبه على كتاب الله تعالى، الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].. وأنه أتيح له درك غوامض معانيه، والغوص على تيار بحره لاستخراج ما فيه، وأن الله فتح عليه من أبوابه، ويسر عليه من أسبابه، ورفع له من حجابه، ما لم يسهل لمن سواه، ولم يتأت لمن عداه، فكان على ما أخبر الله تعالى عن ذي القرنين في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥].. ولما رأيت الأمر كذلك، أردت أن أصنف في أحكام القرآن كتابا أشرح فيه ما انتزعه الشافعي، من أخذ الدلائل في غوامض المسائل، وضممت إليه ما نسجته على منواله، واحتذيت فيه على مثاله، على قدر طاقتي وجهدي، ومبلغ وسعي وجدي، ورأيت بعض من عجز عن إدراك مستلكاته فهمه، ولم يصل إلى أغراض معانيه سهمه، جعل عجزه عن فهم معانيه، سببا للقدح في معاليه، ولم يعلم أن الدر در برغم من جهله، وأن آفته من قصور فهمه، وقلة علمه، وما يضر الشمس قصور الأعمى عن إدراكها، والحقائق عجز البليد عن لحاقها)(١)

ولهذا كان يحمل في الكتاب حملة شديدة على مخالفيه، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض مخالفي مذهبه: (وكيف يتصدى للتصنيف في الدين من هذا مبلغ علمه ومقدار فهمه، فيرسل الكلام إرسالا من غير أن يتحقق ما يقول، ويحصل على نفسه ما يورده، ثم يتعرض للطعن فيمن لو عمر عمر نوح، ما اهتدى إلى مبادئ نظره في الحقائق؟ فنسأل الله تعالى

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ٢)

التوفيق، ونسأله النجاة من عمى البصيرة واتباع الهوى)[1]

قال آخر: ومثل ذلك ما حصل لابن العربي المالكي في تفسيره [أحكام القرآن]؛ فهو لم يكتف بأن يتناول آيات الأحكام بناء على مذهبه الفقهي، وإنما راح يقف من المخالفين له موقفا متشددا جدا، ومن الأمثلة على ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]: (اختلف الناس فى تأويله على ثلاثة أقوال: الأول: أن لا يكثر عيالكم، قاله الشافعى.. الثانى: أن لا تضلوا، قاله مجاهد.. الثالث: أن لا تميلوا، قاله ابن عباس والناس.. قلنا: أعجب أصحاب الشافعى بكلامه هذا، وقالوا هو حجة، لمنزلة الشافعى فى اللغة، وشهرته فى العربية، والاعتراف له بالفصاحة، حتى قال الجوينى: هو أفصح من نطق بالضاد، مع غوصه على المعانى ومعرفته بالأصول.. واعتقدوا أن معنى الآية: فانكحوا واحدة إن خفتم أن يكثر عيالكم، فذلك أقرب إلى أن تنتفى عنكم كثرة العيال.. قال ابن العربى: (كل ما قاله الشافعى، أو قيل عنه، أو وصف به، فهو كله جزء من مالك ونغبة من بحره، ومالك أوعى سمعا، وأثقب فهما، وأفصح لسانا، وأبرع بيانا، وأبدع وصفا، ويدلك على ذلك مقابلة قول بقول فى كل مسألة وفصل)[2]

وبعد أن تكلم عن معنى لفظ [عال] فى اللغة، قال: (والفعل فى كثرة العيال رباعي لا مدخل له فى الآية، فقد ذهبت الفصاحة، ولم تنفع الضاد المنطوق بها على الاختصاص)[3]

قال آخر: وهكذا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]: (قال أبو بكر الرازى إمام الحنفية فى كتاب أحكام القرآن: ليس نكاح الأمة ضرورة، لأن الضرورة ما يخاف منه تلف النفس، أو تلف عضو، وليس

---

(١) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٢/ ٤٠٤)

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٠)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤١٠)

فى مسألتنا شىء من ذلك)، ثم علق عليه بقوله: (هذا كلام جاهل بمنهاج الشرع، أو متهكم لا يبالى بموارد القول.. ومن لم يفرق بين الضرورة والحاجة التى تكون معها الرخصة، فلا يعنى بالكلام معه، فإنه معاند أو جاهل، وتقرير ذلك إتعاب للنفس عند من لا ينتفع به)[1]

٧ ـ عقبة الدجل:

قال المعلم: بورك فيكم، والأمثلة التي ذكرتموها كافية للدلالة على التعصب الذي حجب عن معاني القرآن الكريم، بل جعل لكل طائفة قرآنها الخاص وتفاسيرها الخاصة، وحال بينها وبين الوحدة التي أمر الله تعالى بها.

قال أحدهم: أجل.. فحدثنا عن العقبة السابعة.

قال المعلم: العقبة السابعة وليدة العقبة السادسة.. وهي استعمال القرآن الكريم في غير ما أنزل لأجله.. وهو تحويله إلى كتاب للشعوذة والدجل، بدل الهداية والتنوير.

قال أحدهم: صدقت.. وللأسف؛ فإن الكثير من أهل هذه المدينة لا يقرأ القرآن الكريم إلا ليحصن بيته أو ماله أو ولده.. أو يستعمله حرزا أو رقية من العين أو الشيطان أو غيرهما.

قال آخر: بل هناك من يستعمله لأخطر من ذلك.. وقد وجدت الكثير من أهل هذه المدينة يرجع إلى كتاب [شمس المعارف الكبرى] للشيخ أحمد بن علي البوني، والذي استعمل القرآن بسوره وآياته مثلما يستعمل المشعوذون طلاسمهم وأوفاقهم.. وقد قال في مقدمة كتابه: (وإني لما رأيت كلام الأجلاء ممن علت كلمتهم وانبسطت في الآفاق حكمتهم وعمت في البرايا بركتهم قد ألفوا في التصريف بالأسماء والصفات وأسرار الحروف والأذكار والدعوات، وقد رغب إلى من تعلق بي وده في توضيح ما ألّفوه وذخيرة ما كنزوه،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٠٤)

فأجبته مع الإقرار بالعجز عن فهم مدارك السلف الماضين والأئمة المحققين الهادين، ورجوت من اللهّ بذل الاعتراف والاقتراف أن يمدني من أرواح أرواحهم بلطائف الإسعاف، فيكون النطق موافقا للتحقيق ومفصلا بلسان التصديق)(١)

ثم ذكر مقصوده من الكتاب، فقال: (إن المقصود من فصول هذا الكتاب العلم بشرف أسماء اللهّ تعالى، وما أودع اللهّ تعالى في بحرها من أنواع الجواهر الحكميات واللطائف الإلهيات، وكيف التصرف بأسماء الدعوات، وما تابعها من حروف السور والآيات.. وجعلت هذا الكتاب فصولا ليدل كل فصل على ما اختاره وأحصاه من علوم دقيقة يتوصل بها للحضرة الربانية من غير تعب ولا إدراك مشقة، وما يتوصل منها إلى رغائب الدنيا وما يرغب فيها، وسميت هذا الكتاب المنتخب العديم المثل الرفيع العلم بشمس المعارف ولطائف العوارف لما في ضمنه من لطائف التصريفات وعوارف التأثيرات، فحرام على من وقع كتابي هذا في يده أن يبديه لغير أهله، أو يبوح به في غير محله، فإنه مهما فعل ذلك أحرمه اللهّ تعالى منافعه، ومنعت عنه فوائده وبركته، ولا تمسه إلا وأنت طاهر ولا تقربه إلا إذا كنت ذاكرا لتفوز منه بما تريد، ولا تصرفه إلا فيما يرضي اللهّ تعالى فإنه كتاب الأولياء والصالحين والطائعين، والمريدين والعاملين الراغبين فكن به ضنينا ولا تدع منه قليلا ولا كثيرا، وليكن يقينك صادقا وإيمانك بحقائقه واثقا إنما الأعمال بالنيات)(٢)

قال آخر: صدقتم.. لقد كان هذا الكتاب هو السبب في انصرافي عن التدبر في كلام ربي؛ فقد كنت أدمن على الرياضات التي ذكرها لا لتربية نفسي وإصلاحها، وإنما لتحقيق حاجاتي التي كان يمكنني أن أقوم بها بالعمل والاجتهاد.. ومن الأمثلة على تلك الرياضات التي كنت أمارسها نقلا عنه الرياضة المرتبطة بسورة الجن، حيث قال: (اعلم أيها الأخ في

(١) شمس المعارف الكبرى (ص ٦)

(٢) شمس المعارف الكبرى (ص ٦)

اللهّ إذا أردت ذلك صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء، ثم الأربعاء والخميس وهو صيامك عن غير ذي روح، وأنت تبخر بحصا لبان وجاوي ليلا ونهارا، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام، ألف مرة في تلك المدة المذكورة تقرأ في كل يوم ٣٣٣ مرة وأكثر، والمراد تكميلها بالألف في تلك المدة المذكورة واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأوسط من الليل، فإنه يحضر لك خادمها، وهو رجل قصير طويل اليدين، فيجلس قدامك، ويقول لك السلام عليك، فثبت جناحك فإن عليك هيبة عظيمة، وهو من ملوك الجان المؤمنين الذين أسلموا على يد النبي ﷺ، فتنظر ثلاث رجال خلفه، فإن ثبت نفسك قضيت حاجتك، وإن توهمت أو تلجلجت، فإنهم ينصرفون عنك ويخيب عملك وسعيك، فيجب عليك أن تشجع نفسك، ولا تخف فإن اسمه أبو يوسف، فقل: يا أبا يوسف قد وجب عليك حقي، وأنت ترى ما أنا فيه من الفاقة والضيق، وأريد منك هذه الساعة الشيء المباح الحلال أستعين به على نفقتي ونفقة عيالي، وأستعين به على الحج إلى بيت اللهّ الحرام وأجرك على اللهّ.. واعلم يا أخي إن أنت قويت قلبك وتكلمت الكلام الذي ذكرناه فإنه يلتفت إلى أحد الرجال الذين من ورائه ثم يأمرهم بشيء فإنه يأتي به بأسرع من البرق وهو مما قد قسم اللهّ لك من القدم فخذ ما وصل إليك واشكرهم وداع لهم فإنهم ينصرفون، وحكي عن الشيخ الصالح أبي عبد اللهّ حسين بن منصور، أنه فعل ذلك، فأتاه الخادم بعشرة آلاف دينار، وحكي أن تلميذ يحيى فعلها، فلما حضر بين يديه خادم السورة خاف واصطكت أسنانه وخرس لسانه فلم يطق أن يكلمه، وكلما فتح عينيه وجده بين يديه، فلما أفاق وطال الأمر ولم ينطق انصرف الخادم عنه، ولم يحصل منه ضرر، فعليك أيها الطالب بثبات الجنان، فإن خادم هذه السورة من الجن المؤمنين وهو لم يضر الطالب، والعزيمة

والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور)[1]

قال آخر: ومثلك أنا.. فقد كنت أمارس الرياضة المرتبطة بسورة الكهف، والتي قال عنها: (اعلم وفقني الله وإياك أنك إذا أردت الوصول للكبريت الأحمر والعنبر الأشهب، وفتح باب هذا الكنز المطلسم وفك رمزه وإبطال موانعه، فتعمد إلى مكان طاهر نظيف بعيد عن الأصوات والحركات، وتنصب لك في الأرض محرابا وتبسط تحتك رملا ناعما، ثم إنك تغتسل وتلبس ثيابا كلها بيضاء، وتبخر بأجل البخور وتطهر جوفك من المأكل الحرام وكل ما فيه شبهة، ثم تدخل في الرياضة ولا تأكل ولا تشرب شيئا فيه روح ولا ما خرج من روح مدة ١٤ يوما، ويكون أول دخولك في الرياضة في شهر يكون أوله يوم الجمعة، وتدخل الخلوة بعد صلاة الجمعة، ثم تبخر المكان بالبخور الطيب مثل العود والقاقلي والجاوي والند ومثل العنبر إن أمكن وتقرأ سورة الكهف إن أمكن عقيب كل صلاة مرة، وفي جوف الليل ٧ مرات، وكلما تلوت السورة تطلق البخور إلى انتهاء العدد المذكور، فإذا كان ليلة الجمعة تجلس على ركبتيك، وتصلي على النبي ﷺ ألف مرة، ثم تبدأ بقراءة سورة الكهف أربعين مرة وتصلي بين قراءة كل مرتين ركعتين خفيفتين بالفاتحة والإخلاص ٣ مرات وتصلي على النبي عليه السّلام ١٠ مرات، فإذا تمت القراءة تستغفر الله وتحمده، وتقول الباقيات الصالحات ١٠٠ مرة، فإذا أصبحت وصليت الصبح وتحمد الله بجميع محامده التي في القرآن العظيم، وبعد التحميد تبتهل إلى الله تعالى وتدعوه بالدعوات الصالحات، فإذا فرغت من دعائك فقم وتمش واذكر الله حتى تخرج لخارج سور المدينة، فيقبل عليك خادم السورة الشريفة على صفة شاب حسن طيب الرائحة، فيسلم عليك فردّ عليه السلام وتأدب معه، فإنه يدفع إليك كيسا فيه ألف دينار ويشترط عليك شروطا منها: زيارة

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ١٣٥.

الأموات كل يوم جمعة، ولا تنسى الفقراء والمساكين وأن لا تزني فتجيبه إلى طلبه وتشكر منه، فيقول لك الخادم عبد الله إن قرأتها وفعلت ذلك كل شهر ترزق ألف دينار، فتصرف الخادم وتقول له: شكر الله سعيك وغفر لنا ولك وانصرف مأجورا بخير. واكتم سرك والله أعلم)(1)

قال آخر: ومثله قال عن سورة الواقعة: (اعلم أن هذه السورة مفتاح باب الغنى.. ولها خواص كثيرة فمنها إن من واظب على قراءتها عقب الصلوات الخمس فإنها تكون أمانا له من الفقر والفاقة. ومن خواصها للدخول على الملوك والوزراء والحكام، تقرأ السورة قبل أن تقابل ما ذكرنا وتقول عند خروجك: توكلوا يا خدام هذه السورة الشريفة بعقد لسان كذا، بحق سورة الواقعة عليكم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، توكلوا بفلان وتسمي ما تريد وتقول: خيركم بين أعينكم وشركم تحت أرجلكم، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا. توكلوا يا خدام هذه الأسماء والدعوة والسورة الشريفة بمهمهوب ٢ ذي لطف خفي، بصعصع ٢ ذي نور بهي لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، اجعلوني يا خدام هذه السورة نافذ الكلمة عند فلان بن فلانة، يسمع قولي ويطيع أمري ويقضي لي مصالحي وجميع ما أطلبه منه وما أريده، بحق هذه الآية الشريفة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦])(2)

ومن خواصها التي ذكرها: (للعطف والمحبة والصلح بين اثنين في الحلال، لأن كلامه تعالى لا يتصرف إلا في الحلال، وأما والعياذ بالله من يفعله في الحرام، فإنه يضر بنفسه ولا يجاب له، فإذا أردت محبة بين متباغضين، فاقرأ السورة على شيء من المأكول وقل عند انتهاء السورة: توكلوا يا خدام هذه السورة بالإلفة والمحبة بين كذا وكذا، بحق ههطوب

(1) شمس المعارف الكبرى، ١٣٥.

(2) شمس المعارف الكبرى، ص١٤٢.

٢، طوب ٢، أجب يا صمعون ذو بهاء وجمال، توكلوا يا خدام هذه السورة الشريفة بالمحبة الدائمة والوداد بين فلان بن فلانة، بحق هذه السورة عليكم وطاعتها لديكم، ثم أهدي المأكول لهابا، فإذا أكلاه يصطلحان ولا يفترقان إلا بعد الموت)(١)

ومن خواصها الأخرى التي ذكرها: (أنك إذا قرأتها بعد العصر مرة، وأسماء الله الحسنى مرة، ثم تداوم القراءة كل يوم هكذا، وتقرأ عقب قراءتك الدعاء هكذا مرة مرة ٤٠ يوما، فإنك تملك الخديم، ويكون عونا لك في كل ما تريد فافهم، والبخور حصا لبان وميعة وسندروس وحبة سوداء، وهذا دعاء السورة الشريفة تقول: اللهم إني أسألك يا الله ٣، يا واحد يا فرد يا صمد يا وتر يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا باسط يا غني يا مغني مهمهوب مهمهوب ذي لطف خفي بصعصع صعصع ذي نور بهيّ سعسعوب سعسعوب، الله الذي له العظمة والكبرياء صمعصون ذو جمال وبهاء، طمهوب ذو عز شامخ، باه باه مهلهوب الله الذي سخر بنوره كل نور، بطهطهوب لهوب ٢ أجيبوا يا خدام هذه السورة، ويا خدام اسم الله العظيم الأعظم بتسخير قلوب الخلق وجلب الرزق، وحركوا روحانية المحبة لي بالمحبة الدائمة، بسم الله الذي خرق الحجب نوره وذلت الرقاب لعظمته، وتدكدكت الجبال لهيبته وسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، هو الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم. اللهم إني أسألك باسمك المرتفع الذي أعطيته من شئت من أوليائك، وألهمته لأصفيائك من أحبابك، أسألك اللهم أن تأتيني برزق من عندك تغني به فقري وتجبر به كسري، وتقطع به علائق الشيطان من قلبي، فإنك أنت الله الحنان السلطان الديان)(٢)

قال آخر: ومن الرياضات التي ذكرها، والخاصة بهذه السورة ما عبر عنه بقوله:

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص١٤٢.

(٢) شمس المعارف الكبرى، ص١٤٣.

(اعلم وفقني اللهّ تعالى وإياك إلى طاعته وفهم أسرار أسمائه، إذا أردت الخلوة والرياضة بهذه الأسماء الشريفة، فتعمد إلى مكان نظيف خال من الأصوات فتجلس فيه، وتطلق البخور وهو عود وند وجاوي وميعة يابسة، ثم تبدأ بقراءة السورة المذكورة أربعة عشر، وإن أردت السرعة فتكون مدّة سبعة أيام، هذا وأنت تقرأ الأسماء عقب الصلاة بأعدادهن، فإذا تمت الأيام فيدخل عليك خمسة عشر ملكا، ويسلمون عليك فلا ترد عليهم السلام، وإياك والخوف منهم فإن خفت ضربت روحك وضاع تعبك، فإنهم يجلسون أمامك ثم يسألون حاجتك ويقولون لك نحن نقضيها لك، فاطلب منا ما شئت، فإياك أن تجيبهم فإذا طال عليك الجلوس انصرفوا عنك، فقوّ قلبك ونبه قرينك وقوّ بخورك، فإذا كان بعد ساعة أو ساعتين، فيدخلون عليك، فردّ عليهم السلام، وتكون قد جعلت بخورك في تلك الساعة ميعة يابسة ولبان ذكر وعود قماري وترمس بري، فإذا فعلت ذلك فقوّ قلبك لأنهم يشيرون إليك بأيديهم، فتجد روحك في مكانك الأوّل، ولا تكلمهم ولو كلموك، فإذا طال الأمر انصرفوا عنك، ثم بعد ذلك يدخل عليك رجل وحده وينصب له كرسيّ ويجلس عليه ثم يسلم عليك فردّ عليه السلام وتأدب بين يديه، فيسألك عما تريد فلا تخف منه، فإنه خادم هذه الأسماء الشريفة، فيقول لك ما تطلب يا خلق اللهّ؟ فقوّ قلبك وقل له أريد منك، العهد والخادم من خدّامك يمتثل أمري في كل ما أطلب منه، فعندها يعطيك شيئا من الدنيا، فخذه منه ثم اصرفه فينصرف، واشكر اللهّ على ما أولاك من نعمه، واكتم سرك تنل أمرك والسلام)[1]

قال آخر: ومن الأمثلة عما ذكره عن سور أخرى ما عبر عنه بقوله: (إن في سورة يس اسما من أسماء الحكمة من وقف عليه وكتبه ومحاه بماء المطر وهو مستقبل القبلة عدد الأسماء

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص١٤٤.

أياما أنطقه اللهّ تعالى بالحكمة، وهو وسط السورة وعدد حروفها ستة عشر حرفا منها حرفان منقوطان من أعلى، وحرفان منقوطان من أسفل، وهي خمس كلمات أولها حرف السين، وآخرها حرف الميم، وظهر حرف السين في اسمه السلام والسميع السريع وهو اسم الملحين في الدعاء خصوصا.. ومن أراد أن يرى عاقبة أمره فليصم يومه ذلك للهّ تعالى خالصا، ويفطر على ما تيسر من الخبز، ويقرأ سورة الملك وينام على طهارة على جنبه الأيمن ويضعه تحت رأسه ولا يكلّم أحدا وينام، فإن اللهّ تعالى يطلعه على عاقبة أمره بقدر القسم الذي أراده ولا يصلح ذلك إلا لأهل طهارة القلوب وأهل الرياضات. ومن كتبه في جام زجاج وشربه سهل اللهّ عليه الفهم والحكمة. ومن علقه عليه أنطقه اللهّ تعالى بالحكمة. ومن كتبه ومعه لا إله إلا اللهّ محمد رسول اللهّ ٨٠ مرة وحمله على عضده الأيمن، أو كتبه في ثوب ولبسه رزقه اللهّ تعالى الهيبة والرأفة.. وإذا أردت اتخاذ إخوان من الجن المؤمنين يقضون حاجتك ويسعون في مرضاتك، فابدأ بالصوم يوم الأربعاء إلى يوم السبت الرابع منه، بعد أن تغسل الثوب والبدن، واقرأ سورة الإخلاص كل يوم ألف مرة، وسورة يس مرة، وسورة الدخان، وتنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك مرة، فإذا كان عصر يوم السبت وهي الساعة العاشرة، اعتزل عن الناس في موضع خال في بقعة نظيفة، وتأخذ سبع براوات من الكاغد)[1]

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص٥٤.

النهاية

في آخر يوم لي في تلك المدينة، وبعد أن أذن المؤذن لصلاة الفجر.. رأيت جموعا كثيرة، تسير بسرعة، فرحت أسرع معهم.. وفي الطريق سمعت أحدهم يقول لمرافقيه: الحمد لله.. ها قد فُتح أخيرا ذلك الجامع الكبير الذي كان معطلا، بسبب الخلافات الكثيرة بين أهل مدينتنا.

قال آخر: الحمد لله، لقد حل الصفاء بدل الجفاء، وحلت الأخوة بدل الفرقة.. وقد سمعت أنه سيفتتح اليوم بيد المعلم المبارك الذي لم نر منه إلا النور والخير.

قال آخر: وقد سمعت أيضا أنه ستفتتح فيه مدرسة علمية كبيرة تدرس القرآن الكريم وفق تلك الضوابط التي دعا إليها المعلم، والتي تراعي مقاصد القرآن الكريم وتطبق معانيه، وتجعلها مؤثرة في الحياة بكل شؤونها.

قال آخر: وقد سمعت أيضا أن الوالي سيحضر الافتتاح، وقد تعهد بأن يولي كل مناصب المدينة من المتخرجين من مدرسة ذلك الجامع..

قال آخر: ويحق له ذلك؛ فأولئك الذين كان قد نصبهم سابقا ملأوا المدينة بكل أنواع الشقاق والعصبية.

ما إن وصلنا إلى الجامع الكبير، حتى وجدنا المعلم، ومعه ثلة من كبار أهل المدينة، من الذين شاهدتهم سابقا في الأحياء المختلفة، وقد كان الجميع في غاية الفرح والسرور.

قال المعلم: الحمد لله الذي منّ على أهل هذه المدينة الطيبة بالعودة إلى القرآن الكريم، وبصورته الجميلة الناصعة، بعيدا عن كل غلو أو تطرف، في أي جانب من جوانبه، أو علم من علومه.. ولم يكن ذلك ليحصل لولا صدقهم وإخلاصهم وطهارتهم.

قال أحد الأعيان: بل كان ذلك بفضل توجيهاتك النيرة التي جعلتنا نعيد النظر في تعاملنا مع كتاب ربنا، ونصحح أخطاءنا التي كانت حجابا بيننا وبين تدبره.

قال آخر: لقد كان صدقك وإخلاصك، ومنهجك في الحوار معنا، وإقناعنا هو السبب في استفادتنا منك.

قال المعلم: بورك فيكم، وفي صدقكم، وأنا ما أديت معكم إلا واجب النصيحة، وقد علمت أنكم صادقون مخلصون.. والحمد لله الذي هدانا جميعا سواء السبيل.

كانت لحظات جميلة جدا تلك التي فُتح فيها المسجد الجامع، حيث رأيت الحضور من كل الأطياف والطوائف، يجلس بعضهم مع بعض، ويحدث بعضهم بعضا، وبكل أدب ولطف ولين.

وفي تلك الأثناء فوجئت ببعضهم يقتربون مني، ويقبلون يدي، ويعتذرون بشدة، وعندما نظرت إليهم وجدتهم أولئك الذين أساءوا معاملتي في أول دخولي للمدينة.. وقد عفوت عنهم، بل التمست منهم الدعاء لي؛ فقد كانت رقتهم وأدبهم وتواضعهم دليلا على صدقهم وإخلاصهم.

بعد تلك اللحظات الجميلة، وجدت نفسي في بيتي، ومعي القراطيس الكثيرة التي كنت أكتبها.. فرحت أعيد نسخها وتنظيمها بالشكل الذي ترونه، ومن غير أن أزيد أو أنقص حرفا واحدا مما سمعته وشاهدته.

وبعد أن انتهيت من ذلك ذهبت إلى مدرسة قرآنية، كانت تبالغ كثيرا في أحكام التجويد والقراءات ونحوها، ووضعت نسخا من الكتاب عندهم، وما هي إلا أيام حتى طرقوا باب بيتي مثلما فعل من سبقهم، وطلبوا مني أن أشكر معلم القصد والاعتدال، ومثله معلم القرآن، ثم طلبوا مني أن أطلب منه أن يرحل بي إلى المدينة التي تُكشف فيها

مؤامرات المبطلين، ويرد فيها على شبهاتهم.. فوعدتهم بذلك.

بعد انصرافهم، وعودتي إلى بيتي وجدت معلم القرآن في انتظاري، وهو يقول لي: هيئ نفسك لرحلتك الجديدة إلى [القرآن.. وانتحال المبطلين](1)

(1) هو عنوان الكتاب الرابع من السلسلة.

هذا الكتاب

هذا الكتاب هو الجزء الأول من أجزاء ثلاثة من هذه السلسلة تحاول أن تصحح الأخطاء الكبرى التي وقعت أثناء التعامل مع القرآن الكريم، وهي التي أشار إليها الحديث المعروف المشهور، وهو قول رسول الله ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)

وبناء على هذا؛ فإن هذا الجزء يعالج المبالغات والغلو الذي ارتبط ببعض العلوم القرآنية، أو الفهوم المتعلقة به، والتي صرفت عن التدبر الحقيقي للقرآن الكريم، وجعلت من أولئك الغلاة، مثل الذي يهتم بالقشر أكثر من اللباب، وبالأجزاء أكثر من الكل.

ولذلك؛ فهو لا يدعو لطرح تلك العلوم أو الفهوم طرحا كليا، وإنما يدعو إلى تصحيحها، ونفي الغلو عنها، ووضعها في محالها المناسبة، حتى لا تكون سببا يصرف عن تدبر القرآن الكريم، أو يؤثر في فاعليته في الواقع.

وقد رأينا أنه يمكن انحصار تلك المبالغات في سبعة قضايا وعلوم كبرى، هي: الرسم والإملاء.. والتجويد والقراءات.. وأسباب النزول.. ومحال النزول.. ومصاديق التنزيل، أو ما يطلق عليه [الجري والتطبيق].. والناسخ والمنسوخ.. وعقبات التأويل، وقد تناولنا فيه سبع عقبات كبرى، هي: عقبة الفضول، وعقبة الخرافة، وعقبة الوهم، وعقبة المحدودية، وعقبة الحرفية، وعقبة الأهواء، وعقبة الدجل.